

رحلة التجاني



أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني

قدم لها
العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب

الدار العربية للكتاب



رحلة التجاني



أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني

قدم لها
العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب

الدار العربية للكتاب

رحلة التجاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

أصحاب الرحلات من المغاربة ـ أفارقة وأندلسيين ـ يعدون بالعشرات بين قديمهم والجديد . وما تركوه لنا من أثر تقاييدهم فى السفر يتفاوت قيمة واهمية بطبيعة الامر ، لا من ناحية الوجهة والغاية فحسب ، بل من ناحية التحقيق والتحرير وشدة الرغبة فى الاطلاع على حقائق الاشياء وأصولها .

وليس من شك أن فريضة الحج فى الاسلام كانت من أعظم البواعث على سفر آلاف من المغاربة فى كل عام الى الحجاز للقيام بهذه الفريضة . وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الاقصى بالقدس ، وقبر

ابراهيم الخليل فى حبرون ، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام ، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق . وفى رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمرو بالفسطاط ، والجامع الازهر وحلق تعليمه ، والمشهد الحسينى ، ومقام الشافعى . ثم يقطعون مفازة برقة الى طرابلس - ان كان السفر فى البر - ثم الى تونس ومنها ينتهون الى قرارهم الاصلى بالمغربين الاوسط أو الاقصى أو بالاندلس وهى نهاية العالم الاسلامى وقتئذ .

وكان علماء نبهاء من بين هؤلاء الحجيج يدونون مشاهداتهم ، فيصفون تجوالهم فى مختلف تلك الاقطار ، ويسجلون الاحداث التى عرضت لهم مدة ترحالهم تخليدا لذكرهم ، وهداية لاخوانهم وبقية مواطنيهم ، وتعريفا بالمسالك التى يجب سلوكها ، أو المهالك التى ينبغى اتقاؤها .

ومن بين هؤلاء الرواد من وصف ما اجتاز به من الافاق من وقت مفارقته لوطنه الى حين عودته اليه ، وصفا يتمشى مع ما تصبو اليه نفسه ، ويرتاح اليه خاطره ، ويتفق مع ميله الغريزى وتكوينه العلمى ، فيقصر تقييده على ما كان يقصد من ترحاله كالتعرف برجال العلم الدينى ولا سيما بأهل الحديث وأئمة الفقه ، فيذكر لنا أسماء من لقى منهم ، وما اخذ عن كل واحد ، وما اتصل به من أسانيدهم ، وطرائق رواياتهم ، ويجتهد فى الحصول على أكثر ما

يمكن من الاجازات ، ويغض الطرف عما سوى ذلك من وصف البلاد وما امتازت به ، وما احتوت عليه من معالم ورسوم وعادات.

وهذا الصنف من التقاليد قليل الفائدة ، محدود النفع اذ كان محصورا فى لون خاص من المشاهدة التى لا تهم الا من يعنى بعلوم الدين الحنيف . ومنهم من انصرفت عنايته الى الادب،فحصر تدوينه فى سرد أسماء الأدباء المعاصرين والشعراء الذين اجتمع بهم، فيثبت ما روى من نتائج قرائحهم ، ويسوق نماذج مختارة من قصائدهم ، ولا يلتفت الى التعريف بالبلاد ، وما رأى فيها من معاهد جليلة ومنشئات بارزة ، كما انه لا يكترث بالبيئة الاجتماعية التى أقام بين ظهرانيها ، ولا بأنظمتها وأخلاقها ، ولا يعبأ بأصناف مصنوعاتها وتجاراتها ، ومحصول فلحها وما الى ذلك من أوضاع اقتصادها .

وفريق آخر من الرحالين ـ وهم النادر القليل ـ وفق الى مراعاة ذوق جمهور القراء فأتى بمشاهداته عامة متنوعة تشمل كل ما يمكن أن يقال ويكتب عن البلد المزور من سائر نواحيه ـ الجغرافية والتاريخية والعمرانية والاقتصادية ، بحيث يجعل القارىء رفيقا ملازما له فى سفره وصاحبا فى تنقلاته، ومنصتا لحديثه ، ومشاركا له فى مشاهداته .

وعلى هذا المنوال نسج أبو بكر بن العربى الاشبيلى حافظ

الانــدلس المتوفى سنة ٥٤٣ هـ فى تقييد رحلته الـذى لم يـزل فى حيز المخطوطات . وكـذا فعل ابن جبيـر الوزيـر الاندلسى فى « تذكرة الاخبار ، عن اتفاقات الاسفار » وهى بلا ريب من غرر الرحلات المغربية ، وقد طبعت مـرات وترجمت الى ألسنة كثيرة .

ولا ننس ان المقدم فى هذا الميدان ، المتأخر فى الزمان هو الرائد المغامر ابن بطوطة الطنجى الذى طبق الافاق ، ودون ذلك التقييد الخلاب الذى وصف فيه آثار المعمورة شرقا وغربا أبدع وصف ، ونقل عمن لقيه من اخوانه السياح نعت ما لم تشاهده عيناه ، ولم تطأه قدماه ، فأتى بالصحيح الموثوق به ، وكذلك ضمن رحلتـه شوارد من الاخبار تثير الاستغراب والاعجاب ، مما هو من نوع الاساطير المسموعة التى كان لها رواج فى أفكار أهل ذلك العصر ، وعلى كل فان هذا الصنف من مؤلفى الرحلات ـ على ندرته ـ هو المرغوب فيه ، والمنظور اليه بعين الاشتياق من المطالعين مع الرغبة والتقدير من البـاحثين .

ومن حسن حظ القطر التونسى أن أنجب من بين أبنائه العلماء ، وكتابه الادباء ، رحالة من هذا النمط الممتـاز ، ونعنى بـه : عبد الله التجانى ، ذلك الموظف الحضرى والكاتب الضليع الذى قـام برحلة فى أنحاء القطرين التونسى والطرابلسى فى صحبة أحد ملـوك بنى

حفص فى اوائل القرن الثامن للهجرة ، وسجل أنباء سفرته فى تقييد زاخر بالفوائد ، مفعم بالاخبار الجغرافية والتاريخية والادبية والاجتماعية قلما اجتمعت فى دفتر مسافر رحال .

وقبل الاقبال على مطالعة أثره ، ومرافقته فى سفره ، يجمل بنا أن نتعرف الى شخصية المؤلف ونشأته العلمية وما كان للجو الذى نشأ فيه وعاش فى كنفه من التأثير فى تفكيره .

التعريف بصاحب الرحلة

كل من يبحث عن تراجم رجال الحركة العلمية فى عصر الدولة الحفصية يعجب كيف أغفل أصحاب الطبقات ذكر فحول من الادباء ومشاهير من الكتاب البلغاء أهلتهم صفاتهم وميزتهم نحائزهم بأن يكونوا فى صف من يجب الاعتناء بأخبارهم وتعريفهم بما يستحقون . واذا ما أجهد الباحث نفسه فى التنقيب عنهم لم يجد من أنبائهم سوى نتف مبعثرة هنا وهناك فى غضون المخطوطات لا تستقيم الا بلم الشتات .

ومن بين هؤلاء المهملين المجهولين «بنو التجانى» التونسيون، وقد نجب منهم غير واحد من الفحول ممن أكسبوا القطر الافريقى

ـ مدد طويلة ـ صوتا بعيدا وسمعة شريفة فى العلوم والاداب .

ينتسب أفراد هذه الاسرة الماجدة الى قبيلة « تجان » ـ بكسر التاء ـ من قبائل المغرب الاقصى ، ويظهر أن أول من قدم منهم تونس هو « أبو القاسم التجانى » وكأنه جاء مع جيش الموحدين الفاتح لافريقية بقيادة رجل المغرب ومنقذه : الخليفة عبد المؤمن بن على ، ذلك البطل الذى قضى على أمراء الطوائف المستقلين فى أنحاء البلاد كما قهر نصارى « النرمند » المتغلبين وقتئذ على الساحل التونسى وقاعدته المهدية . وبفضل هذا الانتصار تمكن عبد المؤمن من انشاء وحدة المغرب الكبير سنة ٥٥٥ هـ ـ ١١٦٠ م

وبعد الظفر وأمد الاستقرار وقع اختياره على مدينة تونس فاتخذها مركزا لجيشه ، ومقرا لولاته ونوابه فى تسيير شؤون البلاد ، ونصب بها هيئة عليا تشرف على الادارة وهم (مشائخ الموحدين) اصطفاهم من خيرة دعاته ، كما رتب بها مصالح الحكومة الفتية ، فكان « أبو القاسم التجانى » من جملة من استوطن حينئذ تونس ، ويظهر أنه كان فى ديوان الكتبة ـ وقد تزوج فيها واشترى دارا لسكناه مع جملة رباع أخرى ـ لا ندرى فى أية ناحية من المدينة ـ وبعد حين كان لابى القاسم ولد وهو « محمد » اقتفى أثر أبيه فى الخدمات المخزنية .

ويستفاد من خبر أورده حفيده الاصغر عبد الله الرحال الاتى(١)

---

(١) رحلة التجانى

أن فى مدة حياة محمد هذا كانت ثورة « بنى غانية الميورقيين » وهم من بقايا المرابطين الذين شاغبوا الخلفاء الموحدين بالعيش فى بلاد افريقية ، فقد خربوا عمرانها وأرهقوا سكانها بالظلم والعسف بما لا يطيقون كما هو مبسوط فى التاريخ .

وقد تمكن أحد الثائرين الميورقيين وهو « يحيى بن اسحاق » من اغتصاب مدينة تونس من يد المشائخ الموحدين ، فألحق بأهلها من القساوة والتنكيل بالغرم المالى ما باعوا فيه أملاكهم . ومن جملة من نالته عقوبة التغريم الفادح « محمد التجانى » المتقدم . قال حفيده(١) : « ووقف له ـ يعنى الثائر الميورقى ـ على ظهير بصرف بعض أملاك بنى التجانى عليهم ، مما تطرق اليه النزول ـ أى المغرم ـ حين دخوله وقبل ذلك وتاريخ الظهير الثامن لذى القعدة من سنة ستمائة » .

ثم تدارك الموحدون حال افريقية فحاربوا الثائر وشردوه شر مشرد . وعاد بنو التجانى الى مناصبهم المخزنية .

ابراهيم وأحمد التجانيان :

حتى اذا ما استقل (بنو حفص الهنتاتيون) بمملكة افريقية ـ سنة ٦٢٥ هـ ـ رأينا أفراد آل التجانى فى زمرة رجال دولتهم وكتاب دواوينهم . منهم الاخوان : « ابراهيم » و « أحمد » ابنا محمد بن

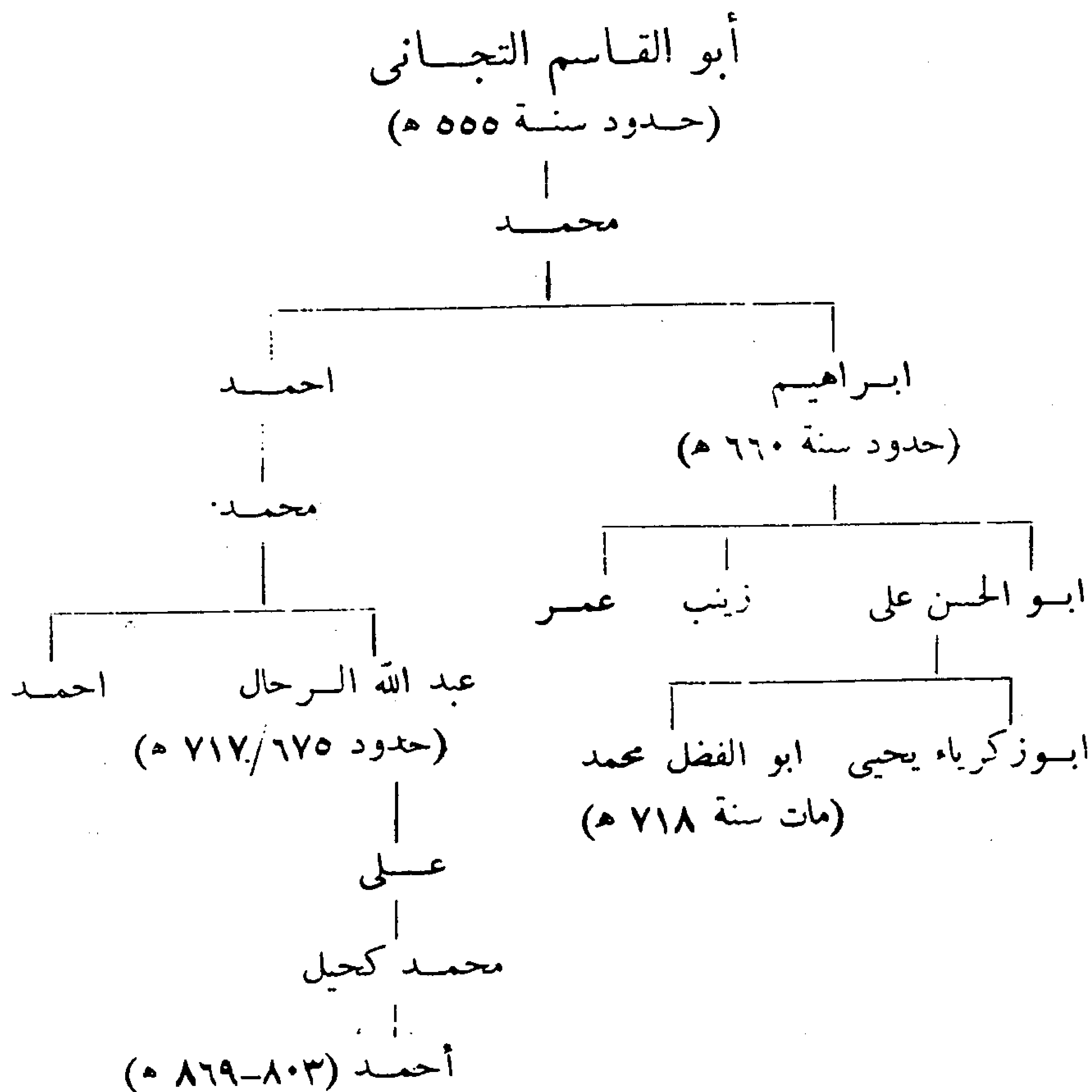
(١) راجع ازهار الرياض للمقرى مخطوط بمكتبتى ـ و ك ـ نفح الطيب للمؤلف

أبى القاسم المتقدم ، فانهما كانا من كبار الموظفين المنظور اليهم بعين التجلة والاعتبار فى بلاط أبى زكرياء الاول مؤسس الاسرة الحفصية ، وقد ذكر رواة الاخبار أن « ابراهيم التجانى » كان ممن انتصر للحافظ الكبير محمد بن الابار القضاعى لما وفد سفيرا من قبل أهل الاندلس مستصرخا بالملك الحفصى لنجدة بلده بلنسية وقد تقدم الى أبى زكرياء بتلك القصيدة العصماء التى مطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

فانتقدها جماعة من أدباء العصر المغرضين ممن يحسد قائلها ، فانتصر له ابراهيم التجانى فى تأليف مستقل أسماه (مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد ، فى الانتصار لابن الابار) . وقد نال هذا التأليف اعجاب المعاصرين لما احتوى من تحقيق علمى وبلاغة تحرير .

وهكذا تهيأ للاخوين « ابراهيم » و « أحمد » الظهور فى المحافل الادبية والاشتهار بالعلم الواسع والادب الغض ، ومن الاخوين المتقدمين تفرع نسل التجانيين حسبما هو مبين فى الشجرة التى رسمناها بقدر ما علمنا من الانباء عن أفراد الاسرة .



ونحن موردون هنا بعض أخبار من أمكننا الوقوف على ذكره من أعيان هذه الاسرة التي رفعت راية العلم والادب في البلاد لتونسية مدة لا تقل عن الثلاثمائة سنة ، ولنبتدىء بنسل ابراهيم ابن محمد بن أبي القاسم الذي ترك ابنين وبنتا وهم : علي وعمر وزينب .

(١) أما أبو الحسن على بن ابراهيم ، فهو ممن أخذ عن علماء أعلام مثل ابن الابار ، وحازم القرطاجنى ، وعلى بن عصفور ، والكلاعى وغيرهم من جهابذة الاندلس المهاجريـن الى تونس فى منتصف القرن السابع للهجرة ، لكن يظهر أن أبـرز أستاذ تخرج عليه هـو أحمد بن محمد المعروف بابن الغماز قاضى الجماعة بتونس ومحدثها الكبير ، وقد انتفع على بالقراءة عليه والاسناد اليه ، فلما توفى شيخه هذا ـ سنة ٦٩٣ ـ جمع تلميذه أخباره وآثـاره وما قيل فيه من النثر والشعر فى سفر خـاص(١) .

والتقى بعلى الرحال المغـربى محمد العبدرى الـذى زار تـونس مرتين فى طريق ذهـابـه الى الحج ـ سنة ٦٨٨ هـ وعند رجـوعـه ـ سنـة ٦٩١ هـ ـ قـال العبـدرى(٢) : « ولقيت بتـونس الشيـخ ، الاديب الحسيب الكاتب البليغ ، ذا الفضائل المـذكورة ، والمـآثـر المأثورة ، شيخ الادباء ، وواحد البلغاء ، وزين الناظرين والشعراء ، (أبـا الحسن على بن ابراهيم التجانى التونسى) لـه بيت عـريق فى العلم والادب ، قال لى بمسجد اقرائـه : « أنـا الثـانى عشر مدرسا من آبـائى على نسق كلهم قـد قعدوا هنا لـلاقراء ـ وبيتهم بالعلم

---

(١) كـ الديباج المذهب لابن فرحون ص ٧٩

(٢) رحلة العبدرى ـ خط بمكتبتى

شريف شهير وقل من لم يقل الشعر ، وأما أبو الحسن فهو فيه آية الزمان اجادة معنى ، وتنقيح لفظ ، وسرعة بديهة ، وكثيرا ما يمليه ارتجالا فيجود ويتقن .... وهو بالجملة من خواص أهل العلم وآحادهم ، جالسته كثيرا وسمعت كلامه فى الادب وغيره وقرأت عليه مقامات الحريرى وكان يرد فيها وينتقدها نقدا محققا .... وقرأت عليه قصيدة الشيخ الحافظ أبى عبد الله ، ابن الابار ، التى مدح بها الامير أبا زكرياء بن عبد الواحد أبى حفص وهى مشهورة ، واولها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

وحدثنى بها عن مؤلفها سماعا منه .... وقرأت عليه قصيدة الشيخ الاديب الفاضل أبى الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجنى الاندلسى وهى المقلوبة من قصيدة امرىء القيس فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد حدثنى بها عن منشئها المذكور وهى :

لعينك قل ان زرت أفضل مرسل
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تغش منزلا
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فيـا حـادى الامـــال سر بى ولا تقـــل

عقرت بعيرى يـا امرأ القيس فانزل ..»

وقـد ساق العبدرى أخبـارا وأشعـارا كثيرة ممـا روى عن أبى الحسن على التجانى ، ومن جهة أخـرى نعلم أن عليـا هـذا كـان استوطن طرابلس برهـة من الزمن ، ومنها توجـه الى الحج ـ سنة ٦٨٤ ـ ثم عاد الى وطنه واجتمع بالعبدرى كما مر وتوفى على بعـد سنة ٧٠٨ هـ يعنى بعد عودة ابن عمه عبد الله الـرحال كما سياتى ، ونسب السيوطى ـ نقلا عن غـيره ـ المقطوع الاتى الى أبى الحسن على (١) .

ان الـذى يـروى ولكنـــه يجهل ما يروى ومـا يكتب

كصخرة تنبـع أمـواههـــا تسقى الاراضى وهى لاتشرب

(٢) زينب بنت ابراهيم التجانى :

وهى من شهـيرات هـذا البيت ، بـل من شهيرات الاديبـات التونسيات فى العصر الحفصى ، ذكرهـا العبدرى أيضا فى رحلته عرضـا ولم يسمها ، وكنت عثرت اتفـاقـا على اسمهـا فى بعض المخطوطات وخصصتها بترجمة فى غير هذا (١) وأورد لها العبدرى مقطوعين من شعرها أنشدهما له أخوهـا على . فمن ذلـك قـولها

(١) بغية الوعاة للسيوطى ط مصر ص ٣٢٦

ملغزة فيمن اسمه تميم :

يقـولـون لى هــذا حبيبك مـــا اسمـه ؟

فمـا اسطعت افشـاء ومـا اسطعت أكتـم

فقلت اسمـه ميــم وحــرف مقـــدم

فهــذا اسم من أهـوى فـديتكم افهمـــوا

ومن قطعة لها فى وصف شعر احدى صويحباتها :

اذا انسدلت منه عليها ذؤابـة كغصن أراك عـانقتـه أراقـم

أثيث طويل فهو يستر جسمها اذا نـزعت عنه الملابس اسحم

كـأن الصباح ارتـاع من خـوف طـالب

بثـار فـألـوى بـالــدجى يتكتـم

أقول : وكـأن مقطوعها الاخير ينظر الى قول زميلتها الشاعرة الانـدلسية حمدة بنت زياد الـوادى آشية من أبياتهـا المشهورة ، وعلى كل فان الواقف على هذا النزر القليل من نظم الاديبة التجانية يحكم بانه كلام عارفة بقوانين الصنعة، متمكنة من الادب وأوضاعه تمكنا صحيحا وهى مع ذلك ذات خيال واسع مما لا يقع مثلـه الا لحذاق الشعراء ، ولم نقف على طريقة تعلمها ولا على تاريخ وفاتها

(١) راجع شيئا من اخبارها فى كتابنا « شهيرات التونسيات » ط تونس سنة ١٣٥٣ ص ٧١

(٣) عمر بن ابراهيم التجانى :

هو أخو كل من على وزينب المتقدمين ، وكان أيضا من العلماء الكتاب اجتمع به الرحال العبدرى فى تونس وأورد له مقطوعا من شعره :

سرك ان أعلمته ثانيا   فاعلم بأن قد آن أن تفشيه
لان ما أضمرت فى حالة الافراد   ستخرجه التثنيه

وعلق العبدرى على البيتين بقوله : « وهذا الاستدلال بالتمثيل النحوى مليح مناسب جدا » ولا نعلم من أنباء هذا التجانى الا ما تقدم .

(٤) ـ و من ولد أبى الحسن على السابق الذكر « أبو الفضل محمد » أحد أعلام البيت التجانى ، كان فى جملة كتاب ديوان الانشاء واشتهر بالادب وتميز فى فن الرسائل ، خدم الدولة الحفصية بثارائه وقلمه فى أيام السلطان أبى عصيدة ثم السلطان أبى يحى زكرياء اللحيانى ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبى ضربة المستبد بأمر افريقية بعد أبيه ، فكان أبو الفضل كاتب سره ومدبر أمره ، وقد صحب مخدومه هذا لما زحف السلطان أبو بكر الحفصى صاحب المملكة الغربية على تونس فأوقع بأبى ضربة وجموعه فى فحص مصوج ـ من تراب أولاد عون الان ـ وقتل جماعة من أنصاره

ومن بينهم أبو الفضل ـ سنة ٧١٨ هـ (١) ـ والحق أن هـذا التجانى كان من نوابغ أهل بيته ومن مشاهير شعراء عصره ، وقد أوردنا له شيئا من نظمه فى غير هذا (٢) ،وكان ابن عمه وتربه عبد الله يحبه كثيرا ويعجب ببلاغته وطالما يروى له فى تقييد رحلته نص رسائله وقصائده ، فمن ذلك قوله يصف احدى عشاياه بقابس فى بعض حدائقها المعروفة « بساحة عنبر » :

اذكر عشيتنا بساحة عنبر ... والجو يتحفنا بنكهة عنبر
حيث النخيل عرائس بسط الحيا ... بسطا لها من أخضر أو أصفر
والشمس تستحيى فتستر وجهها ... عنا بستر للعروس محبر
والنور بين مفضض ومذهب ... والنور بين مدرهم ومدنر
والنهر والغدر ادرعن تحصنا ... اذ صفت الغابات صف معسكر
والبحر يرمقنا بمقلة أزرق ... والبر يرمقنا بمقلة أعفر

وهذا القول ـ على تدلى الشعر فى ذلك العصر ـ من أروع النظم فى وصف ناحية ما زالت معروفة فى واحة قابس

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا الفضل هذا له مصنفات حسان فى التاريخ والادب منها كتاب « الناسم » جمع فيه تراجم ومختارات

---

(١) ك ـ تاريخ ابن خلدون ج ١ من طبع الجزائر ١٨٥٠ وجاءت هناك نسبته محرفة الى البجائى بدلا من التجانى ـ ونفح الطيب ٢ ـ ٤٠٥ طبع مصر
(٢) ك ـ المنتخب التونسى ـ ط مصر سنة ١٩٤٤

لشعراء عصره وله « الحلى التيجانية والحلل التجانية »، أثبت فيه اخبار النابغين من أفراد بيتهم وما لهم من الاثار العلمية والادبية . ومن المؤسف أنه لم يبلغنا من ذلك كثير ولا قليل .

أما أعيان الاسرة الثانية المتفرعة من نسل أحمد بن محمد أخى ابراهيم المتقدم فقد اشتهر من بينهم :

(٥) محمد بن أحمد التجانى :

نعلم أنه قرأ بتونس على من كان بها من وجوه العلماء وكبار الادباء ممن جمعتهم البيئة الحفصية فى أول نشأتها فامتزج بحلق تدريسهم العالى ، وكانت حضرة تونس أو ـ الحضرة كما كانوا يسمونها ـ حافلة بأعلام الوافدين عليها من الاندلس والمغرب مثل الحافظ الجليل محمد بن الابار المتوفى سنة ٦٥٨ ـ وأبى محمد بن برطلة وأحمد الغماز البلنسى قاضى الجماعة بتونس المتوفى سنة ٦٩٣ هـ والحسن بن عمر الهوارى الطرابلسى وسواهم كثير ، وانخرط محمد بعد تعليمه فى سلك ديوان الانشاء وظهرت عليه البراعة فى الترسل ، ونجده بعد سنين قليلة يتحول الى مدينة بجاية بطلب من أميرها ، فيتولى كتابة العلامة السلطانية للواثق بالله أبى زكرياء يحى بن أبى اسحاق ـ سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م ـ صاحب المملكة الحفصية الغربية ، ويعرف هناك محمد بصدق اللهجة وصفاء الطوية والمقدرة على التحرير الراقى ، وبقى بين بجاية وقسنطينة الى أن تولى

الامير أبو يحى زكرياء بن أحمد المشهور باللحياني مشيخة الموحدين فى تونس فاجتهد فى اعادة محمد الى مسقط رأسه وأسند اليه خطة عالية فى ديوان الرسائل وكان يرأسه وقتئذ العلامة أحمد ابن الخباز المهدوى، فاستعان به فى مهمات مكاتباته، وأقام محمد على هذا الوظيف محمود السيرة الى أن عزم الامير زكرياء هذا على السفر الى المشرق مظهرا الرغبة فى الحج وهو غير ما كان يضمر فى باطنه ، فترك على ديوانه لمباشرة شؤونه الكاتب الامين محمد التجاني - سنة ٧٠٦ هـ - حسبما تراه مفصلا بعد • وتوفى محمد فى حدود سنة ٧١٠ هـ - بعد عودة ابنه الرحالة بسنتين او أقل من ذلك ، وكان شيخا وقورا حنكته التجارب محبوبا عند الخاصة والعامة لطهارة سيرته ، وسلامة سريرته •

عرف به أحد أمراء الاندلس فى كتابه(١) فقال :

« ومنهم - اى كتاب العلامة - الكاتب الاديب صاحب القلم الاعلى محمد بن أحمد التجانى التونسى ، صاحب الشعر النفيس ، المجرى واديه كنفيس ، المتطى صهوة النثار ، والخائض فى نقعه المثار ، ورب الاحاجى المرموزة ، ومعدن سر الاداب التى ليست بمغموزة ، ومثبت حروفها الساكنة والمهموزة »

(١) « ك - مستودع العلامة » تصنيف الامير اسماعيل ابن السلطان يوسف النصرى الغرناطى - مخطوط فى بعض المكتبات التونسية - ص ٢٣

ويفهم من كلامه هذا أنه يشير الى تأليف ـ أو مقامات أدبيـة ـ من وضع محمد التجانى ، ولم نتوصل الى معرفته ، ولا الوقوف على حقيقتـــه .

وعلى كل فانه كان أديبا ضليعا يقرض الشعر الطيب بالمناسبات ، كقوله يتشوق الى ابنه عبد الله حينما كان فى رحلته وكتب بها اليه

حملتم القلب اذ جـد الـرحيـل بكـم
من الصبـابـة مـا لا تحمل الابـل
فلـو سلكتم سبيل الحـزم مـا عجزت
اذ ذاك منى عن دفـع النـوى الحيـل
لكن عـرانى ذهـول يـوم بينكـم
كمـا يكـابـد من أحبـابـه رحلـوا
فـالله يجمع منـا الشمل عن عجـل
فـالخير أجمـل مـا فى نيلـه العجل

وترك محمد من الابناء ـ فيما علمنا ـ ولدين هما : أبو محمد عبـد الله صاحب الرحلة الاتى ، وأبو العباس أحمد وهو أصغرهما .

(٦) صاحب الرحلة :

فى تلك البيئة المخزنية الراقية ، وفى تلك الاسرة العلمية الماجدة نشأ ، عبد الله ، أبو محمد ، نشأة جد وعمل ومحافظـة على تقـاليد موروثة من لدن جده الاعلى ، ولد عبد الله بحضرة تونس ـ ما بـين

٦٧٠ ٦٧٥ هـ (١٢٧٢ ـ ١٢٧٦ م) وتربى فى حجر أبيـه العالم الاديب المتقدم الذكر وهو أول من لقنـه القراءة والكتابـة كما صرح بـه الابن غير مرة . فيقول مثلا : « وقد أخبرنى بهـذا الحديث الوالـد قراءة عليه ، قال أخبرنا الشيخ الحافظ محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (أى ابن الابار) » وأقبل من صغـره على حضـور دروس الشيوخ فى التفسير والحديث وأنواع العلوم ما بـين دينيـة ولسانية وأدبية حتى ترعرع وحصل ملكة التمييز ، ويناسب أن نشير هنا الى المشاهير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الحديث والفقـه والتـاريخ ، والادب ، غير والده محمد .

شيوخـــه :

وفى مقدمتهم أبوبكر بن عبد الكريم العوفى العـلامـة المغـربى الـوافد على تـونس والمتوفى بهـا سنة ٦٩٨ هـ قـال صاحبنـا التجانى وقد ذكره فى أحد تصانيفه(١) :

« أخبرنى الشيخ الفقيه العـدل الصـالح أبـو يحى أبـو بكر بن أبى محمد عبد الكريم العوفى فيما أجازنيه وقرأتـه بلفظى عليه سنة ثـلاث او أربـع وتسعين وستمائـة ، وهـو اول من استفدت منـه بالقراءة عليه ومثلت بالتعليم بين يديه . وكان ـ رحمه الله ـ قد نال من المعارف ما اشتهى ، وحاز فيما حاز من الاحاطة بأقوال الفقهاء

(١) ك ـ « الوفاء ببيان فوائد الشفا » من تاليف عبد الله التجانى مخطوط ، وسياتى ذكره

غاية المنتهى ...»

ومنهم الشيخ أبو القاسم بن أبى محمد عبد الوهاب بن قائد بن على الكلاعى قريب صاحب السيرة النبوية المشهورة بالسيرة الكلاعية، أحد علماء الاندلس اللاجئين الى تونس ، روى عنه التيجانى كثيرا ويقول فى اسناده : « أخبرنى الشيخ الاكرم أبو القاسم بقراءتى عليه » .

ويظهر ان دراسته المتينة فى الحديث والادب انما تلقاها عن الاخوين التجانيين على وعمر وقد تقدم التعريف بهما ، فيقول عن الاول :

« وهذا الحديث حدثنا به الشيخ اللغوى الاكتب أبو الحسن على ابن الشيخ أبراهيم التيجانى ابن عم الوالد بقراءتى عليه عام سبعة وتسعين وستمائة ، قال حدثنا ... الخ » .

ويقول فى مكان آخر عن الثانى :

« أنشدنى الشيخ الجامع المتفنن أبو على عمر بن الشيخ المرحوم أبى اسحاق ابراهيم التيجانى وهو ابن عم والدى ... » .

ومن شيوخه : أبو على عمر بن محمد بن علوان التونسى . وكان أخذ التجانى عليه فى خلال سنة ٧٠٢ وتوفى بتونس عام ٧١٠ هـ حسبما نص عليه صاحبنا (١) .

---

(١) تحفة العروس ـ ط. مصر سنة ١٣٠١

فهذه نخبة من الشيوخ الذين لقن عنهم . أما لو أردنا استقصاء من عرفهم من رجال العلم المبرزين ومن الادباء المجيدين للزمنا قمطر ضخم لحصر مكاتباتهم له ، ومساجلاته لهم ، لكن سيرى القارىء جانبا مهما منها في غضون الرحلة ، ومن فحواها يتهيأ لنا تقدير علاقات التجانى وصلاته الوثيقة بالعلماء وأهل الادب المعاصرين له داخل القطر وخارجه ، وذلك أظهر دليل على اجتهاده - طول حياته - فى ميدان العرفان وعنايته الكاملة بالعلم والادب ، وسعيه المتواصل فى التعرف بأهله والمنتسبين اليه .

مكتبته :

وتعجبنى من صاحبنا ظاهرة أخرى يتضح منها شغفه القوى بالثقافة ووسائلها ، وهو اهتمامه الزائد بالكتب فى كل صنف وفى كل فن ، يتبين ذلك جليا من مطالعة ما وصل الينا من تآليفه ، فانظر مثلا الى وصفه المخطوطات النادرة التى يلاقيها فى سبيل رحلته فى طرابلس وغيرها .

وليس من شك أنه كان يملك مكتبة ضخمة من مختار المصنفات كما هو الشأن غالبا فى ذلك العصر لكبار الكتاب ، ومتى يتتبع مؤلفاته يعجب من كثرة ما يذكر منها وينقل عنها ، وها هو ذا يخبرنا أنه كان لديه نسخة كاملة من « سيرة الرسول » لابن اسحاق فينقل عنها مباشرة ، ولا يخفى ان هذه السيرة مفقودة الان ولا

نعرف منها الا ما نقل ابن هشام ، كما كان لديه نسخة من « تفسير يحيى بن سلام » الذى حرره بالقيروان حوالى سنة ١٧٥ هـ .

ومن ناحية أخرى نعلم انه كان تحت تصرفه مصنفات وتقاييد بخطوط أصحابها منها كتاب (العمدة) فى صناعة الشعر ، قال التجانى : « ونقلت من خط أبى على الحسن بن رشيق حكاية عن المفصل فى هذا البيت(١) » ومنها بعض تئاليف على بن سعيد الغرناطى الاديب الطائر الصيت، قال : « ونقلت من خط أبى الحسن على بن موسى بن سعيد فى بعض تقاييده (٢) ... »

ويفيدنا أيضا عن تصانيف اللغوى الكبير « ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى » صاحب ك « كفاية المتحفظ » فى فقه اللغة وغيره ، أنها كانت فى خزانته ، قال التجانى(٣) : « وأكثر هذه التئاليف ملكتها بخطه وكان ـ رحمه الله ـ من أحسن الناس خطا » عدد منها نحو الاثنى عشر كتابا .

ولا ننس أنه كان فى متناول صاحبنا مجموعة بديعة متنوعة من الكتب المنتقاة ، وهذه المجموعة هى مكتبة السلاطين الحفصين بقصبة تونس . ونعلم انها اشتملت على عشرات الالاف من المخطوطات

---

(١) ك ـ « الوفاء » للتجانى مخطوط
(٢) الـرحلـة ١٨١
(٣) الكتاب المذكور ١٨٩

الخزائنية النادرة الوجود ، وقد بذل السلاطين السالفون جهدا كبيرا ومالا كثيرا لجمعها وتكوينها فى مائة سنة أو أكثر . ويمكن الحكم الان على نفاسة ما احتوت عليه من خلال الكتابين أو الثلاثة الواصلة الينا مما سلم منها، وهذه المكتبة هى التى لجأ اليها عبد الرحمان بن خلدون لما أراد مراجعة الاصول التاريخية والتوسع فى كتابه « ديوان العبر » وكان ذلك بعد وفاة التجانى بنحو نصف قرن .

وفى اعتقادنا أن صاحبنا كان يستعين بالمكتبة الحفصية التى بالقصبة استعانة مستمرة ويثابر على مواصلة المطالعة والمراجعة بها علاوة على ما كان يملكه شخصيا من الكتب الثمينة كما هو الشأن فى كل بيت من بيوت العلماء والكتاب والادباء . ناهيك ما كان عند التجانيين من المخطوطات على مختلف ميولهم وأذواقهم ، ومن يطالع مصنفا واحدا مما وضع التجانى ويحصى ما يذكره من أسماء الكتب التى ينقل عنها أو يحيل عليها يجد المئات من المؤلفات ذات القيمة الثمينة ، وكثير منها لم يصل الينا .

ولا يخالجنا شك أن كثيرا مما كان فى خزائن القيروان قبل خرابها بسبب الزحفة الهلالية ـ سنة ٤٤٩ ـ انتقل الى حضرة تونس ثم تسرب الى مشارق الارض ومغاربها .

حياته الادارية والادبية :

ولما تهيأت الاسباب للتجانى الشاب، وقد امتلأ وطابه علما وأدبا ،

انخرط في سلك الكتاب في ديوان الانشاء حيث كـان يباشر أبوه وآخرون من أقاربه ، منتهجا صراط الاباء والاجداد منذ أجيال ، وقد امتزج في ذلك الوسط الادبي بثلة من أصحاب الاقلام المعروفين مثل أبي ابراهيم بن حسنينة ، وأبي زيد عبد الرحمان بن نزار ، وأبي عبد الله محمد الهواري ، ومحمد بن أبي زالي البلوي ، ومحمد بن يعيش ، وأحمد الرصافي وغيرهم كثير ، وما منهم الا من ينتهج الترسل البـديع ، ويقـول الشعر ، وفي غضون تقييد الرحلة يـرى القارىء اتصالهم الوثيق بصاحبنا وما جرى بينه وبينهم مدة انتقاله من المراسلات الادبية المناسبة لذوق العصر .

كان انخراط التجاني في زمرتهم في مدة السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة في بداية القرن الثامن ، ولم يكـد يستقر في الديـوان حتى ظهرت عليه مخايل النجابة وعلامات النبوغ فاستصفاه لنفسه كبير الدولة وشيخ الموحدين الامير أبو يحيى زكريـاء بن اللحياني وقرب منزلته منه ورسمه في خواص كتابه ، فلما عزم هذا الامير على تفقد شؤون المملكة وأذاع نيته على محاربة الاسبان المغتصبين لجزيرة جربة وحدد موعد سفره الى تلك الوجهة ، عين ، أبـا محمد عبد الله التجاني ، لمصاحبته وفوض اليه الاشراف على رسائلـه ، وذلك في منتصف سنة ٧٠٦ هـ (ديسانبر ١٣٠٦ م) فكـانت تلك الانتقـالات والجـولات التي يراهـا المطالع مبسوطة في تقييـد الرحلة التجـانية وتنتهي بعـودة صاحبنا الى حضرة تونس في شهر صفر من سنـة

٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) وقد فارق مؤلفنا مخدومه من تراب طرابلس لاسباب صحية وسياسية معا : « فكان أمد الغيبة عامين وثمانية أشهر وأياما ، وهي بحساب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم وخمسة وسبعون يوما ، كما نبه عليه التجاني .

ويهمنا من هذا أن عبد الله كان في كامل تلك المدة محل الثقة والعناية الفائقة من مخدومه شيخ الموحدين ، أنظر الكتاب الذي ارسله الامير حين مقامه بطرابلس الى والد التجاني في تونس ، نقل الينا رحالنا فحواه قال : « وكان الامير ـ أعزه الله ـ وجه لوالدي كتابا بخطه يعرفه فيه بحالتي معه ويصفني فيه بما يليق بذاته الشريفة ومرتبته الرفيعة المنيفة ... »

الاضطراب الداخلي :

ويعود التجاني بعد رجوعه الى تونس الى ديوان الرسائل ويقيم على خطته السابقة الى ان يرجع مخدومه من تجوله في المشرق وحجه الى البيت الحرام، وفي أثناء مغيب الامير طرقت البلاد أحداث جسام غيرت وضعية الحكم من جراء ثورات المتوثبين على الملك بمجرد وفاة السلطان الواثق بالله الملقب بابي عصيدة في خلال سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) وقد أشرنا آنفا ان هذا السلطان كان اتخذ ابن عمه الامير زكرياء بن اللحياني وزيرا مفوضا لمباشرة سياسته وذلك من حين توليه الملك سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) ـ اعني مدة خمسة عشر عاما ،

وبوفاتـه انفتح بـاب الثورات والتنازع بـين المتزعمين من الاسرة الحفصية وهم كل واحد منهم باغتصاب العرش ومحاولة اعتلائـه ، ودامت الحرب على قدم وساق مدة عامين بـين الامراء : ابى بكـر ابن ابى زيد المسمى بالشهيد ثم ابي البقاء خالد وغيرهما ولم يستقر لهم الملك الا قليلا .

وفي اثناء هذه الاضطرابات المتوالية كان شيخ الموحدين ابو يحى زكريـاء بن اللحيانى قـد عـاد من الحج كما اسلفنا واستقر بمدينة طرابلس يراقب الامور من بعيد ويتربص الفرص لما عسى ان يحدث فى تونس ، فلما ايقن ان الظروف قد سنحت برفع القناع عن مرغوبه هجم من مكمنه على البـلاد التونسية فى جموع عظيمة من أعـراب وحضر وقصد العاصمة وتمت له البيعة العامة فى (المحمدية) من احواز تـونس ـ ٢ رجب ٧١١ هـ (١٤ نوفانبر ١٣١١ م) ـ ودخـل القصبة وتلقب بالقائم بامر الله وتسلم زمام الامر ، ومن اول اعماله ان عهد لكاتب سره القديم صاحبنا عبد الله التجانى برئاسة دواوين رسائله ـ وهى خطة العلامة الكبرى ـ ووزع بقية المناصب على من يثق بـه ، ومن باكورة اعماله ايضا ان اسقط من الخطبة اسم المهدي الموحدى التى جرت بهـا عـادة الحفصيين واستبدلها باسم محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام لمـا كان بينه وبين هذا السلطان المملوكى من

الولاء والمجاملة (١) •

ولامراء ان عبد الله التجاني باشر ما القى على عاتقه من المهمات احسن مباشرة طيلة اقامة هذا السلطان فى الملك ويظهر ان والده قد مات قبل ذلك بقليل ، ولم يزل صاحبنا يخدم بعمله وعلمه وقلمه البلاد، ويؤلف بين الفينة والفينة التصانيف المفيدة، الى ان عقدمخدومه العزم على مغادرة تونس لما كان يتوقع من سوء عاقبة الاحداث وكانه أحس بعدم إقتداره على مقاومة قريبه وقريعه الامير ابى يحى ابى بكر صاحب المملكة الحفصية الغربية ، فتهيأ ابن اللحيانى لمبارحة البلاد وباع كل ما لديه من غال ونفيس واخرج حتى المجموعة النادرة للمخطوطات التى كانت بقصورهم فى القصبة واشهرها للبيع بالمزايدة فى الاسواق فتفرقت ايدى سبا ، ولم يسمع لها بعد بنبا •

تخلى اللحيانى :

وخرج السلطان ابن اللحيانى من الحضرة بدعوى تفقد الاوطان

---

(١) ولد السلطان أبو يحى زكرياء بن أحمد اللحيانى فى تونس سنة ٦٥١ (١٢٥٣ م) وامه مسيحية تسمى « محرم » وكان عالما محدثا كاتبا شاعرا أخذ فى صغره بالمشرق عن علماء مشهورين منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وقد استقر آخرا بعد تخليه عن الملك الحفصى بالاسكندرية حيث وافاه أجله المحتوم فى المحرم ٧٢٧ هـ (ديسمبر ١٣٢٦ م) وقد جمع ديوان شعره مدة اقامته بمصر والف خطيا جمعية اسماها « روضات الجنات » طبعت على الحجر فى الهند ·

وترك مكـانه ابنه وولى عهـده محمد المعروف بابى ضربة فى زمن الربيع سنة ٧١٧ (١٣١٧ م) ولم يمض غير قليل حتى فاجأ الامير ابـو يحى ابـو بكر تـونس فى جنود جـرارة واسطول عتيد ، وحـاول أبو ضربة مدافعته بصبر وشجاعة نادرة فلم يقدر وتحول ميدان الحرب الى اوساط المملكـة فانهزم آخرا جيش الامير ابى ضربـة فى فحص مصوج قرب سليانـة فى خلال ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ولاقى حتفه هناك الكاتب ابو الفضل محمد التجانى المتقدم ذكره ، وخلا الجو للسلطان ابى بكر الذى تمكن من توحيد المملكـة الحفصية وارجاع شىء من نضارتها المفقودة وفاز بالعرش الافريقى بعد ذلك دهرا طويلا .

مصير التجانى :

وهنا تقف بنا احداث الاضطرابات السياسية والخطوب الدمويـة التى عـاش فى غمارها رحـالنا عبد الله التجـانى ، وهنا ايضا يحل بخاطرنا مشكل من اعصى المشاكل على الحل اذ لم نهتد لكشف القناع عن غامض سرد وهو ما ذا كان مصير صاحبنا اثر تلك الانقلابات ؟ فانا لم نعد نسمع له بخبر بعد سنة ٧١٧ ، ويختفى عنا نبؤه ـ وأنبـاء آل التجانى جميعا ـ سواء فى ذلك الكبير منهم والصغير . ولم نعثر على ذكر لـواحد منهم ، فمـاذا دهـاهم يـا تـرى من وقت تسيطر السلطان أبى بكر على تونس ؟ فهل قتلوا عن آخرهم كما استشهد أبو الفضل محمد فى المعمعة ؟ أم فروا بحشاشات أنفسهم فى أثنـاء

تلك المحنة الى بعض الاماكن القاصية البعيدة لسبب انتسابهم لمن سلف من الملوك واخلاصهم فى خدمتهم ، فاختفوا هنالك ؟ هذا ما لم ندرك حقيقته (١)

ومبلغ الظن أن الذوات البارزة من أفراد الاسرة ممن شارك مشاركة فعلية فى مقاومة المتوثبين قد أبيدوا بالقتل فى تلك المشادات الدموية وفى مقدمتهم عبد الله صاحب الرحلة ، وشرد من بقى منهم ممن لم يقاوم شر مشرد، فاختفوا وأصبحوا كأمس الدابر. وكلنا يعلم ان قتل نفس ـ وإن كانت بريئة ـ فى تلك الظروف كان شيئا تافها لا يعبأ به ولا يعد جريمة تنكر ، وهذه حال الافذاذ من الرجال فى دول ملك الاطلاق ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

أعقاب التجانى :

ويمر قرن كامل من الدهر ، ويطوى الزمان ـ على عادته ـ الصحيفة المشوهة لتلك المحن ، فيظهر تحت سماء تونس الصافية آخر عقب للتجانى ...

(١) لا عبرة لمن ادعى ان وفاة عبد الله التجانى كانت فى خلال سنة ٧٢١ هـ فليس هناك مبرر تاريخى لهذا الزعم الذى لم تقم عليه ادنى حجة .

أورد السخاوى فى كتابه الكبير للتعريف بأهل عصره(١) ترجمة عالم تونسى كان يعيش فى القرن التاسع للهجرة ويمت بنسبه الى بيت التجانى وهو آخر من وقفنا عليه من رجال هذه الاسرة ونحن نختصر هنا ما جلب السخاوى : « أحمد بن محمد بن على بن عبد الله التجانى التونسى المالكى ويعرف بأبى العباس ابن كحيل - ولد فى ربيع الاول سنة ٨٠٢ - (١٣٩٩ م) - بتونس ونشأ بها وقرأ على محمد الصنهاجى صاحب الاجرومية وأخذ عن محمد بن خلفة الابى ، وعن البسيلى والشماع وابى القاسم البرزلى والزعبى وابن مرزوق ... وعبد الواحد الغريانى وأبى مهدى الغبرينى ... وشيوخه كثيرة ولقى (بمصر) شيخنا - ابن حجر العسقلانى - فى سنة ٨٤٦ هـ ... ولقيته بالقاهرة فى الجامع الازهر فكتبت عنه ما تقدم وصنف متنا فى الفقه سماه « المقدمات » فى مجلد لطيف ، وكتابا فى الوثائق سماه « الوثائق العصرية » وكتابا فى التصوف سماه « عون السائرين الى الحق » - وكان فاضلا، مفوها، طلق العبارة، حسن المحاضرة، بهى المنظر، حسن الخبر والمخبر، والغالب عليه التصوف والصلاح وقد الزمه صاحب تونس (السلطان أبو عمرو عثمان الحفصى المتولى من سنة ٨٣٩ الى

(١) « الضوء اللامع ، لاهل القرن التاسع » ط مصر ١٣٥٤ ج ٢ - ١٢٦ ، وقد حصل تقديم وتأخير فى نسب المترجم له وهذا كثيرا ما يحصل فى فصول الضوء اللامع وغيره فلينتبه له - وعن السخاوى نقل هذه الترجمة أحمد بابا التنبكتى فى ك - « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ط مصر ١٣٢٩ ص ٨١ - وكذا - درة الحجال - لابن القاضى ط فاس ١ - ٤١

سنة ٨٩٣) فى السنة المشار اليها أن يكون قاضى الركب ـ أى ركب الحجاج ـ وبلغنا أنه مات قريبا من سنة ٨٦٩ ـ ١٤٦٤ م ـ وله اقارب علماء مصنفون رحمه الله وايانا • »

والظن الغالب أن أحمد التجانى هذا هو حفيد عبد الله رحالنا ، وأنه ـ فيما علمنا ـ آخر من تيسر الوقوف على ذكره من تلك الاسرة ، وأما أبوه محمد الملقب بكحيل وكذا جده على بن عبد الله صاحب الرحلة فلم نعثر لهما على خبر فيما راجعنا من المصادر العديدة التى لدينا •

واذا قدرنا أن الحفيد الاصغر كان من العلماء المؤلفين وانه توفى سنة ٨٦٩ هـ أو قريبا منها وأن « أقاربه كانوا علماء مصنفين » كما يذكر السخاوى فيكون السند العلمى وأسبابه قد أقامت فى البيت التجانى ولم تفارقه اكثر من ثلاثمائة عام ، وهو مقدار نادر فى حياة الاسرات العلمية ، وربما يتاح لنا بعد حين أن نعثر على ما يوضح النواحى الغامضة المجهولة من أخبار البيت التجانى الذى نعده مفخرة جليلة من مفاخر القطر حسبما يشيد به بعض الشعراء المعاصرين له فيصدح قائلهم :

لا غرو ان حاز الكمال فانما وقف الكمال على « بنى تيجان »

مؤلفاته :

واذا ما أردنا أن نحصي ما صنف التجانى من المؤلفات تـرانا فى عجز عن معرفـة اسمائها كلها اذ أن كثـيرا منهـا لم ينص عليـه أصحاب الاخبار ، وها نحن نحاول هنا ذكر ما توصلنا الى الوقوف على تسميته بعد جهد جهيد نبذله من عهد بعيد ، واليك مـا عرفناه مشيرين الى الموجود منها والمفقود ...

١) « أداء اللازم » في شرح مقصورة حـازم ، وهى الفية ـ ذات الف بيت ـ وضعها أبـو الحسن حـازم القرطاجنى من قرطاجنـة الاندلس ـ المهاجر الى تونس والمتوفى بها فى رمضان ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) وقـد مدح بهـا الخليفة محمد المستنصر بالله بن أبى زكريـاء الاول الحفصى وذكر فيهـا مفاخره وصنائعـه وهى من البلاغـة والمتانـة بمكان ، وكـان وضع التجانى لهذا الشرح فى المحرم من عـام ٦٩٩ هـ (١) فهو من اقدم مؤلفاتـه ، والظاهر انـه صنفه ولـه من العمـر عشرون سنة أو نحوها ، وهذا الشرح مفقود الان بكل أسف ولا نعلم بوجود نسخة منه .

٢) « الوفا » ببيان فوائد الشفاء » قال التجانى فى مقدمته : « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... هذا كتاب مبارك اعتمدت وضعـه على كتـاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » من تـأليف

(١) كما شرح هذه المقصورة ـ بعد ذلك ـ قاضى غرناطة أبـو القاسم محمد بن احمد الغرناطى المتوفى ٧٦٠ (١٣٥٩ م) وطبع هذا الشرح فى جزءين بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ

القاضى ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى ... وسميته بكتاب الوفا ببيان فوائد الشفا(١) ، ولا ريب أنه من أمتع شروح الشفا تحرى فيه صحة النقل ودقة النقد للاخبار المروية ونبه على الاحاديث الضعيفة والمرسل منها وبسط القول فى كثير مما أورد من الاخبار والقصص والتراجم ، وهذا الشرح يخرج فى نحو اربعة اجزاء أو اكثر ، والموجود منه فى مكتبة جامع الزيتونة قطعة صالحة لجزءين وهى بخط تونسى قريب العهد مرسومة تحت رقم ١٣٢١ ـ وقد استفدت كثيرا من مراجعتها فيما يتعلق بحياة التجانى ودراسته وتلقيه للعلوم وبالجملة فهو كتاب ممتع بالافادات العلمية الدالة على سعة معلومات المؤلف وسلامة ذوقه ومعرفته القوية باللغة والاخبار الاسلامية الماضية .

ونسوق اليك على سبيل التمثيل اعتراضه على استعمال كبار الكتاب بعض الكلمات فى غير معناها الاصلى ، كقوله بمناسبة كلمة « سائر » :

« ووجدت أنا فى شعر أبى العلاء المعرى بيتا استعمل فيه لفظ « سائر » بمعنى الجميع ، وذلك قوله فى الشريف ابى ابراهيم العلوى » .

الـزم العالمـون حبك طـرا   فهو فرض فى سائر الاديان

---

(١) الوفاء للتجانى ، خط

وهذا البيت غريب وانما الاكثر فى كلام العرب استعمال سائر بمعنى الباقى لا غير ، وهو الذى يدل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدم واختلف القائلون بأنه انما يستعمل بمعنى الباقى الاقل دون الاكثر ، وذهب بعضهم الى الباقى مطلقا ، قليلا كان او كثيرا وهذا هو الصحيح ٠ ،

أقول : ويا حبذا لو وفق بعض شبابنا الناشط للعناية ببحث هذا الشرح العلمى المفيد ٠

٣) « الدر النظيم » فى الادب والتراجم ، والظاهر انه مصنف كبير جمع فيه التجانى أخبار أدباء الدولة الحفصية ممن تقدم عصره ، وكان وضعه له قبل ابتداء الرحلة اذ يقول فيها : « وقد ذكرناه (أى فلان) وأخاه فى كتاب « الدر النظيم » بأتم من هذا(١) ومن دواعى الاسف أن يضيع مثل هذا الكتاب الذى كان يفيدنا كثيرا عن الحركة الفكرية فى بداية العصر الحفصى ، ولم نقف له على أثر ولولا ذكر المؤلف له فى رحلته لما كنا نهتدى لوجوده ٠

(٤) « تقييد على صحيح مسلم » بن الحجاج القشيرى ، حرره مدة اقامته بطرابلس ـ سنة ٧٠٧ هـ حين قراءته بها على الشيخ عبد العزيز بن عبيد السبائى من علمائها ٠ قال التجانى : « وقد كنت

---

(١) الرحلة ص ٢٦٢

ابتدأت تقيد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال لكتاب الاكمال ، ويعنى كتاب « اكمال المعلم على صحيح مسلم ،وهو زيادة شرح للقاضي عياض السبتى على شرح « المعلم بفوائد مسلم ، للامام محمد المازرى دفين المنستير •

(٥) « تقييد على المسند الصحيح للبخارى ، وضعه أيضا بطرابلس فى التاريخ المتقدم بعد أن انتهى من قراءة صحيح مسلم قال التجانى: « ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى •••• »

وكل من التقييدين السالفين مفقود ولا نعلم عنهما شيئا ؛

(٦) « نفحات النسرين ، فى مخاطبة ابن شبرين ، مجموع أدبى فى سفر ضخم جمع فيه التجانى المخاطبات والمجاوبات الدائرة بينه وبين الاديب الاندلسى محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتى الاصل والمنتقل الى غرناطة ، وقد تولى قضاءها ، قال التجانى :

« وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا ، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا ، وقد كنت اجتمعت به فى تونس ووصل اليها فى عام ٧٠٣ هـ وكانت نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك(١)

---

(١) الرحلة ص ١١٨

وقد اعتنى التجانى بجمع الرسائل الدائرة بينهما ، مما مثلا سفرا جمعته وسميته ، نفحات النسرين ، وهذا السفر مفقود أيضا .

ومن المناسب أن نعرض هنا لونا مما كانت تحويه تلك المكاتبات، فمن قصيدة لابن شبرين يتشوق فيها الى الاجتماع بأحبابه التجانيين فى تونس يقول :

يا نسمة سحبت فضول ذيولها
ما بين ورد بالعذيب ونرجس
حطى رحال تحيتى فى معهد
بين الجوانح منه عهد ما نسى
والحى من ، تيجان ، فاشرح عندهم
فرط اشتياقى نحو ذاك المجلس

(٧) ، علامة الكرامة فى كرامة العلامة ، ولا نعرف من هذا التأليف سوى اسمه ، والظاهر انه نوه بذكر وظيفة ، العلامة الكبرى ، و ، الصغرى ، وهو ما كان يوضع من الكتابة بالقلم الغليظ فى أعلى الظهائر السلطانية والاوامر الرسمية لملوك بنى حفص ولغيرهم من ملوك المغرب ، وفى الحقيقة أن ، صاحب العلامة ، كان يشغل منصب الرئاسة العليا لدواوين الانشاء ، فالمعاهدات والمراسيم والرسائل التى تصدر عن السلطان للملوك العالم كانت تحلى بالعلامة الكبرى ، كما أن المكاتيب العادية والاذون للعمال والقضاة وسائر نواب الحكومة فى داخل القطر

وكذا تسمية الموظفين يوضع عليها العلامة الصغرى من تحرير غيره من كتاب الديوان ، والعلامة نفسها هى عبارة عن جملة مختارة فى معنى حمد الله تعالى وشكره وتمجيده ، ويختلف رسمها وعبارتها عند استيلاء كل ملك من ملوكهم(١) .

أما تأليف « العلامة » هذا فالغالب على الظن أن التجانى ترجم فيه للكتاب الذين تداولوا هذه الوظيفة - مثل ابن الابار ، وابن أبى الحسين ، وابن الجباز ، وقد تقدم ذكر البعض منهم ، ولو قدر لهذا السفر أن يصل الينا لكنا نستفيد منه كثيرا عن نظام ديوان الرسائل فى الدولة الحفصية ، وعمن تولاها من أعيان الادباء .

(٨) « تحفة العروس ، ونزهة النفوس » هذا التصنيف مغاير فى موضوعه لما مر بك من كتب التجانى ، اذ انه مجموع أدبى رائق رتبه على خمسة وعشرين بابا فى معاشرة النساء ، وأخلاقهن وخصالهن ، وصفة أعضائهن من حسن وقبح ، وفى العفاف والصون وفى الزينة والتطيب ، وفى حقوق المرأة على الرجل وفى الغيرة وبيان ما يحمد منها وما يذم ، وختمه بباب متسع فى الملح والمفاكهات من هذا النوع ، وأورد فيه من الايات القرآنية والاحاديث النبوية مع تفسيرها وشرحها ، ومن الحكايات الطريفة ما يناسب كل مقال .

---

(١) راجع ما قال ابن خلدون عن العلامة فى مقدمة تاريخه .

وقد وهم بعض مستشرقى الافرنج ـ مثل بروكلمان وغيره ـ اذ ظن انـه من نوع كتاب « رجوع الشيخ الى صباه »، والحقيقة انـه ليس هو من النمط المشار اليه ولم يوضع لهذا الغرض، بل يلـوح من خلالـه أن المؤلف أراد أن يثبت ـ على عـادتـه ـ سعة احـاطته بالادب العربى القديم ، ورسوخه فى فهم نصوصـه مـع شرحهـا وتفسير الغامض منها ، ثم انه أبان فى مقدمة كتابه الغرض الـذى رمى اليه من وضعه ، خشية منه أن يظن به النزول الى صف الكتب المصنفة فى المجون والفحش المستهجن على ما كان جائزا فى عصر تقهقر الاداب العربية ، فيقول فى خطبة « تحفة العروس » : « وليس كتابنا هذا فى الحقيقة كتاب سمر وانما هو كتاب علم ونظر » .

والواقع يؤيد ذلك تأييدا كاملا .

وعلى كل فان عبارة « تحفة العروس » عبارة سهلة التناول ، ذات طلاوة واضحة وطريقة ظريفة فى عرض الحكايات والاشعار ، مـع الحرص منه على نقدها وتمحيصها كما هو شأنه فى جميع تحريراته ـ ومن المحقق أنه ألفها بعد رجوعه من الرحلة بسنوات .

ويوجد منها نسخ مخطوطة فى غالب مكتبات الشرق والغرب ، منها نسخة صحيحة بمكتبتى الخـاصة تاريخ نسخها سنة ٨٠٦ هـ اى اقل من مائة سنة بعد المؤلف ، وطبعت « التحفة » فى القاهرة عـام ١٣٠١ وترجمها الى اللغة الفرنسية باختصار وبأغلاط كثـيرة روسو

Roussea. ونشرت فى الجزائر وباريس سنة ١٨٤٨ تحت عنـوان :
« Touhfat El Arous, ou Cadeaux des Epoux ».

***

تحقيق اسم المؤلف :

والجدير بالملاحظـة أن اسم المؤلف التجانى وقـع فيـه اضطراب كبير ، فقال بعضهم انه : « محمد بن أحمد بن ابراهيم » ، وجعلـه آخر : « محمد بن عبد الله بن ابـراهيم » ، وسماه ناشر : « تحفـة العروس » بمصر ... أبو عبد الله محمد بن أحمد التجانى ، وكأنـه توهم انه (احمد التجانى) صاحب الطريقة الصوفية المغربية المعروفة أو انه ابنه على الاقل ، فوصفه بقوله : « صاحب السر الربانى »

والـذى يخطر ببالنا أن هذا التشويش ناشىء عن أمرين : الاول ـ عدم وجود تعريف لحياة مؤلفنا فى الكتب المتداولة للتراجم ، والثـانى ـ اللبس الـذى يحصل من ابـدال اسماء الـرجال بالكنى وكانت طريقة مستعملة كثيرا فى أثناء القرون الوسطى الاسلامية فى المغرب ، مثال ذلك : من اسمه محمد لا يقال فيه الا أبـو عبد الله ، وعبد الله لا يعرف الا بأبى محمد ، وزكرياء بأبى يحى ويحى بأبى زكرياء ، واسحاق بأبى ابراهيم ، وابراهيم بأبى اسحاق ، وهلم جرا مما يـؤدى بطبيعـة الحـال الى الالتبـاس والتشويش فى تعيين الاشخاص عند ما تذكر كناهم دون أسمائهم .

وهذه الكنى هى فى الحقيقة اصطلاحية ومصطنعة ولا تتفق مع الواقع، لا كما كان الشأن عند العرب وجرت به عادتهم فى القرون الاولى من استعمال الكنية من باب التبجيل والترحيب وفى دائرة خاصة ، فينسب الرجل الى اسم البكر من أولاده ، وبتعاقب الزمان صار الامر على خلاف ذلك من لدن الدولتين : الموحدية والحفصية بالمغرب ، واستمر كذلك الى عهد غير بعيد .

وربما كانت البلية عامة فى جميع البلاد الاسلامية فى الوقت نفسه اذ أنه أضيف الى الاسماء فى المشرق خاصة القاب كأنما يقصد بها المباهاة وزخرف القول فقيل : فخر الدين الرازى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وسعد الدين التفتزانى وما لا يعد كثرة من النعوت التى لا تمت الى الحقيقة بشىء ولا يتيسر التوصل منها الى الاسم الاصلى الذى الغى تماما ، فاذا قيل مثلا « ولى الدين بن خلدون » لا يهتدى الى معرفة أنه عبد الرحمن ، فيشتبه حينئذ الامر مع أسماء بقية أفراد أسرته الكثيرين .

وقد رأينا من الحتم التنبيه على هذه الأوضاع المتفشية فى العصر الحفصى حتى لا يستغرب من استعمال الكنى بدل الاسماء .

أما تحقيق اسم صاحبنا التجانى فهو ما رسمنا فى طالعة الكلام عليه وعلى المشهورين من آل بيته ، ولنعد الى ذكر مؤلفاته ، فمنها :

(٩) « تقييد الرحلة » أخرنا ذكر هذا التصنيف لسبب واضح اذ أنه الغرض الاصلى من هذه المقدمة .

وماذا عسى أن نقول عنها وسيطالعها القارىء ويتتبع خطاها مرحلة مرحلة ، لكن سبق أن عرفنا بما وصل لعلمنا من مؤلفات التجانى ، فلا بأس بأن نبدى رأينا فى قيمتها .

الحق ان « الرحلة » من غرر المصنفات التونسية ، وكأنها الوحيدة من نوعها فى وصف البلاد الافريقية والتعريف بعمرانها أوائل القرن الثامن للهجرة ، أحد العصور الغامضة الانباء فى تاريخ تونس الاجتماعى والسياسى لندرة النصوص الواصلة الينا عنه .

فمن أهم خصائصها أنها تبسط لمطالعها أخبار المدائن والقرى التى يمر بها الرحال كل واحدة بانفرادها ، وتجعله يحيط علما بما مضى من أحداثها ، مع التعريف بالنابغين من أبنائها ما بين فقهاء ، وقواد ، وأدباء ، وصلحاء قدامى ومعاصرين ، ثم انها لا تقتصر على وصف المدائن التى يجتازها بما فيها من معاهد ومعالم ذات شهرة وقيمة بل تبين ـ نقلا ومشاهدة ـ أسماء الاوطان والنواحى ، ومن يسكنها من القبائل ، وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ من البدو الرحل ، فيميز بين أصولها وفروعها ، وينسب كلا منها الى أن ينتهى الى مشهور الاصل الجامع .

وهكذا يزور التجانى الساحل التونسى الزاخر بالعمران قديما وحديثا ويمر بصفاقس ، ثم ينزل الى الجنوب ناحية قابس وجزيرة جربة فيعرفها أحسن تعريف ، متعرضا للعقائد والعادات المحلية

الشاذة مثل وصفه لطريقة دفن الاموات بقرية « المقدمين » بجبال مطماطة ، وهى من تقاليد قدماء البربر ، وقد انقطع استعمالها اليوم ، ثم يدخل الواحات الجنوبية بقسميها الشرقى (مطماطة ونفزاوة) والغربى (بلاد الجريد) ويقطع سبخة تاكمرت ، ثم يعود فى ركاب مخدومه فيجوز الى التراب الطرابلسى ويزور منازله الساحلية ومداشره كزوارة وزواغة وزنزور وينعتها بما تستحق ، ويقيم بمدينة طرابلس مدة يتصل فيها بمن هو متصف بالعلم ، ويحضر مجالس بعض محدثيها ، وبعد برهة من الزمن يسافر مخدومه الى المشرق فيفارقه التجانى ويلوى عنان جواده عائدا الى وطنه على طريق الجادة الازلية التى تربط افريقية بالمشرق ، ويعود الى وصف ما يمر به على غير الطريق الاولى الى أن يبلغ فى آخر ترحاله الى حضرة تونس عاصمة البلاد وقصبتها الشامخة من حيث ابتدأ الرحلة

ومن طريف أوضاع المؤلف فى تقييده أن يعرض على قارئه تفصيل ما يرد عليه من المكاتبات العائلية والاخوانية ، وينشر بين يديه ما تشمله الرسائل من شعر ونثر ، وكلها محررة على ذلك النمط المسجع الذى ولع به أهل القرون الوسطى الاسلامية ، وهى ـ على سذاجتها ـ تعرفنا بثال بيت رحالنا وبأحبابه ومعارفه فى داخل القطر وخارجه .

ومما يلفت النظر فى الرحلة أن صاحبها أورد فى غضونها وثائق تاريخية بنصها الاصلى ، وقلما رأينا رحالا يأتى بمثل هذه النصوص

المهمة ، ومن أخطرها ذلك السجل الصادر عن الحسن بن علي آخر الامراء الصنهاجيين المعلن بانتصاره على جيش (النرمانديين) في وقعة الديماس بالساحل التونسي ، أضف الى ذلك جملة أحداث معاصرة لم نكن لنعرفها لولا ما أثبت من أنبائها وتفصيلها .

وجملة القول أن رحلة التجاني مرآة صقيلة صافية تتمثل فيها صورة البلاد التونسية من حيث عناصر السكان وهيئتهم الاجتماعية والاقتصادية علاوة على تفصيل جغرافية القطر وتاريخه وتراجم مشاهير أبنائه مع التعرض للنباتات الخاصة بكل جهة من جهاته ، وهو مقدار من الافادات قلما اجتمع في رحلة واحدة ، وفي ذلك بلاغ .

تحقيق أصل الرحلة :

في خلال ١٩٢٣ خطر لادارة المعارف السابقة أن تعهد الى لجنة تتألف من سبعة أشخاص لتحقيق مخطوطات عربية مختارة من بين المصنفات التونسية في الادب والتاريخ والجغرافية بقصد نشرها وترجمتها الى اللغة الفرنسية ان اقتضى الحال .

ووقع اختيار اللجنة على نحو عشرين مخطوطا منها ، وقع توزيع الاشتغال بها على الاعضاء فتكفل الاستاذ المرحوم « وليم مرسي » رئيس اللجنة بالاشراف على تحقيق « رحلة التجاني » ، وكان من نصيب كاتب هذه الاسطر تجهيز كتاب « آداب المعلمين » لمحمد

ابن سحنون ، وكلف بقية الاعضاء بمخطوطات اخرى ، وأقبل الجميع على العمل مع مراجعة بعضهم لبعض عند الحاجة .

وأول ما صدر من المجموعة المتفق على نشرها « آداب المعلمين » فطبع على نفقة ادارة المعارف ، وتأخر ظهور « الرحلة التجانية » الى ما بعد ذلك ، لما لزم من المراجعات والمقابلات والتحقيقات وكانت الاصول التى اعتمد عليها من الرحلة ست نسخ خطية استعيرت من عدة مكتبات ، فمن الزيتونة ، ومن المكتبة الشعبية بالجزائر ، ومن تلمسان ومن خزانتى الخاصة ، وقد بذل الاستاذ « مرسى » جهده وكامل عنايته وخبرته العلمية فى العمل .

وفى الواقع أن جميع هذه النسخ المجلوبة كانت على جانب عظيم جدا من التحريف والتصحيف والسهو والاغلاط الفادحة ، ولم يكن من بينها واحدة قديمة ثابتة يرجع اليها ويعتمد عليها ، فكلها متأخرة النسخ ، وكأنما نقل بعضها من بعض حتى فى أغلاطها وأوهامها التى لا تحصى عددا ، لا سيما فى القصائد الشعرية الواردة فى الاصل ، ومن المراجع التى عدنا اليها كـ « الحلل السندسية فى الاخبار التونسية » تأليف محمد الوزير السراج الذى أتى على غالب الرحلة فأدمجها فى كتابه ، ويظهر أنه كلما عرض له تحريف أو تصحيف فى النسخة ـ أو النسخ ـ التى بين يديه كان يعوضه بلفظ من عنده بدلا عن الخلل أو النقص الموجود فى الاصول المنسوخ منها خصوصا فى القصائد الشعرية .

ولما انتهى من اثبات النص الكامل بعد ضبطه وتصحيحه حرص الاستاذ « وليم مرسى » على نشره وتم ذلك فى « المطبعة الرسمية التونسية » القديمة ووقف بنفسه على مراجعة التجارب بقدر الاستطاعة فبرزت الرحلة فى خلال سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) من غير أن تصدر بتوطئة مناسبة ولا فهارس ، وحال دون ذلك من بعد نشوب الحرب الكبرى الثانية ، وتسلمت ادارة المعارف يومئذ ما طبع من النسخ واختزنته فى دواوينها ، وبقيت هنالك هى وصاحبها كتاب « آداب المعلمين » عرضة للرطوبة والاهمال ، ممنوعة عن أنظار المتشوقين الى مطالعتها ، ولم يفلت منها سوى نسخ قليلة تهافت عليها من كان من القراء فى حاجة اليها .

فلما ظفرت البلاد التونسية باستقلالها وفازت بحريتها المنشودة وتهيأت لها وسائل النهوض ودعائم الوعى القومى ، انبعثت (وزارة التربية القومية) بنشاط حثيث لتدارك ما فات ، وارجاع ما كاد يضمحل أو يموت ، وما فتئت دائبة على جد العمل لتأييد حركتنا العلمية المباركة ، باذلة السعى المتواصل لاحياء تراثنا القومى الزاخر ، وبعث مئاثرنا الزاهرة من مرقدها وتشخيص مزاياها الفاخرة .

ويحق لنا أن نشيد هنا بتوجيهات فخامة رئيس جمهوريتنا ، الساعى لاعلاء كلمتنا ، وتحقيق نهضتنا ، المجاهد الاكبر السيد *(الحبيب بورقيبة)* اذ اليه يرجع الفضل فى الاشارة باعادة طبع

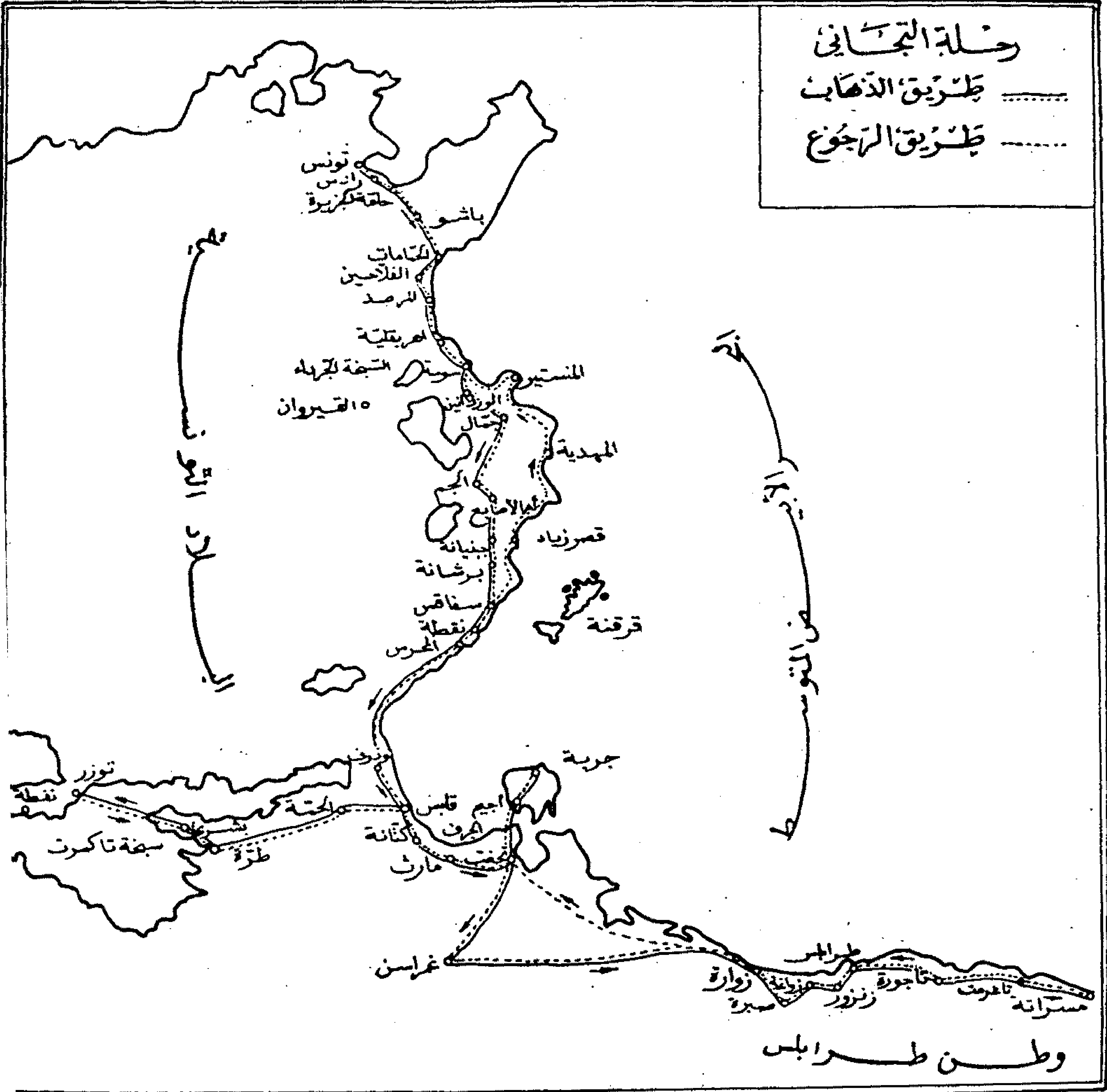
« رحلة التجانى » وغيرها من الذخائر التونسية ، وقد أذن كاتب دولته للتربية القومية بالمبادرة لاعادة طبعها ، وبعثها من مرقدها وازالة غبار النسيان عن سفرها ، لينتفع بها أهل الابحاث ، وهواة الرحلات ، فلفخامته المحبوبة الشكر الاوفر من تونس الناهضة على عنايته بكل ما من شأنه أن يزيد فى معرفة البلاد ويرفع بين الاقوام من قدرها ، ويدل على مجدها وفخرها .

وأبناء القطر التونسى العزيز فى حاجة ملحة اليوم الى معرفة ماضى بلادهم والاحاطة بما كانت عليه من العزة والعظمة فى غابر الزمان حتى يضطلعوا بالزيادة من محبتها ، والتضافر لرفع منزلتها ، والظروف تفرض عليهم هذا الواجب الاقدس فى عصر تستشرف فيه تونس لمستقبل مجيد ، وها هى تناشد أبناءها الابرار التفانى فى الاجتهاد ، وتدعوهم لاقتفاء أثر الاجداد الامجاد .

وإذا عظم البلاد بنوها أنزلتهم منازل الاجلال !

حسن حسنى عبد الوهاب

عن سلامبو – مستهل ربيع الاول ١٣٧٧



رحلة التجاني
طريق الذهاب
طريق الرجوع
تونس
رادس
باشو
الحمامات
الفلاحين
المرصد
اهريقلية
السبخة الجرادة
القيروان
المنستير
الوردانين
المهدية
الجم
ام الاصابع
قصرزياد
جبنيانة
برشانة
سفاقس
نقطة
الحرس
قرقنة
جربة
توزر
نفطة
الحامة
سبخة تاكمرت
طرة
قابس
اجيم
الجرف
كتانة
مارث
غراس
طرابلس
زوارة
صبرة
زواغة
زنزور
تاجورة
تاعرمت
مسراتة
وطن طرابلس

رحلة التجاني

تونس - طرابلس

٧٠٦ / ٧٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أما(١) بعد حمد الله الذى سوغ عوارف فضله ، وأسبغ موارد ظله ، وقاد العبد بسائق حكمه ، الى ما جرى فى سابق علمه ، من حالتى ارتحاله وحله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اظهر الله بهجرته الدين الحنيفى على الدين كله ، وقضى له بالبركة ، فى تلك الحركة ، فنال به الايمان لعزه والكفر لذله ، وعلى آله وجميع أصحابه الذين هجروا حلالهم للهجرة الى محاله ، وأحرزوا من الثنا ، بما لهم من صفات السنا ، ما لا يفى(٢) كثير العبارة بأقله ، فهذا تقييد يشتمل على وصف ما شاهدته فى هذه السفرة المباركة من البلاد مضمن ذكر أحوالها وصفاتها ، وبيان طرقها ومسافاتها ، والاشارة الى مفتتحيها وبناتها ، وأحوال من اشتملت عليه من أصناف العوالم ، وما يتميز به كل بلد من الاثار والمعالم ، وما تتشوف اليه ، ويتشوق الى الاطلاع عليه ، وقد البس ذلك من حلة النظم والنثر مما ورد فى هذه السفرة الى او صدر عنى استفتاح خطاب ، او رد جواب ، ما تحسن المحاضرة به ، وتحصل الافادة ان شاء الله تعالى بسببه ٠

---

(١) اختلفت النسخ فى صدر الخطبة ففى بعضها : أما بعد حمد الله الخ كما ترى وفى بعضها : الحمد لله الذى سوغ الخ ثم : وبعد فهذا تقييد الخ ٠

(٢) فى نسخة يكفى

فكان خروجى من تونس المحروسة صحبة الركاب العلى المخدومى الليمومى(١)أعلى الله مقامه ، وأطال فى العز دوامه ، فى آخر جمادى الاولى من عام ستة وسبعمائة وكان مراده منها بالقصد الاول انما هو التوجه لاداء فريضة الاسلام ، التى لا يسع تركها بعد الاستطاعة عليها أحدا من الانام، بهذا تعلقت آماله ، وعليه كان عن الخلافة(٢) انفصاله ، الا أن أمر الحج طوى على الناس فى هذه الحركة ذكره ، وأخفى عنهم امره ، وسبب ذلك أنه لما علم فى تدبير الرعية من حسن غنائه ، وما اجتمعت عليه قلوب الجمهور واستتم من محبته وثنائه، لو بين لهم انطلاقه، لابدى(٣) كل منهم به اعتلاقه فصدوه عن حجه ، وردوه عما يمم من نهجه ، فرأى أن كتم الحج أصلح ، وأنه الاكد فى طريق السياسة والارجح ، فجعل أمر جربة سببا الى نيل ذلك المرام ، ورجا مع ذلك ان يكون على يده استرجاعها الى الاسلام ، فاعلن بذكر التوجه اليها وأشاع انها المقصودة بالحركة وأنه اذا انفصل عنها ، بعد ان يقضى وطره منها ، يتوجه بالمحلة الى البلاد الجريدية ثم يعود صحبة المحلة الى الحضرة وبنى فى باطن الامر على أنه عند تمام حركة الجريد يرد الجيش الى تونس ويقيم هو ببعض البلاد الى أن يصل الركب بهدية ملك المغرب أبى يعقوب المرينى الى ملك المشرق فيتوجه معه وقد كان

(١) هكذا فى جميع النسخ التى بايدينا
(٢) لعله دار الخلافة
(٣) فى بعض النسخ « لا بد »

ملك المشرق وجه الى المرينى هدية صحبة بعض أمرائه اجتازت على تونس متوجهة اليه(١) فى أوائل شهر ربيع الثانى من عام التـاريخ فكان يظن أن هؤلاء المشارقـة يسرع ايابهم ، ولا يبطؤ انقلابهم .

هذا بيان ما بطن من هذه القضية وما ظهـر ، وشرح ما استتـر منها وما اشتهر ، ولم يعلم بأمر الحج فيها الا نـاس قليلون غـير أن العامة ربما كان حصل لهم به شعور فكانوا يشيعونه ولا يتحققونه وتعينت للتوجه الى جربة حصتان برية وبحرية وتقدم اقلاع البحرية عن ارتحالنا نحن بناء على أن يكون اجتماعنا بجزيرة جربة فكـان اقلاعها فى أوائل جمادى الاولى وتأخر ارتحالنا نحن الى أواسطه فكان خروجنا من تونس يوم الثلاثاء الرابع عشر منه فنزلنـا يومنا ذلك برادس على ستة اميال من تونس وأقمنا بها ثلاثـة عشر يوما الى أن استوفى الاجناد من الحضرة مرادهم ، وأكملوا لما يستقبلون من السفر استعدادهم .

ورادس هي المنزلة الاولى للمحال والعساكر دائمـا اذا خرجوا من تونس لا يتجاوزونها الى غيرهـا وهى قريـة قديمـة الـرسم ، شهيرة الاسم ، وبها كروم كثيرة ومزارع متسعة وجـامع للخطبة عتيق وابتنى بهـا فى وقتنا هذا جـامع أضخم منه الا أن الخطبـة لـم تنقـل اليـه(٢)

---

(١) انظر كتاب العبز لابن خلدون (ط الجزائر) ج - ٢ - ص - ٣٢١ - ٣٢٢
(٢) الخطبة الان فى الجامع الجديد

ولم تزل رادس فى القديم رباطا مشهورا بالفضل ، وقد روى ابو عبيد فى المسالك عن زيد بن ثابت وانس بن مالك موقوفا عليهما انهما قالا: من رابط برادس يوما واحدا فله الجنة(١) وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق(٢) فى تاريخه : ان علماء المشرق وفقهاءه كتبوا الى اهل افريقية : من رابط عنا برادس يوما واحدا حججنا عنه حجة . وكان الروم اغاروا عليها فى ولاية عبد الملك بن مروان فى مراكب لهم فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ولم يكن للناس اذ ذاك شىء يحصنهم فبلغ أمرها من المسلمين كل مبلغ فانتقل اليها أمير افريقية حسان بن النعمان الغسانى فاقام مرابطا بها وكتب بذلك الى عبد الملك وارسل مع كتابه اربعين رجلا من اشراف العرب يخبرونه بما نال المسلمين من الجهد فعظم ذلك عليه ، وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت وانس بن مالك فقال(٣) لعبد الملك: أمد(٤) هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو فانها من البلاد المقدسة المرحوم اهلها . فبعث عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو اميره على مصر يامره ان يوجه الى حسان الف قبطى والف قبطية يستعين بهم فحملهم عبد العزيز فى البر فلما وصلوا الى حسان اثبت كثيرا منهم فى رادس وفرق باقيهم فى مراسى افريقية. وامر عبد الملك حسانا ان يخرق البحر الى

(١) انظر كتاب المسالك للبكرى (ط الجزائر) ص ٣٧ - ٣٨.
(٢) انظر المنتخبات التونسية لحسن حسنى عبد الوهاب ص ٧١ - ٧٣ .
(٣) فى بعض النسخ - فقالا
(٤) فى بعض النسخ - امدد

تونس من جهة رادس وكان موضع البحيرة اليوم على ما ورد فى التاريخ مزارع وبساتين فحفره حفرا وخرقه الى ان وصل الى دار صناعتها وانشا فيها مراكب كان يغير فيها الى ساحل الروم فشغلهم بانفسهم عن الاغارة على افريقية . هكذا ذكر المؤرخون هذا الخبر وفيه بينهم اختلاف

ففى كتاب أبى عبيد ما تقدم(١) من ان ذلك كان فى ولاية عبد الملك بن مروان وفى كتاب ابى اسحاق الرقيق ان ذلك كان فى ولاية الوليد بن عبد الملك وان الوليد كتب بذلك لعمه عبد العزيز والصحيح فى ذلك ما ذكره ابو عبيد فان وفاة عبد العزيز ابن مروان متقدمة على ولاية الوليد بن عبد الملك وانما مات عبد العزيز فى حياة اخيه عبد الملك . وقول الراوى فى هذا الخبر : وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم رجلان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك وزيد بن ثابت ، هذا مما زاده أبو عبيد ولم يذكره الرقيق وهو كلام غير صحيح فان زيد بن ثابت توفى فى ايام مروان بن الحكم وهو الذى صلى عليه لا خلاف فى ذلك بين المؤرخين على الجملة وان اختلفوا فى تعيين السنة ولم يكن الوليد اذ ذاك خليفة على قول الرقيق ولا عبد الملك على قول ابى عبيد بل لعل الوليد اذ ذاك لم يكن وليدا فانما تصح الرواية بذلك ان صحت عن انس فقط ،

---

(١) انظر البكرى — ص ٣٧ — ٣٨

فان وفاته تأخرت الى آخر ولاية الوليد. وانا اعجب من ابى عبيد على اتساع باعه وقوة حفظه للتاريخ والوفيات كيف يتعرض لمثل هذا الخبر مع ظهور وهنه ووهيه

وقد روى ان السفينة التى هى مذكورة فى القرآن انما خرقها الخضر ببحر رادس هذا وان الملك الذى كان ياخذ كل سفينة غصبا هو الجلندى ملك قرطاجنة وان الجدار اقيم بطنبذة القرية المعروفة بالمحمدية على أميال من تونس(١) وهنالك فارق الخضر موسى عليهما السلام والله اعلم ، وكان هذا مخالفا لما ذكره المؤرخون من ان الانبياء عليهم السلام لم يدخل منهم أحد شيئا من ارض المغرب ، ولكن خرج الحافظ أبو أحمد ابن عدى (٢) من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم . فلما بلغا مجمع بينهما ، قال افريقية قال عبد الحق(٣) فى الاحكام بعد ذكره لهذا الحديث يرويه محمد ابن أبان بن صالح وكان من رؤوس المرجئة يتكلم فيه من أجل ذلك ومع ذلك يكتب حديثه قال الامام أبو الحسن بن القطان(٤) وفى سند هذا الحديث أيضا ممن لم ينبه عليه عبد الحق يحى بن عبد الحميد الجمانى وهو راويه عن محمد بن أبان فان أكثرهم يضعفه ،

---

(١) اعتنى بعمارتها احمد باشا باى ١٢٥٣ - ١٢٧١ وهى الان على حالة خراب

(٢) هو ابو احمد عبد الله بن محمد الجرجانى المعروف بابن عدى صاحب كتاب الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة

(٣) هو ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الازدى الاشبيلى المتوفى سنة ٥٨١ صاحب كتاب الاحكام الكبرى فى الحديث

(٤) هو ابو الحسن على بن القطان الفاسى المتوفى سنة ٦٢٨ صاحب كتاب الوهم والايهام الواقعين فى كتاب الاحكام تتبع فيه زلل عبد الحق الاشبيلى فى تاليفه المذكور اعلاه وبهرج لـه زائفة

وكان أحمد بن حنبل يرميه بالكذب ولم يوثقه الا ابن معين . قال ابن القطان وخرج عبد الحق هذا الحديث موقوفا على ابن عباس وهو في كتاب ابى احمد بن عدى الذى نقله عبد الحق منه، مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن القطان

ونحن انما وجدنا هذا الحديث فيما وقفنا عليه من نسخ الاحكام مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم لا موقوفا عن ابن عباس ، فنقد ابن القطان هذا ساقط عنه ، وقول من قال ان السفينة خرقت ببحر رادس وان الجدار أقيم بالمحمدية هو قول يخالفه اكثر المفسرين فعن بعضهم ان القرية التى استطعم اهلها برقة ، وعن بعضهم أنها الجزيرة الخضراء بالاندلس ، وقال بعضهم هى انطاكية وعن بعضهم الايلة واهل الايلة معروفون بالبخل ، ويروى أنهم أتوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرغبوا اليه ان يثبت فى المصحف قوله سبحانه فأبوا أن يضيفوهما بالتاء المثناة

وأمام رادس على قرب منها الوادى المعروف بوادى مليان وعليه القنطرة الشهيرة ضخامة وارتفاعا ، والتونسيون يذكرون انها ابتنيت بمال رجل من الغرباء كان يتكفف الناس فيتصدقون عليه ولا يعلمون بحاله وسعة ماله الى ان توفى فوجد له مال ممدود فأمر الامير زكرياء ان يصرف فى بنائها

ثم انتقلنا عن رادس يوم الاثنين فاجتزنا فى اول المرحلة بالحامة المعروفة بحامة الجزيرة وماؤها مفرط السخانة وهى موصوفة بابراء ذوى العاهات يطلبون الجلوس على مائها لدوائهم ، قال البكرى فى المسالك : وهذه الحامة جليلة مجربة النفع انتهى كلامه(١) وكانت قبل هذا محجورة عن الناس ببناء محدق بها ثم ابيحت بعد للناس والبناء المحدق بها باق الى الان(٢)

وهذه الحامة هى منتهى الارض المعروفة بمرناق سميت باسم بعض من ملكها من النصارى بعد افتتاح المسلمين لارض افريقية وكان ملكه لها بخديعة تمت على حسان بن النعمان، وذلك أن مرناق هذا كان صاحب قرطاجنة فلما دخل المسلمون الى أرض افريقية وافتتح حسان مدينة تونس نهض لقتال مرناق فكان يغدو كل يوم اليه ثم يروح الى تونس وكانوا اذا غدوا للقتال قابلتهم الشمس فئاذتهم فى أعينهم فكتبوا بذلك الى عثمان رضى الله عنه فأمرهم بقتالهم بعد الزوال فضاق الروم بها وكانت لهم سفن بباب النساء فحملوا فيها نساءهم وأولادهم ليلا وأسلموا المدينة ولم يبق فيها الا الملك المسمى بمرناق وأهله وولده فكتب الى حسان : هل لك أن تعاهدنى فى أهلى وولدى وأشترط لنفسى ما شئته من المنازل وأسلم لك المدينة ؟ ولا علم عند المسلمين بفرار من فر منها فاجابه

---

(١) انظر مسالك ابى عبيد البكرى ـ ص ٤٥

(٢) تعرف الآن بحمام الانف قرية عامرة بهاقصر لملوك العائلة الحسينية كانوا يشتون به وبها عينان حارتان تقصدان للاستشفاء

حسان الى ذلك فاشترط هذه الارض المسماة به الان وهى اذ ذاك قرى كثيرة(١) ثم أمكنهم من المدينة فلم يجدوا فيها غيره وغير ولده واهله فوفى له حسان بما أعطاه من العهد واقام مرناق مالكا لهذه الارض

ودخلنا بعد الخروج من أرض مرناق فى أول ارض الجزيرة المعروفة فى القديم بجزيرة شريك تنسب الى شريك العبسى أحد العاملين عليها فى قديم الزمان وهو والد قرة بن شريك والى مصر من قبل الوليد بن عبدالملك(٢) الذى يقول فيه الشاعر(٣) (خفيف)

عجبا ما عجبت ممن أتانا   حين أمرتَ قرة بن شريك

وهذه الجزيرة لم تزل معروفة بالخصب والبركة وهى كما قال الشريف حيث وصفها فى كتابه المؤلف للجار : طيبة مباركة ذات دارات متصلات ، وبركات وخيرات ، ومياه وغلات ، وبالجملة ففيها خصب زائد على غيرها من الارضين(٤) قال أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : ولم تخل هذه الجزيرة قط من عابد مذكور(٥) وذكر أن عبد الله بن الاغلب أراد أن يحدث على الناس مظالم من جملتها أن يرفع عنهم طلب العشر ويضع على كل

---

(١) هى الان مشهورة بجودة الزيتون وطيب الهواء

(٢) هو قرة بن شريك بن مرثد بن حازم العبسى القيسى مات سنة ٩٥ وقيل ٩٦ انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير - ج - ٥ - ص - ١٣ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ١ - ص ٢٤١ .

(٣) يوجد البيت فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص - ١٣١ وفى حسن المحاضرة للسيوطى ج - ١ - ص - ٦ بروايات اخرى

(٤) انظر نزهة المشتاق للشريف الادريسى ص - ١١٨ ولفظ الادريسى « ذات عمارات متصلات »

(٥) والآن بها زوايا كثيرة واحباس وافرة على قراء القرآن وتقصد لذلك من جميع جهات تونس

زوج ثمانية دنانير أصابوا أو لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم حفص بن حميد الجزرى ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة وغيرها فاستأذنوا عليه وكان من أجمل الناس فكلمه حفص بن حميد وقال له : اتق الله أيها الامير وارحم جمالك وشبابك فان النار أمامك ، فلم يجبه الى شيء مما أراد وأظهر الاستخفاف به وبمن معه فخرج حفص بن حميد(١) وأصحابه فلما صاروا ببعض الطريق قال لهم حفص : انا قد يئسنا من المخلوق ولن نيأس من الخالق فلم يفتح باب الدعاء حتى فتح باب الاجابة ، فنزلوا واسبغوا الوضوء فصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على ابن الاغلب ان يمنعه الله مما أراد من اذاية(٢) المسلمين ويكف عنهم جوره قال : فبعد خمسة ايام خرجت له قرحة تحت أذنه فقتلته فى اليوم السابع من دعائهم، قال : فحكى المتولى لغسله قال كشفت عنه الثوب فوجدته قد عاد أسود ، كانه زنجى بعد ذلك الجمال العظيم

وذكر(٣) أيضا عن فضل بن أبى العنبر وكان واليا على الجزيرة قال : تقدم غلمانى مرة فنزلوا ببعض قصور الجزيرة التى على ساحل البحر فأدخلوا الى مسجد من مساجد القصر أسبابا وادخلوا طيورا كانت معهم وكلابا فوصل الى اسماعيل بن رباح من أهل الجزيرة

(١) فى بعض النسخ « عمير » وفى بعضها « حمير » واخذنا تحرير الاسم من البيان المغرب لابن عذارى ج ـ ١ ـ ص ٨٧

(٢) كذا فى جميع النسخ والمعروف فى اللغة اذية او إذاة

(٣) أنظر طبقات علماء افريقية لابى العرب ـ ص ٧٠ ـ والترجمة الفرنسية [illegible] ـ ص ١٣٥ ـ (ترجمة اسماعيل بن رباح الجزرى)

وقال : ألا ترى ما فعل غلمانك فى بيت من بيوت الله تعالى ؟ قال فزجرتهم وأخرجتهم وأمرت بأدبهم ، فنظر الى اسماعيل وقال لى حقن الله دمك، قال فشهد فضل بعد ذلك حروبا كثيرة وكان يقول : والله لو شعبت على الاسنة ما خرجت منى محجمة دم لان دعوة الرجل الصالح قد سبقت الى ومات فضل بعد ذلك على فراشه .

وبجزيرة شريك هذه اجتمع الروم عند دخول عبد الله بن سعد بن ابى سرح المغرب ثم ارتحلوا منها الى مدينة اقليبية وركبوا منها الى جزيرة قوسرة ، فيقال انهم أقاموا بها الى خلافة عبد الملك بن مروان فأغزى عبد الملك بن قطن فى البحر فافتتح جزائر افريقية كلها(١)

وكانت جزيرة شريك هذه محتوية على أقاليم كثيرة أعظمها المنزل الكبير المعروف بمنزل باشو - بالباء المفردة والشين المعجمة المشددة - وكان بلدا كبيرا آهلا به جامع وحمامات وأسواق عامرة وبه كان قصر عيسى بن احمد القائم على بنى الاغلب ، وهذا المنزل الان خراب لم يبق منه الا مكانه ، ويقال ان عمد الجامع الذى كان به وشىء(٢) من الرخام المنجور المحكم الصنعة نقلت فى هذا الزمان القريب الى تونس فاقيم عليها (٣) جامع قصبتها ، ينسب الى مدينة باشو هذه صلحاء وفضلاء منهم أبو عبد السلام مفرج بن بياضة يأتى بعض اخباره فى موضع آخر من هذا التقييد

---

(١) أخذه التجانى من كتاب المسالك للبكرى - ص ٤٥
(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « وهى »
(٣) فى بعض النسخ « اليها »

وفي تاريخ ابن شداد(١) وذكر شدة ما انتهى اليه حال افريقية ايام استيلاء على بن اسحاق الميورقي عليها فقال : أخبرني أبو عبد الله محمد بن البراء المهدوى وقد وصل الى دمشق في هذه السنة يعنى سنة اثنين وثمانين(٢) وخمسمائة قال فسألته عن احوال افريقية فقال : هلك العباد وخرب البلاد ثم قال ، وسأخبرك ببعض ما تستدل به على الحال : لما نزل على بن اسحاق على منزل باشو من الجزيرة وهو على بعض يوم من تونس سأله أهله الامان فامنهم ودخل عسكره الى المنزل المذكور فانتهبوا جميع ما فيه وسلبوا أهله حتى ثيابهم التى تواريهم وامتدت أيدى العبيد وجفاة الاعراب الى البنات (٣) فاضطر أهله الى الفرار ففروا بأجمعهم الى تونس ونزلوا بين سوريها فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فأهلكهم البرد والماء ، واحصى من مات منهم بتونس فكانوا اثنى عشر الفا ، انتهى كلام ابن شداد

وفي مياومة الفاضل ابن البيساني(٤) أن الخبر وصلهم في جمادى الاخرى من سنة خمس وثمانين ان يحى بن اسحاق الميورقي وأبا

(١) هو ابو محمد عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس الصنهاجي ملك افريقية مؤلف كتاب (الجمع والبيان في اخبار المغرب والقيروان) من رجال آخر القرن السادس للهجرة وقد هاجر الى الشام ومات به وكان من امراء العساكر في دولة صلاح الدين الايوبي

(٢) سقط لفظ ثمانين في بعض النسخ

(٣) في بعض النسخ « البناء » وفي بعضها « النساء » انظر الكامل في التاريخ لابن الاثير – ج ١١ – ص ٢٤٣ .

(٤) هو القاضي الفاضل ابو على عبد الرحيم بن محمد اللخمي الغساني المعروف بابن البيساني حرف اسمه في اكثر النسخ التي بايدينا

زياد المغربى(١) دخلا الى جزيرة باشو بقرب من تونس واستأصلا أهلها فانتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراة فمات منهم بالجوع والبرد والانقطاع نحو اثنى عشر الفا ، هكذا ذكر الفاضل ان ذلك من فعل يحى بن اسحاق وفى الحديث المتقدم ان ذلك من فعل على بن اسحاق اخيه فيمكن أن تكون قضية واحدة وقع الغلط فى نسبتها ويمكن أن تكونا قضيتين وهذا هو الظاهر فان سنة اثنين وثمانين على ما ذكر ابن شداد انما كان الامر فيها لعلى بن اسحاق وبعده ولى اخوه يحى والله اعلم . وفى موضع آخر من تاريخ الفاضل أن الاجناد وصلت من الاسكندرية فى سنة ثمان وثمانين وان قراقوش الارمنى عاث فى جزيرة باشو وافسد نضرتها ونضرة صفاقس والمهدية ، انتهى ما نقلناه من كلام الفاضل

ومن اول الجزيرة هذه ابتدأنا بالسلوك فى منازل العرب المتولين لارض افريقية ، وهذه الارض الان من منازل بنى دلاج وهم فرقة من بنى عوف بن سليم وكانت قبل هذا من منازل الرياحيين فلم تزل وفود الاعراب عند وصولها من المشرق تزع(٢) من بين يديها من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم الى أن حصلت هذه الارض فى وقتنا هذا لمن ذكرنا

---

(١) اختلفت النسخ اختلافا لا يمكن معه ضبط هذا العلم فمنها ما اتى به على صورة « ابا زيد الغربى » ومنها ما اورده على صورة « ابا زياد المغربى » او « القرى » الى غير ذلك ولا يبعد ان تكون تلك الروايات كلها محرفة من اسم « يوزيا » او « بوزبا » او « بوزابة » الغزى الذى ذكره ابو شامة فى كتاب الروضتين ج ٢ - ص ١٧١ - س ١١ - وص ١٧٧ - س ١٨ وكذلك ابن الاثير فى كامل التاريخ ج ١١ - ص ٣٤٢

(٢) فى بعض النسخ « تفزع » ولعل الصواب هو « تدع »

وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج فى فعلها وعيثها فى البلاد وأهلها أشهر من ان نشير اليه ، أوندل بعبارة مختصرة عليه ، وأنصف الله من الجرجرائى الاقطع فهو الذى أمكن العرب من الدخول الى هذه البلاد ، وعن فكره السيىء نشأ بأرض افريقية ما نشأ من الفساد ، فانهم كانوا قبل ذلك نازلين بصعيد من ارض مصر لا يحدثون أنفسهم بالجواز الى هذه البلاد الى أن ندبهم الجرجرائى الى ذلك وأفرج لهم عن طريقهم ، فأغص منهم أهل هذه البلاد بريقهم ، لحاجة كانت فى نفسه من افساد هذه البلاد تعجل قضاءها ، ووجد عند الله بما لقيه جزاءها ،

وقد رأينا أن نلمع هاهنا بطرف من الخبر عن ذلك فهو من تمام فوائد هذا التقييد ، ونعتمد فيما ننقله على فصل من كلام ابن بسام رحمه الله تعالى فى « الذخيرة » ثم نضيف بعد تمامه اليه ، ما نستدركه بعد ذلك عليه .

قال ابن بسام : « لما تغلب بنو عبيد الناجمون بافريقية على مصر فخلص لهم صميمها ، وتم لهم ملكها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله اقتعاد صهوتها ، واثبات قدمه على ذروتها ، دعا زيرى بن مناد وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفس الطالب ، وكان له عشر من الولد آساد شرى وأقمار سرى ، فقال ادع لى بنيك ، فقد علمت رأيى فيهم وفيك ، وكان اصغرهم سنا ،

واهونهم عليه شأنا ، يوسف بن زيرى فدعا ولده ما عداه ، والمعز ما يريد سواه ، وكانت عند المعز ـ زعموا ـ أثارة من الحدثان قد علم بها مصائر احواله ، وأهل الغناء من أعيان رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية اذا صار اليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه ، فنظر فى وجوه بنى زيرى فأنكرها ، حين تفقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيرى هل غادرت من بنيك أحدا ، فلست أرى لمن هاهنا منهم أيدا ولا يدا ، فقال له الا غلاما وطفق يصغر شأنه ، والمقدار قد عناه وأعانه ، ويطوى اخباره ، والاختيار يدير عليه مداره ، فقال له المعز لا أراك حتى أراه ، فلست أريد سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوض اليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الامور ، وزاحمت مهابته الاهواء فى الصدور ، وبعدت أسفاره ، واشتهرت أخباره ، واشتمل على طرف الايام والليالى ايراده واصداره ، بلغ بغزواته ستة فى خبر طويل ليس من جنس ما ألفت ، ولا فى معنى ما صنفت ، ثم اجاب صوت مناديه ، وخلع الامارة على أعطاف بنيه ، حتى انتهت منهم الى المعز بن باديس شرف العشيرة ، وآخر ملوكه المشهورة ، فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت به فيما زعم سلطانه ، قتل الرافضة ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد فكتب اليه بعهده ، وجاءته الخلعة واللقب من عنده ، واتصل ذلك بالجرجرائى وهو المتحكم فى دولة العبيدى فاضطغنها عليه ، وفوق سهام مكروهه اليه ، وكان بطون

من بني عامر بن صعصعة: زغبة، وعدى، والاثبج، ورياح وغيرهم تنزل بالصعيد لا يبيح لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين اجازة النيل ، فأفرج لهم الجرجرائى عن السبيل ، وأذن لهم فى المعز امنية طالما سرت اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم واسماعهم ، فغشيه منهم سيل العرم ، ورماه منهم بدؤلول وابنة الرقم ، وتهاون المعز بهم أولا فشغلهم بخدمته ، وأثقلهم بأعباء نعمته ، وهم فى خلال ذلك يتمرسون بجهاته ، ويدبون الى انصاره وحماته ، ويطلعون على مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شانهُ ، وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة ، وأرادوه على الاتاوة ، وجرت بينهم أثناء ذلك حروب كان من افراها لاديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعة «حيدران» فى سنة أربع واربعين فانها اوهنت بطشه ، وثلت عرشه ، وأحاط الاعراب بالقيروان وانبسطوا فى البلاد يخطون حريمها ، ويتعرضون راحلها ومقيمها ، الى أن أعطاهم الدنية وناشدهم التقية ، واشترط المهدية ، وقد كان نظر فى ماله ، وفكر فيمن بازائه من أقياله ، فزف الى زعمائهم بنات كن نجوم الليالى ، وأمانى المغالى فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، ثم استجاش من قبله ، واحتمل حرمه وثقله ، وترك الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أنصاره فكانوا بحيث يسمعون نئيمه، ويمنعون من عساه أن يكيده او يضيمه، حتى بلغ المهدية أسقط من الشمس فى الميزان ، وأهون من الفقير على القيان »

قوله فى هذا الفصل فأول ما افتتح به شأنه، وثبت به فيما زعم(١) سلطانه ، قتل الرافضة ، كان المعز لا يزال يتحامل على بنى عبيد الله ويلعنهم خفية ويؤذى أشياعهم ثم آل الامر بـه الى التصريح فلعنهم على المنابر وقتل أشياعهم المرة بعد المرة وتتبعهم فى الاقطـار بالقتل - وكان قبل ذلـك يكـاتب الـوزيـر الجرجـرائى مستميلا ومعرضـا بالتحزب معه على بنى عبيد الله وانما يفعل ذلـك رمزا وتعريضا لـه لعله يرى منه قبولا له فيجد فى السعى معه على القوم ، وكتب الى الجرجرائى مرة بخطه قطعة تمثل بها منها (بسيط)

وَفيكَ صاحبْتُ قَـوْماً لاَ خَلاَقَ لهـُمْ
لَوْلاكَ مَا كُنْتُ أدرِي أَنَّهُـمْ خُلِقُوا

يشير الى بنى عبيد الله ويزعم أنه انما ابقى عليهم بعض الابقاء من اجل حبه فيه فلما وقف الجرجرائى عليها قال : الا تعجبون من هذا الامير، صبى مغربى بربرى يريد ان يخدع شيخا بغداديا عربيا . وانما اتهمه بانه فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم ان عثروا على هـذه الرموز ، ثم قال الجرجرائى : والله لا جيشت له جيشا ولا تحملت فيه نصبا وكلف العـرب العبور بمجـاز النيل ولم يأمرهم بشىء لعلمه انهم لا يحتاجون الى وصاية(٢) وكتب اليـه معهم : أمـا بعـد فقـد ارسلت اليك خيلا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله امرا كان مفعولا ، وقد كان كتب اليـه قبل ذلـك كتـاب وعيـد

---

(١) فى بعض النسخ « به رغم سلطانه » وفى بعضها « به فيما دعم سلطانه » وكلاهما تحريف والصواب ما اعتمدناه هنا طبقا لما هو مثبت اعلاه ـ ص ١٧ س ١٧

(٢) فى بعض النسخ « وصية »

وتهديد ، قال فيه : وان لم ترجع عن رأيك أتتك الجيوش موصلة سنابك خيلها ، ناسخة بنقعها ووميضها حكم نهارها وليلها

وقوله : فأفرج لهم على السبيل أمنية طالما سرت(١) اليها أطماعهم، ليس كذلك فالمنقول أنه لما كلفهم العبور امتنعوا فجعل لكل عابر فروا ودينارا فحينئذ جازوا ، ثم انهم لما وصلوا الى بلاد افريقية واستطابوها كتبوا الى اخوانهم فى اللحاق بهم فلم يتركهم الجرجرائى أو يؤدى كل عابر فروا ودينارا فأخذ بذلك اكثر مما أعطى ، وقوله(٢) وكان من افراها لاديمه وقعة حيدران، « حيدران » اسم جبل معروف بمقربة من القيروان كانت الوقيعة به وكان جيش المعز فيها ثلاثين الفا ومبلغ جيش الاعراب ثلاثة آلاف فهزم جيش المعز ومن سلم منهم من القتل لم يسلم من النهب، وفى ذلك يقول على بن رزق الرياحى أحد أولئك الاعراب من قصيدة اشتهرت فى زماننا أولها(٣) (طويل) :

لَقَدْ زارَ وَهْناً مِنْ أُمَيْمَ خَيَالُ   وأَيْدِي المطايا بالذَّميلِ عِجالُ

ويقول فيها عند ذكر الوقيعة :

---

(١) فى بعض النسخ « شهرت » انظر ما ثبت قبله ـ ص ١٨ ـ س ٤

(٢) انظر ما قبله ـ ص ١٨ ـ س ١٠

(٣) انظر كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ ـ ص ٢٠ والنسخة البولاقية ـ ج ٦ ـ ص ١٥ ـ برواية اخرى

وان ابن باديس لافضل مالك   لعمرى ولكن ما لديه رجال

ثلاثون الفا منهم هزمتهم   ثلاثة آلاف وذاك ضلال

وإنّ ابن باديس لأحْزَمُ مالك ... ولكن لَعَمْري ما لديه رجالْ
ثلاثةُ آلافٍ لنا غلبتْ لَهُ ... ثلاثين ألفاً إنّ ذا لنكالْ

وكان الوزير الجرجرائى مجيز هذه الاعراب واسمه احمد بن على ويكنى بأبى القاسم ، أحد رجال الدنيا سياسة ودهاء وبعد غور ونفوذ فكرة ووزر الظاهر العبيدى بمصر ثم لابنه المستنصر وعتب عليه الظاهر فى أمر ، فأمر بقطع يديه فقطعتا معا فخرج من فوره وجلس بدسته لخدمته على عادته وقال ان الخليفة انما قطع يدى عقوبة لى ولم يعزلنى فاستعظم له الظاهر ذلك وشرف لديه وكان ذلك سبب ارتقائه الى الوزارة وانما كان قبل ذلك فى أحد الدواوين(١) وكان كثير المصادرة العمال وربما صرح لهم بقوله : أبيتم الا الخيانة فقال فيه أبو طالب محمد بن عبد الله الانصارى (مجزوء الكامل)

إغمِدْ لسانك والتزمْ ... طُرُقَ السلامة والصِيانهْ
كَمْ ذا تقول أبَيْتُمُ ... إلاّ الجِنايةَ والخِيانهْ
أتراهُمُ قطعُوا يديـ ... ـكَ عَلَى النزاهة والأمانهْ

وتوفى سنة ست وثلاثين واربعمائة .

ومن الناس من نسب اجازة العرب لغير الجرجرائى واستدل على ذلك بما قدمنا من تاريخ موت الجرجرائى وأنما كان جواز العرب

---

(١) وفى بعض النسخ « الزاويتين » وفى بعضها « الراويتين »

بعد ذلك بأعوام ، وذكر ان المجيز لهم انما هو اليازورى واسمه الحسن بن على ويكنى بأبى احمد وقد كانت وزارته بعد موت الجرجرائى وله اخبار مدونة لشهرته وغلبته على الدولة العبيدية ولا يبعد ان يكون هذا هو الصحيح والله اعلم ، فيكون هذا من جملة ما يستدرك على ابن بسام .

وقد أرخينا للقلم فى هذا الفصل فضل عنانه ، وفسحنا له فى ميدانه ، وفاء بما عنينا ببيانه ، فلنعمد(١) الى ما يبنى عليه هذا التقييد من ذكر المراحل والمنازل مستعينين بالله تعالى ، فكان نزولنا من المرحلة المتقدمة بصلتان وسميت بذلك لان اقواما من البربر يعرفون ببنى صلتان نزلوا بها فى اول الزمان ، وكذلك تعرف فى القديم قرية بنى صلتان وبها كانت الوقيعة بين عمار بن على بن الحسين وبين مستوية النكارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وذلك ان ابا يزيد لما ملك القيروان وجه مستوية هذا الى تونس لما بلغه من مخالفتهم عليه ـ وقد كانوا دخلوا فى طاعته قبل هذا ـ وعلم بذلك القائم فوجه عمارا ليسبقه اليها فلما قرب عمار منها وجد مستوية قد دخلها وأخذ كثيرا من اهلها وأخرب كثيرا من مساجدها فعزم على الرجوع ، فخرج اليه مستوية فيمن معه من النكارة فالتقوا بصلتان هذه فانهزم عمار بن على والكتاميون هزيمة شنيعة ، وقتل من الناس جماعة وحال الليل بينهم فلجأ عمار الى الرحيل فسرب الى جبل

(١) فى بعض النسخ « فليمد » ويمكن ان يكون الصواب « فلنعد »

الرصاص فامتنع بـه ليلته وأصبح مرتحلا فأتبعه مستوية بجنـوده فالتقوا ثانية فانهزم النكارة وقتل بشر كثير منهم وجـرح مستوية وبلغ ذلك اهل تونس فأخرجوا من كان عندهم من النكارة وقتلوا كثيرا منـهم .

وأقمنا بصلتان بقيـة يومنا ثـم ارتحلنا عنـها صباح الغـد فنزلنا بالفلاحين . والفلاحين هى آخر أرض الجزيرة المعروفة بجزيرة شريك كما تقدم وأول الارض المعروفة بوادى الرمل وتنتهى أرض وادى الرمل الى حيث انتهت بنا مرحلتنا من الفلاحين وذلك المبنى المعروف بالمنارة وهو بنـاء مستدير الشكل مفرط الارتفـاع قد انتـظم من فصوص الحجارة المربعة الضخمة ينسب بنـاؤه لابن الاغلب بانى هـذه القصور والمحـارس الافريقية كلهـا ، وهى متصلـة فيما بـين الاسكندرية وبحر الزقاق الذى بسبتة واليه تنسب المنـارة الاخرى المشهورة بقرطاجنة تونس ، وتراءت لنا فى هذه المرحلة على بعد منا منازل البلدة المعروفة بالحمامات وهى على شـاطىء البحر ، ثم ارتحلنا من هناك صباح الغد وهو يوم الخميس غرة جمادى الاخرة فمررنا فى اول المرحلة بالقرية المعروفة بالمرصد وسـيأتى لها ذكر بعد هـذا وقطعنا الرمل المتصل بها .

ثم قطعنا بعده السبخة المعروفة بالجرداء وأخذنا ذات اليمين سـالكين وسط الشعراء متجنبين لطريق الشاطىء مؤثرين لقـرب الطريق ،

وهناك قام بين أيدينا القصر المعروف بالمدفون وضخامته تشعر بضخامة بانيه وهو منسوب لابن الاغلب المتقدم الذكر وهو فى زماننا هذا خال خرب ، وتسميته بالمدفون تسمية مفهومة فان الشعراء قد حفت به من جميع جهاته فكأنه مدفون هناك .

وانتهى السير بنا فى هذه المرحلة الى القرية المعروفة باهريقلية وهى قرية كبيرة على سفح جبل (١) مشرف على البحر وأهلها يزعمون انهم من العرب ، وبهذا الموضع الذى نزلنا به كانت الوقيعة بين أيوب بن خيران الزويلى النكارى أحد قواد أبى يزيد وبين بشرى الصقلبى(٢) خادم أبى القاسم القائم ، وكان القائم لما سمع باطلال أبى يزيد عليه ووصوله الى باجة وذلك فى أول اقباله الى البلاد وجه خادمه بشرى المذكور ليبادر أبا يزيد بدخول باجة فيضبطها ويعسكر بها فتوجه بشرى اليها وعسكر بها ووصل أبو يزيد الى باجة فوجد بشرى قد سبقه اليها فوقع القتال بينهما فانهزم اصحاب أبى يزيد هزيمة فاحشة فلما رأى أبو يزيد ذلك نزل عن فرسه واستدعى بحماره الاشهب فركبه وقال لمن معه : ليست هذه حال من يريد الهرب بل حال من يطلب الموت ، ثم خالف بشرى الى أخبيته فجازها (٣) فعلم بشرى بذلك (٤) فأدركه رعب وانهزم موليا

---

(١) فى بعض النسخ بزيادة « عال »
(٢) كذا فى كتاب العبر (طبع الجزائر) ج ٢ — ص ١٨ — وفى كامل التاريخ لابن الاثير « بشرى » غير منسوب وفى جل النسخ التى بايدينا « بشر الصقلى »
(٣) وفى بعض النسخ « فحازها »
(٤) وفى بعض النسخ « ذلك »

وتبعه أصحاب أبى يزيد يأسرون ويقتلون ووصل بشرى منهزما الى تونس ودخل أبو يزيد باجة بالسيف ثم خرج بشرى عن تونس متوجها الى سوسة فكتب أهل تونس الى أبى يزيد فأمنهم وولى عليهم واليا من قبله ، ولما اتصل بالقائم خبر انهزام بشرى ووصوله الى سوسة أمده بالجيوش والاموال وأمره ان يستعد (١) للقاء أبى يزيد ثانية ، فخرج بشرى من سوسة متوجها الى أبى يزيد ثانية فوصل الى المرصد وهى القرية الكبيرة المذكورة قبل فلما علم أبو يزيد بخروجه وجه للقائه أيوب بن خيران المذكور قبل فوصل الى بشرى وهو بالمرصد فتقهقر بشرى راجعا الى اهريقلية هذه وتحيز الى سور القلعة وأقبل اليه أيوب فالتقيا بهذا الموضع ، فانهزم أيوب وقتل من أصحابه آلاف وأسر منهم مئون فوجههم بشرى الى المدينة فقتلهم العامة بالعصى(٢) والحجارة ، وانقلب أيوب الى أبى يزيد فاخبره بالوقيعة فساءه ذلك ورحل بنفسه قاصدا بشرى فوجده قد انصرف الى المهدية فوقف على المعترك وترحم على قتلاهم وأمر بمواراتهم .

ثم ارتحلنا عن اهريقلية يوم الجمعة ثانى جمادى الاخرى فنزلنا بسوسة وهى مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهى البحر اليه ويضرب فيه

---

(١) وفى بعض النسخ « يعتد »
(٢) وفى بعض النسخ « بالعصا »

وبها آثار الاول واليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون يقصدونها من الافاق وبها جامع الخطبة حسن كان بناؤه فى ولاية أبى العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة اذ ذاك قرية وأتى بعده ابن أخيه أبو ابراهيم أحمد بن الاغلب فجدد سورها وألحقها بالمدن وكان تجديده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين . وبصحن جامعها المذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشا فى الحجر « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكتب مثل ذلك ايضا فى عمد الجامع وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد افريقية فى القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السنى ثم ما كان بها منها فى زمن ملك الروافض لها ثم فى زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا الى صقلية سنة اثنتى عشرة ومائتين فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ومات فى العام الذى يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة فى الزمن القديم فى ثلاثين الف مقاتل فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكونى وقيل التجيبى وقيل الكندى قال أبو عمر ابن عبد البر والصواب ان شاء الله السكونى وخطأه الرشاطى(١) وقال اذا كان سكونيا فهو تجيبى وكندى ، وكان معاوية هذا واليا

(١) فى بعض النسخ « الرصاحى »

على افريقية من قبل عمرو بن العاص فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فى جمع كثيف ليحميها فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها فلما علم الروم بوصوله رفؤوا(١) جميع سفنهم الى شاطىء البحر وازمعوا(٢) الارتحال فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى الى سور المدينة ، ثم نزل عن فرسه وقام يصلى بالناس بعض الصلوات الحاضرة فجعل الروم يتعجبون من اقدامه وقلة اكتراثه بهم فاخرجوا له جمعا من حماتهم فزحفوا(٣) اليه وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك حتى اذا قضى صلاته ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه وولوا ادبارهم فصعدوا الى مراكبهم واقلعوا الى بلادهم

ولم تزل سوسة معروفة بالامتناع على من رامها واهلها يوصفون بالباس والنجدة، وحسبك من امتناعها ونجدتهم ان أبا يزيد لما تملكها وفعل فيهم الافاعيل(٤) الشنيعة من قتل الرجال وسبى النساء وقطع الاعضاء وبقر البطون خالفوا عليه وبايعوا ابا القاسم القائم الشيعى ووجهوا عامل ابى زيد اليه وذلك كله عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة ، فوصل اليها ابو يزيد بنفسه فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وحاصرها حصارا شديدا وكان ما اخذه التحصيل من جند ابى يزيد

---

(١) رفؤوا — قربوا

(٢) فى بعض النسخ « عزموا »

(٣) فى بعض النسخ « رجعوا » وفى بعضها « خرجوا »

(٤) فى بعض النسخ « الافعال »

مائة الف خص يسكن فى الخص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ، فكان يقاتل سوسة كل يوم فمرة له ومرة عليه ولم يزل محاصرا لها الى ان توفى القائم فى ذلك العام وولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور فوجه الى ابى يزيد جيشا كان سبب ارتحاله عنها ، وفى ذلك يقول بعض شعرائها : (١) (كامل)

إِنَّ الخوارج صَدَّها عن سوسة ... مِنَّا طِعانُ السُّمْرِ والإِقدامُ
وَجِلادُ أُسْيافٍ تَطايَرُ بَيْنَها ... فِي النَّقْعِ دُونَ المُحْصِناتِ الهامُ

وقال أحمد بن أفلح من قديم شعرائها : (٢) (كامل)

مدِينَةُ سوسة بِالْغَرْبِ ثَغْرٌ ... تَدِينُ له المَدائِنُ والثغورُ
لقد لُعِنَ الذين بَغَوْا عليها ... كَمَا لُعِنَتْ قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ
أتاها الخارجونَ لِيَمْلِكوها ... فكان مِنَ الإِلهِ لها نَصِيرُ
ولَوْلا نَصْرُهُ لَدَهَتْ دَوَاهٍ ... يَشِيبُ لِهَوْلِهَا الطِّفْلُ الصغيرُ
سَيَبْلُغُ ذِكْرُ سوسةَ كلَّ أرْضٍ ... وَيَغْشَى أرْضَها الجَمُّ الغفيرُ

وقد خالف اهل سوسة ايضا على المعز بن باديس صاحب افريقية سنة خمس واربعين واربعمائة ومنعوه ما كانوا يحملون اليه من المال وقالوا نحن اولى به لنذب به عن بلدنا ، وتوفيت اخت المعز عندهم

---

(١) هو سهل بن ابراهيم الوراق كما ورد فى كتاب المسالك للبكرى - ص ٣٥

(٢) فى بعض النسخ « احمد بن فلح » وفى كتاب المسالك للبكرى « احمد بن بلح » وللابيات زيادة مع اختلاف ما فى الروايات فى البيان المغرب لابن عذارى ج ١ - ص ٣٢٧ - وفى كتاب المسالك - ص ٣٥

فضموا امـوالها وابـوا من توجيهها اليه فبعث المعز اليهم فى ذلك فقالوا لرسله : كيف ندفع لـه اموالا نتقوى بهـا نحن على مدافعتـه وحربه ، فبعث المعز اليهم من المهدية اسطولا ضخما فصبح(١) مرسى سوسة فاحرق ما فيه من المراكب وكانت نيفا وستين مركبا اكثرها لاهل سوسة، فعمد اهل سوسة الى من كان عندهم من اهل القيروان فاخذوا اموالهم واهانوهم اشد الاهانة فوجه المعز اليهم جيشا فيـه مائة فارس وامرهم ان يتظافروا(٢) مع الاسطول على حصار سوسة لياخذوا بمخنقها برا وبحرا ، فكـان من قدر الله الغريب الاتفـاق ان اجتاز على سوسة يوم خروج هـذا الجيش اسطول من قبل صاحب صقلية فتهيبه اسطول المعز فانصرف راجعا الى المهدية ولا علم عنـد المعز بـذلك ، ووصل جيش المعز الى سوسة فسالوا عن الاسطـول فاخبروا باقلاعه ، فسقط فى ايـديهم فخرج اهل سوسة ومن حف بها من الاعراب اليهم فادخلـوهم الى المـدينة واجالوا السيف على جميعهم ونصبوا رؤوسهم على السور ، قال ابن شرف : اخبرنى من شاهدها ان عدتها نيف وخمسون راسا قال وانما سلم من سلم من الجيش لضعف فى دوابهم منعهم من اللحـاق باخـوانهم فلما تحققوا الخبر ولوا راجعين فسلموا بذلك ومات المعز بعد ذلك سنة اربع وخمسين وسوسة مخالفـة عليه فلما ولى ابنـه تميم أنابوا لـه فعفا عنهم وتغمد ذنوبهم وذلك سنة ست وخمسين .

---

(١) فى بعض النسخ « اصبح بمرسى سوسة »
(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « يتظاهروا »

وتوالت على سوسة بعد ذلك أمراء من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد وانتزعوها من ايدى صنهاجة وإستقرت آخرا تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن ابى العنين(١) الفادعى البعيد الصيت المشتهر بالجود ، ومن يده اخذها النصارى حين اخذوا المهدية من يد الحسن واستولوا على سائر بلاد السواحل ، ولما وصل عبد المؤمن الى افريقية واستنقذ المهدية من يد النصارى وقام اهل كل بلد على من عندهم منهم امتثل اهل سوسة ذلك ورحل اشياخهم الى عبد المؤمن ورحل(٢) اليه ايضا جبارة بن كامل المذكور فقدم على اهل سوسة حافظا من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علناس الكومى فطرقهم اسطول النصارى ثانية وهم على غرة فاستولى على البلد وقتل من اهله من قتل وسبى من سبى وخرب البلد تخريبا عظيما لانه لم يبن على الاقامة فيه واسر الحافظ المذكور واهله وولده وتوجه بهم الى صقلية فاقاموا بها مدة ثم افتدوا(٣) بعد ذلك وخرجوا(٤) ومن حينئذ إستولى الخراب على مدينة سوسة وهلم جرا

وكفى فخرا لسوسة ان المنستير الذى وردت الاحاديث فى فضله محرس من محارسها ومنسوب اليها ، روى أبو العرب محمد بن احمد بن تميم فى كتاب الطبقات من تاليفه بسنده الى سفيان بن

(١) فى بض النسخ « ابى العين »
(٢) فى بعض النسخ « وصل »
(٣) فى بعض النسخ « افتقدوا »
(٤) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « ورجعوا »

عيينة عن عبد الله بن دينار(١) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنة، وبسنده الى خالد بن معدان(٢) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمدينة قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد فى آخر الزمان من كل موضع فكأنى اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية

وبسنده عن عباد بن كثير عن ليث بن ابى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله ، وعباد بن كثير الواقع فى هذا السند متروك الحديث عندهم ، وليث بن أبى سليم لا يحتج به من كتاب ابى العرب(٣)

وبسند أبى العرب الى عبد الرحمان بن زياد بن أنعم عن مطرف ابن عبد الله قال : المنستير باب من أبواب الجنة فبينما هم فى الصلاة اذ سمعوا هدة(٤) فبعثوا رسولهم ليأتيهم بالخبر فما لبثوا ان انصرف فقالوا له ما صرفك؟ فقال لهم : سيرت الجبال فيخرون سجدا لله فيقول الله تعالى يا اهل المنستير لولا ان كتبت الموت على خلقى لأدخلتكم

---

(١) فى بعض النسخ « ابى يسار » انظر طبقات ابى العرب — ص ٣ — ونزهة الانظار لمقديش ج ١ — ص ١٩٧

(٢) كذا ورد فى جميع النسخ ولا ذكر لخالد بن معدان في ميزان الاعتدال

(٣) انظر طبقات ابى العرب — ص ٢

(٤) فى بعض الروايات هدتا بدل هدة

الجنـة يعنى قبل المـوت فتخرج عليهم ريح صفراء مـا بـين القبلـة والمشرق فتخـرج ازواجهم من الحـور العـين وخدمهم(١) . وعبـد الرحمان بن زياد ايضا متروك الحديث ضعفه ابن معين والبهلول بن راشد ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : جاءنا عبد الرحمان بن زيـاد الافـريقى بستة احـاديث رفعهـا الى النبى صلى الله عليـه وسلم لم اسمع احدا من العلماء رفعها وذكرها

وبسند ابى العرب الى سفيان بن عيينة موقوفا عليه قال : الفضل فى ثلاثة مواضع : المصيصة باب من ابواب الجنة ليحشرن منها يوم القيامة سبعون الف شهيد ، وعسقلان باب من ابواب الجنة، وموضع هنالك بالمغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل فى البحر الى جانبه سبخة على تلك السبخة قنطرة من قنـاطر الاولين يحشر منها يـوم القيامـة سبعون الف شهيد(٢) وفى كتـاب الرقيق قـال : يقـال ان بافريقية ساحلا يقال له المنستير هو باب من ابواب الجنة وبها جبل يقال له ممطور هو باب من ابواب جهنم انتهى كلام الرقيق. وهذا الجبل هو المعروف فى وقتنا هذا بجبل وسلات يسكنه اخـلاط من البـربـر

قال الرقيق وسبب تسميته ممطور ان معاوية بن حديج لمـا وصل الى افريقية نزل على هذا الجبل فاصابه فيه مطر شديد فقال : ان هذا

---

(١) انظر طبقات ابى العرب ـ ص ـ ٥ ـ ٦

(٢) لم نعثر على هذا الحديث فى نسخة الطبقات المطبوعة بالجزائر

الجبل ممطور اذهبوا بنا الى ذلك القرن فسمى ذلك الجبل ممطورا وسمى ذلك الموضع القرن ، واما ما ادعاه ابن شرف فى تاريخه من ان اهل سوسة فى الاصل عبيد لاهل القيروان قال: وذلك انه لما افتتحت افريقية اشتدت اغارة الروم على مدن البحر فابتنيت القصور على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد اهل القيروان ومن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك واستقلوا بمدينتهم فمجرد دعوى حملت عليها العداوة والعدوى ، والواجب ان لا يقبل كلام قروى على سوسى وبالعكس لما صح بينهم من العداوة المتوارثة(١)

ومن شعراء سوسة المتقدمين بالزمان ، المشهورين باصابة غرض الاحسان ، محمد بن الحسين بن ابى الفتح بن ميخائيل القرشى قال ابن رشيق فى الانموذج(٢) : هو من اهل سوسة وسكن القيروان قال : وكان يسلك مسلك قدامة فى انتقاد الشعر ومطالبة الحقائق وربما سهل الفاظه وعبث بملح(٣) كقوله (سريع) :

صُوِّرَ عَبْدُ اللهِ من مِسْكَةٍ ... وَصُوِّرَ الإِنسانُ مِنْ طِينِ
أَبْدعَهُ الخالِقُ سُبْحانَهُ ... كَمِثْلِ حُورِ الجَنَّةِ العِينِ

(١) فى بعض النسخ « المتواترة »

(٢) هو « انموذج الزمان فى شعراء القيروان » ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون - ص، ٦٥: (طبع ليبزيك)

(٣) فى بعض النسخ « تملح »

. . . . (١) سَيْفُ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّين
فِي مِثْلِهِ يُوصَلُ حَبْلُ الصفا (٢) وَتُؤْثَرُ الدنيا على الدِّين

قال ابن رشيق : لم اتصفح هذه الابيات الا مرة واحدة فوجدتها قد علقت بنفسي وخفت على لساني حتى كدت اتهمه فيها لولا علمي به ، قال وكثيرا ما يجرى ذلك فى الشعر المطبوع حتى ان قائل الابيات ربما استراب بها لسهولتها عليه فاسقطها ، وشعر ابن ميخائيل هذا فى الانموذج وغيره كثير مشهور .

ومنهم على بن احمد بن الصفار السوسى قال ابن رشيق : وهو شاعر متسع القافية عالم باللغة فمن قصائده (طويل) :

آنَسْتُ بِالعَلْيَاءِ نَارًا لَهَا سنى لِلَيْلَى بِلَيْلٍ قد دجا وَتَغَضَّنَا
وَمَا أُوقِدَتْ إِلاَّ لِخَابِطِ ظُلْمَةٍ مُضِلٍّ وَضَيْفٍ جاء يَقْتَادُ ضَيْفَنَا
فما بلغنا حتى أكَلَّا وأَلْصَقَا (٣) قَلُوصَيْهِمَا بالأَرْضِ مِن شِدَّةِ الوَنى

قال : وهذا كلام عربى صريح قلما ياتى مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن المتاخرين لا سيما فى مثل هذه القافية ، قال : وانت ترى حال ابى نواس فيها على جلالته وجرأته(٤) . ولابن الصفار المذكور

(١) بياض فى جميع النسخ
(٢) فى بعض النسخ « الصبا » .
(٣) وفى بعض النسخ « والنبا » .
(٤) اشار ابن رشيق الى قصيدة ابى نواس التى يمدح بها الفضل بن يحى بن خالد ومطلعها (طويل)

طرحتم من الترحال ذكرا فغمنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا

انظر ديوان ابى نواس (طبع اسكندر آصاف) ص ٧٥

قصيدة اخرى فى ذكر الشباب والشيب قال ابن رشيق : وهو مليح جـدا (طويل)

أَرَى البِيضَ لاَ يَمْنَحْنَ ذَا البِيضِ مِنْحَةً
سِوَى مِنْحَةٍ تُهْدِي الكَآبَةَ والثُّكْلا

كَأَنَّ لأيَّامِ الشَّبَابِ بَسَالَةً
طَلَبْنَ لِأيَّامِ المَشيبِ بهَا ذَحْلا

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي كالشَّبَابِ وَحُسْنِهِ (١)
أَقَرَّ لأجْفانِ القِيانِ ولا أَحْلَى

وَلا كَبَيَاضِ الشَّيْبِ فِي أَعْيُنِ الدُّمَى
قذى بِئْسَمَا (٢) يَغْشَى القَذَى الاعْيُنَ النُّجْلا

فلا غَرْوَ أن أَرْعَى الشَّبَابَ وعَصْرَه
وَلاَ لَوْمَ أن أَنْعَى المَشِيبَ ولا عَذْلا

قال ابن رشيق : ما رأيت اعجب من البيت الثانى من هذه الابيات اما ينظر الناس الى هذا المعنى الغريب ، والتخلص العجيب فى اللفظ الرائع المتمكن ، والنظم الرائق المستحسن

ومنهم أبو الفتوح بن محمد قال ابن رشيق : نشأ بسوسة وهو

(١) فى بعض النسخ « واهله »
(٢) في بعض النسخ « منزلنا »

من اهلها وشعره سهل وطيء لا يتكلف فاذا تكلف ظهر عليه اثر ذلك ، وانشد له يمدح حسن ابن البلبل متولى سوسة ، وقد رفع عليه مال ، وقيلت فيه اقوال ، فلم يضره ذاك (بسيط)

دُمْ هكذا دُمْ على رَغْمِ العِدَى أَبَدَا
عُلاكَ في اليَوْم تَعْلاها عُلاكَ غَدَا
قَدْ قَدَّرَ اللهُ أَنْ تُعطى مُنَاكَ وَمَا
أَعْطَى حَسُودَكَ إلاَّ البَثَّ (١) والكَمَدَا

ومنهم أبو موسى عيسى بن ابراهيم البسوسى المعروف بالقطان قال ابن رشيق : كان شاعرا مشهورا بالشعر مليح المقطعات كنت اسمع بذكره وهو بسوسة الى ان اجتمعت به فأنشدني بعض شعره ثم قال كيف رضاك عما سمعت فقلت أحسن رضا واتمه فتكلم بكلام جميل ولم أره بعد ذلك الاجتماع وأنشد له في الانموذج (كامل) :

أَهْدَى إلَى الغُصْنِ الرطيبِ قَوامَا
وَإلى فُؤادي لَوْعَةً وَغَرَامَا
ظَبْيٌ أَعَارَ الظَبْيَ مِنْهُ مَحَاجِراً
وَأَعَارَني مِنْ سُقْمِهِنَّ سَقَامَا

---

(١) وفي بعض النسخ « البين »

ما ضرّه لَو كانَ مَعْ كَلَفِي بِهِ

يُهْدي إليّ مَعَ الرِّيَاحِ سَلامَا

قال وهذه الفاظ طيبة ومعان رائقة

ومنهم عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسى ويعرف بابن الفطاس قال ابن رشيق : هو من أبناء سوسة ومستوطنيها وهو شاعر متدرب قد جمع الى زقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد وأنشد له (طويل)

كَمْ لَيْلَة جَاذَبْتُ مِن راحَتِي بها
نُهودَ الْعَذارَى في قَمِيصِ الدُجَى الْوَحْف

وبِتُّ يُعَاطِينِي العُقَارَ مُهَفْهَفٌ
هَضِيمُ الْحَشَا مَخطوفُهُ وافِرُ الرِّدْفِ

وأظْمَا فَأَسْتَسْقِي ثَنَايَاهُ ظَامِئاً
فَتُغْنِي (١) ثناياهُ عَنِ القَهْوَةِ الصِّرْفِ

وَأَجْفَانُ دَهْرِي مُغْضِيَاتٌ عَلَى القَذَى
وأيَّامُهُ يُقْطَعْنَ باللّهوِ وَالقَصْفِ

وأنشد له أيضا يصف خيارا (مخلع البسيط)

---

(١) فى بعض النسخ « تنوب ثناياه »

جِسْمٌ لُجَيْنٍ يكادُ يَجْرِي ... لَوْلاَ تَرَدِّيهِ ثَوْبَ سَامِ
ما اعْتَرَضَتْهُ العُيُونُ إلاَّ ... رَأَتْ بِهِ مَقْبِضَ الحُسَامِ

ومنهم محمد بن عبدون السوسي قال ابن رشيق : أصله من القيروان ، وهو من أكابرها، وابوه هو المنتقل الى سوسة ، قال : وهو شاعر وطيء الكلام كلف بعذوبة اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد بلطافة وسكون جأش لا يكاد يلغى بالشعر الا قال ، وكانت له رحلة الى ثقة الدولة يوسف(١) بن عبد الله يعني الى صقلية فامتدحه وأضافه الى ولده جعفر فأدناه وقربه وكان من أكرم الناس عنده وسأله الرجوع الى وطنه ورفع اليه قصيدة يتشوق فيها معاهده منها (سريع)

بالله يا جبل المعسكر دع ... ريح الجنوب لعلّها(٢) تسري
كيما أسائلها فتُخبِرني ... ما يفعل الجيران بالقصر
يا قصر طارق الّذي طرقت ... أحشاي فيه بلابل الصّدر
والله ما قصّرتُ عن قلق ... لكنّني قصّرتُ بالقسر
فسقاك منهل الحيا وسقى ... عصراً تقضّى فيك من عصر

---

(١) هو ابو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي المتولى أمر صقلية للعزيز بالله سنة ٣٧٢ انظر كتاب اعمال الاعلام للسان الدين الخطيب ص ٤٧٩ من طبعة بالرمو سنة ١٩١٠

(٢) في بعض النسخ « ترتأو »

يا رَبع كم لي فيك من غُصن ... يهفو صِبَاه به وكم بدرِ
ومُناسبِ الأوصاف أثقله ... حِقْفٌ يكاد ينوء بالخَصْرِ
قد طالما عُقِدت قلائده ... منّي مكانَ قلائد النحْرِ
ولثمتُ صدراً فاح عنبرهُ ... من غير ما طِيب ولا عطْرِ
وضممتُ أنفاسي عليه وقد ... أشفقت من نَفَسي الّذي يسري
وكأنّ صدري لا ضلوع له ... وكأن قلبي بانَ عن صدْري
أُعطِي عهودَ الله صفقة مَن ... أعطَى العهود بجانب الحِجْرِ
لو أستطيعُ سبحتُ من طَرَب ... شوقا إليك سوادَ ذا البحْرِ
حتّى أُقبّل جانبَيْك كما ... قبّلتُ فيك مراشفَ البدْرِ
وأفيضُ أجفاني لديك كما ... فاضت عليك وما بها تدْري

قال ابن رشيق : رقة الشوق ظاهرة على هذا الشعر ولطف الحضارة مع مياه تكاد تنبع من جانبه فهو أندى من الزهر غب القطر، وأحلى من الوصل بعد الهجر ، قال ولما سمعها جعفر ازداد به اعجابا وفيه رغبة فمنعه من السفر فكتب الى ثقة الدولة يسأله فيما سأل فيه ولده ويشكر ما ناله من الجود ويذكر وطنه أيضا (بسيط)

يا قصْرَ طارق هَمّي (١) فيك مقصورُ
شوقي طليق وخطْوي عنك مأسورُ

(١) في بعض النسخ « حبي »

إنْ نام جارُكَ إنّي ساهرٌ أبدا
أبكي عليك وباكي البَيْن معذورُ
عندي من الوجْد ما لو فاض من كبدي
إليك لاحترقت من حولك الدورُ

ومدح فيها ثقة الدولة فلم يجد عندهما ما يشتهي فخرج عنهما مسارقة قال ابن رشيق : ومن ملح ما رأيت له قوله لجعفر حين استأذنه في الرجوع الى وطنه فعتب عليه وحجبه (طويل)

ولمّا رايتُ البدرَ قمتُ مسلِّما عليه وأظهرتُ الخضوع لديه
وقلتُ له إنّ الأمير ابن يوسف شبيهُك قد عزّ الوصول اليه
فكن لي شفيعا عنده ومُذكِّراً اذا جئته تبغى السلام عليهِ

قال فكتب هذه الابيات ولقيه بها في منتزه له فطرب وأعجب بها اعجابا شديدا وأمر له بمال كثير ، قال والابيات مأخوذة من قول ابن الرومي (كامل)

بالله يا قمر السما كن لي لمن أهوى شفيعا

قال ومن عجيب كلامه قوله (متقارب)

أتَبْصُرُ ام انت لا تَبْصُرُ هو الحبُّ يجري بما يُقْدَرُ
تذلّل وكن خاضعا خاشعا فذلُّ الهوى عزُّك الاكبرُ

ولا تُنكِرَنّ احكام الهوَى ... فأَحكامُه فوق ما يُنْكَرُ
إذا عزّ دمعٌ فأغر الهوى ... به وابْكِ إنّ البكا أَعْذَرُ
أَيا واحد الحسْن أَوحدْتَني ... لِما بي وإن كان لي مَعْشَرُ
يحامون دوني ولكن حِمى ... فؤادي أُبِيحَ ولم يشْعُرُوا
عزمتَ (١) بهجري وغَرَّقْتَني ... بدمعٍ يفيض ولا يقطُرُ
وعايَنْتَني (٢) كيف أَشكو الهوى ... كما يشتكي فَقْرَه المُعسِرُ

قال ابن رشيق : لله خفة أنفاس البغداديين النفيسة لم يخنها طبع ولا أعجزتها صنعة ، ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن الاحنف ظريف الشعراء لامتزج بـه امتزاج الخمر بالماء ، والنور بالهواء ، ولابن عبدون فى ملعب سوسة وهو مما أنشد ابن رشيق (خفيف)

أين من شاد ذا ومن رفع السَمْـ ... ـك وأعلاه فوق ما يحتاجُ
أَين ذاك الملكِ الشديد الّذي كا ... ن وذاك الرَواح والإدلاجُ (٣)
أين تلك الخدور أين بُدُورٌ ... حجبتها الجيوشُ والأعلاجُ
أين اربابهم ومن رفع التا ... ج على رأسه وأين التاجُ
ضمّتِ الارضِ والبلاد عليهم ... فطَوَتْهم وطَيها إدماجُ

(١) فى بعض النسخ « عذبت »
(٢) فى بعض النسخ « علمتنى »
(٣) ورد الشعر فى الحلل السندسية (ص ١٢٢) بزيادة بيت بين هذا البيت والذى يليه والمزيد هو :
اين ذاك الدهم الذى يرجف الار ... ض جيوشا يضيق عنها الفجاج

طحنتهم طحن الرحا فاذا الانـ ـسان والدهر صخرة وزجاج

ومنهم عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسى الكاتب لم يذكره ابن رشيق ، وذكره ابو الصلت (١) فى الحديقة وانشد له (طويل)

هممتَ بأن تخفى بقايا شيبة كغرّة ليل أَو حُشاشة مهزوم
ترى الشعرات السود والبيض حولَها
كمثل أسارى الزنج في عسكر الروم

وأنشد له فى عود نشابة اتخذ نصابا لمذبة(٢) (خفيف)

لّيالي في نقض حالي عظاتٌ حار في وصفها ذَوو الألباب
صرتُ في الحوص بعد لبس الخوافي واعتمادي بأزرقٍ كالشهاب
بعد ذبّ الكُماة في جومة (٣) الـ ـعز (٤) تنقّاتَ بي لذبّ الذُبابِ

وله مما لم ينشده ابو الصلت (سريع)

نذرت لله إذا ما التقت شفاهُنا بعد النَوى للقُبَلْ
صومي على الرّاح سوَى ما حوى مبسمُها العذبُ وَراح المُقَلْ

---

(١) وفى النسخ التى بايدينا : ابن الصلت ، هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز صاحب الحديقة فى شعراء الاندلس المتوفى بالمهدية سنة ٥٢٩ نسج فى تاليفه على منوال الثعالبى فى يتيمة الدهر
(٢) سقط فى بعض النسخ
(٣) وفى بعض النسخ ، حومة
(٤) وفى بعض النسخ ، العز

ولـه (بسيط) :

عيني دَهَتْنِي (١) والعين الـكَحيلة مـع
عـين الـرقيب واخـذُ الـنـاس بـالعينْ
هبْنـي اتّقيـتُ عدّوا مَـنْ لـأ زبـة
ما أَجلب العين مذ كانت إلى حَـيْـني (٢)

ومنهم التـراب السـوسى ذكـره عمـاد الـدين الاصبهـانى فى « الخريدة » وأنشد له من قصيدة يمدح بها جبارة بن كـامل المتولى على سوسة وقد قدمنا الخبر عن تملكه لها (رمل)

بـات بـالابرق برق يـتسامَـى فجفا الجفنُ لرؤيـاه (٣) المناما
طـلعت رايـاتُـه خـافـقـة خفَقـان القلب أمسى مستهـاما
بِذمـام الـحبّ يـا برقُ عسى لك عِلمٌ حبهم أَعْيا الأَنَاما (٤)
أَنِسوا عـامـا فلمّـا ملكـوا رِقّ قلبي أَوحشوا عامـا فعـاما
واستمـالونـي بوصـل خـادع فـكما مِلْتُ راوا وصْلي حرامـا

ومنها فى مدح جبارة :

وإذا ابصرتَـه أكْبرتَـه وإذا خاطبتَ خاطبتَ هُماما

---

(١) وفى بعض النسخ « هدتنى »
(٢) وفى بعض النسخ « الى الحين »
(٣) فى بعض النسخ « واقـراه »
(٤) فى بعض النسخ « حبهم اين اقـام »

وإذا استصرخت في حادثة فعلى الحادث جردت حساما

وله فيه هذه القصيدة التى اولع أعراب زماننا بانشادها ، وكثرة تردادها ، ولاجل ذلك ذكرناها بكمالها وان كان فيها بعض طول فان الحسن غير مملول : (مجزوء الرجز)

سلّم على ذي سلم مغنى الهوى المستغنم (١)
وقف بها مسائلا عن ساكن والخيم
واستمطر العين بها صوب دموع ودم
فهذه اطلالهم مندرسات الأرسم
وهذه عراصهم مستوحشات المعلم
كأنهن أسطر في كتب لم تفهم
لم تبق منهن الصبا وواكفات الديم
سوى ثلاثة صائما ت قائمات جثم
واشعث مطرح بربعها المهدم
اضحت خلاء بلقعا بواليا كالرمم
لا تسمع الاذن بها إلاّ نعيب الاسحم
إلى صرير جندب إلى عواء ديسم

(١) كذا في جميع النسخ

إلى ضبيح ثعلب　　إلى زئير ضَيْغَمِ
ولا ترى العينُ سِوى　　خَـدَرْنق مُخَيِّمِ
وشَوْذق ونِقْنِق　　ولَقلَق وشَيهَمِ
بعد السرور والمُنى　　والآمل المتَمَّمِ
والغانيات كالدُّمى　　يسحبن كلّ معلَمِ
من ابيض محبَّر　　واخضر منمنم
واحمر معتَّق　　واصْفر مسهّم
من كل خَوْد كَحلت　　مُقلتُها بالسّقَمِ
جبينُها من قمر　　وفرعها من ظُلَمِ
وقدُّها من غُصُن　　وخدُّها من عَندَم
يلوح في بنانها　　وكفّها والمعصم
رقمٌ من الوشْمي في　　سِلخ اديم الأرقم
تفترّ عن مَفلج　　عَذب الثنايا شَبِم
مفضَّض مذهَّب　　مدبّج مرسم (١)
حُلوِ اللَّمى وإنّما　　لَحظي جناه لا فَمي

(١) فى بعض النسخ « موشم »

من كـل رِئـم مائس　　كالغُصن المنعَّـمِ
وِصالُـه من سـكر　　وصـدهُ من عـقـمِ
مبـتـسِم عن جوهر　　في عَسجَـد منَظمِ
إن ضـاء فى بـرقعه　　كالمشرَفيّ المِخـدَمِ
قامت لـه مـدامعـي　　مقام مهراق الـدمِ
سقيـا للـذاتي بهـا　　وعيشي المـنصَرِمِ
أيّـام كانت لِمُنـي　　مسَوّدة كالحُمَـمِ
وقـامتـي قـويـمـة　　شبـابهـا لم يَهـرَمِ
والدهرُ لم يخطُ الى　　مسـاءتـي بقَـدَمِ
فـلا نهانـي عـذلي　　ولا لحانـى لـومـي
ثـم انقضَـت بسرعة　　ايـامُ ذاك الموسِمِ
كانـنـي كنت ارى　　عيشـي بـه كالحـلمِ
يا ربـع أحباب نـأوا　　عن مـدنف متيـمِ
إنعَـم صباحا واسلـم　　سُقيتَ نوء المِرزَمِ
إن لم أمـت من أسف　　وحَسـرة عـليـهـم
كذبت في دعوى الهوى　　لست بهـم بـمغرَمِ

كانني بالوصل مِن احبّتي لم أنعَمِ
ولم ابت رَيّان مِن رَشفِ عقار المَبْسِمِ
في ليلتَين ليلتي وليلِ شَعر اسحَمِ
ما بَيْنَ تفاحِ الخدو دِ العاطر الموشمِ
وبين رُمّانِ النهو دِ الارج المكرّمِ
في فرُش وَثيرة لم تفترش للحَرَمِ
حتى تولّى الليل في خميسه المنهزمِ
وأقبل الصباح في جَحفله العَرمرَمِ
كأنه لمّا بَدا يشرِق تحتَ الظلَمِ
وجهُ الامير ابن الامير الاكرم ابن الاكرم
جبارة بن كامل سَيْف النَدى والكَرَم (١)
الفارس الذي إذا أسْرِج كلُ شَيْظَمِ
وسلّ كل مرْهَف وطرَّ كلّ لَهْذَمِ
وأضرِمت نارُ الوَغى وفَرَّ حامي الحَرَمِ
واشفق الابطالُ من وقع القَنا المقوّمِ

(١) فى بعض النسخ « سقف الندى »

وخشْرجت نفسُ الجبا ن من كريهِ المقْدَمِ
وافى عل ظامي الحَشا عَبْلِ الشّواء مقرَمِ (١)
من الهلال مُسْرَج من الثريّا مُلْجَمِ
من الضحَى مجلل من الصَبا مجسمِ
مقلدا بصارِمِ عَضبِ المَضاء مِخذمِ (٢)
ثمَّ انثنى يسبَح في بحر الردَى الملتطِمِ
فأجْفلوا أمامَه بعضا على بعضهِمِ
كأنه ضياغمٌ سطت بسرب الغنمِ
حتى إذا الليل دجا وانهل صوبُ الدِيَمِ
و وَعْوع السِرحانُ من طول الطَوَى المُخَيِّمِ
وجئت معترًا الى منزله في العَتَمِ
ألفَيته خير فتى طرفتَه في الظلَمِ
يلقاك من قبْل النَدى بالبِشر والتبسمِ
إلى (٣) كريم خِيمهُ سمح وفِيِ الذِمَمِ

---

(١) فى بعض النسخ « مقدم »
(٢) فى بعض النسخ « المهز » وفى بعضها « انها » عوض « المضا »
(٣) فى بعض النسخ « السوى »

آراؤُه في الحادثا ت نُفَّذٌ كالاسْهُمِ
وحلمُه (١) أمنعُ من رَضْوَى لكلّ مُجْرِمِ
وخُلْقُه أحسن من بُرء بإثر السَقَمِ
نما به (٢) الى الفَعا ل والمَقام الاعظَمِ
صِيد من العرب الأُلى كانوا ملوكَ الأُمَمِ
وكانت الارض ارتَوَت منهم بجود ودمِ
من دير سمْعان (٣) الى نجد بوادي إضَمِ
بجانبَي وادي القُرى فالدَّوح من ذي سَلَمِ
ثم انقضَوا وذكرُهم كالشهْد في كلّ فَمِ
من بعد ما أَوصوا بنيـ ـهم مُكْرَماً عن مكْرَمِ
بالصبر في وقت الوَغَى والكفِّ عند المغْنمِ
فجاء يقفو مجْدَهم وحُسْن تلك الشِيَمِ
يا حاسِديه انتبِهوا من رَقْدة التوهمِ
أَتطمَعون في علا قد حازها او همَمِ

(١) فى بعض النسخ « حمله »
(٢) فى بعض النسخ « نهى »
(٣) انظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ـ ١٣٩

كَلّا ولو رَقِيتُمُ ... الى السما بسُلَّمِ
أَبا عِنان زِد علا ... على محلّ الانجمِ
أَقسمتُ بالبيت الحرا ... م والصَفَا وزَمْزَمِ
لأَنْتَ من بعد النبي ... ء المصطفى المكَرَّمِ
وآلِه وصحْبِه ... اهلِ الوَفا والذمَمِ
أَجل مَن تحت السما ... ء من جميع الأُمَمِ
لو كنت يا ابن الاكرمي ... ـن في الزمان الاقْدَمِ
لأُنزِلَت في فضلك الـ ... ـمكمَّل المتمِّمِ
مفصَّلات سوَر ... من الكتاب المحْكَمِ
انت الذي لو لم اكن ... من عزّه في حَرمِ
ماقلت (١) للدهر الظلو ... مِ الجائر المحتَكِمِ
يا دهر ان شئتَ فصِلْ ... حَبْلَي أَوشِئتَ اصْرمِ (٢)
وان تشأْ لِن واستقمِ ... وان تشأْ جرْ واظلمِ
فما أُباليك ولا ... أَلْقَاك كالمستلِمِ
اني من ابن كامل ... ذي البأْس والتكرمِ

---

(١) في بعض النسخ « لقلت »
(٢) في بعض النسخ « حبالى او اصرم »

في ظِلّ سيف مُرْهَفٍ ونــائل منسجِمِ
وعزّة قــد خيّمت بين السُهى والمِرْزَمِ
قد رُفِعَتْ من الثَرى الى الثريّـا قَـدَمِي
فالنجم لي مُجـالِس كأنّـه من حَرَمِي
والسعدُ لي مساعد كأنّـه من خَدَمِي
هو الّذي لوْ أَمّهُ كلُّ الوَرَى لم يَسْأَمِ
ولو سَخَا بنفسه لِسائل لـم يَنْدَمِ
علّمني الجود بمـا قلّدنـي من أنعُمِ
فَرُحت والدينارُ في يَدَيَّ مثل الدّرهَمِ
فإن غدوتُ مادحا لغيره من عَـدَمِ
فجـائزٌ ضرورة على حدودِ الحَرَم
كالماء ان عدِمْتَه صلّيتُ بـالتيمم
لاجعلنّ ما حييـت ذكرَه شُغْلَ فَمِي
وان أَمُتْ فشكرهُ في القبر شغْلُ أعظمي
لا زال طُول عمرِه مؤيّدا بالعِصَمِ (١)

---

(١) في بعض النسخ « موفرا بالعمم »

مستمسكا من سعده   بعُروة لم تُفْصَم
ربوعه مأهولة   بسابغات النِعَم
وسُمْرُه مُخمرَّة   من العُداة بالدم
ما اومضت بوارقٌ   في جنح ليل مظلِم
وما شَدَت حمائم   على فروع السَّلَم

وممن ينسب الى سوسة هذه شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسى قديم المولد كان يسمى ملحق الاباء بالابناء لطول أمده وقدم مولده توفى بتونس فى الثانى والعشرين لذى القعدة سنة اثنتين وستين وستمائة وأنشد له ابن سعيد فى خزانة الادب (متقارب)

عكفنا على الكاس في جنّة   نحا كي بها ميلَ أغصانِها
ورسْلُ النسيم بها سُحْرة   تحَرّش ما بين رَيْحانِها
أظنُّ تغاريدَ الحانِها   زهتْها فاصْغَت بآذانِها

ولابى عبد الله شعر حسن والموجود منه قليل ، ومنه قوله من بداية قصيدة يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ المقدس أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص (كامل)

جرّدتَ عزمَك صارماً مسلولا   ماءٌ ولكن ما يَبلّ غليلا

وقوله يخاطب بعض الرؤساء وقد قدم لـه فرس أشهب حديدى لركوبه(١) (كامل)

إِرْكَبْ بِإِقبال السعـادة أشهباً ... مثل الصَّبـاح إِذا يشوب الغَيْهَـبَا
مـا شاب من مَـرّ السنين وإنّما ... لاقى سنا كَفَلَاح(٢) يحكي ٱلأَشْيَبَا
قد أَلجموه بالثُريّا فانهوى (٣) ... ينقضّ في ليل العجاجة كَوْكبا

وكان يداعب طلبته من اهل تونس بسؤالهم عن قـول الشاعر (خفيف)

لا تلُمْني على الـــــدناءة إِنّي ... تونسيّ وجُزْتُ يوماً بسوسة (٤)

اى البلدين يقتضى الشعر ان يكون اعظم دناءة؟ فيقولون له سوسة، وهذا البيت ذكره جعفر بن شرف فى تاريخه كما انشدته ، وسمعت كثيرا من اشياخنا يقولون انه مغير وان البيت المشهور انما هو غير ذلك مما اضربنا عن ذكره

ونختم هـذا الفصل من ذكر سوسة وشعرائها بحكـاية ذكرها الحميدى فى تاريخه (٥) قال : اخبرنا بعض اصحابنا بالاندلس عن سليمان بن محمد المهرى (٦) الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل

(١) فى بعض النسخ « يريد ركوبه »
(٢) فى بعض النسخ « مراح »
(٣) فى بعض النسخ « اعتدى »
(٤) فى بعض النسخ « وقد مررت بسوسة »
(٥) هو ابو عبد الله محمد بن ابى نصر الحميدى الاندلسى صاحب جذوة المقتبس فى تاريخ الاندلس المتوفى سنة ٤٨٨
(٦) فى بعض النسخ المهدوى

اديب شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه ، قال فبينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قبس نار ويحرق عليه داره لتجنيه عليه فقام من حينه وفعل ذلك واتفق ان رآه بعض الجيران فبادروا النار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموه فاحضره القاضي وساله عما فعل فانشا يقول (مخلع البسيط)

لمّا تمادى على بِعادي — وأَضرم النارَ في فؤادي

ولم أَجد من هواه بُدًّا — ولا معينا على السُهاد

حملتُ نفسي على وقوفي — ببابه حملة الجَوادِ

فطار من بعض نار قلبي — أَقلُّ في الوصْف من زِناد

فأَحرق الباب دون عِلمِي — ولم يكن ذاك عن مرادي

قال فاستظرفه القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود وخلى سبيله

قال الحميدي : كنت اظن ان هذا المعنى مما تفرد به هذا الشاعر حتى حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بالفسطاط قال : قال لنا القاضي ابو الحسن ابن صخر اخبرني بعض شيوخ البصريين ان ابا القاسم نصر بن احمد الخبزارزي الشاعر (١) دخل على ابي الحسن

(١) هو نصر بن [illegible] كانت حرفته خبز خبز الارز في دكانه بمربد البصرة فلقب بالخبزارزي ترجم له الثعالبي في الجزء الثاني من اليتيمة ص ١٣٢

ابن المثنى فى اثر حريق المربد فقال له هل قلت فى هذا شيئا فقال ما قلت شيئا فقال او يحسن بك وانت شاعر البصرة والمربد اجل شوارعها واعظم اسواقها ولا تقول فيه شيئا فقال ما قلت شيئا ولكنى اقول الان وانشا مرتجلا(١) (متقارب)

أَتتكم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أَن تَجْحَدوا
فيا مِربديّون ناشدتكم ... على انّني منكم مُكْمَدُ
جرى نَفَسي صَعَدا نحوكم ... فمن اجْل ذا احترق المِربَدُ
ولولا دموع جرت لم يكن ... حريقكم أَبداً يُخْمَدُ
وهاجت رياحُ حنيني لكم ... فظلّت بها نارُكم تُوقَد

قال الحميدى : فاتى بالمعنى وزيادة وذكر هذه الحكاية ابن بشكوال فى الصلة ناقلا لها عن الحميدى (٢)

فاقمنا بظاهر سوسة يوم الجمعة كما تقدم ويوم السبت والاحد بعده بسبب بعض من تاخر عن صحبتنا من الاجناد وانتقلنا عن سوسة صباح يوم الاثنين ففارقنا بمفارقتها ارض دلاج وابتدانا بالسلوك فى ارض حكيم وطرود وكان نزولنا فى هذا اليوم بمنزلة بين زرمدين وجمال وزرمدين مفتوحة الزاي ساكنة الراء مكسورة

---

(١) اورد ياقوت الحموى الحكاية والابيات (مع اختلاف ما فى الرواية) فى معجم البلدان ج ٤ ص ٤٨٣ وكذلك النزولى فى مطالع البدور -

(٢) انظر كتاب الصلة لابن بشكوال ص ٢٠٤٠

الدال المهملة وجمال مفتوحة الجيم مشددة الميم ، وبزرمدين حصن حصين اسفله حجارة واعلاه طين ياوى اليه اهله وبخارجها مقبرة الشيخ ابى محمد عبد السيد الزرمديني من اهلها يذكر عنه صلاح وفضل زرنا قبره ودعونا عنده واكتنفنا فى اثناء هذه المرحلة من اليمين والشمال قصور متفرقة وقرى كثيرة قد أخلتها العرب واجلت ناسها .

وهنالك قصور الوردانيين وهى القرية التى ازمع اهلها على قتل الشيخ الصالح ابى يوسف الدهمانى(١) رحمه الله ايام سكناه بمسجد غانم على قرب منهم واتفقوا مع بعض العرب فظهرت له معهم الكرامة المشهورة ولقيه العربى فخر عن فرسه لاثما قدمى الشيخ طالبا منه الدعاء وعرفه القضية وسال منه ان يركب فرسه فاسعفه بذلك وقال له : يا بنى علم الله ضعفى وقلة قدرتى على المشى فاتانى بك وتاب العربى وحسنت حاله ، ينسب الى الوردانيين هذه ابو محمد يونس بن محمد الوردانى كان صالحا جليل القدر ثبتا فى روايته اخذ العلم عن سحنون بن سعيد وصحح عليه جميع كتبه ودعا الله تعلى ان يخمل ذكره فكان لا يولد له

ولما دخل عبيد الله الشيعى افريقية وغلب التشيع على اهلها جمع ابو محمد هذا اهله وقال لهم ان امر هؤلاء القوم قد أشتهر فاما ان

---

(١) ترجم له الدباغ فى كتاب معالم الايمان ج ٣ - ص ٢٦٣ - ٢٨٩ وافرد له الدباغ كتابا على حدة توجد منه نسخة خطية فى خزانة الجزائر عدد ١٧١٨ ونسخة بمكتبة ح - ح - عبد الوهاب بتونس

تتركونى أفر بدينى الى بلاد لا حكم لهم عليه واما ان أحمل نفسى على (١) الاشتغال برعى البقر لعلى أسلم من فتنتهم فعظم ذلك عليهم ثم راوا ان رعى البقر خير لهم من مفارقته فاجابوه الى ذلك فكان يحمل مصحفه معه ويبعد عن العمران ويقبل على القراءة فاذا جن الليل اقبل بالبقر الى منزله وربما اراد بعض الناس زيارته فاذا رآهم من بعد صاح وهرول يريهم أن فى عقله اختلالا توفى سنة تسع وتسعين ومائتين

ثم انتقلنا من مناخنا ذلك يوم الثلاثاء فنزلنا بالحصن المعروف بالجم (٢) وهو اعظم حصون افريقية واشهرها على القدم وليس بافريقية بعد الحنايا التى بقرطاجنة بناء اضخم منه ولا اعجب ، وشكله مستدير وارتفاعه فى الهواء مائة ذراع . وذكر البكرى ان تكسير دائرته فى الارض ميل (٣) ويقال ان الكاهنة المعروفة بكاهنة لواتة حصرها عدوها بهذا الحصن فحفرت منه سربا فى الحجر الصلد نفذت به الى مدينة سلقطة وكانت اختها هنالك فكان الطعام يجاء به اليها فى ذلك السرب على ظهور الدواب

ولما قتل بافريقية زهير بن قيس البلوى وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان عظم عليه فاستشار المسلمين فيمن يوجه لافريقية عوضا عنه فاشاروا عليه بحسان بن النعمان فتوجه حسان لافريقية بجيش

---

(١) فى بعض النسخ « ان احمل نفسى بالاشتغال »
(٢) فى بعض النسخ « بالاجم »
(٣) انظر البكرى ص ٣١

يقال انه لم يدخلها جيش للمسلمين اضخم منه فحاصر قرطاجنة وافتتحها وخربها وتوجه الى هذه الكاهنة فهزمته واسرت كثيرا من فرسانه واتبعته حتى اخرجته من قابس ، فكتب بالهزيمة الى عبد الملك وسار الى دمشق مشيا رويدا طمعا ان يلحق به من افلت من المسلمين فعاد اليه جواب عبد الملك يأمره أن يقيم حيث وافاه كتابه ولا يبرح منه فوصل اليه الكتاب وهو ببرقة فأقام هناك وابتنى بها القصور المعروفة به الان الى ان وصل الجيش اليه من قبل عبد الملك فعاد الى افريقية واخذت الكاهنة في قطع الشجر وتغوير الماء لتزهد المسلمين في افريقية ، وقد علمت بكهانتها انها ستقتل فامرت ولديها بالتوجه لحسان ففعلوا ووقع اللقاء حتى ظن الفريقان انه الفناء وانهزمت وتبعها حسان حتى قتلها عند البئر المنسوبة اليها ، وعقد حسان لابنيها (١) على البربر فاتخذهم اجنادا مع العرب فلم ينازعه احد طول حياته

ويروى ايضا عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما بعثه عثمان رضى الله عنه الى افريقية فلقي جرجير وكان من قتل عبد الله بن الزبير له ما كان اصاب الروم رعب شديد فلجؤوا الى الحصون والقلاع فاجتمع اكثرهم بهذا الحصن فطلبوا من عبد الله بن ابى سرح أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهبا على ان يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم وقبض المال ، وكان من

(١) وفى بعض النسخ « لاخيه »

شرطه ان ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما اصابوه بعد الصلح ردوه يريد والله اعلم بعد الصلح وقبل علمهم بـه •

وقد قاتل اهل هـذا الحصن يحى بن اسحاق الميـورقى فاعيـاه وارتحل عنه خائبا ويـذكر انهم رمـوه منـه بعـد الحصر الطـويل بالسمك حيا وانهم جلبوه من ذلك النقب النافذ الى سلقطة فحينئذ أيس منهم وارتحل عنهم ، والى جانب هذا الحصن قريـة عـامـرة بها جنات ومزارعات متسعة ومسجد جامع واسواق نافقة يسكنها قوم من البربر كانوا قبل هذا ساكنين بقصر مليتة من ارض زوارة وقـد رأيته وسيأتى ذكـره بعد هـذا فأخلته العـرب واجلتهم منـه فسكنوا بهـذه الارض ، ومـاء هـذا الحصن فيما ذكـر فى بئـر شروب وانما كان وردنا فيه من غدر غادرها(١) المطـر هنالـك

ومن هذا الموضع ظهر لنـا الكـوكب المعـروف بسهيل وليس يظهر بتونس ولا ما قاربها وانما مبدأ ظهـوره فيما يظهر فيـه من ارض افريقية لمن وصل من المغرب مشرقا بهذا الموضع فمـا سامته من ناحيتى الجنوب والشمال ، ويقـال انـه لا يظهـر فى شىء من جزيرة العرب كلها ولا فى شىء من بـلاد الاندلس الا فى جبـل سهيل من اعمال مالقة وبـه سمى الجبل واليـه ينسب أبـو القاسم السهيلى العـالم الفاضل (٢)

---

(١) فى بعض النسخ « غادرتها »
(٢) هـو ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد السهيلى صاحب كتـاب الـروض الانـف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام

وجزم عاصم فى كتاب الانواء بأنه لا يظهر فى شىء من بلاد الاندلس البتة ، وهو كوكب منفرد من الكواكب لا يقطع الى الغرب كسائرها ولكنه يطلع من افق القبلة شيئا يسيرا ثم يغيب فى ذلك الافق ولذلك قال جران العود (طويل)

أُراقبُ لَوحاً من سُهَيل كأنّه إذا ما بدا من آخرِ الليلِ يَطْرِفُ
يُعارض عن مجْرى النجوم وينتمي كما عارض الشَوْلَ البعيرُ المؤلَّفُ

يشبهه لاعتزاله النجوم وميله عنها ببعير ضم الى ابل وليس منها فهو يتف منفردا عنها ، وقال ابو العلاء المعرى يصف متغربا فى البلاد مائلا الى الانفراد (وافر)

كأنّك من كواكبه سُهَيل إذا طلع اعتزالاَ وانفرادا (١)

ومبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من بلاد افريقية عند الفجر فى السابع من شهر شتنبر ، وعلى قريب اذا كانت الجوزاء سحرا فى وسط السماء رئى سهيل فى المواضع التى يظهر منها واذا كانت غائبة او هابطة فى أقصى المشرق لم ير وهو من الكواكب اليمانية ولذلك قال عمر بن ابى ربيعة فى الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر بن عبد شمس لما تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان (خفيف) (٢) :

---

(١) انظر التنوير ج ١ — ص ١٦٩
(٢) انظر كتاب الاغانى ج ١ — ص ٩٤

أيها المُنْكِح الثريّا سُهَيلا عمْرك الله كيف يلتقيان
هي شاميَّة إذا ما استقلّت وسهيل إذا استقل يماني

وفيه فيما يظهر لناظره احمرار واضطراب شديد وذلك لقربه من الافق فان الكواكب تكثر حركاتها هنالك وكلما ارتفعت قلت حركاتها وقد تعرض لها حركة ايضا وهى مرتفعة اذا كان فى الهواء تموج وقد قال ابو العلا المعرى (خفيف) (١) :

وسهيل كوَجْنة الحِبِّ في اللو ن وقلْبِ المحبّ في الخَفَقانِ
يُسْرِع اللمحَ في احمرار كما تُسـ ـرِعُ في اللمح مُقلةُ الغضبانِ
قَدَماه وراءه وهو في العجـ ـز كساعٍ ليست له قَدَمانِ

قدماه كوكبان تحته يعرفان بقدمى سهيل يقول : قد ثبت أن له قدمين ولكنه لم يبرح فكأنه لا قدمين له يشير الى طول الليل ، وانشد أبو على فى الامالى لاعرابى يصف نارا (٢) (وافر)

رأيت بحزن عزّة ضوء نار تلالأ وهي واضحة المكانِ
فشبَّه صاحبايَ بها سُهَيلا فقلت تثبّتا ما تُبْصِرانِ
أنارٌ أُوقدت لتنوَّراها بدت لكما ام البرقُ اليماني
كأنّ النارَ يقطع من سناها بنائق جُبَّة من أرجُوانِ

(١) انظر التنوير ج ١ – ص ٩٢
(٢) انظر امالى القالى ج ٢ – ص ٢٠٨

كل ذلك اشارة الى احمراره واضطرابه

وتتقدم قبل سهيل خمسة كواكب تسمى العذارى ، وهى فى المجرة اسفل من الشعرى العبور ، وكوكب آخر يسمى حضار على وزن حذام ويقال له ايضا المحنث، وذلك لانه شبيه بسهيل فيظن من رآه انه هو ويحلف على ذلك فاذا طلع سهيل تبين له انه غيره فيحنث ، وكانت العرب تزعم ان سهيلا كان رجلا يعشر الناس بضم الشين اى يأخذ عشر اموالهم ، وكذلك الضب وأنهما كانا مكاسين على تجار البر والبحر اتاوة فمسخهما الله عقوبة لهما وجعل أحدهما نجما فى السماء والاخر حيوانا فى الارض ، والى هذا اشار الحكيم بن عمر البهرانى الاعمى بقوله وكان أتى ابن العنبر(١) بالبادية وأقام معهم فكان يتفقه بفقههم ويفتى بفتياهم (خفيف) :

إنّ ربّي لِما يشاء قديرٌ ... مَا لِمَا إن أراده مَن مفرِّ

ماسخ الماكِسَين نجما وضبّا ... حين جاءا بكل مكْس وعَشْرِ

وذلك من خرافات الاعراب وباطلهم وانما الغريب من أمر سهيل وهو صحيح مشاهد ان الابل ساعة طلوعه تستدبره فلا تزال مولية بوجوهها عنه ما دام طالعا وان كانت حين طلوعه مستقبلة لجهته استدار فى الحين فولته ادبارها ، وهذا امر شائع مستفيض لم أر من اهل الابل الا مقرا به مصدقا له ، وكانوا يزعمون ان

---

(١) كذا فى جميع النسخ والمعروف « بلعنبر »

طلوعه سبب موت الابل ووقوع الوباء فيها فلاجل ذلك تكرهه وتستدبره وقد أشار الساجع الى ذلك بقوله طلوع سهيل ، طلوع ضر للابل وويل ، وقال الشاعر (وافر) :

وكانَ أَضرَّ فيهم من سهيلٍ   إذا وافى وأَشْأَمَ من قُزاحِ

وعليه بنى أبو العلاء قوله(١) (كامل)

لا تحسبي إبلي سهيلاً طالعاً   بالشّام فالمرئيّ شعلةُ قابِسِ

يريد ان ابله رات قبسا بالشام حسبته سهيلا فخشيت الموت فقال لها ليس سهيل من الكواكب الطالعة بالشام فتخافيه وانما رأيت قبسا فلا تراعى ، وكذلك ايضا قول ابى الطيب(٢) (وافر)

وتُنكرُ موتَهم وأنا سُهيلٌ   طلعتُ بموتِ أولادِ الزِّناءِ

وذلك انه جعل حساده وأضداده بهائم لجهلهم فسهيل يميتهم بطلوعه وجعلهم اولاد زنا لانتسابهم للفضل وليسوا منه كما ينسب أولاد الزنا لاباء ليسوا منهم ، وسألت أعراب زماننا عن هذا الذى يذكر من تاثيره فى الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها الا أن طلوعه عندنا أمان للابل المغشوشة من الموت ، والغش داء معروف عندهم قالوا فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده ، وكانت العرب عند طلوعه تفصل الحوران(٣) من أمهاتها يقال ان ذلك هو سبب

(١) انظر التنوير ج ١ — ص ٨٧
(٢) انظر شرح العكبرى على المتنبى ج ١ — ص ١١
(٣) فى بعض النسخ « الحيران » وفى بعضها « الحيوان »

كراهة الابل لسهيل ولهذا قال ساجعهم اذا طلع سهيل ، برد الليل وخيف السيل ، وامتنع القيل ، وكان لام الحوار الويل ، فانما كان هذا الويل لفراقها له ، ويروى كان للحوار الويل لفصله ومنعه من الرضاعة ، وقد تكون الرواية الاولى موافقة لهذه فيكون معنى قوله وكان لام الحوار الويل اى للحوار نفسه، والقيل فى هذا السجع اما من القائلة وهى نومة الظهيرة أو من الشرب فى ذلك الوقت فانه يسمى القيل ، وقالوا ايضا فى سجع آخر اذا طلعت الجبهة ، تحانت الولهة ، وتنازعت السفهة ، وقلت فى الارض الرفهة فالولهة بتحريك اللام النوق تحن الى أولادها وتوله عليها لاجل ما ذكرناه فان طلوع الجبهة مقارن لطلوع سهيل ، وقوله وتنازعت السفهة بفتح السين والفاء يعنى أن السفهاء تواثبوا بطرا فأكثروا الغارة والفساد ، وانما بطروا لانهم فى خصب من اللبن لما فصلت الاولاد عن أمهاتها والرفهة بضم الراء وفتح الفاء قصب الزرع بعد اخراج الحب منه يعنى أنه لم يبق من الحبوب اذ ذاك الا الرفهة(١) لاحتياجهم الى حفظ نعمهم لما تنازع السفهاء خوف الغارة،أعرف (٢) ان ابن السيرافى لما تعرض لشرح قول الشاعر (وافر)

أَلم أَكُ جارَكُم فتركتموني ... لِكَلْبٍ في ديارِكُمُ عُوَاءُ

وأَخَّرتُ العشاء إِلى سهيلٍ ... أو الشِّعْرَى فطال بيَ الاناء

(١) فى بعض النسخ « فيطلبه اهل الرفاهية لاحتياجهم الى علف انعامهم »
(٢) فى بعض النسخ « اعلم »

قال : انما قال الشاعر هذا لان سهيلا انما يطلع سحرا وكذلك الشعرى فاراد انى انتظرت معروفكم حتى أيست منكم كما يئس صاحب العشاء اذا طلع سهيل لانه لو أتى اذ ذاك بما يأكله لم يسم عشاء لفوات اسم العشاء بدخول السحر، ورد (١) الذى قال ابن السيرافى بأن (٢) سهيلا يختلف باختلاف الازمان واختلاف البلدان فرب بلد يطلع فيه سحرا وقد طلع فى غيره عشاء وكذلك التنصول ربما طلع فى فصل عشاء وربما طلع فى ذلك الموضع بعينه فى فصل آخر سحرا وهو فى هذا كسائر الكواكب الا ان يعنى أنه فى ذلك الزمن الذى قيل فيه الشعر كان يطلع فى ذلك البلد سحرا فحينئذ يصح قوله على بعد هذا التأويل من كلامه .

وارتحلنا عن الجم يوم الاربعاء ففارقنا بمفارقته أرض حكيم وطرود ودخلنا فى أرض اخوتهم حصن وكان مسيرنا منذ فارقنا الجم فى الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل وقد أذهب افساد العرب أكثره، وغير بعد الاستواء أسطره، فكأنه كان مغروسا على حالة معلومه، وأسطر متناسبة منظومه، فأبطل الافساد أكثر ذلك، وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية فى القديم، وقد روى ان ابن أبى سرح لما افتتح افريقية وقتل ملكها وجد أكثر أموالهم الذهب والفضة فغنم منها ملء (٣) أيدى جنده وسألهم أنى

---

(١) فى بعض النسخ « وهذا »
(٢) فى بعض النسخ « ان »
(٣) فى بعض النسخ « ماملا »

لكم هذا فجعل أحدهم يلتمس شيئا فى الارض حتى أتاه بنواة زيتون فقال له من هذا أصبنا هذه الاموال (١)

قال الرشاطى فى كتابه المسمى « باقتباس الانوار » وانما سمى هذا الموضع الساحل وليس بساحل بحر لكثرة ما فيه من سواد الزيتون والشجر والكرم ، قال وهو كله قرى متصلة البعض بالبعض ، وذكر من المنسوبين اليه من العلماء اسرائيل بن روح الساحلى وأخبر أنه لقى مالك بن أنس وحدث عنه قال : أبوبكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب أخبرنا أبو الفرج أحمد بن على قال حدثنا أحمد الواعظ قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن زياد قال حدثنا اسماعيل بن حصن قال حدثنا اسرائيل بن روح الساحلى قال : سألت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله ما تقول فى اتيان النساء فى أدبارهن فقال أما أنتم قوم عرب ؟ هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ؟ أما تسمعون الله يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قائمة وقاعدة وعلى جنبها ولا تعدوا الفرج ، فقلت يا أبا عبد الله انهم يقولون انك تخبر بذلك (٢) فقال يكذبون على وكررها ثلاثا

وانتهى السير بنا فى غابته المتصلة الى منزلة تعرف بأم الاصابع (٣) لدى قصر قد شيد فى سالف الزمن بنيانه ، وأحكم

---

(١) انظر الى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٨٥

(٢) فى بعض النسخ « نجيز ذلك »

(٣) المكان المعروف قديما بام الاصابع هو المسمى اليوم بالرقة وبه آثار رومانية عظيمة منها قوس نصر قائم الذات ومواجل للمياه ومسرح وغير ذلك

تأسيسه واتقانه ، وجعلت أبراجا مستديرة اركـانه ، الا أن طول الـزمن المتباعد ، قوض أحـد تلك الاركـان من القواعد فتداركـه أربابه الان ، ببناء لا مناسبة بينه وبين ما كـان ، وبتلك الابـراج المستديرة فيه سمى ام الاصابع لانها بقيت لارتفاعها عما اتصل بها من البنيان كأنها اصابع قائمة ، واحتطب الناس من هذه الشجر ما استصحبوا لمرحلة الغد لان الحطب بها معدوم ، ثم سرينا منهـا آخـر ليلتنا فاجتزنا صباحا على قريـة صغيرة ذات قصور مفترقـة تعـرف ببرشانة ، وحاذانا على بعد ساحل البحر القصر المعروف بقصر زيـاد وهو قصر حصين وفى أهله نجدة موصوفـة ، وشجاعـة معروفـة ، قال اللبيدى فى أخبار الشيخ أبى اسحاق الجنبيانى نفع الله به : وكان قصر زيـاد يسمى دار مالك لكثـرة من بـه من أهـل العلـم فى ذلك الـزمـان

وبعد مجاوزتنا له سامتنا من البحر جزيرة قرقنة على مسافة بعيدة لا يمكن ظهورها منها وموضعها بين هذا القصر وصفاقس وسطا ، وهى جزيرة قوية العمارة شهيرة الذكر على القدم والنصـارى فى وقتنا هذا متغلبون عليها متحكمون فى أهلها ، وليس لها سور ولا دور وانما سكنى أهلها فى أخصاص يجعـل كل واحد منهـم فى أرضه ما أحب منها وفى الجهة الغربية منها كهوف يتحصنون بها ، وطول هذه الجزيرة ستة عشر ميلا فى البحر وعرضها ثلث ذلك

ووصلنا الى صفاقس ظهرا فرأيت مدينة حاضرة ذات سورين يمشي الراكب بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما ، وكانت بها قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب فليس بخارجها الان شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة اليها من قابس ، وماؤها شراب لا يساغ وانما يعتمدون فى شربهم على ما يدخرونه من مياه الامطار ، ويصطاد بها من السمك أنواع تفوت الاحصاء وببحرها يوجد صوف البحر الذى يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكية وربما وجد فى بحرها صدف يشتمل على لؤلؤ صغير الحب ، ومرساها مرسى حسن ميت الماء والماء يمد به ويجزر عنه كل يوم فاذا جزر استوت السفن على الحماة واذا مد عامت ، وفى هذا المد والجزر يقول بعض المجيدين من شعرائها وهو على بن حبيب التنوخى وسياتى ذكره بعد هذا (مجزوء الكامل) :

سقياً لأرض صفاقس ذات المصانع والمُصَلَّى
فحمى القصير إلى الخليج فقَصْرِها السامي المُعَلَّى (١)
بلد يكاد يقول حين تزوره أَهلًا وسهلًا
وكأنَّه والبحر يحسر تارة عنه ويملأ
صبٌّ يريد زيارة فإذا رأى الرُقَباء وَلَّى

١) في بعض النسخ « لحمى » « وبقصرها »

وأين هذا من قول أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح أبى تميم المعز بن سليمان يذمها ويخيل أن هذا الجزر هروب من البحر عنها لقبحها وقد كان ولى اشرافها سنة خمس وستين وستمائة فقال فيها (بسيط)

صفاقسٌ لا صفا عيش لساكنها ولا سقى أرضها غيثٌ إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حلّ ساحتها عانى بها العاديَيْن الروم والعربا
كم ظلّ في البرّ مسلوبا بضاعته وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
وليتها فتولّتني الهموم وقد لقيت من سفري في أرضها نصبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلّما همّ أن يدنو لها هربا

وبها جامع حسن ، ذكر الليدى فى أخبار الشيخ أبى اسحاق الجبنيانى أن على بن سالم جد الشيخ أبى اسحاق هو الذى بناه وكان سحنون ولاه قضاء صفاقس وهو ولده من الرضاعة أرضعته زوجه أم محمد بن سحنون مع محمد قال : وهو الذى بنى أيضا سور صفاقس بالطوب وبالطين ، وبنى المحرس المعروف فى القديم بمحرس على وعرف بعد بالمحرس الجديد ، وقد شاع فى الناس تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر فى ذلك أن بعض الملوك قال لمن راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله ، فأخذ فى الارتحال الى صفاقس

وكانت ولاتها فى القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى أن

ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطى وكان من الفرسان المعروفين بالاقدام فأراد أن يثور بها وأخذ فى مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو بن مليل وقتله غدرا فى الحمام وذلك سنة احدى وخمسين وأربعمائة ، ولما قتله وصل حلفاء منصور من العرب فحصروا حمو بصفاقس فبعث اليهم يسألهم هل قصدهم الاخذ بثار ابن عمه منه أو المال فقالوا نحن لا ندخل بينكم فى الدماء وانما غرضنا الاموال ، فالتزم لهم من المال ما رضوا به وعجل لهم ما تيسر وانفصلوا ، وثار حمو بصفاقس وأظهر العناد على بنى مناد ومات المعز بن باديس سنة أربع وخمسين وولى تميم ولده فطمع حمو فى تمام الاستبداد والتغلب على غير صفاقس من البلاد فحالف جماعة من العرب عديا والاثبج ومن ضامهم وزحف بهم وبمن معه من رجاله الى بعض القرى فملكها واستحوذ عليها ثم نهض الى المهدية يريد حصرها فنهض تميم للقائه فولت فئة حمو أدبارها ، واسرعت فرارها ، ورجعوا الى صفاقس

ودام أمر حمو فى صفاقس زمانا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فحاصره أياما ثم رجع عنها ، ويقال ان يحيى أحب الابقاء على حمو فلم يبالغ فى حصاره وكان حمو يقول ان هذا لعجب بالامس أخلص يحيى من القتل الى حكاية ذكرها أبو الصلت وغيره من المؤرخين ، قال كان فلان التركى هاجر من المشرق الى تميم فى جماعة من أصحابه فأكرمه تميم ورتب له جراية فلم ترضه وبلغه

عن تميم ما أوحشه ، وكان داهية ذا مكر وخبث فخرج يوما فى جماعة مع يحيى بن تميم يتصيد فأبعدوا عن المدينة فقبض التركى على يحيى وعلى جماعته وتوجه بهم(١) هاربا وأفلت رجل ممن حضر فوصل يركض الى تميم فأعلمه وأنفذ الخيل فى طلبه ففات ولجأ الى صفاقس فأكرمهم حمو بن مليل وبالغ فى التحفى بيحيى وحبسه عنده ثم خاف أن يوليه أهل صفاقس عليهم فأحب اخراجه من البلد فكتب الى أبيه يعرفه أنه ان بعث أموال الترك الهاربين وأهلهم وجه اليه ابنه يحيى ففعل تميم ذلك ووجه اليه حمو ابنه يحيى فلما وصل يحيى الى تميم رده لحصار (٢) صفاقس كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها

فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه اليها تميم بنفسه فافتتحها وفر حمو منها فاستجار بمكى بن كامل الرياحى بقابس ، وكان لحمو ابن مليل أيام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن على مشهور بالبلاغة وحسن الكتابة ، وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يغيظه ويبلغ منه كل مبلغ ، فلما فر حمو الى قابس لم يشعر تميم الا ومظفر قائم بين يديه يطلب العفو فعفا تميم عنه مع شدة حقده عليه ، قال أبو الصلت : ومثل هذا الذنب لا تغتفره الملوك بل يجاوز التثريب ، فيه الى التعذيب ، ويتعدى العقاب ، الى ضرب الرقاب ، وذكر أبو

---

(١) فى بعض النسخ « بها »
(٢) فى بعض النسخ « الى حصار »

الصلت جملة مما تمثل به مظفر فى الكتب عن مخدومه الى تميم قال : أمكنت حمو فرصة فى طائفة من جند تميم فقتلهم بصفاقس وكتب مظفر فى ذلك الى تميم متمثلا بقول أبى الطيب (١) (متقارب)

إذا كان أعجبكم عامُكم   فعودوا إلى حمص في القابِلِ
فإنّ الحسام المصيب الّذي   قُتِلتم به في يد القاتل

قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فأمر مظفر أن يكتب الى تميم فى هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول أبى الطيب أيضا (٢) (بسيط) :

كم قد دُفِنتُ وكم أُقبِرتُ عندكم   ثمّ انتفضتُ فزال القبر والكفنُ
ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يدركه   تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُفُن

وكتب اليه تميم يوعده ويهدده ويتمثل فيه بقول الشاعر (طويل)

ستعلم ليلي أيّ دين تداينْت   وأيّ غريم للتقاضي غريمُها

فراجعه عنه مظفر متمثلا بقول قيس بن ذريح (طويل)

ستعلم إن شطّت به غُربة النّوى   وزالوا بليلى أن عقلك زائل

وفى رواية ان مظفرا تمثل له فى مراجعته عن هذا الكتب بقول جرير (٣) (كامل) :

---

(١) انظر شرح العكبرى على المتنبى ج ٢ - ص ٣٧ (برواية اخرى)
وان كان اعجبكم عامكم   فعودوا الى حمص من قابل
(٢) انظر العكبرى على المتنبى ج ٢ - ص ٤٧٨
(٣) انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٩٧٣

زعـم الفرزدق أَن سيقـتل مربـعاً   أَبْشِرْ بطـول سلامـة يـا مربـعُ

وكتب اليـه في اثر وقيعة كـانت له عليه كتاب ايناس **والطاف** فراجعه متمثلا بقول عبد الله بن محمد العطار (رمـل) :

لا تـظنّـنَّ امـرأً أَغضـبه   سبب ثمّ انقضى ذاك السَبَب

سالِمَ الصدر من الحقـد ولو   أَظهر الوُدّ ولم يبد الغضَب

كرماد النار يبْقَى حرُّها   كامنـا فيه وإن زال اللّهَب

ولمـا افتتح تميم صفاقس كـانت ولاتها تتردد من قبلـه الى ان توفي سنة احدى وخمسمائـة ، وولى ابنـه يحيى فـولى عليهـا ابنـه ابـا الفتوح فقام عليه اهلها ونهبوا قصره وارادوا قتله ، فغضب يحيى لذلك واخذ في تفريق كلمة اهل صفاقس وتشتيت شملهم ولم يزل يوالى عليهم البؤس ، ويملا منهم الحبوس ، الى ان شفى نفسه منهم ثم عفا عنهم بعد ذلك ، وفي الوقعة يقول ابو الصلت يذكرها ويشكر ليحيى عفوه عنهم من قصيدة طويلة (طويـل) :

وربّ أنـاس أَجّجـوا نـار فتنـة   يُجنّبها الاتقى ويصْلَى بها الاشْقَي

وجرَّ عليهم جهلُهـم حلم مالك   يرقّ ويحنـو كـلمـا ملك الرِقّا

ولو شاء روّى السيف منهـم فطالما   نضاه فسقّاهُ من الدم مـا استسقَى

ولكن دعاه الحلمُ والفضل والحِجى   إلىأن يكون الاحلم الاكرم الاتقى

سجيّة مجبولِ السجايا على الهُدى　إذا غضب استأنى وإن ملك استبْقى

واول هذه القصيدة :

قضى الله أن يفنَى عِداكَ وأَن تبقى　وتخلد حتّى تملك الغرب والشرْقا

قال ابو الصلت : أنشدت يحيى هذه القصيدة وخاصته بين يديه وعبد العزيز بن عمار في الجملة وكان في هذه الصناعة أبصر الجماعة فقال له يحيى : كيف ترى ما تسمع فقال حسن الحوك محكم السرد فقال : أتعرف قائله قال لا ، قال : هو ذاك الجالس يشير الى فعلاه فتور ونفـور عن الاستماع ، بحسب مـا يعرض من العـوام الرعاع ، عند ما ينشدون لمن جمعهم واياه مكان وزمان ، وان كان في اول جريدة ذوي الاحسان ، وانما عنوا بامتداح القديم ، وتعظيم العظم الرميم ، وسبب ذلك الحسد فكثيرا مـا يعيد الصواب محالا ، والغداة آلا ، والقوام اعوجاجا ، والعذب ملحا اجاجا ،

ثم ولي يحيى على صفاقس ابنـه عليا وهو ولي عهـده فلما كانت سنة تسع وخمسمائة توفي يحيى وعلي بصفاقس فوصل واستبد بالملك وكان يبعث الولاة الى صفاقس الى ان توفي، وولي ابنه الحسن فوقعت الوحشة بينه وبين « لجار » فوجه لجار اساطيله لحصار المهدية وكان من تغلبه عليها وخروج الحسن منها ما ياتي ذكره مستوفى بعد هذا ان شـاء الله تعـالى ، فلما تملك المهدية واستقر عامله بها وذلك في سنة ثلاث واربعـين أنفذ منها أسطولا الى مدينة صفاقس فملكها وأمن

اهلها وقد أسكن بهـا جملة من النصارى الذين افتتحها بهم وحصل منها رهائن منها شيخ البلد وصالحه ابو الحسن الفرياني ، وبقى ولده عمر بن ابى الحسن متصرفا فى اعمال البلد ، وكان ذا اقدام وشهامة ، ولما ودعه ابوه قال له : يا بنى انى قد كبرت واشرفت على الموت وقد تصدقت نفسى على المسلمين فان امكنتك الفرصة فى هؤلاء النصارى فانتهزها ودعنى اقتل ! »

فلما كانت سنة احدى وخمسين امتثل أبو على وصية ابيه وثار على من بصفاقس من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا فبلغ ذلك طاغية صقلية «غليام بن لجار» فقيد الشيخ ابا الحسن وسجنه وارسل الى ابنه عمر يوعده بقتل ابيه ان لم يرجع الى الطاعة ، قال الرسول : فوصلت الى صفاقس فلم امكن من النزول الى البر ولما كان من الغد سمعت فى البلد ضجة ثم فتح باب البحر وخرج الناس يكبرون ويهللون ومعهم نعش قد رفعـوه على رؤوسهم فحطوه ثم تقـدم عمر فصلى عليه ودفنه وعزاه الناس وانفصلوا، قال : فاستدعيت الجواب فقيل لى : ان الشيخ مشغول بالعزاء فى والده الذى بصقلية والنعش الذى قـد رأيت نعشه وقـد عزم على موتـه والسلو عنه وليس لك جواب الاما رايت . فلما بلغ ذلك طاغية صقلية امر بالشيخ ابى الحسن فسحب الى المشنقة بوادى عباس فشنق وهو يتلو كتاب الله تعالى الى ان فاضت نفسه رحمه الله

وكان انتقاض صفاقس على النصارى سببا فى انتقاض سائر بلاد السواحل وزوالها من ايديهم ، واقام عمر يدبر امر البلد الى ان نزل

الخليفة عبد المؤمن الى افريقية بحصار المهدية فوصل اليها عمر المذكور مع جماعة من اشياخ صفاقس فاذعنوا له بالطاعة وعين لهم عبد المؤمن حافظا من الموحدين وامر عمر بالرجوع الى بلده وان تكون الاشغال المخزنية تتصرف على يده ، فأقام على ذلك الى ان توفي ، وخلفه فى ذلك ولده عبد الرحمن بن عمر وقام مقامه فوصل الميورقى الى صفاقس واستولى عليها فرغب اليه عبد الرحمن ان يسرحه الى الحج فارتحل بأهله ولم يعد ، وبقى بعض ولده بصفاقس وذريتهم بها الى الان ومنهم من له شعر وسياتى الذكر على ما أمكن منهم فى هذا التقييد ان شاء الله تعالى .

وممن ذكر ابن رشيق فى الانموذج من شعراء صفاقس : على بن حبيب التنوخى قال : موطنه صفاقس وبها نشأ وهو شاعر عذب اللفظ، لطيف المعنى، سهل الطريقة، قليل التكلف، رحل الى المشرق ولقى جماعة من رؤساء العرب فحظى عندهم وأقام بمدينة « لك » الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجا بشعره من شر عظيم قال : وانشدنى لنفسه فى غلام جاء فى طلبه الى الحضرة بعد أن امتحن عليه (كامل)

يا معطِشي من عذْب مورده ... بَرِّدْ غليلَ جوانحي العَطشَى
أترى الّذي أرجو أفوزُ به ... منكم فقد كان الّذي أَخْشَى
ولقد شخصت إليك من بلد ... قد أظلمت أرجاؤه وحْشا

وتنكرت للعين بهجته منذ ارتحلت كأنني أغشى
والله ما من ساعة عبرت إلاّ علي لذكركم يغشى

قال ومن جيد كلامه قوله من قصيدة (خفيف)

يا ليالي في ذرى ابن حسين هل معادٌ قبل الممات إليا
قد نشرنا صحائف الحزن نشراً وطوينا العزاء بعدك طيا
واطلنا البكا عليك وانى لعليمٌ ان ليس يرجع شيا
فإلى الله من فراق رماني (١) عنك (٢) بعد الدنو مرمى قصيا
ولكم قد حذرت منه ولكن كان أمراً مقدراً مقضيا

قال وفوق النهاية من شعره قوله في الوعظ والزهد (سريع) :

للمرء في أيامه واعظ لو فكر المغرور في أمسه
كم من قرير العين في غبطة أعراه صرف الدهر عن لبسه
ففارق الاحباب عن كرهه واستبدل الوحشة من أنسه
يارب غفرانك يرجو الذي اسرف في الدنيا على نفسه

ومنهم : مضر بن تميم الفزارى قال ابن رشيق : موطنه صفاقس وهو شاعر حسن الطريقة في الشعر وأنشد له (بسيط) :

---

(١) في بعض النسخ « رمتني » .
(٢) في بعض النسخ « منك » وفي بعضها « عند »

يـا مَنْ عذيريَ مِـن شوقي وتسهيـدي

ومن مُعيني على نَوْحي وتعديدي (١)

تطأول الليـلُ وامتـدّت غواربه فـالصبح وِرد لعينـي غير موردِ

لا أطعمُ الغمْض إلاَّ أن يُطيف به طَيْفٌ ويذهب مفـقودٌ بمفـقودِ

قال هذا من حر الكلام ونفيسه وفى هذه القصيدة (بسيط) :

وما استقرّت على بحر الهوى سُفُنُ (٢)

شطّت بهم عن كئيب القلب معمودِ

أَستودِعُ الله من ولَّى وأَودعني شوقـاً إليه جديداً غير مجدودِ

قـال قوله جديدا غـير مجدود من عجيب الشعـر والمجدود هنـا المحظوظ ولو جعلته من الجد الذى هو القطع كأنه قال غـير مقطوع لكـان جيدا والاول أشهـر

ومن علماء صفاقس وشعرائها ولم يذكره ابن رشيق فى الانموذج وهو من المعاصرين له أبو عمرو عثمان بن أبى بكر بن حمود الصدفى الإمـام المحدث المعروف بابن الضابط له رحلة الى المشرق وأخـذ فيها عن جماعة يطول تعدادهم ، منهم الحافظ أبو نعيم صحبه باصبهان وكتب عنه كثيرا ذكر أنه كتب عنه بخطه مائة الف حديث وكان

---

(١) فى بعض النسخ « تفريدى »

(٢) اخـذنا هـذا المصراع من الحلـل السندسية ص ١٤١ وفى موضعه بيـاض فى جميع النسـخ التى بايدينا

يقول لم ألق مثل أبي نعيم علما وعملا ، ثم توجه الى الاندلس سنة ست وثلاثين وأربعمائة فأقرأ بها وأخذ عنه علماؤها وأثنوا عليه وعاد منها الى القيروان فوجهه صاحبها الصنهاجي رسولا الى القسطنطينية فمات في طريقه أما واردا واما صادرا وذلك بعد سنة أربع وأربعين ، ذكره أبو عمر بن الحذاء(١) في تسمية رجاله الذين التقى بهم فقال : قدم علينا طليطلة وسنه نحو الخمسين وكانت له رواية واسعة ومعه كتب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والحجاز ومصر ونجول عندنا بالاندلس نحو عامين ثم انصرف الى القيروان ، وكان لي صديقا وتكررت كتبه الى من القيروان الى ان أرسله الصنهاجي الى القسطنطينية فبلغتنا وفاته ، وذكره الحميدي ايضا فقال كان حافظا عاقلا قرأت عليه كثيرا وكتبت عنه وأنشدني (متقارب) :

إذا ما عدُوّكَ يوما سما　　إلى حالة (٢) لم تُطِق نَقْضَهَا
فقبِّلْ ولا تأنفنْ كفَّه　　إذا أنت لم تستطعْ عضها

وذكره أبو القاسم بن بشكوال في الصلة (٣) وأثنى عليه وأخبر عنه انه قال : بعث الى شعراء القيروان حين مقامي بها منهم ابن رشيق وابن شرف وابن حجاج والعطار يسألونني ان أرسل اليهم بشعري ، فقلت للرسول انه في مسوداته فقال أحمله كما هو فأخذته وكتبت عليه ارتجالا ثم بعثت به (متقارب)

(١) انظر الصلة لابن بشكوال عدد ٨٧٦
(٢) في بعض النسخ « الى رتبة »
(٣) انظر الصلة عدد ١٣١

خطبتَ بناتي فأرسلتُهنّ إليك عواطلَ من كل زينَه
لتعلم أنّي ممّن يجـود بمحض الوداد وليس ضنينَه

قال فأجابونى عن بطء بهـذه الابيـات :

أتتْنا بناتك يرفلْن في ثياب من الوشي يفتنّ زِينَه
فلمّا سفرن فضحْن الشموس وسرب الظباء وأخجلْن عِينَه.
ولمّا نطقْن سحرْن العقول وظلّ القرين ينادي قرينَه
أفي بابل نحنُ أم في العراق وفوق البسيطة أم في سفينَه
فدعني اراقبُ ضوء الجميع لنسمع من كلّ مَدْح عيونَه

وأبو عمرو هذا هو أول من أدخل الى الاندلس كتاب « غريب الحديث » للخطابى وله جزء تضمن عوالى كتبها لابى محمد عبد الرحمان بن عتاب (١) تعرف بعوالى الصفاقسى

ومن منازل صفاقس الراجعة الىعملها المحتوية على من يذكر من الفضلاء جبنيانة التى منها الشيخ الصالح العالم أبو اسحاق بن أحمد ابن على بن سالم، وقد قدمنا ان جده على بن سالم كان قاضيا بصفاقس فلما مات ولى ابن الاغلب ابنه أحمد خراج افريقية فتورط معهم ، وكان من أهل الادب والفهم ثم أرتقت حاله معهم الى ان صار

(١) هو أبو محمد عبد الرحمان بن عتاب المتوفى سنة ٥٢٠ بقرطبة

مشاورا ووزيرا وكان اذا مشى ، مشى فى عسكره وبين يديه وخلفه الجنائب كما كان الوزراء يمشون اذ ذاك ، وكانت له بصفاقس ما ينيف على الاربعين دارا ، وربى الشيخ أبو اسحاق رحمه الله فى مثل هذا الحال أخبر من رآه وهو صبى وقد وكل بحفظه خمسة عشر صقليا (١) يحفون به اذا مشى ، ثم ترك ذلك كله لما ناهز الحلم ولبس عباءة وفر عن والده ووالدته على تلك الحال التى ذكرنا مع بنى الاغلب

وكان أبو اسحاق يتطوف على من بالسواحل من العلماء والصالحين فاذا علم ان أباه طلبه أخفى نفسه الى ان اختلفت (٢) الدولة وطلب أبوه فيمن طلب وأخذت أملاكه ومنازله ورباعه وأمن نفسه (٣) فلزم الخير وقراءة القرآن ، ثم توجه الى الحج فحج ومات رحمه الله تعالى ، واشتهر أبو اسحاق بالعلم والعبادة ولزم سكنى جبنيانة الى ان توفي فيها رحمه الله تعالى وكانت وفاته فى التاسع عشر من محرم مفتتح تسعة وستين وثلاثمائة ودفن فى شرقى جبنيانة ، زرت قبره ودعوت عنده ، وأخباره رحمه الله مؤلفة مشهورة ، وولده أبو الطاهر كان صالحا فاضلا وكان لابى الطاهر ولد يسمى عبد الله أديب شاعر ظريف ذكره ابن رشيق فى الانموذج وأخبر ان صفاقس موطنه وان بها منشأه ، وقال : وكانت له نباهة وظرافة فى

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا والاظهر ان يكون الصواب « صقلبيا »
(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اجتلفت » اى استؤصلت
(٣) فى بعض النسخ « امن فى نفسه »

جميع أحواله مع نزاهة نفس وبعد همة قال : واجتمعت به فى صفاقس فكنت اقطع الغربة بقربه ، ثم انفصلت الى الحضرة فلم يكن الا قليل حتى اجتاز علينا متوجها الى الاندلس فسألته عن سبب ذلك فأخبرنى ان عليه دينا ثقيلا قد استغرق ذمته وأنشدنى لنفسه وهو يتمايل وكان متعلق النفس بجارية له أم ولد تركها بموضعه (وافر) :

سأضربُ في بلادِ النـاسِ برّا ... وبحْرا بالسفائنِ والركابِ

الى أن تُنكِرَ الاحبابُ منّي ... ثوائي بالمغاربِ واغترابي

لأَكسبَ ثروةً وافيدَ مالا ... وأُبْلِي عُذْرَ نفسي في الطلابِ

فإن نِلْتُ المرادَ فذاكَ حسبي ... وإن أُحْرَمْ فإنّي ذو احتسابِ

وما فارقتُ اخواني وأَهلي ... ومن أَحْبَبْتُ الاّ عن غلابِ

قال وارتحل فاتصل بالحاجب الموفق مجاهد بن عبد الله فاكرمه وعظمه وادناه وقربه وكشف عنه فوجد فضلا وجلالة فاستمسك به وحسد على مكانه منه فوجد فى منزله مذبوحا وسكين الاقلام بين يديه مغالطة كانه فعل ذلك بنفسه وبقية الروح فيه فسالوه من به فاشار الى فقيه الموضع ، وكان الفقيه المذكور كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما اشار الى بالوصية فقيد وسجن الى ان جاء ولى الدم فطلبه فلم يتوجه عليه حق فاطلقه وكانت وفاة عبد الله المذكور سنة خمس عشر واربعمائة

ومن منازل صفاقس ايضا قرية لبيدى كذا تحققتها وسماها الرشاطى لبيدة ، ينسب اليها الفقيه الصالح ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمى اللبيدى، قال ابن شرف فى صلته لتاريخ الرقيق : كان بقية اهل العلم وله تصانيف فى الفقه وبر (١) فى الفتوى وذكر الرشاطى ان كتابه المسمى « بالشرح والتفصيل لمسائل المدونة » كتاب كبير . قال : وتوفى قريبا من سنة ثلاثين واربعمائة، وابن شرف قد نص فى تاريخه على ان وفاته كانت سنة اربعين، وهو المؤلف لاخبار الشيخ ابى اسحاق الجبنيانى التى نقلنا منها ما تقدم ، وانشد لنفسه فى كتابه المذكور شعرا ضعيفا وولده ابو بكر بن عبد الرحمان كانت له رئاسة وسعة حال ، وكان من اهل الادب والفهم وله شعر حسن أخبر عنه ابن شرف فى تاريخه .

ومن شعراء صفاقس ايضا ثم من الفريانيين ورؤسائها عبد الله بن عبد الرحمان بن على الفريانى ممن تقدم عصرنا قليلا مولده بمالقة من بلاد الاندلس وابوه هو المنتقل اليها من صفاقس ، له رحلة ابعد النجعة فيها شرقا وغربا اخبرنا عنه صاحبنا ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموى التاجورى وقد رآه وجالسه بطرابلس وسمع منه بعض شعره وكان هجاء مقذعا(٢) ومن شعره حين ولى السعيد مراكش وكان السعيد أسود اللون (كامل) :

---

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا ولعل الصواب هو « برز فى الفتوى »
(٢) فى بعض النسخ « مقرعا »

كان الخلائفُ قبلُ في مَراكش صُوَراً من الكافور بعجبٍ خالصُهْ
فأتى عليٌّ بعدهم ختماً لهم كالمسك لونا ليس فيه خصائصه

وله فى مثل ذلك (كامل):

أَسَفًا على مرّا كش وولاتها لم يبق للايّام فيها رونقُ
كانوا حَماماً فالليالي لم تَدَعْ في دارهم الاّ غرابا ينْعق

والم ابن الابار فى التحفة (١) بذكر جماعة من هجاء الشعراء فذكر اولهم ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفريانى ، وكان باشبيلية ناظرا فى المواريث لابى سليمان داود بن ابى داود وأنشد له بيتين فى هجاء ابن زهر وهو غير الذى ذكرنا وان توافقا فى الاسم والاب والنسب والصفة لبعد ما بين زمانيهما فان مولد الفريانى الذى ذكرناه سنة تسع وستمائة ولعلها سنة وفاته .

فاقمنا بصفاقس يوم وصولنا اليها وهو يوم الخميس كما تقدم ، واصبحنا يوم الجمعة مرتحلين عنها فاجتزنا على طينة ـ بكسر الطاء وفتح النون ـ ثم على نقطة ـ بفتح النون وتشديد القاف ـ وهما قصران عامران ويقال ان جماعة من اصحاب معروف الكرخى(٢) رحمه الله رابطوا بقصر نقطة هذا وماتوا به فقبورهم هنالك

---

(١) هى تحفة القادم لابن الابار المتوفى سنة ٦٥٨

(٢) هو معروف بن فيروز الصوفى المتوفى ببغداد سنة ٢٠٠

وانتهى السير بنا الى المحرس وهو قصر قديم البناء سام للسماء ينسب بناؤه الى ابن الاغلب ، والى هذا الحصن يلجأ جملة (١) أهل تلك القصور اذا وصل اليهم عدو واضطروا الى قتال ، ويقال ان الميورقى اجتاز عليه واراد محاصرته ففتح اهله باب الحصن ووقفوا دونه يقاتلون فعلم انه لا مطمع له فيه فتجاوزه الى غيره ولم يتعرض له ، وأهله قوم من هوارة كانوا ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بنى خيار فاجلتهم العرب منها فانتقلوا الى هذا الحصن ، وكان مسجدا خاليا للعبادة والرباط فابتنوا ديارا الى جانبه وجعلوا على الجميع سدا ، وقد اجتزت على القصور المذكورة المعروفة ببني خيار فرأيتها خالية خربة وهى فى جبال مسلاتة من شرقى طرابلس

وارتحلنا عن المحرس يوم السبت فاجتزنا فى اول المرحلة على المورد المسمى بصعيب وهم يتكرهون هذا الاسم فيكنونه بابى سهيل ، ووصلنا بعد جهد جهيد ومشقة الى قصور المباركة وهى كلها عامرة واهلها موصوفون بالبخل وقد شاهدت من منعهم للماء ما يصدق ما اشتهروا به من ذلك

ومن هذا الموضع فارقنا أرض بنى عوف ـ ودخلنا فى ارض اخوتهم بنى دباب بن ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن

---

(٣) فى بعض النسخ « جميع »

امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، كذا تلقينا هذا النسب من علماء الاعراب المعلومين بحفظ الانساب وكذا ذكره الرشاطى فى كتابه ، وهذه الارض لطائفة من الدبابيين يعرفون بالنوائل ينسبون الى نائل بن عامر بن جابر بن فائد بالفاء بن رافع بن دباب وهم أخوة لبنى وشاح بن عامر وبنى سنان بن عامر وسياتى بعد مزيد بيان

وارتحلنا يوم الاحد فنزلنا بمنزل فيه نخيلات قليلة وعيون ماء جارية وقصر متسع يعرف بوذرف وفى هذا الموضع يقول ابو عبد الله محمد بن محمد المزدورى الهنتاتى ايام اضطرته الحال الى الخروج من تونس والسكنى بتلك الجهات انشدنيه (رجز) :

هذي عيون وذرفِ دعِ العيون تذرفِ
بُدلتُ من ارضي بها وا أسفي وا أسفي

فبتنا بوذرف تلك الليلة واصبحنا يوم الاثنين مرتحلين، فاشرفنا على غابة قابس ، ووصلنا اليها ضحى فراينا بلدا قد استوفى المحاسن واستغرقها ، واذكر بمنظره الانضر ، وورقها الاخضر ، جنة الخلد واستبرقها ، وقد أحدقت غابته من جميع جهاته ، وبهذه الغابة من الجواسق ، والنخل المتناسق ، ما يستوقف الطرف ، ويستوفى الحسن والظرف ، ويحقق ما قيل ان قابس جنة الدنيا ، وانها دمشق الصغرى،

وهى مدينة بحرية صحراوية فان الصحراء متصلة بهـا ، والبحر على ثلاثة اميال منها ، فهى احق بقول ابن عيينة : (١) (بسيط)

زُرْ وادي القـصر نِعـمِ الـقصر والوادي
وحبّذا أَهلـه مـن حـاضـر بــــادي
ترسي قراقـيرُه والعيسُ واقفة والضبّ والنُون والمَلّاح والحادي

ويقول الخليل بن احمد : (٢)

يـا جنّة فـاقت الجنان فما لِعلقهـا قيمـة ولا ثَـمَنُ
صَاهَرَ حيتانُها الضبابَ بِها فهـذه كنّة وذا خَتَنُ
من سُفُن كالنعـام مُقْبِلـة ومن نَعام كأنّها سُفُنُ

ويقال انه لا يجتمع فى مائدة صيد البر وصيد البحر واصناف التمر الا فى مائدة من يسكن قابس

وعلى قابس سور صخر(٣) جليل من بناء الاول ولها ارباض واسعة وجل اسواقها فى ارباضها ، وقد دار بسورها خندق متسع يجرون الماء اليه اذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمنع شيء لها ، ولها واد يسقى بساتينها ومزارعها ، ويخترق فى كثير من مواضع الغابة

---

(١) هو ابن عيينة عبد الله بن محمد المهلبى والقصر الذى قال فيه بيتيه المشهورين هو قصر عيسى بن جعفر بالحريبة انظر الى الاغانى ج ١٨ - ص ١٥ والى معجم ياقوت ج ٤ - ص ١١٨

(٢) هذه الابيات لابن عيينه ايضا قالها فى مدح البصرة كما ورد فى الاغانى ج ١٨ - ص ٢١ وفى معجم ياقوت ج ١ - ص ٦٤٩ وفى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦٠ (بزيادة ثلاثة ابيات وبروايات اخرى)

(٣) وفى بعض النسخ « ضخم »

دورها وشوارعها ، واصل هذا الـوادى من عين خـرارة في جبـل بين القبلة والمغرب منها ، واكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر، وبتلك الجهة الساحة المعروفة بساحة عنبر

وانشدنى الفقيه الكـاتب البليـغ ابـو الفضـل محمـد بن عـلى التجانى لنفسه يصف احدى عشياته بتلك الجهـة فى تلك السـاحـة وما اقتضبه(١) بها من الانس والـراحة : (كـامـل)

اذكُـرْ عشيّتـنا بساحـة عنـبر ... وَالجـوّ يُتْحِفُنـا بنكهـة عـنبرِ
حيث النخيل عرائسٌ بسط الحيا ... بُسُطـاً لهـا من اخـضر او اصفرِ
والشمس تستحيـي فتستر وجهَها ... عنّـا بستر للـعروس مـــحبَّرِ
والنُّـور بين مفضّـض ومـذهّب ... والنَّوْر بين مُدَزهَـم ومُدَنَّرِ
والنَهْرُ والغُـدْر ادرعْنَ تحصنا ... اذ صُفّتِ الغابـات صفّ معسكرِ
والبحرُ يَرمقنـــا بمقلـة ازرق ... والـبرّ يـرمقنـا بمقـلـة اغـفرِ
في جنّة لو نلتُ من خُلد بـها ... قصدي بلغتُ الى النعيم الاكبرِ
ومحلّ أنس قِلْتَ بين رياضـه ... بريـاضة قـادت لـأبهى منـظرِ
مِلنـا بمنعـرج نصـلّى نحـوه ... حذر الرقيب وليتـه لـم يحضرِ
وجرى لنـا فيـه حـديث كلّه ... لطف حضرنـا منه أطيب محـضرِ

---

(١) كذا في النسخ التي بايدينا

تجْري احاديث الصبابة والصبا   بأرق من مسْرى الصبا المتعطّر
ونُدير كاسات المحبّة بيننا   فنميل منها بالحلال المُسْكر
حتّى اذا ولّى العشيّ وآن ان   نمتاز عن نظر المراد الانضر
قمنا نجرّ من العفاف سوابغا   لمّا نغيّرها بصبغة مُنْكَر
يومٌ بقابس جنّة الدنيا وفي   قلبي لوشْك(١) البين حزقة مِسْعَر

ومن المكاره التى حفت بها جنة قابس ، ما يعاهدها من الوباء ، وينتاب ساكنها (٢) من الامراض ، وسبب ذلك فيما يذكر أهلها كثرة شجرة الدفلى بها ، فيكتسب الماء منها لدى جريه سمية ومرارة تضر بأبدان ساكنيها (٢) كثيرا ، ولذلك لا تجد وجوه كثير من أهلها الا مصفرة ، وفى هذا البلد ايضا فساد وتغير سببه كثرة عفوناتها ، وليس فى جميع مياهها ما يسلم من ذلك الا انعين المعروفة بعين الامير ، والعين الاخرى المعروفة بعين سلام ، فان ماء هاتين يسلم من الفساد لعدم مروره على الدفلى ، والاولى منهما منسوبة للامير الازدى المعروف بابن الصغير ، واما الثانية فالمشهور فى اسمها عين سلام باللام مخففة ، وهى انما توجد فى عقودهم القديمة عين سنام بالنون ، ومما يذكره أهل قابس وهو من جنس الخرافات ما حكاه البكرى (٣) عنهم:

---

(١) وفى بعض النسخ « لسوق »
(٢) وفى بعض النسخ « سكانها »
(٣) ص ٤٦

ان مدينتهم كانت سالمة من الوباء الى ان احتفروا فيها موضعا توهموا ان فيه مالا ، فاستخرجوا منه تربة غبراء فحدث الوباء عندهم بسببها من ذلك الزمان الى هلم جرا .

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم ، وهم يقرون بذلك ويدعون شدة أحتياجهم اليها وأن النخيل فى بلادهم لا يثمر الا به ، ومن رسالة لابى مطرف ابن عميرة (١) فى وصف قابس ، وكان ولى قضاءها فى مدة الخليفة المستنصر رحمه الله : « بلد غوطى البساتين ، طورى الزيتون والتين ، فاما النخل فجمع عظيم ، وطلع هضيم ، وسكك مأبورة ، ونواعم فى الخدور مقصورة ، وان بقعته لوارفة الظل ، آمنة الحرم والحل ، جنة لو نزع ما فى صدور اهلها من الغل ، وبالجملة فهو تام الغرابة ، مدهام (٢) الغابة ، مستأثر بسيد من سادات الصحابة ، ولا عيب بتربته الا وخامة مائها ، وحميات قلما يعرى من عدوائها . »

وفى فصل من رسالة اخرى له يصف شدة الوباء بها ، وما يذكر من كثرة عقاربها : « وهذه البلدة الان فى ظلال من شرخ الشباب ، وظلال من ثمرات النخيل والاعناب ، فهى بحال يقر بجمالها الاندلسى ، ويجارى بين خلالها الدبسى ، ولا عيب فيها الا هواء وخامته تخاف ، وماء غير من خالصه الماء المضاف ، ولبيوت المدينة

---

(١) هو ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى الذى ترجم له المقرى فى نفح الطيب ج ١ — ص ٢٠٠ — ٢٠٣

(٢) فى بعض النسخ « مدلهم »

دواجن سيئة الجوار ، سريعة الى القطان والزوار ، يكراهـا تنفيـه ، وسرها تخفيه ، وصلحها لا يطمع أحد فيه ، فقبحت شائلة الاذناب ، شاملة بالعذاب ، كامنة بارزة ، هامزة لامزة ، تطرق بالبلية ، وتقسم شرها بين البر والفاجر بالسوية ، دبت عندنا لينة الى من كان يرمق دبيبها ، ويحاول قبل ان تصيبه ان يصيبها ، فأوقعت بـه لـدغا في القدم ، ولقى أشد الالم ، وبات وبتنا معـه في ليلة أخي ذبيـان ، (١) وتعالى الله ما اطول ما كانت واهول ما كان »

أشار أبـو المطرف بقولـه في الرسالـة السابقة مستاثر بسيد من سادات الصحابة الى ما يذكره اهل قابس : ان أبا لبابـة الانصـارى مدفون ببلدهم وقبره عندهم مزار مشهور ، وبقـابس ايضـا مسجد ينسبونه اليه ولم أر احدا من المؤرخين عد أبا لبابة ممن دخل افريقية من الصحابة فلعله ان ثبت ان قبره هناك ممن اغفل المؤرخون ذكره منهم ، واسم ابى لبابة بشر بن عبد المنذر ويقال رفاعة بن عبد المنذر ، وهـو ممن شهد العقبة وبـدرا ، ويقال بل أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر ولم يشهدها ، غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ايضا على المدينة في غزوة السويق ، ومـات في خلافة علي رضى الله تعالى عنهما ، ولعل قدومه الى افريقية كـان هجرانا لدار قومه بسبب ذنبه الذى اذنبـه ، فتـاب الله عليه فقـال : يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى ، وان انخلع من مالى ،

---

(١) انظر كتاب ثمار القلوب للثعالبي ص ٥٠٩ باب الليالى المضافة « ليلة النابغة »

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزيك من ذلك الثلث . واختلف فى ذنب ابى لبابة فقيل هو تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما غزا النبىء صلى الله عليه وسلم ورجع ندم ابو لبابة فربط نفسه بسارية ، وقال والله لا احل نفسى منها ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله على او اموت، فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبة الله عليه ، فقال والله لا احل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى ، فجاء النبىء صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، فقال : يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى الحديث . وقيل بل ذنبه اشارته الى حلقه لبنى قريظة حلفائه اى انه الذبح ان نزلتم على حكم سعد بن معاذ ، فنزلت فيه « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ثم تاب الله عليه . والله اعلم(١)

وانشد ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة فى كتابه الكبير الذى سماه « منتهى السول ، فى امتداح الرسول » ، صلى الله عليه وسلم لابى المطرف ابن عميرة وقد انصرف من قبر ابى لبابة (كامل)

خَبرُ الاحبّة ما الذّ مساقَه ... وجَنَى القطيعة ما أمَرّ مذاقَه

وهَوَى القلوب لها عليه شواهد ... سبقت بناطق حالها استنطاقَه

---

(١) الاظهر ان يكون التجانى اخذ ترجمة ابى لبابة الانصارى رضى الله تعالى عنه من اسد الغابة لابن الاثير انظر ج ٥ - ص ٢٨٤ - ٢٨٥

وأيُ المنازلِ إذ ذكرت عهودها فتهيج من كَلِفٍ بها أشواقَه
يعتاده منها جوى بين الحشا والصدر رقرق دمْعَه وأراقَه
ويبيت منها كالسليمِ ومالَهُ أرق إذا مدّ الظلامُ رواقه
حمل الغرام وما استقل لحمله قبل النوى فالآن كيف أطاقَه
ورَمَتْ به الاقدار كل تنوفة لم تألَفْه لجمالها إغراقَه
قبل تشاكينا الفراقَ لديه والْ أشهَى لنا ان لا نُسام فراقَه
وموارد حملت أجِنَّةَ آجِنٍ يلقى بها طعمَ النوى من ذاقَه
خفق الجوانح دونه ويردّ من أفضى اليه مع الصدى اخفاقَه
مازلتُ أقطعها مهامِه لم تزل بالصبر حتّى مزّقتْ أخلاقَه
حتّى وقفتُ ومـا أفقتُ بمنزل
كالظلم في صدري أرى آفاقه (١)
وقبست من شوقي لقابس جذوة
شبّت على قلب سواها (٢) شاقَه
من بلدة في العين اظلم جوّها مع أنها ما أنكرت اشراقَه
قد كان منظرُها يروق بعين من يشكو النوى لو أنَّ شيئا راقَه

(١) في بعض النسخ « احداقه »
(٢) في بعض النسخ « سواها »

لـكن بقبر أبـي لبابـة لي هوى ... مامن هوى في النفس (١) الاّ فاقَه
أمل بنـفسي لـو ظـفرت بتربـه ... فجـعلت اثمـد نـاظرّي دُقاقَـه
وتمثّل القبر الكريم بِمُقلتـي ... فدنوتُ منـه والتزمت عنـاقَه
فوثاقُ ذنبي أَرتجي لفكاكـه ... من فكّ خيرُ العالَمين وثـاقَه
صلّى الـإلاه عـلى النبـيّ محمّد ... وانـالـه بجـواره استحقاقَـه
وعـلى صحـابتـه وعترتـه الّتـي ... لزمت (٢) رضاه واقتفت أخلاقَه
وقضـى لنـا من بطئـنا في سيرنـا ... يوم الجزاء على الصراط لحاقَه

وبشرقى قابس موضع يعـرف بالمنـارة (٣) كان به منـار مرتفع يظهر للاتى من جهة المشرق قبل وصوله الى البلد بمسافة بعيدة ، وقد سقط الان فلم يبق له اثـر ، وذكر البكرى ان الحداة يحدون عند قدومهم من مصر الى افريقية فيقولون : (٤) (رجز)

لا نـومَ لا نـومَ ولا قـرارا ... حتّى ارى قابسَ والمنـارا

وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع ، له منار مرتفع، قد مال وخرج عن الوزن ، الا انه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه، وبمقربة من هذا الجامع قصبة قابس وبهـا المبنى المشتهر المعـروف

---

(١) فى بعض النسخ « للنفس »
(٢) وفى بعض النسخ « امت »
(٣) وفى بعض النسخ « المنار »
(٤) ص ١٧

بالعروسين ، الذى لا يرى مثله ظرفا وحسنا قد استولى الخراب فى وقتنا هذا على القصبة وعليه ، والعروسان من بناء بنى جامع الهلاليين الذين كان لهم أمر قابس فطوت ايدى التوحيد(١) آثارهم ، ومحت أخبارهم ، واهل قابس ينسبون بناءه لرشيد بن مدافع بن جامع أحد من تملكها منهم وممدوح أبى محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلى بقصيدته التى يقول فيها(٢) (كامل)

أفلا يُحالفني الرشادُ وهمّتي قصدت بعزم للامير رشيد

وهو مضموم الراء الا انه وقع فى هذا البيت بالفتح ضرورة

وقد وقفت فى بعض أبواب القصر على اسطر كتبت نقشا فى الحجر نصها : « أمر بعمل هذا الباب الامير الشهم رافع ابن امير الامراء مكى بن كامل بن جامع فى رجب سنة خمسمائة » فان كان ما يذكره اهل قابس من ان رشيدا هو الذى ابتناه صحيحا فيكون هذا الباب خاصة هو الذى امر ببنائه رافع بن مكى واخبرنى بعض الطلبة من اهلها انه وقف لبعض المؤرخين على ان صنهاجة هم الذين ابتداوا بنيانه وانتهوا به الى قدر ثلثيه فاتمه بنو جامع الهلاليون .

ونحن نذكر هاهنا أصل تملك بنى جامع هؤلاء لقابس فهو من شروط هذا الموضع :

---

(١) وفى بعض النسخ « الموحدين »

(٢) لا يوجد البيت فى ديوان ابن حمديس المطبوع

كانت ولاية قابس فى ايام الشيعة مترددة فى بنى لقمان الكتاميين، وفى بعض امرائهم يقول الشاعر (١) (سريع) :

لولا ابن لقمان حليف النَدى   سُلَّ على قابس سيف الرَدى

فلما ملكت الشيعة مصر وانقلبت الدولة الكتامية بافريقية صنهاجية ، ترددت ولاية قابس فى صنهاجة وعبيدهم ، فوليها فى اول الامر بنو عامر ، ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن زيرى وهو اخو باديس، ثم منصور بن ماواس ، ثم توالت بعد فى اقوام من برغواطة ولاهم المعز بن باديس .

فلما اجتازت العرب الى افريقية بتدبير الوزير اليازورى حسبما شرحناه قبل هذا فتغلبوا على اكثر البلاد والجأوا المعز الى المهدية ، كان والى قابس اذ ذاك المعز بن محمد الصنهاجى وكان اخواه ابراهيم وقاضى قائدى الاعنة بحضرة المعز بن باديس فعزلهما المعز ابن باديس عن ذلك لغرض عن له ، ففرا عنه مغاضبين ولحقا بمؤنس ابن يحى الهلالى احد العرب القادمين من مصر ، فاكرمهما وكساهما ثيابا وصلت اليه من مصر وسر بقدومهما ، وانصرفا الى قابس فاجتمعا باخيهما فاتفقوا على قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف الطاعة الى مؤنس بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب لها ، ولحق المعز بن محمد بمؤنس فكان فى صحبته ، واقام ابراهيم واليا على

(١) انظر البكرى ص ١٨

قابس وهو فى طاعة مؤنس الى أن توفى المعز بن باديس وولى بعده ابنه تميم ، ثم مات ابراهيم بقابس فولى بعده أخوه قاضى فقتله أهل قابس غدرا وبعثوا الى عمر بن المعز بن باديس أخى تميم ، وكان مخالفا على أخيه ، فأمروه على أنفسهم وذلك فى سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، فلما علم تميم بولاية أخيه تحرك الى قابس وجد فى حصارها الى أن افتتحها ، وكان قبل ذلك متراخيا عنها فقيل له فى ذلك ، فقال : لما كان فيها قاضى اخو ابراهيم كان بمنزلة عبد من عبيدى فكان زواله سهلا على متى أردت ولما صار ابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس صار الملك مقسوما وعاد شريكا لى فهذا لا يكون أبدا ما دمت حيا ، وفى فتحها يقول الشاعر : (كامل)

ضحك الزمان وكان قدماً عابسا ... لمّا فتحْتَ بحدّ سيفك قابسا
أصْدَقْتَ عُذْرتها نكاحا جائزا ... سُمْر القنا وبواترا وفوارسا
من كان بالبيض القواضب خاطبا ... جلّت له بيضُ البلاد عرائسا

ثم خالفت قابس بعد ذلك على تميم ورجعت الى طاعة العرب ، واختلف عليها أمراؤهم فوليها منهم مكى بن كامل بن جامع وهو الذى أجار حمو بن مليل البرغواطى الثائر بصفاقس لما أخرجه منها تميم بن المعز ، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا ، ثم وليها بعده ابنه رافع بن مكى وهو الذى كتب اسمه فى عروسيها كما تقدم وتوفى تميم ورافع هذا متولى قابس ، ثم ولى يحيى بن تميم فصالحه وداراه

طول حياته ثم توفى يحيى وولى بعده ابنه على ، فانف من مصالحة رافع .

وكان يحيى يحتمل لرافع أمورا منها : أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة أعدها لما يعرض له فى البحر من الامر فلم يبد يحيى انكارا لذلك بل أعانه عليها وامده بما احتاجه اليه فيها، فلما ولى على أنف عن ذلك وكره أن يقاومه أحد من أهل افريقية فى اجراء السفن فى البحر ، فأنفذ أسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الاقلاع وأخذها ان أقلعت ، وعلم بذلك رافع فكتب للجار صاحب صقلية يسأله الاعانة على على ويخبره أنه انما أنشأ تلك السفينة لبعث هدية يحب أن يهديها اليه ، فبعث لجار الى قابس أسطولا ضخما لنصرة رافع ، فلما بلغ ذلك عليا جمع رجال دولته واستشارهم فى ذلك فكلهم أشار عليه باسترجاع أسطوله والتغاضى عن رافع فى هذه المسألة حفظا لما بينه وبين لجار من المصالحة ، فرأى على فى ذلك وهنا عليه فأمر بقية أسطوله فأخرج للحين(١) ووجهه الى قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لضيافة اعدها رافع لهم ، فلم يرعهم الا وصول الاسطول ، فبادروا الى قطعهم فغلبهم المسلمون على أكثرها وقتلوا منهم جماعة كبيرة، قال أبو الصلت : وسلم من سلم منهم فلاذ بالهرب، وطار من خفة الخوف لا من خفة الطرب(٢) وكان ذلك من

---

(١) وفى بعض النسخ « فى الحين »

(٢) كذا فى جل النسخ وفى بعضها « من خيفة الخوف لا من خيفة الطرب »

أشد الاسباب في الوحشة التى وقعت بين لجار وعلى وابنه الحسن بعده حتى أدت الى تغلب الروم على المهدية وانقراض دولة بنى مناد منها ، وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد الله الكاتب يمدح على بن يحيى من قصيدة ضعيفة النظم : (طويل)

ليهْن المعالي أنْ تملَّك رِقَّها ... عليُّ بن يحيىٰ بالحجا والتكرُّمِ
جرى وجرى صيد الملوك فبذّهم (١) ... إلى غاية في المجد لم تُتقدّمِ
وصمّم تصميم الحسام مبادِرا ... لاطفاء نار آذنت بالتضرّمِ
تعدّى على الأعلاج في بحر قابس ... وسار إليهم في الخميس العرمرمِ
فولّوا على الادبار كلًّا وأجفلوا ... بناب نبا عنهم وظُفر مقلَّمِ

ولما تم هذا الفتح لعلى دون قبائل العرب ، أعد الاساطيل لمحاصرة قابس وذلك فى سنة احدى عشرة وخمسمائة فلما بلغ رافعا أرسل جماعة من وجوه قومه الى على راغبا فى المصالحة فلم يجبه على اليها ورأى أنه ليس له قبل بقتال على ، فقصد الى القيروان وكانت تحت ملك العرب فاتفق بنو عمه على أن اعطوه اياها ، ففي دخوله اليها يقول محمد بن بشير من كلمات : (بسيط)

سلْ رافعا ما الّذي أَجرى تنصُّره ... وهل نفى الذلّ عنه من به وَثقَا
لو لم يرَ الرومَ أهلًا والصليبَ أباً ... لم يشْكُ من عيشه في قابس رَنَقَا

(١) فى جميع النسخ « ببزهم »

إنفاقك المال في العلياء الحـــقه بالقيروان التي يعتدها نَفَقَا
أبدت لـه عزَّة (١) للجـاهلين بِهِ وكان سترٌ عليه قبل فـانخرقـا
لله فعلك لا للمـال تجمعـه وكيف ذاك وقد شتّتـه مزقـا
وكلّ مال تُشادُ المكرماتُ به أشدّ مـا هـو توفيرا إذا محقـا

وملك قابس بعد دخول رافع الى القيروان محمد بن رشيد من بنى جامع أيضا ، وغلب على دولته مولاه يوسف ، واتفق أن خرج محمد من قابس لحرب عدو له وترك أحد بنيه نائبا عنه فطرده يوسف مولى ابيه منها واستولى على المدينة وانتسب الى طاعة لجار ، فقام عليه أهل قابس ودفعوه الى العرب فعذبوه عذابا شديدا وقطعوا مذاكره لانهم نسبوه للتعرض لحرم مولاه ، وكان ليوسف أخ اسمه عيسى ففر الى صقلية مستنصرا بطاغيتها وزعم له أن أخاه انما صنع به ما صنع لانه منتسب الى طاعته ، فخرج لجار أسطوله لحصار قابس فحاصرها مدة ثم رجع ، وكان آخر من ملكها من بنى جامع مدافع بن رشيد بن مدافع بن كامل بن جامع ومن يده أخذها الموحدون ، وقد كان عبد المؤمن بن على لاطفه واستدعاه بأشعار خاطبه بها وتلوم عليه فامتنع من جوابه فلما وصل الى حصار المهدية حسبما يأتى به الذكر بعد هذا فى آخر التقييد ان شاء الله تعالى ، أنفذ

(١) فى بعض النسخ « عزة » وفى بعضها « غزة » ولعل الصواب « عرة »

اليه عسكرا قائده ابنه عبد الله ، فلما علم مدافع باقباله جمع أهله وعشيرته ومن انحاش اليه وفر ، ولقيه عسكر عبد الله فاتبعته شرذمة منه فواقفهم ساعة ثم انهزم ، وقتل جماعة من أهله وعشيرته ، وملك الموحدون قابس ، وتوغل مدافع فى الهرب فاستجار بأعراب طرابلس فأجاروه ، وكان شاعرا حافظا للسيرة والاخبار عالما بالانساب فلما أتى عليه عامان طريدا شريدا استشار عشيرته فى اللحاق بعبد المؤمن فأشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقيه بمدينة قابس فرضى عنه وأسكنه هنالك فتوفى بها وقد ناهز التسعين وكان له أيام ملكه وزير يعرف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقاتل عنه الى أن قتل ، وأنشد له العماد الاصبهانى فى الجريدة فى مدح مدافع المذكور (بسيط) :

مازلتُ أفري أديم الارض منفرِدا أطوي المفاوز غيطانا وآكاما
حتّى حططتُ رحالي في ذَرَى مَلِك غمر المواهب للقصّاد بسّاما
بشّر (١) مدافع ان الله خوّله سعدا ينال به كلّ الذي راما
قم فافتح الأرض فالأملاك كلّهم سواك أضحَوا عن العلياء نُوَّاما

وأنشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله (كامل)

أَ كذا أموتُ وما بلغت مرادي بين الصوارم والقنا الميّادِ

---

(١) وفى بعض النسخ « هنىء »

حيث العيون لوامح وطوامح ما بين أحباب وبين أعادي

وذكر صاحب « الخريدة » أيضا أن أبا ساكن عامر بن محمد بن مكى بن كامل بن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار الى دمشق فاستوطنها وقال يذكر ايامهم بقابس (سريع) :

ياجارِ طرفي غيرُ هاجع والدمع من عينيّ هامِع
ولقد أَرقتُ مُسامرا نجما بدا في الشرق طالع
متذكّراً بصروف دهـ ـرٍ أَصبحتْ فينا قواطع
إنّي من الشُمّ الأُلى شادوا العُلى أَبناء جامِع
أَهل المراتب والكتا ئب والمواهب والصنائع
يتسابقون إلى المعا لي كلُّهم فيها مسارِع
ولقد ملكنا قابساً بالمشرفيّات القواطِع
تسعين عاما لم يكن فيها لنا أَحدٌ منازِع
وجنابنا للمعتفيـ ـن بزهرة المعروف يانِع
وإذا شهدنا مجمعا يُومَى إلينا بالأصابِع
عبثت بنا أَيدي الزما ن وأَحدثت فينا البدائع

وذكر أن ابنه ساكن بن عامر ورد أيضا الى ديمشق وكان موجودا سنة احدى وتسعين وخمسمائة وأنشد له (طويل) :

إذا عزّ من أَهْـوَى أَغُـضّ لـه طرفي
وأُخفي الّذي بي من سقام ومن ضعفِ
وأَكتم عـن سرّي هـواه صيانـــة
ولو كان في كتمانه أَبـداً حتْفـي
مخافة أَنْ يشكو فؤادي صبابتي
إلى مقلتي يومـا فتُبدي الّـذي أُخْفِـي

وتغلب على قابس بعد خلوصها للموحدين شرف الدين قراقوش الارمنى مملوك الملك المظفر تقى الدين بن شاهنشاه بن أيـوب بن شادى ابن أخى السلطان صلاح الدين ، وكانت بينه وبين على بن اسحاق الميورقى مهادنة ومصالحة وكانا يجتمعان فى أكثر حروبهما ويقيمان الدعوة العباسية فى هذه الجهات ، وسنذكر سبب وصولـه الى هذه البلاد باثر الفراغ من خبرى هذا ان شاء الله تعالى ، فتحرك اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المـؤمن فكانت لـه عليهـا الوقعة المعروفة « بوقعة الحامة » وذلك فى سنة ثلاث وثمانين، وسيأتى خبر هذه الوقيعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله تعالى، وفر قراقوش والميورقى فـدخـلا الى صحراء تـوزر ورجـع المنصـور الى قـابس فاستسلموا له وفتحوا أبوابها وسلموا له تباع قراقوش وشيعته ، وقد كـان أعـدها حصنا وشحنها بأهلـه وأتبـاعـه وامتنع أهلـه بقصر

العروسين منها يومين ثم نزلوا الى المنصور راغبين فى الامان فبعث بهم فى البحر الى حضرة تونس ثم رفعوا بعد الى مراكش والى المغرب ، فأظهر قراقوش الانابة وهاجر الى الموحدين وذلك فى سنة ست وثمانين ، وقد مات على بن اسحاق الميورقى وولى اخوه يحيى فاجتمع قراقوش بتونس بالسيد أبى زيد ابن السيد ابى حفص وهو اذ ذاك الوالى عليها من قبل المنصور فاقام بها زمنا تحت كرامته ، ثم انصرف فارا عنه فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم وأظهر الرجوع على الانابة واستدعى اشياخ العرب الدبابيين فقتل أعيانهم بقابس ، ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق بن بقية واليه تنسب المحاميد ، وحميد بن جارية وهو أبو الجوارى فى سبعين من كبارهم وذلك بداخل قصر العروسين منها فى موضع منه معلوم الى الان .

وأخبرنى أبو صبيرة سعد بن الازرق الضريسى أن الدعى ابن أبى عمارة لما تغلب على قابس سنة اثنين وثمانين وستمائة أمر بحفر ذلك الموضع لبناء أحب احداثه هنالك ، قال : فوافق الحفر موضع دفنهم فرفعوا منه بين أيدينا نيفا وستين رأسا فأمر الدعى بنقلها الى غير ذلك الموضع فدفنت به ، ثم توجه قراقوش بعد افتتاحه الى طرابلس، وقد كانت بايعته أول اقباله وانتقضت عليه فحصلت طرابلس وقابس تحت ايالته ، ووقع بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقى

تغير والميورقى اذ ذاك ببلاد الجريد ، فسار الميورقى اليه الى طرابلس وخرج قراقوش للقائه فالتقيا بخارجها فانكسر قراقوش وفر الى جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من الحصار ، وكان من حصار الميورقى لطرابلس واستيلائه عليها ما يذكر عند ذكر طرابلس ان شاء الله تعالى .

ثم اخذ الميورقى أيضا فى الحركة الى قابس وكان نائب قراقوش خرج منها لما انهزم قراقوش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد ابن أبى حفص من تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين، فتحرك الميورقى اليها ووصل الى المنزل المعروف بزريق - الزاى متقدمة على الراء - وسياتى ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وكتب الى أهل قابس ينذرهم ويحذرهم ومن بعض فصول كتبه فى ذلك :

« ولما عزمنا على قرع بابكم ، والحلول بجنابكم ، رأينا تقديم الانذار اليكم ، وايراد النصيحة عليكم ، والكف عنكم ثلاثة ايام لا تمد لكم فيها يد ، ولا يتقدم اليكم بالاضرار أحد ، لنعلم ما عندكم ، ونتبين غيكم أو رشدكم ، فان آثرتم الطاعة ، وتبعتم الجماعة ، مددنا لكم أكناف العدل ، واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح الفعل ، وان أبيتم الا خلافا فقد أبلغنا النفس عذرا ، وأتينا بالتبرىء من أمركم برا ، ولا تغتروا بأهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع ،

أو مياه تصد(١) وتمنع ، لجـروا الى الطاعـة ، وحملوا انفسهم منهـا فوق الاستطاعة »

فلما انقضى أجله الذى حد ولم ير منهم اجـابـة ، ولا آنس منهم انابـة ، زحف اليها بجموعـه فحاصرها حصـارا شديدا وقطع جميع غابتها ، فيقال انه لم يبق منها الا نخلة واحـدة تركهـا عبرة لهم ، فأنابوا له بعد أن اشترطوا عليه مسالمـة واليهم ابن تافـراجـين وأن يتوجه بأهله وماله في البحر ، فاشترط لهم ذلـك ووفى به وأغرمهم ستين الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله كاتبه أبو محمد عبد البر بن فرسان(٢) فى كتاب كتبه عنـه لاهل طـرابلس وهى اذ ذاك فى طاعته مبشرا بافتتاحه لقابس، ونقلت هذا الكتاب بطرابلس من خط شيخنا الفقيه ابى فارس عبد العزيـز بن عبـد العظيم بن عبيـد يقول فى بعض فصوله . الحمد لله الذى أعاض من النصب راحـه ، وأضاء باشراق الدعوة (٣) العباسـية جهة من هذه المدينة كانت مظالمة وساحه ، بعد لجاجة شيطانها ، ومكابدة قطانها ، وتضيق أعطانهـا ، بمجانيق مسامتة (٤) لمبانيها ، على توانيها ، لا تبلع أهلها ريقا ، ولا تجد لهم (٥) للمدافعة طريقا ، فريقا ترهب على البعد وتقتل فريقا ،

---

(١) فى بعض النسخ « تصدع »
(٢) ترجمته فى كتـاب « تحفـة القادم » لابن الابار ـ مخطوط بالإسكوريال وفى خريدة القصر ـ للاصفهانى ـ مخطوط ـ بالمكتبة الزيتونيـة
(٣) فى بعض النسخ « الدولة »
(٤) فى بعض النسخ « مسامية »
(٥) فى بعض النسخ « ولا تجدهم » ولعل الصواب « ولا تخذلهم »

وكنا قبل وضع تاجها ، وخلع رتاجها ، وكسر مهابتها ، والتوغل في غابتها ، خاطبنا جمهورهم ، واستنزلنا معموزهم للطاعة ومغمورهم رغبة في الابقاء عليهم ، وانذارا لم يكن بد من تقديمه اليهم ، فرفعوا عراءهم ، وركبوا اهواءهم ، واستنهضوا غويهم فنصب للشقاوة لواءهم ، وكان فيها من رجال الدرق ، ورماة الحدق ، غثاء أسندوا اليهم ظهورهم فانقصمت ، وتمسكوا بعراهم فانفصمت ، وغوغاء استنفروها من الجبال ركدوا بعد الهبوب ، وعرفوا سموم تلك الجنوب »

ومن فصول هذا الكتاب : « فاخذهم هول الحصار ، وأحاطت الخيام بالاسوار ، حتى كانت المدينة معها كالزند في ضمن السوار ، وكالعنق تحت محيط الازرار ، (١) وكالمركز للفلك الدوار ، وكما لاحت في هالتها أجسام الاقمار ، لا ينبسون الا على أذن واعية ، ولا يتسللون الا على عين مراعية ، فضجوا من ثلاث ، ساقتهم الى التشجب بسوق احتثاث ، بعد القسوة ، وانصداع عصى الاسوة ، والعجز عن حماية الثغر والاولاد والنسوة ، ولما سقط في أيديهم ولم يجدوا راحما يعصمهم ممن يؤذيهم ، سلكوا للطاعة طريقه ، وتظاهروا بها مجازا او حقيقه ،فقبلت على حكم التسليم والتفويض ، والقيام بعبء وظيفة المال والنهوض ، وانتقلوا من الحرم الى الحل ، ومن الحرور الى الظل ، وقصر عن العدو حد السيف المطل ، وتفقدوا

(١) وفي بعض النسخ « الازار »

سوادهم فوجدوه طامس الاثار ، مجتث الاشجار ، مغور المياه الغزار ، لا منورا أبقت الايدى منه ولا منثورا ، يقول ناظره متعجبا ومعتبرا ، وكان الله على كل شيء مقتدرا »

وفى فصل منه : « واذا تقرر على الشرط حكم الاصطلاح ، وجرد المسترزق منهم والمتطوع من ملابس السلاح ، وحمل غويهم المؤمن فى نفسه وأهله مع من اختار صحبته من جنده الخاسر على ذات الدسر والالواح ، فرضنا عليهم مائة الف دينار عددا ، لم نفسح لهم فى اقتضائها أمدا ، فعجزوا واستكانوا ، وتضاءلوا بذلك كأنهم غير الذين كانوا ، فوسعهم التفات دينى ، ونظر على الرحمة مبنى ، خفف المتون ، فاضحت المائة وهى ستون ، وهم فى شأنها مفيضون ، وعما عداها معرضون ، فخاطبناكم بهذا الفتح ، الذى أشرقت من جانبيه شمس النجح ، لتأخذوا من المسرة بحظ من تبين لعينه تبلج الصبح ، فقد تقرر لدينا مما تعتقدون من الاعتماد علينا والاقتصار ، ومزيد النظر كل حين فى احكام الطاعة والاستبصار ، ما عضد خبره بالاختبار ، ولم يرتفع منه الا ما وقع بالموافقة وجاء على الاختيار . » وتاريخ الكتاب العشر الاخير من رمضان سنة احدى وتسعين .

وفى هذا الفتح والتخفيف على أهل قابس فيما طلبوا به يقول أبو محمد عبد البر بن فرسان المذكور ، وزعم ابن نخيل فى تاريخه أن عبد البر قال هذه القصيدة عند فتح طرابلس وليس كما زعم: (طويل)

أَجَل انـه النـصر المهنـأ والفتـح طواه الدُجى وقتا وبيّنه الصبحُ
عصوا ثـمّ جاءوا طائعين امامهم عماية غيّ كان آخرها النجحُ
هُدُوا للهُدى بعد اقتحام مضلّة بأوجُههم من منح ضرّائها لفحُ
عموا عن سبيل الرشد ثمّت أَبصروا وقد كان نشوان الضلالة لا يصحو
وفاءوا على حين اقتراح سمائهم الى غرّة قد كان منهم بها قرح
أَجالوا قداح الرأي أَثناء عزمهم فحين أَنابوا فاز بالـأمل القِدحُ
وما اذعنوا للشرط حتى أَراهُمُ ردى فهُمُ في كلّ حرب لهم برحُ
فما وريت منهـم زنـــاد استكانة
من الشرّ حتى حكّ في سمّها (١) القَدحُ
جثوا لقبول العفو في مجلس الرضا على بذل مال بان عنهم به الشحُ
فأوسعتهم عفوا وخففتَ عنهمُ من المال ما لولاه أَآدهُم الفدحُ
وهبتَ الّذي لو ظنّ غيرك أَنّـه يفوز به لم ينجهم عندها الصّلحُ
ومـا المـال إلّا للنفوس وقـايـة خسارته في جنب ما يتّقى ربحُ
تقود الجيوش الدهر (٢) برّا ولجّة ففي سبسب وخدٌ وفي لُجّة سبح
تُنازل من عاداك في عَقر داره فتُنزِلُه لو كان منزلَه الصرحُ

---

(١) في نسخة « في مسه »
(٢) وفي نسخة « الدهم »

وتضرب بالحق الصحيح كُلَى العدى اذا كان حظ البطل من غيرك الجرحُ
وتُطلع فجر العدل في مشرق الهُدى اذا امتدّ من ليل اعتداء العدى جُنْحُ
وتسرد من آي العُلَى سُوراً لها براهين لا يخفى لها ابداً شَرْحُ
تقوم لها في المكرمات دلائل كما قام عن مستودع الروضة النفْحُ
فلا زلْت فتّاح البلاد ممهِّداً جوانبها ما التاح من بارق لَمْحُ
ودان لك الداني وقُصّ من الذي قَصا طاغياً ريْش وحمّ له ذبحُ

وبقيت قابس فى حكم الميورقى الى أن وصل الناصر الى افريقية فى سنة احدى وستمائة فاستنقذ من يده قابس وغيرها ، وتردد عليها حفاظ الموحدين من قبل الناصر مدة اقامته بافريقية ومن قبل الشيخ أبى محمد بن أبى حفص بعد انفصال الناصر وهلم جرا ، وفى اثرهم استقر قراقوش بودان فتوجه الميورقى اليه بمن استصحب معه من العرب الدبابيين الموتورين من قبل قراقوش فحصره بها الى أن فنى طعامه وأعطى بيده سلما واشترط على العرب أن يقتلوه قبل قتل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده اليهم قال له الولد: يا أبت الى أين يروحوا(١)بنا ، فقال: الى حيث رحنا بآبائهم، فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميورقى بظاهر ودان وذلك فى سنة تسع وستمائة ، وهذا الاخير (٢) من صفة موت قراقوش هو

---

(١) كذا فى جميع النسخ
(٢) وفى بعض النسخ « وهذا الذى ذكرته اخيرا »

مما تلقيته من أفواه العرب الدبابيين وهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن آبائهم عمن حضر ذلك من أجدادهم ، وترك قراقوش ولدا آخر اشتهر أمره بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة جدا تميل العيون الى شخصه والاسماع الى ذكره ، ورتبه الخليفة المستنصر بالحضرة فى أجناده ، قدمه لطائفة منهم ، فحدثته نفسه بالثارة وأراد أن ينسج على منوال أبيه فهرب بجمع من أصحابه ولحق ببلاد ودان حيث قتل أبوه وأشعل تلك البلاد نارا فأنفذ اليه ملك الكانم من قتله وأراح تلك البلاد من فتنته وحمل رأسه الى بلاده فطيف به فيها وذلك فى سنة ست وخمسين ، وقد كان البطالون من الاجناد بالحضرة قد اشتغلوا بذكره ، واكثروا الخوض فى أمره

وقد كنا وعدنا بذكر السبب فى وصول قراقوش الى هذه البلاد ونحن الان نذكر ذلك(١) :

كان صلاح الدين يوسف بن أيوب انما ملك هو وعمه أسد الدين شركوه بجيش نور الدين محمود بن زنكى وقوة سلطانه ، وهما فى ذلك من جملة أمرائه وأعوانه ، وبعد استيلائه على مصر وموت أسد الدين حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين أن يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها فاحتاط لنفسه وبنى على الاندفاع أمامه ان وصل ، وذلك فى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فانقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد

(١) انظر كتاب العبر لابن خلدون ج ١ - ص ٢٥١

المغرب فقال له أخوه تورانشاه بن أيوب أنا أتوجه الى اليمن وأستفتحها وأعيدها (١) لك ان احتجت اليها، فتجهز اليها فى السنة المذكورة وافتتحها فى السنة التى بعدها وهى سنة تسع وستين ، وقال له الملك المظفر تقى الدين ابن أخيه شاهنشاه ابن أيوب أنا أتوجه الى المغرب فأفعل مثل ذلك فاشتغل تقى الدين بالنظر فى حركته ثم انه زهد فى بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين افريقية من العربان والمهالك فاستعفى من ذلك .

وكان سرى خبر تغريبه الى جمع من جنده وخواصه فاشرأبوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقى الدين من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه قراقوش الارمنى وبطائفة أخرى منهم ابراهيم بن قراتكين (٢) سلاح دار المعظمى وهو منسوب الى الملك المعظم شمس الدولة أخى صلاح الدين ، وكان فى اجناد تقى الدين ، فجاز المذكوران بمن معهما الى المغرب ، ولما جاوزا العقبة رأيا أن يفترقا لينفرد كل واحد منهما بما قدر له من الملك والرئاسة فصار قراقوش الى سنترية فافتتحها وخطب فيها للسلطان صلاح الدين ولاستاذه تقى الدين بعده وكتب اليهما بذلك وافتتح زلة (٣) وأوجلة وأزال من بلاد فزان دولة « بنى خطاب » الهواريين وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهى المعروفة بزويلة بنى الخطاب وعذب ملكها محمد بن

---

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اعدها »
(٢) فى نسخة « فراتكين »
(٣) فى بعض النسخ زويلة وهو غلط والاظهر ان تلك المدينة هى والتى سماها البكرى زلهى (ص ١٢) شئ واحد

خطاب بن عبد الله بن زنفل بن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين ولتقى الدين ٠

ولم يزل على هذه الطريقة يفتح البلاد ويخطب فيهـا لمن ذكر الى أن وصل الى طرابلس فاجتمع عليه الدبابيون ونهضوا معه الى جبـل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه أموالا عظيمة أرضى بها العرب، وكان من الاتفاق أن مسعود بن رمان (١) أمير الرياحيين خالف فى ذلك الزمان على بنى عبد المؤمن وفر أمامهم فوصل الى هذه البـلاد فكان تارة يكون مـع زغب وتـارة يكـون مع دبـاب ، فلمـا سمع بوصول قراقوش ومن معه من رماة الغز سر بهم وتوجـه بمن معـه من أبطال الرياحين اليه فحصر قراقـوش بهم طـرابلـس وصـادف بلادا لم تتوقع ثائرا ولا مخالفا فهى خالية من الاجنـاد ومن العـدد والاقوات ، فاستولى عليها فعظم اذ ذاك أمره ، وتوقع من بتـونس وغيرها شره ، ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتيج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فأبغضه الناس بعد ما كانت القلوب كلها قـد مالت اليه ، وأقبلت عليه ، وقد ذكرنا فى هذا التقييد من أفعاله الشنيعة ومخالفته على بنى عبد المؤمن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم مرة والفرار عنهم أخرى ودوام ذلك نحوا من أربعين عاما الى أن قتله الميورقى ما وسعه الذكر واحتمله هذا التقييد بحول الله تعالى ٠

---

(١) فى بعض النسخ « بن زمان » وعند ابن خلدون « ابن زمام »

وأما ابراهيم بن قراتكين فانه سار بجمعه ووقع فى خاطره المهاجرة الى بنى عبد المؤمن والركوب عندهم فصده أشياخ العرب المخالفون عليهم عن ذلك وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وأرسل الى « بنى الرند » (١) رؤساء قفصة فمكنوه من البلاد لانحرافهم عن بنى عبد المؤمن وحبهم فى الخطبة العباسية التى ألفوها ، فدخلها ابراهيم فخطب فيها للخليفة العباسى ثم لصلاح الدين . وقدر أن كان قتل ابراهيم المذكور وجملة من أجناده بعد ذلك على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فى قفصة حسبما نشرحه ان وجدنا محلا لذكر ذلك ان شاء الله تعلى .

وكان يقال لقراقوش المظفرى لانه مملوك الملك المظفر والناصرى لانه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب فى ظهائره . وقفت على ظهير بتوسيع (٢) أملاك لبعض أهل طرابلس سمى فيه نفسه « قراقوش الناصرى ولى أمر المؤمنين » بسكون الميم فى لفظ أمر وكتب علامة الظهير بخطه « وثقت بالله وحده » وتاريخ الظهير عام تسع وسبعين ، وكان الميورقى يكتب العلامة فى كتبه « وثقت بالله وحده » ويجعلها فى أسفل الرقم .

ومما كتب به الميورقى الى العرب يذكرهم الرحم التى بينه

---

(١) كذا اثبته ابن خلدون وفى بعض النسخ التى بايدينا « بنى الرنة »

(٢) وفى بعض النسخ « بتسويغ »

وبينهم لانه واياهم من سليم ويعيرهم انقيادهم لقراقوش ويستدعيهم للوصول لحضرته (بسيط) :

يا أيها الراكب الساري لطيّته على عذافرة تشقى بها الأَكَمُ
بلِّغ سليما على بعد المزار لها بيني وبينكم الرحمن والرحِمُ
يا قومنا لا تشبّوا الحرب إن خمدت واستمسكوا بعُرَى الايمان واعتصِموا
يقودهم أرمنيّ لا خَلاق له كأنّه فيهم من جهلهم عَلَمُ
الله يعلم أنّي ما دعوتكمُ دُعاء ذي تِرة يوماً فيتقِمُ
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور وهذا(١) الحق قد علِموا
لكن لأمر رسول الله عن رَحِم ينمى إليه وتُرعى تلكم الذِممُ
فإن أتيتم فحبل الوُدّ متّصلٌ وإن أبيتم فعند السيف نحتكِمُ

واعلم أن ما (٢) ذكرناه من معالم هذه البلدة المنار ، وقد وصفناه أولا ، وعين سلام على المشهور فى لفظها أنها باللام ، وقصر العروسين قد وافقت قابس فى جميع هذه الاسماء القلعة المعروفة بقلعة بنى حماد فاشتملت على معالم تسمى بجميع ذلك ، فالعروسان بالقلعة مبنى بناه الناصر بن علناس بن حماد ، والمنار مبنى مطل عليها بناه المنصور ابن الناصر وعين سلام عين بالوادى المعروف بوادى جراوة وهو

---

(١) كذا فى جميع النسخ
(٢) وفى بعض النسخ « مما »

من نواحي القلعة ، وحيثما ورد شيء من هـذه الاسمـاء في شعر أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد (١) فانما يعني مباني القلعة فانه كان معنيا بندب تلك المعاهد كقوله من أبيات : (بسيط)

أَين العروسان لا رسم ولا طلل   وأَين ما شاد منه القادة الأُوَلُ
ومجلس النوم (٢) قد هبّ الزمان له   بحادث قلّ فيه الحادث الجَلَلُ
وما رسوم المنار الآن مائلة   لكنّها خبرٌ (٣) يَجْري بها المَثَلُ

وكقوله من أخرى : (طويل)

الا ليت شعري هل أَبيتَنّ ليلة   بوادي الجوى ما بين تلك الجداولِ
وهل أسمعنْ تلك الطيور غُدَيّة   تجاوب في تلك الغصون الموائلِ
وهل أَرِدَنْ عين السلام على الصَّدَى   فأبرد من حرّ الضلوع النواهلِ
وانظرُ طيقان المنار مطِلّة   على الوجنات الزاهرات الخمائلِ
كأن القباب المشرِقات بأفقه   نجوم تبدّت في سعود المنازِلِ
فإن ثنت الأيّام عنها أَعنّتِي   وانزلْنني في غير تلك المنازِلِ
فصبرٌ جميل غير أَنّ صبابتي   ستبقى بقاء الطالعات الاوافِلِ

(١) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي صاحب النبذ المحتاجة في اخبار صنهاجة بافريقية وبجاية توفي عام ٦٢٨ انظر الى عنوان الدراية للغبريني ص ١٢٨ — ١٢٩

(٢) وفي بعض النسخ « القسرم »

(٣) وفي بعض النسخ « نبذ »

وقال من ابيات أخرى : (وافر)

عـلى عين السلام سلام صب ... غذاه ماؤهـا العذب النميرُ
تأوّد أيكها وجرت صباها ... وشمـألها كما فتق العبيرُ
وأبرد ما يكون الماء (١) فيها ... وأندى حين يحتـدم الهجيرُ
ومـا ادري أيجري فوق دُرّ ... أم ابتسمت بمنبعهـا الثغورُ
وقد قام المنارُ (٢) على ذراها ... كما قـام العروس او الـأميرُ
بناء يُـزدرى إيوانُ كِسْرى ... لـديه والخورنق والسَّـديـرُ

فأقمنا بظاهر قابس بعد يوم الوصول اليها أربعة أيام آخرها يوم الجمعة السادس عشر من شهر التاريخ ووصل الى فى أثنـاء اقامتنـا بها كتب من الوالد حفظه الله صدره بقوله (بسيط)

حمّلتمُ القلب إذ جـدَّ الرحيل بكم ... من الصبابـة مـا لا تحمل الـإبِـلُ
فلو سلـكتم سبيل الحزم ما عجزت ... إذ ذاكَ منّي على دفع النَـوى الحِيَـلُ
لـكن عرانـي ذهولٌ يوم بينكمُ ... كـما يكابد مَن أحبابهُ رَحَلُوا
فالله يجمع منّا الشمل عن عَجَل ... فالخير أَجمل مـا في نيله العَجَل

وانتقلنا عن قابس يوم السبت السابع عشر منه ففارقنا بمفـارقتها

(١) وفى بعض النسخ « الجو » وهـو اظهر حيث لا يحسن ان بوصف المـاء بالندى وهـو من الاعـراض الـلازمة بجوهره
(٢) فى بعض النسخ « المقام »

أرض النوائل واجتزنـا فى أرض اخوتهم الـوشاحيين ثم فى أرض المحاميد منهم والوشاحيون من كانت عليه ولادة لوشاح بن عامـر وقد قدمنا أن وشاحا ونائلا أخوان ورفعنا نسب نـائل وفى وشـاح ابن عامر يقول الشاعر (طويل) :

صنعت صنيما ضاع في نجل عامر　　　كما ضاع في الاصنام وادي زرُودِ

ووادى زرود فى قبلة القيروان بينها وبينه أميـال يسيرة واصلـه من موضع يعرف بفران بضم الفاء وتخفيف الراء وهذا الوادى يمر فى طريقه على مـزارع تسقى منـه وينتفع بـه فيهـا فـاذا انتهى الى الاصنام وهو موضع فى جـوف القـيروان انتشر فى سبخة هنـالك متسعة ضاع ماؤه فلم ينتفع به فأشار هذا الشاعر الى هذا .

ورئاسة الوشاحيين الان محصورة فى قبيلتى الجوارى والمحـاميد وما عدا هاتين القبيلتين من بنى وشاح كالعمور والجواوبـة يضـاف اليهما وهما قبيلتان متكـافئتان فى العـدد والقـوة فمهمـا نقص من احداهما فارس بموت أو غيره نقص من الاخـرى نظـيره ، عـادة أجراها الله تعالى بينهم فتجد احدى الطـائفتين اذا مـات واحـد من الاخرى يتوقعون موت مقابله منهم فيقع ذلك عن قريب ، ورئاسة المحاميد فى بنى رحاب منهم ، وهو رحاب بن محمود بن طوق بن بقية بن وشاح ، وسيأتى ذكر الجوارى بعد هذا حيث يتعين ذكرهم ان شاء الله تعالى

وكان نزولنا فى هذا اليوم بظاهر كتانة وهي قرية صغيرة ملتفة الشجر حسنة المنظر كأنها بستان واحد خضرة ونضرة وعامة شجرها الزيتون ، وكان غرسه بها أيام ولاية الامير أبى زكرياء على قابس سنة أربع وعشرين ، ولاهلها قصر كبير يأوون اليه وبها عين فوارة عذبة قد اجتمعت منها بركة ماء متسعة تلاصق سور القصر من جهة غربيه، وتخرج مذانب ومسارب تخرق الغابة فتعمها بالسقى. ومنها يوم الاحد الى الزارات وهى قرية ذات نخل كثير وماء غزير ينبع من عين حمئة وقد اجتمعت لدى منبعها أيضا بركة ماء متسعة القطر بعيدة القعر

ومن هذه القرية كان الابتداء بسلوك منازل البربر المستمسكين بمذهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم ، وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التى بين قابس وطرابلس وخصوصا أهل الساحل منهم ، فهم بهذا المذهب المذموم يتقربون ببيع من يمر بهم من المسلمين للروم فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد فى قراهم ويتجنبون ايواءهم وقراهم ، وهم من بقايا الشرذمة الضالة التى قام بها أبو يزيد مخلد بن كيداد فى افريقية فانه لما أظفر الله به وأراح منه البلاد والعباد تفرقت أتباعه فى الاقطار فسكنت هذه الشرذمة بهذه المواضع ، وسكنت طائفة اخرى بجبال بجاية وقسنطينة وما والاها الى بونة ، ومالت طائفة أخرى الى بلاد الجريد فاستوطنت

نفطة ونفزاوة وما والاها من البلاد ، وسنذكر كثيرا من معتقداتهم وتصرفاتهم فى عبادتهم عند ذكر جربة وزوارة فيما ياتى بحول الله تعالى .

ومنها يوم الجمعة الى وادى مجسر وهذا الوادى أصل مائه من الجبل المتصل من المغرب الى المشرق فى جهة الجنوب وسنذكره بعد ان شاء الله تعالى ، ينحدر ماؤه فيجتمع عند جبل صغير يعرف برأس تاجرا على نحو خمسة عشر ميلا منه حيث أوقع الشيخ أبو محمد بالميورقى وقعته المشهورة التى استأصل فيها أكثر أجناده ، وروى من دمائهم المراقة ظماء جواده ، وهى الوقيعة المعروفة بوقيعة تاجرا تضاف الى هذا الموضع ، وكانت سنة اثنين وستمائة ، ثم يفترق من تاجرا واديان ينتهيان الى البحر أحدهما هذا الوادى وهو وادى مجسر والاخر الوادى الاعلى الى جهة المشرق وهو المعروف بوادى الفجاء(١) فلا بد لكل سالك بين تاجرا والبحر من قطع هذين الواديين ، ووادى مجسر منهما معروف بكثرة الاسود وهى موصوفة بشدة الاسر، وقوة القسر ، وقد كان بنى فى الوسط من هذا الوادى مشارع فأجلت الاسود ناسها ، وأكثرت فيهم افتراسها ، ففارقوا مغناها ، (٢) ولم يستطيعوا لاجل ذلك سكناها ، وهذا الوادى ما كان من أرضه منخفضا كان الماء به دائما لانه يعود بطبع الارض

---

(١) وفى بعض النسخ « وادى الفجاة »
(٢) وفى بعض النسخ « مقتناها »

ملحا أجاجا ولا سيما ما قرب من البحر ، وتوجد فيه أنواع من الحوت مستطابة وما كان منه مرتفعا لم يكن بـه مـاء الا حـين حمله عنـد نزول الامطار وتنبت به غابة مشتبكة من الاثل (١) والطرفاء .

وكان هذا المنزل الذى نزلنا به من المواضع المرتفعة فلم يكن بـه اذ ذاك ماء فبتنا به تلك الليلة ، ثم انتقلنا عنه يوم الثلاثاء فنزلنا بساحل المجاز المعروف بمجاز الجرف وبقيت منه جزيرة جربـة ظـاهرة بين ايدينا ، وعرض هذا المجاز من الجرف الى ساحل الجزيرة أربعة أميال، فباتت المحلة على الجرف تلك الليلة ولما أصبحنا من الغد وهو يـوم الاربعاء الحادى والعشرين منـه شرع النـاس فى الجواز الى جزيـرة جربة وقد أعدت لهم السفن لذلك فاجتزنا نحن أولا وأقمنا بساحلها من داخلها بموضع منهـا يسمى بساحل آجيم بمـد الالف وتشديد الجيم ننتظر أن يستوفى الناس أشغالهم ، وان يجيزوا خيلهم وأثقالهم الى أن استوفى ذلك ، وتوافى(٢) جميعهم هنالـك ، وزرت بهـذا الموضع الـذى أقمنا بـه مسجدا هناك مباركا يـذكرون أن الامـام المهدى رحمه الله سكن به أول جوازه الى المشرق فانـه كـان دخل فى رحلته الى هذه الجزيرة

وجزيرة جربـة من أعظم الجزائـر خطـرا ، وأشهرهـا فى سالف الزمن عمارة وذكرا ، وطولها من المغـرب الى المشرق ستون ميـلا

---

(١) وفى بعض النسـخ « مـن الابـاء »
(٢) وفى بعض النسخ « ووفى »

كذا ذكر الشريف فى كتابه المؤلف للجار (١) ، وأما عرضها فمختلف فعرض الرأس الغربى منها عشرون ميلا وهو الطرف الواسع ومن هذا الموضع الى جزيرة قرقنة فى البحر ستون ميلا وعرض الرأس الشرقى منها خمسة عشر ميلا وهو أضيق مكان بها ، وهى ارض كريمة المزارع ، عذبة المشارع ، وأكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه الا ان هذه هى أكثر ثمرها وعليها مدار غلاتها ، وغيرها من كرائم الارضين لا يقاربها على الجملة فى ثمارها أو يساويها ، وتفاحها لا يوجد فى جميع بقاع الارض له نظير لما يوجد بها منه صفاء وجفافا وطيب مذاق ، وعطارة استنشاق ، ورائحته توجد من المسافة المديدة ، والاميال العديدة ، وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل هذا كثير ثم قل الان بسبب أن النصارى يتحفون به ملوكهم وكبارهم ، دون تعويض لاربابه عنه فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود بالفائدة عليهم فقطعوا أكثره ، واختصت هذه الجزيرة أيضا دون غيرها من البلاد بحسن الاصواف المحمودة الاوصاف التى ليس بافريقية لما ينسج من أثوابها نظير ، وذلك معلوم من أمرها شهير .

وأكثر مساكن أهلها أخصاص من النخيل، يجعل كل واحد منهم فى أرضه واحدا أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله ، وليس

---

(١) هو الملك « روجا » ملك النرمند وقد اعتاد كتاب العرب رسم اسمه لجار ـ انظر نزهة المشتاق ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

بها بناء قائم الا دور قليلة ، وهم ينقسمون الى فرقتين فرقة تعرف «بالوهبية» ورئاستهم في بنى سمومن وأرض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية فما والاها من جهة الشمال ، وفرقة تعرف « بالنكارة » ورئاستهم فى بنى عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من جهة الجنوب .

وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم وكلا الطائفتين خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج لا كمذهب المعتزلة في امتناعهم من اطلاق اسم الكفر على من واقع كبيرة ولم يتب منها فان المعتزلة لا تسميه كافرا ولا مؤمنا وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليدد فى جهنم ، وكأن المعتزلة بزعمهم توسطوا فى هذا بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة ، والمتصلحون منهم لا يماسحون بثيابهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم ولا يؤاكلونه فى آنيته وان استسقى عابر سبيل ماء من بعض أبيارهم(١) استخرجوا ماء البئر كله فماحود ، وثياب الجنب عندهم لا يقربها طاهر وثياب طاهر لا يقربها جنب ، وقد شاهدت منهم من كان على طهر اذا أجنب غسل ثوبه الذى أجنب فيه يرفعه بعصا أو بمحجن ثم يلقيه فى البحر فيخضخضه بعصاه ساعة ثم بعد ذلك يتناوله بيده ، ويوجبون على أنفسهم الغسل صباح كل يوم رجالا ونساء أجنبوا أو لم يجنبوا ، ويتوضؤون ثم يتيممون وقد شاهدت

(١) كذا فى جميع النسخ والصواب : آبارهم او ابئارهم

هـذا منهـم كثـيرا ، ويشترطون فى وضـوئهم غسل الايـدى من الاكتاف الى غير ذلك من آرائهم الـواهية ، والافعـال التى حكينـا عنهم منها ما شاهدناه وهو ما قصصنا ومنها ما حكاه عنهم الشريف فى كتابه المؤلف للجار (١)

وأول من افتتح هذه الجزيرة فى أول الاسلام رويفع بن ثابت بن سكن بن عدى بن حارثة الانصارى من بنى مالك بن النجار وهو من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وممن سكن مصر منهم ، وكان معاوية امـره على طـرابلس وذلـك سنة ست وأربعين فغـزا منهـا افريقية سنة سبع وأربعين ووصل الى جربة فافتتحها ثم رجع من عامه فمات فى برقة وقبره بها ، ويقال بل مات بالشام ، ولما افتتحها جمع السبى والمغنم وقام فى الناس خطيبا فقال : « يـا أيهـا النـاس انى لا أقول لكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا يوم خيبر حين افتتحها قام فينا خطيبا فقال : لا يحل لامرىء يـؤمن بالله واليوم الاخر أن يسقى ماؤه زرع غيره يعنى اتيـان الحبـالى من السبى ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الاخر أن يـركب دابـة من فىء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الاخر ان يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى اذا أخلقه رده فيه » رواه حنش بن عبد الله الصنعانى (٢) وتوهم البخارى أنه حنش

---

(١) انظر نزهة المشتاق ١٢٨

(٢) راجع اسد الغابة لابن الاثير ج ٢ - ١٩١ ومعالم الايمان للدباغ ج ١ ص ١٠١

ابن على الصنعانى فذكر أن الاختلاف فى اسم أبيه وقد وهمه فى ذلك على بن المدينى وفرق بينهما فقال حنش بن عبد الله صنعانى من صنعاء اليمن وحنش بن على من صنعاء الشام(١) وخرج هذا الحديث ابن صخر عن حنش بن عبد الله الصنعانى قال : غزونا المغرب وعلينا رويفع بن ثابت ففتحنا قرية يقال لها جربة فقام فينا رويفع بن ثابت خطيبا وذكر الحديث مختصرا .

وكان الثائر النكارى قام على المعز بن باديس سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ووصل الى جربة وافتتحها وقتل من أراد من أهلها وسبى ذراريهم وأسر ابن كلدين مقدمهم ثم قتله وصلبه فجهز اليه المعز أسطوله وقتل أصحابه قتلة شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته، وتوفى المعز فثار أهلها وأظهروا العناد والفساد وأنشأوا مراكب يقطعون بها السبل فى البحر على سائر السواحل

قال أبو الصلت فى كتابه الذى ذيل به على كتاب الرقيق : « لما ولى أبو الحسن (على) بن يحيى بن تميم بن المعز وذلك فى آخر سنة تسع وخمسمائة واستتب له امره واستوثق ملكه(٢) أمر باعداد الاساطيل لغزو جزيرة جربة ، وحركه فى ذلك ما ترادف عليه من قطع أهلها فى البحر واخافتهم المسافرين فيه ، فتم ذلك وقدم على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبد الله وأصحابه من أهل الدولة للمشورة

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٥ - ص ٣٩١ وميزان الاعتدال ج ١ - ص ٢٩١ ومعالم الايمان ج ١ - ص ١٤٤

(٢) فى بعض النسخ « استتم له امره واستوسق ملكه »

فلانا وفلانا ، فساروا اليها وذلك فى سنة عشر وخمسمائة فحاصروها وأخذوا بمخنقها الى أن أقر(١) أهلها بالطاعة للسلطان وانقادوا لامره ونزلوا على حكمه وضمن أشياخهم ومقدموهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم واشرارهم وأن لا يتعدوا بمتاجرهم المهدية وأعلم السلطان بذلك فكف عنهم ورجع الاسطول وصلح البحر وارتفع الفساد وأمن المسافرون » .

قال : « وكان أمر جربة واستصلاح(٢) أهلها قد استعصى على من تقدم من آبائه وأجداده على اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفور أموالهم ، ثم تغلب النصارى عليها فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة فقتلوا من قتلوا وبقى الباقون تحت طاعتهم ، فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة فغزاهم النصارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية فنقلوا اكثر اهلها سبايا الى بلادهم ولم يبقوا بها الا من لا بال له ، ثم تملكها المسلمون بعد ذلك ، ولم تزل من أول الفتح الاسلامى على هذه الصفة مترددة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى الى زماننا هذا وكان تغلبهم عليها فى هذه المدة الاخيرة سنة ثمان وثمانين وستمائة بسبب اشتغال ملك الحضرة اذ ذاك رحمه الله ببعض الثائرين عليه .

---

(١) وفى بعض النسخ « حزم »

(٢) فى بعض النسخ « امر استصلاح جربة وطاعة اهلها »

فأقمنا كما تقدم بذلك الموضع من الجزيرة الى أن عبر جميع الناس الينا وحصل سائرهم لدينا ، ثم انتقلنا عنه يوم الجمعة الثالث والعشرين لجمادى الاخرى عصرا مقربين لمرحلتنا من الغد الى حصنها المسمى « بالقشتيل » دمره الله فبتنا تلك الليلة الى جانب مدينة جربة القديمة حيث كانت قصبة الجزيرة وهى الان خلاء لا أنيس فيها ، ومشيت مع لمة من أصحابنا فجست خلالها وجلت حلالها فرأيت بقايا مدينة صغيرة الصنع ، مربعة الوضع ، ويحدق بها سور مرتفع هو باق الى الان ، وبداخلها جامع حسن البناء وقد تخرب الان فليس الباقى الا آثاره ، ورأيت على جهة منه نقشا لم تصل يد الفناء اليه فوجدته فى غاية الاحتفال وحسن الصنعة ، ولم يصل أحد منهم بهذا الجامع كراهية لاقامة رسم الاسلام بتلك الجزيرة لا خوفا من النصارى كما يزعمون ، وأما الجمعة فتركها أصل من أصولهم لانهم يشترطون فى اقامتها وجود الامام العدل ،

وفى آخر المدينة بقايا أطلال القصبة حيث كانت سكنى حافظ البلد وقد استولى الخراب على جميعها وفى موضعها الان شجرة عظيمة من السدر المعروف فى هذه البلاد بالسدر المصرى قد ملات ذلك المكان ، وهذا السدر مخالف لسدر بلادنا هذه وهو أكبر ثمرا وأعطر رائحة وأما المطعم ففيه غثاثة ، ورأيت منه بتوزر وما والاها من البلاد شجرا كثيرا وانما نسب لمصر لكثرته بها ، وكان الى جانب هذه القصبة حمام صغير هو الان باق لم يتسلط الخراب على

شيء منه فبتنا الى جانب هذه المدينة تلك الليلة ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فلم نزل نمشي بين نخيل باسقة ، وثمار متناسقة ، الى أن وصلنا موضع القشتيل دمره الله فرأينا حصنا ، يهول الناظر اتقانا وحصنا ، وهو مربع الشكل وفى كل ركن منه برج فاثنان منها مستديران واثنان مثمنان وبين كل برجين من هذه فى وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فصيل قصير ويدور بجميع ذلك حفر متسع فنزلنا على مقدار ميل منه

ووصل الينا اذ ذاك شيخ النكارة وقد كان هو ونظيره من الوهبية فرا عن الجزيرة أول اقبالنا عليها خوفا على أنفسهما فلما حللنا بها كتبا الينا كتابا يطلبان الامان فأسعفا به ، فوصل النكارى وتأخر وصول الوهبى فوصل بعده بأيام ، ولما اجتمعا تكفلا باستخلاص ما وضع من الاداء على قومهما وانفصلا ليشتغلا بقبض ذلك من يومهما واستمرت المحاولة فى قتال الحصن المذكور شهرين كاملين فوجدنا قوما قد أطالوا للحصار استعدادهم ، واستفرغوا فى التحرز جهدهم واجتهادهم ، وكانت كثرة الجيش الذى معنا من أعظم الاسباب فى الاقلاع عنه لانقطاع الاقوات بتلك الجزيرة وتعذر الميرة الا فى الشيء اليسير الذى لا تحصل به كفاية ، فعلمنا أن أخذه يصعب بتلك المحاولة ، ولنما يؤخذ بالحصار والمطاولة ، ورأينا أن ننفصل عنه لما كنا بنينا عليه من تهدين البلاد الجريدية وقبض مجابيها فاذا تم ذلك وعاد الجيش الى الحضرة عينت له

جريدة خيل يبنى فى أمرها على الاختصار(١) فتوطن على السكنى هنالك للحصار ، فكان ذلك .

وكان الانتقال من جربة يوم الخميس السادس والعشرين لشعبان، فكانت مدة الاقامة بها من يوم الدخول اليها الى يوم الخروج عنها خمسة وستين يوما .

ووصلت الينا ونحن بها قصيدة من الوالد فى مخاطبة مخدومنا صدر بها كتابا رأيت اثباتها هاهنا (طويل) :

على ذلك المجد الصميم سلامُ كما فُضّ عن أذكى المسوك ختامُ
ومازجه نشرٌ من الروض قد جرى عليه نسيم واستهلّ غمامُ
وإلاّ كما قصّ الرواة حديثكم ورُدّد منه في النديّ كلامُ
فكل يوافي عنكم بمحاسن إذا كلّ عنها النثر ناب نظامُ
فكم قائل قد شكّ إذ شمّ طيبه أدارين أم دارٌ لكم ومُقامُ
فليت الصبا تهديه عنّي إليكم وتشدو به فوق الغصون حمامُ
ولمّا توجّهتم وجدّت ركابكم وسُرّح للجُرْد العتاق لجامُ
أقمنا وللسلوان عنّا ترحّل وللشوق ما بين الضلوع مُقامُ
فلو كانت الآمال اجنحة لنا لطِرْنا ولكن لا جَناح يُرامُ

(١) وفي بعض النسخ « يبنى على امرها فى الاختصار »

امولاي كلّ الناس يشكو بشوقكم ولكنّني للمشتكين إمامُ
يُذكرنيكم كل شيء رايته جميل به يُعنى وفيه يُهامُ
ولكنّني القاه في الناس ناقصاً وفيكم زيادات له وتمامُ
وبي للتلاقي شوق سرب ظوامىء راين قَراح الماء وهو جمامُ
وقد صدّها عن ورده خوف صائد فهنّ حِيامٌ حوله وهيامُ
فيا ليتني ادري متى الدهر مُسْعِفي بذاك فتشفى لوْعة وغرامُ
أُجاهد اشواقي جهادك للعدى فكلّ يلاقي الجيشَ وهو عرامُ (١)
وَلكن لك السيف المصمّم في الوغى وسيفي في تلك الحروب كهامُ

ووصلتنى ونحن بها ايضا ابيات من الاديب ابى محمد عبد الله بن احمد الازدى العسيلى غابت عنى الان ، مطلعها : (خفيف)

يا نسيم الصبا ديونى فاقضِ إن بلغت الحِمَى وإلاّ فامضِ

فاجبته عنها بقولى.

قل لبرق جلا الظلام بومضِ ذاهب في السرى لِأَرضٍ فأرضِ
غير مستشعر لقلبي سكونا لا ولا لائذ لجفني بغمضِ
أَيّها البرق أَنهِ نحو العسيلـــيّ سلاماً تؤدِّ آكَد فرضِ

(١) في بعض النسخ « لهام »

ولتُبلّغه أنّني ذو اشتياق قد قضى لي أليمه ان سأقضي
لست أرضى على البعاد لِعهد مبرَم العقد أن يُشابَ بنقض
وصنيع الإلاه عندي سما عن أن تقوم الشفاهُ منه ببعض
بصنع مولى فاق البريّة طَوْلا تعاطى (١) المنى فيعطي فيُرضي
أَحرز المجد بين جود بعَرْض مستباح الحِمَى وبُخْل بعِرْض
من أتاه يشكو بجدب وبؤس آب في عيشه بخصب وخفض
رائداً بارض الجميم لديه وارداً من حمامه غير بَرْض
وهو يهدي إليك منه سلاما يُنْسِك(٢) المسك عرفُه إثر فضّ
لم يزل عنك سائلا كلّ حين وعُلاه بمثل ذلك تقضي
زاده الله مكنة وسعودا يأمر الدهر كيف شاء فيُمضي
يا صفيّي الّذي محضت علاه كلّ صفو من الوداد ومحض
هاكها اقبلت إليك حياء ترتجي أن تُعيرها لحظ مُغْضِي

واتصل بها نثر

ولما انتقلنا من جربة لم نخرج من المجاز الذى دخلنا منه بل خرجنا من مجازها المعروف بساحل البر المتصل مقدار

(١) فى بعض النسخ « بتعاطى »
(٢) كذا فى جل النسخ وفى بعضها « ينسى »

ثمانية اميال فى البحر اكثرها قصير تقطعه الخيل مشيا وفيه مـواضع عميقة لا يمكن السابحـات قطعهـا الا سبحا فهـو مجـاز خبيث لا يجوزه الا عارف بـه متكـرر عليـه ، فاجتزنـا نحن اولا فى السفن وشرع الناس فى الجواز فأجازت السفن قوما وأجازت الخيل آخرين مشيا وعوما الى ان استوفى الجواز جميع النـاس ، واقمنـا بظـاهـر المجاز خمسة أيام آخرها يوم الاثنين الموفى ثلاثين من شعبان

وكان ارتحالنا غادين (١) الى قابس يوم الثلاثاء غرة شهر رمضان فنزلنا يومنا ذلك بموضع يعرف بسوانى خلف الله وهى منسوبة الى رجل من مرابطى العرب احمدى وهو من تـلامـذة الشيخ أبى عيسى العمورى كان ابتنى هناك مسجدا رسمه الى الان باق وأحيى بمغربته ارضا مواتا فمنعه عما أراد من عمارة تلك الارض كثرة فسادحواشى(٢) العربان لما يزرع بها فان العرب كثيرا مـا يقصدونهـا بمواشيهم لانهم يقولون : أمرأ باقل ترعى الابل به فى تلك الارض وأمرعه ، وحد هذا الباقل عندهم من هذه السوانى الى البحر ، والبـاقل عنـد هؤلاء العرب اسم مرعى من النبـات مخصوص ، وهـو فى اللغـة اسم لكل موضع انبت البقل والبقل كل نبات تخضر منـه الارض ليس له أرومة ، وقد ابقل المكان رباعيا فهو باقل على غير قياس هـذا هو الاكثر الشائع فيه وقد سمع فيه مبقل على القياس

---

(١) وفى بعض النسخ « عائدين »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « مواشى »

ومنها يوم الاربعاء الى موضع يعرف بتجغت بفتح التاء وتشديد الجيم وسكون الغين المعجمة وهو بسيط متسع من الارض رأينا به وبسائر هذه المسافة آثارا قديمة ومبانى مختلفة الاشكال ومصانع للمياه مصنوعة(١) وقد سقط من كثير من تلك المبانى احجار مرسومة بخطوط ليست من خطوط اهل زماننا هذا فانى استدعيت كثيرا من النصارى لفكها فلم يعرفوها ، وبهذا الموضع ايضا بقايا محارس متفرقة مع ساحل البحر ليس فيها متسع الا لجلوس رجل واحد وبالجملة فئاثار هذا الموضع كثيرة ، ورسومها الى ضخامة بانيها مشيرة .

ومنها يوم الخميس الى وادى مجسر ويعرف هذا الموضع منه بالطواحين بالحاء المهملة وتضاف اليه فيقال طواحين مجسر وقد تقدم ذكر هذا الوادى قبل ، وكان منزلنا فى هذه الخطرة متعاليا على منزلنا الاول الى جهة الجنوب فجاء المنزل الاول بيننا وبين البحر وهذه الطواحين مواضع هذا الوادى المنخفضة وقد ذكرنا قبل أن ما كان منه منخفضا كان الماء فيه دائما فكابد الناس فى هذا اليوم مشقة شديدة فى اجتيازه وخوض مائه ، ووجدنا بعض المرابطين قد زرع على احد جانبيه زرعا بلغ فى ذلك الزمن ان يكون للبهائم مرعى وقد قام عليه ليمنعه من الجيش مدلا برباطه فثارت دهماء الاجناد رعى الزرع على رعيه ، وانجلى الامر على ابطال كدح المرابط وسعيه .

(١) فى بعض النسخ « متنوعة »

وانتقلنا عنه يوم الجمعة فنزلنا بكتانة وقد تقدم ذكرها ومنها يوم السبت الى قابس وهذه خطرتنا الثانية اليها فأقمنا فى الاخبية بظاهرها عشرة ايام آخرها يوم الاثنين الرابع عشر منه واستعد الاجناد فيها لدخول البلاد الجريدية حسبما كنا بنينا عليه اول السفرة فكان رحيلنا عن قابس متوجهين الى توزر يوم الثلاثاء الخامس عشر من رمضان فدخلنا فى اول هذه المرحلة من ارض دباب فى منازل بنى أحمد وهم بنو احمد بن دباب بن ربيعة بن زغب وربما شاركهم فى منازلهم هذه بنو يزيد .

وبنو يزيد أربعة أفخاذ من دباب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة لا الى رجل متسم بيزيد وهم : الصهبة والحمارنة والحرجة والاصابعة ، فأما الصهبة - بسكون الهاء - فبنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وأما الحمارنة فبنو حمران بن جابر اخوتهم ، وأما الحرجة - بسكون الراء - فجماعة من آل سليمان بن رافع بن دباب ، اخرجهم بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا الى محالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم هذه ، وكانت أرضهم أرض مسلاتة وما قارب منها ، واما الاصابعة فهم منتسبون الى رجل كانت له أصبع زائدة ودباب يطعنون عليهم نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم.

وحللنا الحمة يومنا ذلك وتعرّف بحمة مطماطة تفرقة بينها وبين حمة توزر المعروفة بحمة(١) البهاليل ، فرأيت مدينة حاضرة تحف بها غابة

---

(١) فى بعض النسخ « حامة »

نخل تحمل حمله وجميع مياه هذه البلدة شروبة وهي في غاية السخانة وبسخانة مائها سميت الحمة، والحمة في اللغة هي العين التى بمائها سخانة ، وجاء في الحديث « مثل العالم مثل الحمة (١) » ، قال الهروى في غريبه الحمة عين حارة يستشفى بها المرضى ، وذكر أبو عبيد في كتاب الامثال أن من أمثالهم : العالم كالحمة يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء ، ولم يزد أبو عبيد على هذا ، وهو أثر وتمامه : فبينا هم كذلك اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكنون (٢) ويتفكنون بالنون أى يتندمون ، تفكن تفكنا ، وقرأ أبو حازم العكلى فظلتم تفكنون (٣) وهو من هذا ، والنسبة الى الحمة حمى ، وذكر أبو عبد الله محمد بن على المصرى في صلة السمط أنه سمع في ذلك حامى بالالف وهو من شواذ النسب .

وهذه البلدة في أكثر أوقاتها سالمة من الوباء فاذا وبئت - بفتح الواو وان شئت ضممت - استأصلت أهلها وكانت في ذلك أشد من قابس ، وكان عليها سور مرتفع ورأيت مواضع منه قد تهدمت ولم يشتغل أهلها برمها فسألتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور وانما سورنا سيوفنا فذكرت قول الشاعر (وافر) :

إذا صدق الحسام ومُنتضيه ... فكلّ قرارة حصن حصينُ

وما ليث العرين بذى امتناع ... إذا لم يحمه إلاّ العرينُ

(١) انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج ١ - ص ٢٦٢
(٢) انظر النهاية ج ٣ - ص ٢١١
(٣) راجع الكشاف ج ٣ - ص ١٥٩ - ١٦٠ (المطبعة الاميرية ١٣١٩)

وبناء داخل هذه المدينة فى غاية الارتفاع وهم يتنافسون فى ذلك ورأيت فى قصبتها وهى موضع سكنى الوالى آثارا تدل على ضخامتها غير أن الخراب استولى الان على كثير منها ، وبهذه القصبة قناة ماء يتسرب اليها من خارجها في غاية القوة وقد بنى عليها بيت على شكل حمام جاء فى نهاية الظرف والحسن

وبظاهر هذه البلدة كانت الوقيعة للمنصور أبى يوسف يعقوب ابن عبد المؤمن ملك المغرب على على بن اسحاق الميورقى ومن معه من العرب والغز فى بلاد افريقية ، فتحرك الى تونس فلما وصل اليها وجه ابن عمه يعقوب بن أبى حفص بن عبد المؤمن فى عسكر ضخم للقاء الميورقى فالتقوا بمقربة من قفصة فكانت للميورقى عليهم الوقيعة المعروفة بوقيعة عمرة ، قتل فيها أكثر جيش المنصور، وتحامل من سلم من القتل فوصل الى قفصة فاستدعاهم الميورقى موهما لهم بالامان فلما اجتمعوا أجال السيف على جميعهم ، فامتعض المنصور من ذلك ونكب عن المشورة واستبد برأيه وتحرك من تونس واستخلف عليها أخاه السيد أبا اسحاق ونزل رادس متلوما وقد ظهر تكاسل الناس فعاقب أقواما على تأخرهم وتوجه ، فلما كان على فرسخين من الحمة سرح سرية الى منزل العرب الذين مع الميورقى فشنت الغارة عليهم واكتسحت أموالهم ففل ذلك شوكتهم ، ثم لبس المنصور لامته وناجزهم الحرب مباشرا لها بنفسه فاستؤصلت الموارقة وأفلت على بن اسحاق وقراقوش فتبعهما الموحدون سالكين سبيلهما حتى

أشرفوا على تـوزر فوجدوهما قد توغلا في صحرائها فرجعوا عنها ، وانصرف المنصور الى قابس فأحاط بها بـرا وبحرا الى أن فتحوا لـه أبوابها ، وفى ذلك يقول أبو بكر بن مجبر(١)من قصيدة طويلة (وافـر) :

لقد برزَت إلى هول المنايا وجوه كان حجَّبها اللثامُ
وما اغنت قسيّ الغزّ عنها وليست تدفع القدرَ السهامُ

وهي ثابتة فى ديوان شعره ، ومما قاله هو والجوارى (٢) فى هذه الوقيعة وثبتت القصيدة فى ديوان الجوارى (بسيط) :

رأى الشقاء ابن اسحاق أَحق بـه من السعادة والمحدود محدودُ
وكيف يحظَى بدنيا أَو بـآخرة مُخلّب عن طريق الرشد مطرودُ
أَعمى ونور الهدى باد له وكذا من لم يساعـده توفيق وتسديدُ
والسيف أَبلغ فيمن ليس يردعه عن الغواية ايعـاد وتهديدُ
أَولى له لو تراخى ساعة لـغد وريده وهو بـالخطّي موروودُ
أَنحى الزمان على الاغرار (٣) واجتهدت في قطع خضرائهـم أحداثه السودُ

(١) وفى بعض النسخ « ابو بكر بن بحر »
(٢) وفى بعض النسخ « الجوراني »
(٣) وفى نسخة « الاغزاز »

ونازعتهم نفوس الهند أنفسهم فلم يفدهم عن الهيجاء تعزيد (١)
فهم على الترب صرعى مثله عدداً ان كان يقضى بأن الترب معدودُ
ولّوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولودُ
يوم جدير بتعظيم الأنام له فما يقاس به في حسنه عيدُ
أضحت على فضله الايام تحسده ان النبيه الرفيع القدر محسودُ

ثم توجه المنصور الى قفصة فحاصرها حصارا شديدا الى أن خرج اليه أهلها راغبين فى العفو فشارطهم على تأمين أهل البلد فى أنفسهم خاصة وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم المساقاة وجميع من عندهم من الحشود والغرباء ينزلون على الحكم فوقع الاتفاق على ذلك، وخرج جميع من فى البلاد من أهله وغيرهم حتى لم يبق فيه الا النساء فميز أهل البلاد وأمروا بالرجوع الى بلدهم، وبقى من كان به من الغرباء والحشود والاجناد، ومن جملتهم ابراهيم بن قراتكين المعروف بسلاح دار المتقدم الذكر فثقفوا ساعة ثم جلس المنصور باثر صلاة الظهر بموضع جلوسه وأخذ الناس مراتبهم وأمر بأولائك المثقفين فقيدوا اليه فأمر بذبحهم فذبحوا بين يديه أجمعين لم يفلت أحد منهم، وكان الاعمى الفهمى حاضرا وهو نحوى فاضل كان الخليفة يعينه لقراءة اولاده القرآن، فطلب أن يسمح له بشخص

(١) وفي بعض النسخ « تغريد »

منهم يتولى ذبحه بيده فأجابه الخليفة الى ذلك ولما أضجع له طلب يسيرا من الملح والصعتر كما يفعله العامة بالضحايا فأضحك بهذا الفعل المبكي جميع من حضر ، وأمر المنصور بهدم سور قفصة وقسمه على جميع من بالمحلة فأعادوه فى مدة يومين أثرا بعد عين ، وفى هذه الخطرة هلك أكثر نخيل قفصة اذ كان المنصور قد آلى أيام حصارها لها أن يقطع كل يوم ألف نخلة وفى هذا الفتح يقول أبوبكر بن مجبر أيضا (بسيط) :

ما غرَّ قفصة الاَّ أنَّها اجترمت ... فلم يكن عند أهل الحلم تثريبُ
ما بالُها زار أَمْنُ الله حوزَتَها ... فلم يكن عندها أهل وترحيبُ
تلك البغيُّ الّتي خانت فحاق بها ... وبالزناة بها رجم وتغريبُ
قد فُضّ شملهم عنها وقد نعبت ... بها من الحَينِ غربان غرابيبُ
أَما يردّ سليما ما يباشره ... وفيه للنفس ترغيب وترهيبُ
هذي أعاديه قد صارت مقسّمة ... على البلايا فمقتول ومسلوبُ

فنزلنا بخارج الحمة كما تقدم وأقمنا هنالك ستة أيام آخرها يوم الاحد العشرون من شهر التاريخ ، وصليت فى أثنائها صلاة الجمعة بجامعها وهو جامع حسن ظاهر البركة والخير ، ووصل الى ونحن بها كتب من الشيخ الاديب الفاضل أبى زيد عبد الرحمان بن أبى القاسم بن نزار السهمى وكنت كلفت بعض من كتبت له بتبليغ

السلام اليه فكانت فى كتاب الشيخ(١) أبى زيد هذه الابيات (كامل) :

وصلت تحية نازح بوساطة فكأنها نشر الرياض مع الصبا
وكأنما يهدي النسيم من الشذى منها ثناؤك .... (٢) الاطيبا
وكأنّ عبد الله إذ حيّي بها عيسى بغير نبوّة لكن نبا
فعليه منّي ردّها لو أنّني جبت القفار به لكان الأوجبا

فكتبت اليه جوابا عنها :

أحملتِ عرف المسك يا ريح الصبا أم ساق نشرك لي حديثا طيّبا
فلقدأ عاد الروحَ رَوْحُك اذسرى من بعد ما قد قاربت أن تذهبا
هي تحفة وفت بنوسهم بها سهمي وأولوني الحباء المُخْسِبا
دعت الحياةَ فأقبلت منقادة واستدنت الأملَ القصيّ فأكثبا
وأتت إلي وقد حوى إيضاحُها جُمَلا أعادت لي السرور مقرّبا
يا ماجدا أعددته لي سيّدا وأعُدُّه كِبَراً وإجلالا أبا
هاك السلام على النوى من ذاكر لك بالجميل مشرّقاً ومُغرّبا
واصحبْ أبا زيد جديدَ سعادة تثني الابِيّ من المطالب مصحِبا

(١) فى نسخة «بتبليغ السلام اليه مصرحا فرد الى سلامي فى كتاب الشيخ الخ»
(٢) بياض فى جميع النسخ التى بايدينا .

وارتحلنا عن الحمة يوم الاثنين الحادى والعشرين متوجهين الى نفزاوة فنزلنا يومنا ذلك بمنزل يعرف(١) بمجزم وهى قرية كبيرة وعليها غابة نخل ممتدة وبها قصور ومنازل ضخمة بالنسبة الى مبانى البادية ، ووجد الاجناد أهلها قد فروا عنها جلاء وتركوها خلاء فانطلقت أيديهم بالعيث فى ربوعها والرعى لزروعها وكثيرا ما كانوا يحتفرون أرضا فيجدون أهلها قد أودعوا هنالك ما صعب عليهم نقله ، وأثقلهم من الاثاث حمله ، فأذهبوا بالافساد رسمها ، ولم يبقوا منها فى الحقيقة الا اسمها .

ومنها يوم الثلاثاء الى منزلة تعرف بعيون رحال وهى قفرة تنبع بها عينان نضاختان ، والى جانبها نخيلات يسيرة ، وفى مرحلتنا هذه فارقنا أرض بنى أحمد ودخلنا فى أرض زعب ، وزعب قبيلة تنسب الى زعب الأصغر ابن زعب الاكبر بن جرو بن مالك يجتمعون مع دباب ، فى هذا المعنى يقول الدبابيون ان زعبا منهم يريدون هذا القرب الذى بينهم فى النسب ، وقد تبين من كلامنا هذا ومما تقدم أن زعبا الاكبر ولد ولدين زعبا الاصغر وربيعة أبا دباب ، فدباب على هذا هو ابن أخى زعب الاصغر واذا تداعى الزعبيون بزعب فانما يعنون به الاصغر ولو عنوا الاكبر لدخلت معهم فى ذلك دباب ولكانت دباب من زعب ، والاشهر فى الزاى منه الضم وضبطها الاجدابى(٢)

(١) فى بعض النسخ « بقرية تعرف »
(٢) هو ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى صاحب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ذكره السيوطى فى بغية الوعاة ص ١٧٨

بالكسر وكذا سمعت الفصحاء من أعراب زماننا ينطقون به ، وكذا ذكر الرشاطى هذا النسب فى كتابه : قال هو منسوب الى زعب بزاى مكسورة وعين مهملة قال الامير ابن ماكولا فى «الاكمال» : له والى اليوم منهم خلق بالحجاز زعبيون ولهم غفارة فى طريق مكة

ومنها يوم الاربعاء الى طرة احدى قاعدتى بلاد نفزاوة وهما طرة وبشرى ، فرأيت بلدا بلا اسم وقرية بلا معنى وهى محفوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها ما ينظر اليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فان لها بركة ماء متسعة حسنة المنظر ، شارحة للنفس ، تدخل البهائم اليها عند الشرب الى حد معلوم لا تتجاوزه وان جاوزته غابت فى مغايض (١) لا قعر لها ، ويذكرون أن لها فى كل عام رجلا تقتله لابد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك فى الغرباء ، ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نفزاوة عند الغسل ما يظهر عليه من الرونق والطلاوة ، وبمقربة من هذه العين قصبة البلد حيث كانت الولاة وقد أعادها الخراب دكا فلم يبق منها غير سورها المحيط بها ، وبخارج هذه البلدة نخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون يعتقد جميع أهل ذلك الموضع أنه غرسه فرعون وهو غير مستملك ، وتمره مباح لمن اجتاز به من الغرباء

ومن الغرائب ما اختصت به هذه البلدة من شدة عصف الريح واتصال ذلك غير مختص بفصل من فصول العام ، وهم ينسبون

(١) فى بعض النسخ « مغائص »

ذلك الى طلسم كان مدفونا بها وأن بعضهم أخرجه وكسره فكان بسبب ذلك عندهم دوام الريح هنالك ، ويزعم أهل نفزاوة ان الرياح انما يشتد عصفها ببلدهم عند نزول الجيوش عليها ، ويعدون ذلك من جملة الرفق بهم لان الجيوش تسرع الارتحال بسبب ذلك عنهم

ونفزاوة اسم نقل الى الموضع من اسم القبيلة التى سكنت به فى اول الدهر ، وهم بنو نفزاو بن الاكبر بن بر بن قيس عيلان بن الياس بن مضر بن نزار ، قال الشريف فى كتابه المؤلف للجار(١) : ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذى قتله داود عليه السلام واسم جالوت ضريس وهو ضريس بن الاصفر بن نفزاو ، ومن نفزاو تفرعت زناتة كلها وهم فى الاصل عرب ، وانما تبربروا بمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم ، وقد اختلف حفظ الشيوخ فى لفظ نفزاوة فبعضهم ينصبون النون منها وبعضهم يكسرها

ومن المنتسبين الى طرة هذه الشيخ : أبو يعقوب الطرى صاحب الرسالة التى أولها : « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود فى نفسه » قسم فيها مدلولات لفظ العقل ومراتبه تقسيما أخذ جله من كلام الامام أبى حامد الغزالى رحمه الله تعالى ، فوقف على رسالته الشيخ أبو على النفطى رحمه الله تعالى

---

(١) انظر نزهة المشتاق ص ٨٨ (مع اختلاف كبير فى الاخبار)

فخاطبه بالرسالة التى أولها : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق (طويل) :

أَمـا آن من صبـح الرشاد تنفس   وحتَّى متى ليل الظلام معسعسُ
تراني أَرَى فجر الهدى متعرضًا   فينزع للترحـال صبٌّ مُعَـرِّسُ
وما حذري الاَّ شَعُوبُ مغـيرة   ومالاح اصباحٌ ولااشمطّ حِنـدِسُ

من شيبان الابله الى الحبر أبى يعقوب : أما بعد فان كتابك ورد مشتملا على ماهية العقل وحقيقته وقد ألفيته وافيـا بمقصودك ، غـير واف بمقصودى ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف ، واقتنى علوما لم يؤمر بها شرعا فاستغرقت فيهـا همته حتى نـزلت(١) بـه قـدم الغرور فى مهواة من التلف ، وكل ما تذروه ريـاح المـوت فالهمـة تقتضى تركـه ، وقد استشهدت بالحـديث فى النظـر فى الاسباب والترقى منها الى مسببها فالامر كما ذكرت لكن ليست أسبابا هى ظلمات ثلاث بل هى أسباب نورية يستدل بها على منورها ، فمعرفة النفس مقام محمود وهو مقـام المقربين الـذين يمـزج من شرابهم الصرف لاصحاب اليمين ، فالمقرب من عرف نفسه موحدا لـربـه ، وهاهنا نظر لا يسلم منه الا من سلم من رعـونات البشر والحظوظ النفسانية ، ويمكن الارتفاع الى من عرف نفسه موحدا لربه ، وقد من الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية محمدية يعضدها الشرع ، ويشهد لها

---

(١) كذا فى النسخ ولعل الصواب « زلت ».

العقل السليم الجامع بين الاصل والفرع ، كالجمع والافتراق ، وخرق السبع الطباق ، وحقيقة البرزخين ، وما اشتملت عليه أرحام الاثنين ، والترقى من الاين الى حيث لا أين ، وكيفية الارواح والاشباح ، وسكون الليل وانفلاق الصباح ، واختلاف الالسن والاصوات ، ومنطق كل شيء وعجائب الايات ، الى غير ذلك مما لم يلف قط مسطورا ، وقد اضمحل الوجود وبطل دعواه ، وبرز المكنون على كل شيء كلا بل هو الله ، وأعرب بلسان ناطق فصيح غمزا أو رمزا ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، (كامل) :

بل لو ترانا والاحبة بيننا　　　لرأيتَ غزلانا تصيد سباعا

بل لو ترى تلك البقاع وحسنها　　　لظللتَ بالحسن البديع مُراعا

كذا وقع مراعا وفعله ثلاثى فانما هو مروع :

حسبي طباع واصطباري كُلْفة　　　وأرى التكلُّف لا يزيل طباعَا

وكثيرا ما يشير الى مطالعة كتب حرم الوقوف عليها عقلا وشرعا ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، من يطع الرسول فقد أطاع الله وكفى بهذا جمعا ، والحنيفية السمحة قد أشرق سراجها وغمر نورها وقهر سلطانها كل أشوس عاتى القلب ليس له تحقيق أهل الوصول، ولا تدقيق أهل الاصول ، الهمج الرعاع ، الذين هم لكل ناعق اتباع، قد أوثق الغى عقولهم فهم فى ريبهم يترددون، آفتى معرفتى، أرى الشر

من ذوى النباهة قريبا ، وكانى بسيدى يقول شب عمرو عن الطوق، وما أحوجه فى حقيقة الشرع وحالة التصوف الى شيء من الـذوق ، وأعلم أنه لا تظهر حالة حسنة الا بملازمة أصل صحيح ، فـان كنت ممن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وأناب الى الله بقلب سليم فها أنا أقبل قدميك ، متبع ما يوحى اليك ، والا فاطو عنى طومار الهذيان ولا تقعقع لي بالشنان، « يـا أبت انى قـد جاءنى من العلم ما لم ياتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يـا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطـان كـان للرحمن عصيـا ، يـا أبت انى أخـاف أن يمسك عـذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال سلام عليك سأستغفر لـك ربى انه كان بى حفيا ، (طويل) :

ولمّا استبان الصبح أَدرج ضوءه بأنواره أنوار ضوء الكواكب

أشرق فى الليل نور بهجته ولاح ، حتى أطفأ بشعاعه كل مصباح

(بسيط)

ما زلت انكر أيّامي وأَعرفها حتّى استبانت فـلا بيض ولا سودُ

وجال بي في بحـار الكشف مختبـطا لاالكشف كشف(١)ولاالإبعادتبعيد

جعلنا الله واياكم من الموحدين المتبعين ، ولا جعلنـا من الملحدين المبتدعين ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطـان الا بـاذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون.، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ،

(١) فى بعض النسخ « لا القرب قرب »

وفى مياومة الفاضل البيساني مما يتعلق بذكر طرة قال: « وفى هذه السنة يعنى سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل الخبر بأن الميورقى حصر ياقوتا نائب قراقوش فى طرة حتى أخذه وأخذ من الغز الذين كانوا معه مائة فارس أضافهم الى جنده فأطبقت على طاعته العربان واستولى على بلاد الجريد » انتهى كلام الفاضل

وفى فصل من تاريخ ابن نخيل قال : « ولما وصل الناصر الى افريقية فى سنة احدى وستمائة خرج الميورقى من تونس ووصل بعسكره الى القيروان فاقام بها أياما ثم انتقل منها الى قفصة ومن قفصة الى جبل دمر ، وفى خلال تنقله الى تلك الجهات بلغه عن أهل طرة من اقليم نفزاوة ما غير عليهم فوصل اليها وقاتلها حتى افتتحها ثم أطلق الجند عليها فقتلوا الرجال وانتهبوا الاموال وافترعوا الابكار ، وأخربوا المنازل والديار ، ووجد الميورقى بها رجلين من اجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان فضرب رقابهما صبرا وترك طرة خاوية على عُروشها وخرج من سلم من أهلها فتفرقوا فى بلاد نفزاوة » انتهى كلام ابن نخيل

ويوم حلولنا بطرة رفع شاعر نفزاوة المستقل برسم الادب فيها أبوبكر بن فتح الغمارى النفزاوى لمخدومنا قصيدة مطولة يمدحه بها وكتب الى بهذه الابيات (سريع) :

يا أيّها السيّد والمستفاد جوهرة أحسدُ فيها العباد

خاطبت ذاك المجد أثناء ما رفعت للمولى الأجلّ العماد
وإن عليّ أنه صائر اليك تقريرا عن الاعتماد
لوجد قصاري عن رائد (١) خشية تنقيل الكلام المماد
فقم بعذري وانتشق مسكة تسلم يعتد منك العتاد (٢)
منتظرا عنه الجواب الّذي انا الثرى وهو انسكاب العهاد
مسافرا منه تزوّدت من رضاه زاداً ما له من نفاد
وأنت زوّدني مقيما فلي من فضل سعي صالح خير زاد
زادان ذا يغني لأدنى مدى وذاك يبقى ذخرة للمعاد
ودم لعين الأدب المنتقى قرير عين قرّة في السواد

ولما ناولنيها رسوله ارتجلت له في الحال :

يا نسمة الروض سقته العهاد صوبَ حيَا رَوَى الرُّبَى والوِهاد
وحدّقت أزهارهُ أعينا مرادها رؤية ذاك المراد
أنهي الى عُلَى ابن فتح اذا بلغتِه عنّي السلام المعاد
قولي لمَن أفردتِ عليامه منّي بودّ صادق واعتقاد
ان لم نكن قبلُ اجتمعنا فقد رأته قبل العينِ عينُ الفؤاد

---

(١) كذا في النسخ التي بايدينا
(٢) كذا في نسخة وفي سائر النسخ بياض

وجّه نحوي رقعة برّة قد نُظِمت نظما يهزّ الجماد
نظمٌ بديع اللفظ مستحكم الـ ـمعنى شديد الأسّ سهل القياد
قرّر فيه بيننا ذمّة باقية الرّسم ليوم التّناد
فثق بود من أخ مُخلِص يراك أسنى صاحب مستفاد
وهاكها من شاعر لم يزل يهيم من حبّك في كلّ واد
مشتغل الخاطر قد قسّمت أفكاره أيدي النّوى والبِعاد
ما بين تحنان إلى موطن قد طوّحتني عن ذراه البلاد
وفرط وجد بأناس به محضتهم منّي صريح الوداد
وابق مدى الأيّام في عزّة وأنعم ليس لها من نفاد
ما غرّدت ورقاء في ايكة وهزّت الريح قضيبا فماد

ولما وصل اليه جوابي رجع الى بقوله :

أراحة غِبّ أليم العنا أم سِنة من بعد طول السهاد
أَم فجأة الوصل عقيب الجفا أم مستطاب الريّ بعد الحراد
أَم رقعة مَنّ بها سيّد طابت بها الأذكار في كل ناد
أشعرني البشرى وحسبي بما قرّر من وُدّ وحسن اعتقاد
أيّتها النفس اتّكالا على من رفع السّبع الطباق الشداد

وفعلِ مؤَّلى شدّ ركن العلى مطرّزاً أعلامها بالجهـــاد
أيّـده الله بـأيـد لـــه فعْل العوالي والسيوف الحِداد
وأنت يا أفضلَ من يُرتجى لفضلِ سعي صالح مستفاد
داركك الله بألطـــافه مقرّبا شملك بعد البعـــاد
صَابِرْ . لَكَ الخيرُ . ضُروبَ النوى واقـطع مسافات الرُّبَى والوِهاد
فمن قليل سوف تُلفي الأُلى محّضتهم منك صريح الوداد
قرير عين بالّذي شئت من قرب وساد بعد (١) طول السهاد
وفضل نعمى بُـردها سابغ ما انهلّ قطر فوق قُطر وجاد
وصلِّ صلاة الله للمصطفى خير شفيع ضامن الخُلد هاد

وقد تعرض فى قصيدته التى رفع لمخدومنا الى ذكرى فقال فى فصل منها (كامل) :

هذا انتصاب العبد خيفَة ناقد أو ذي معارفَ يستطيل بيانِي
لا سيّما ولديك جهبذُ نقدها والوبلُ من نجّاجها التيجاني
الفاضل الفطن المجلّي في المَدى والاخصلُ المختار خَصْلُ رهان
بأبي محمّد استقلّ رواؤها وشفى الرِوى منها صَدَى الظمآن
غوّاص لجّتها ومُخرِج ما بها من لؤلؤ رطب ومن مرجان

---

(١) فى بعض النسخ « مع »

ومقلّد الاجيادِ كلّ سنيّة أزبت على الياقوت والعقيان
ولربّما أهدى إليّ جميل ما منه بظهر الغيب قد أولاني
فلأجملنْ ممّا عناني شكره وأسجّلن فيه هموم عناني
وأعوذ من باع ذوي قريحة خمدت بحكم طوارق الأزمان

ولما رأى ما لجوابى المتقدم من الحنين الى الوطن ، والتشوق الى المسكن والسكن ، كتب الى بهذه الارجوزة المزدوجة مداعبا ومنبها على حسن التوسط له (رجز) :

إزبأ بنفس حُرَّة عن ذكر ما يبلبل البال لسُكّان الحِمَى
وعدّ عن رقّة طبع عُذري فما لذي عقل به من عذر
وإنّما الإنسان بالشهامه فدُم بها حفّت بك الكرامه
واحتمل القسوة واليداوه وأهنها ما دمت في نفزاوه
طبع المياه والهواء والبلد لُذْ عائذاً بقل هوْ الله أحد
إنْ هي إلا سفرة ستُسْفِر عن حسن عقبى مع وفْر يفر
لو بعتَ في اثنائها دنياكا وأنت ذو ملك وما أدراكا
بجلسة بين يدي عماد وُقِيتَ فيها أعين الحُسَّاد
ونظرة لوجهه مشتقّه من نضرة النعيم فاعلمْ وافقَه

كنتَ على ما بعت منه رابحا ... فاضمم على يقينك الجوانحا
زهر النجوم حاسداتٌ موضعك ... إي والّذي بفضله قد رفعك
وأنت بالتمييز جِدّ عالم ... بين الّذي رأيت من عوالم
فاحكم بعقل راجح وفهم ... تجذك فزت بأجلّ سهم
فاشكر يزدك الله من إكرامه ... والحسَب المرضيّ من إمامه
بأفضل الخصلة والمراتب ... اضحى لك الخير ويُمْنُ راتب
صابِرٌ على التأويب والإدلاج ... ودائم الإلجام والإسراج
واقطع مداها فدفدا فدفدا ... واصْغُ لحاد في مراعيها حدا
واشرب زلالا لا زُعاقا آسن ... وعدِ عن تعتيق كلّ ماجن
كذاك حتّى تُبْصر المعالما ... من دار ترشيش صحيحا سالما
كبّر هناك ساجدا لله ... سجود عبد حامد أوّاه
واستقبل الأعراس والأفراحا ... وعاطِ من تهواهم الأقداحا
قرير عين باجتماع الشمل ... وانسَ النوى بعدُ بطِيب الوصل(١)
يا أسعد المولى العماد المحسن ... كهف بني الدنيا وحيد الزمن
أدام ذو العرش له السعودا ... وأرغم الشانئي والحسودا

---

(١) في نسخة « بعد النوى وانس بطيب الوصل »

وخصَّ كلًّا منه بالإنعام ما سبّح الرعد من الغمام
إيهِ(١) أخا الفضلِ العَميم ذَكِّرِ مقامهم بعبدهم وقَرِّرِ
فإنّه يرتقب الوعودا مؤمّلا جودهم العتيدا
عساهم ان يجبروا الكسيرا كان الإله لهم نصيرا
وأفضل الصلاة والتسليم على النبيّ المصطفى الكريم

وهذا الفقيه أبوبكر بن فتح له من الادب ولطافة الشعر ما تراه وهو ممن يستغرب وجوده فى مثل تلك البقاع وله التقدم فى حسن الخط وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط فى أنواع الخط المعدودة ، وبرع فيها فى وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه وسيأتى لهذا الرجل ذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

فأقمنا بطرة يوم حلولنا بها ، ويومين بعده ، وارتحلنا عنها يوم السبت الحادى والعشرين منه فحللنا بظاهر بشرى(٢) وهى القاعدة الثانية من اقليم نفزاوة وبينها وبين طرة اثنا عشر ميلا أو نحوها اجتزنا فيها قرى كثيرة منها قرية تعرف بكليكل وقرية تعرف بياسك وقرية تعرف ببنى يوسف وقرى سواها ، ودخلت الى بشرى فرأيت قرية أضخم من جميع ما قبلها من قرى نفزاوة وبخارجها عين تعرف بعين تاورغا أعظم اتساعا من عين طرة وأقوى ماء الا أن فى

---

(١) فى بعض النسخ « ايها »
(٢) ينطق اسمها اليوم بتشديد الشين بعد باء مكسورة

تلك حسنا ليس فى هذه ، وبها سفرجل قل فى جميع البقاع ما يناظره أو يقرب منه طيب طعم وضخامة جرم وكثرة ماء وخلوص صفاء ، وليس يشبهه الا السفرجل الموجود بتاجورة من قرى طرابلس، وحدث عندهم فى وقتنا هذا صنف من اصناف الكمثرى بديع الشكل شهى الاكل قلما يوجد مثله طيبا وهم يضيفون الى الطير جنسه ، اذ لم يتول احد منهم بتلك البلدة غرسه ، فاقمنا بها بقية شهر رمضان واستهل شهر شوال بالاربعاء فاصبحنا يوم عيد الفطر فغدونا الى المصلى ووصل خطيب البلد فصلى ثم اخذ فى الخطبة فلم أر رجلا افصح منه ولم اسمع ايضا مثل الخطبة التى خطب بها وكنت اتخيل انها من انشاء ابى بكر بن فتح المتقدم الذكر فاخبرت انها من انشاء بعض أهل توزر وسالت عن الخطيب فقيل هو ابو عبد الله محمد بن حيون من اهل نفزاوة .

واصبحنا يوم الخميس متوجهين الى توزر فارتحلنا عن نفزاوة ظهرا مقربين لمرحلتنا من الغد وشرعنا فى اول السبخة المعروفة بتاكمرت فقطعنا يسيرا منها وبتنا هناك على عين ماء فلما كان ثلث الليل الاخير ارتحلنا واخذنا فى اجتياز هذه السبخة فلم نزل نقطعها سرى وسيرا الى الزوال من الغد وهو يوم الجمعة ، ووجدنا فيها معالم قائمة من جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوك يمينا وشمالا لان ما على يمينها وشمالها من الارض مغائض لا تثبت عليها

قدم ولا يسلكها احد جاهل بها الا غاض فيها ، قال البكرى فى المسالك (١) : « وقد هلكت فيها الجماعات والعساكر ممن دخلها ولم يدر امرها » تم كلامه. واذا غاص فيها احد التأمت الارض فى الحين وعادت كما كانت

واخبر مخدومنا قال : اخبرنى محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسى قال سلكتها قافلة لنا فيها الف جمل فند بعير منها عن الطريق وتبعه باقى الابل فلم يكن أسرع من ان ساخت فى الارض وغاص فيها الف جمل ثم عادت الارض كما كانت وكأن لم يكن لتلك الابل اثر ، وذكر ابو الحجاج مسير يوسف بن المنصور الى توزر فقال : وتمادى به السير الى الملاحة المجاورة لتوزر وهى من غرائب الدنيا التى اغفلها المؤرخون ، واهمل وصفها الاخباريون ، فانها اميال فى أميال سطحا واحدا كاللجين المسبوك ، او المرمر المحكوك ، يكاد ينفذه البصر لصفائه ، وكأنما هو غدير جمد بمائه ، قال : وآن وقت صلاة الصبح والناس يمشون فيها فصلوا منها على بساط من الكافور او سطح من البلور، قال: ولما تمادى المشى فى هذه السبخة الى وسط النهار ، وتوالى عليها تكرار الحافر وتردد الاثار، تخرق منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكل ما تخلف من الحمولة والاثقال ابتلعته وساخت الجمال باحمالها فما اخرجت الا اشلاء بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الزاملة، ورزح الظهر وذهب اكثر الحمولة. واما

(١) راجع البكرى ص ٤٨

انا فشاهدت الرجل يدفع سافلة الرمح فى الارض ويعتمد عليه الى عاليته ولو ازداد دفعا لازداد نزولا فاذا جذبه عادت الارض الى حالتها الاولى، ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت وابعده الريح عن مكانه وتحت كثير منها عظام هنالك من الناس والى جانب عمود منها امراة قد ضمت يدها على طفلة فماتتا معا ويذكرون انها غاضبت زوجها بنفزاوة وحلفت ان لا تبيت يومها ذلك الا بتوزر، او غاضبته بتوزر وحلفت ان لا تبيت الا بنفزاوة وخرجت من حينها هى وابنتها فماتتا فى طريقهما ٠

ومن العجب ان هذه السبخة لا يمكن ان يشرب بها ماء عذب فان الماء اذا استصحب فيها عاد بهوائها ملحا اجاجا على طبعها ، وقد أحسن من قال وانشد فيه لنفسه الفقيه الفاضل ابو ابراهيم بن حسينة يصف هذه السبخة وما لقيناه فى قطعها (وافر) :

قطعنا التاكمرتَ سُرى وسِرنا صبيحةَ يومنا حتّى الزوالِ
فلا تسألْ لما قاسيت فيه من الاهوال والكرب الثقالِ
غناء ليس يشبهه غناء يضيق لديه متسع المقالِ
ولـيل لا تسير به نجومٌ كأن نيطت إلى بعض الجبالِ
وأَرياح تصمّ الاذن منها تهبّ عن اليمين مَعَ الشمالِ
تصدّ عن طريق القصد قصدي وتضرب حُرّوجهي بالرمالِ

ولا أَستطيع فتح العين فيها لبعض الامر إلاَّ باحتيالِ
وأجهد في دفاع النوم عنّي لخوفي من سقوط أو ضلالِ
وما زلنا نكابد في سُرانا مهالك لا تُقابَل بالمِحالِ
إلى أن لاحت الغابات ظُهْرا بظاهر توزر مثل الخَيالِ
فهنّأ بعضنا بعضا سرورا ونلنا راحة بعد الكلالِ

فلما وصلت الى توزر رأيت بلدا خارجه يجمع الحسن ويستوفيه ، وداخله يصدق ما قال ابن زنون فيه ، وأشعار أبى عبد الله محمد ابن زنون أشهر من ان تذكر .

وتوزر هى قاعدة البلاد الجريدية وليس فى بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها ، وأصل مياهها من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد فى واد متسع وتتشعب منه جداول كثيرة ، وتتفرع عن كل جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على أملاك لهم مقررة مقاسم من المياه معروفة ، ولهم على قسمها أمناء من ذوى الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم فى ذلك معروف ، وأمر مقرر مألوف ، وعلى ذلك الماء أرحاء كثيرة منصوبة ، ومن العجب أن هذا الوادى يحتمل ما يحتمل من غثاء أو غيره فاذا انتهى الى المقسم افترق هنالك أجزاء بالسوية على عدد المسارب فمضى كل قسم منها الى مسرب منها ، وهذا مما

شاهدته فيها عياناً. وكثير من أهلها انما يسكنون بغابتها ولا مناسبة بين مبانى الغابة ومبانى داخل البلد فان مبانى الغابة اضخم وأحسن. وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المنشر وهو من أحسن المتفرجات لان مجتمع الماء هنالك ومنه يتفرع كما تقدم، ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك من الثياب الملونة والامتعة الموشية ما يعمه على كبره فيخيل للناظر أنه روض تفتحت أزهاره، واطردت أنهاره، وليس بتوزر أحسن من هذا الموضع وهو خارج عن غابتها، والغابة ملاصقة لسور المدينة فهي بذلك تمت حصانتها، وقد وصفها بعض شعرائها فقال من قصيدة طويلة رتبتها على حسب ما اخترت منها: (كامل) :

زُرْ تـوزرا إن شئتَ روضـة (١) جنّـة
تجـري بهـا مـن تحتك الـأنهـار

نهرٌ علـى رمل يـسير كأنّـه ورق يُماعُ على النُضار يُمارُ (٢)
أَبًّا وفاكهة حَوت وحدائقا غُلْباً تغـرّد فوقهـا الـأطيارُ
جناتُهـا مثل الجنان فأرضها مسك ونشر نسيمها معطارُ
دوح يرفّ ومنظر يسبي النُهى وبرود روض وشيُهـا الـأزهارُ
ومذانبٌ مثل القواضب جُرِّدت خلعت عليهـا اونهـا الـأشجارُ

(١) فى بعض للنسخ « رؤية »
(٢) فى بعض النسخ « رقة تماع على النضار تمار »

وتناثرت مثل الدراهم فوقها أنوارها فتضاعفت أنوارُ
وإذا يهبّ نسيمها ذاعت به من نشر أزهارٍ لها أسرارُ
والنخل مثل عرائس مجلوّة تُبدي بديع حليّها الأطوارُ
وإذا هززت بجذعهنّ تساقطت رطبا جنيّا نثرهنّ نُثارُ
قُطر من الأقطار أشرق حسنه فكأنّما الليل البهيم نهارُ
كم فيه من معنى جميل رائق تصبو لرؤية حسنه الأبصارُ
كملت محاسنُه وطاب حديثه فبذكره تتزيّن الأسمارُ
يَا أيُّها الثاوي به من أهله أو غيرهم ممّن حوته الدارُ
لا تصبونّ إلى سواه فإنّه للدين والدنيا هدى ومنارُ
هي (١) جنّة قد اصبحت محفوفة بمكاره هي للقلوب سُعارُ
يا جنّة لولا شوائب صفوها تمّ النعيم بها وعزّ الجارُ
ايّامُنا مصقولة اطْرَافُها بك والليالي كلّها أسحارُ

وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح الاسلامى وكذلك أكثر بلاد الجريد لانهم فى حين دخول المسلمين أسلموا على أموالهم ، وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها بعد الافتتاح ، وفيها أيضا من البربر الذين دخلوها فى قديم الزمان

(١) في نسخة « هو »

عند خروجهم من بلادهم فان بلاد البربر انما كانت أرض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام وكان ملكهم جالوت المذكور فى القرآن فلما قتله داود عليه السلام تفرقوا فى البلاد وتوجه أكثرهم الى افريقية وبلاد المغرب وكانت افريقية للروم فأجلتهم العرب البرابر عنها الى جزائر البحر كصقلية وغيرها ، ثم تراجعت الروم الى بلادها على موادعة وصلح مع البربر فاختارت البربر سكنى الجبال والرمال وأطراف البلاد وصارت الروم الى البلدان والعمائر حتى جاء الاسلام وافتتحت البلاد ففر جميع من فيها الا من أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد هؤلاء ، وقد اشتهر عنهم ما اشتهر من بيع فضلاتهم وهم يعيرون بذلك كما يعير أهل قابس ويعير هؤلاء ايضا بأكل لحوم الكلاب ، ولم أر منهم الا مقرا بأكلها مستطيبا للحمها وقديما ما هجى من هجى بأكل لحوم الكلاب

وممن اشتهر بذلك من قبائل العرب بنو أسد ثم بنو فقعس منهم فقد قال الفرزدق (١) (طويل) :

إذا أَسديّ جاع يوما ببلدة وكان سميناً كلبُه فهو آكِلُه

وقال مساور بن هند(٢) (وافر) :

إذا أَسديّة ولدت غلاما فبشّرها بلؤم في الغلام
يخرِّسها نساء بني دُبير بأخبثِ ما يكون من الطعامِ

---

(١) راجع كتاب البخلاء للجاحظ (طبع ليدن) ص ٢٥٩
(٢) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩ وكتاب الحيوان للجاحظ ج ١ - ص ١٢٨ - ١٢٩

ترى أَظفار أَعْقَدَ مُلقَيَات براثنُها على وَضَمِ الشمامِ

يخرسها أي يجعلن لها الخرس - بضم الخاء المعجمة وسكون الراء - هو طعام الولادة ، وقال مساور بن هند أيضا (١) (طويل) :

بني أَسد ان تُمْحِلِ العامَ فَقْعسٌ فهذا إِذَن دهرُ الكلاب وعامُها

وقال حسان بن ثابت يذكر هذيلا ويعيرهم بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس (٢) (بسيط) :

إِن سرّكَ الغدر صرفا لا مزاجَ له فائت الرَجيع وسل عن دار لحيان

قوم تواصَوا باكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإِنسان سِيّان

وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لقدم العهد فى ذلك وبعض المؤرخين يقول ان بناءها كان باثر طوفان نوح عليه السلام وكان افتتاحها صلحا فى أول الاسلام على يدى حسان بن النعمان سنة تسع وسبعين وذلك بعد عوده من برقة بالمدد الذى أمده به عبد الملك على ما قدمنا ذكره عند ذكر الاجم، ووقع فى تاريخ ينسب الى الامام الحافظ أبى الطاهر السلفى أن افتتاح توزر كان على يد عقبة ابن نافع القرشى وذلك غريب لان ولاية عقبة بن نافع على افريقية سنة ست وأربعين فان صح هذا الذى ذكر أبو الطاهر فيكون افتتاحها فى زمن معاوية بن أبى سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها فى

(١) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩

(٢) راجع ديوان حسان بن ثابت (طبع تونس) ص ١٠١ وكتاب البخلاء ص ٢٦٠ وكتاب الحيوان ج ١ ص ١٢٩

زمن عبد الملك كما تقدم ، ويحتمل أن تكون فتحت أولا فى زمن عقبة ثم انتقضت كما انتقضت افريقية فافتتحت ثانيا فى زمن حسان، وأما ما يدل على أنها افتتحت صلحا فبقاء كنائس النصارى بها خرابا الى زماننا هذا لم يتصرف فيها وأن المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة منها مسجدا (١)

وقد كان على بن اسحاق الميورقي نزل عليها هو وأخوه يحيى فحاصراها مدة وقطعا غابتها ولولا المخامرة من أهلها لما تمكنا منها ، ولما افتتحاها سالما أهلها الذين باطنوهما على فتحها واستصفيا أموال الاخرين ثم ألزماهم بعد ذلك أموالا أخرى يفتدون أنفسهم بها ، فكان الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من يفديه أطلق والا رمى بعد قتله فى بئر هناك يسمونها بئر الشهداء أضيفت الى هؤلاء الذين رموا بها، وكان هذا بعد فرارهما من بجاية عند وصول جيش المنصور اليها سنة اثنين وثمانين وخمسمائة . ولما بلغ المنصور ما فعلا فى توزر أنفذ ابن عمه يعقوب بن أبى حفص ابن عبد المؤمن اليهما فكانت للموارقة عليه الوقيعة المعروفة « بوقيعة عمرة » فتحرك المنصور بنفسه وأوقع بهم الوقيعة المشهورة بظاهر حمة مطماطة وقد تقدم ذكرها عند ذكر الحمة وتبعهم الى توزر فتوغلوا فى صحرائها فرجع عنهم وقدر أن مات على بعد ذلك على توزر جاءه سهم فى ترقوته فمات منه

---

(١) هذا كلام ابن الشباط بعينه فى شرحه على القصيدة الشقراطسية

والاشهر فى اسمها توزر بفتح التاء وبعض الناس يضبطها بالضم ولا وجه لذلك فان المستند فى اختيار الضم الى مذهب من رأى أن الالفاظ الاعجمية فى أى وزن كانت تحكى على ما وقعت فى كلامهم ولا يغير منها الا ما غيرته العرب، وأما على مذهب من رأى أنها ان لم توافق وزنا من أوزان العرب غيرت ونقلت الى أقرب ذلك منها(١) ، وأرض توزر فى وقتنا هذا من العرب لبنى مرداس وقد تقدم أن رئاسة مرداس فى بنى جامع منهم وهم أشهر عرب افريقية قدما ورئاسة وقد ذكرنا قبل هذا ملكهم لقابس وأشرنا الى بعض أخبارهم

فضربنا الاخبية حين وصولنا الى توزر بخارج البلد من جهة مصلاه وهو مصلى كبير يحدق به حائط مرتفع وأقام الجيش هنالك ودخلنا نحن مع مخدومنا الى روضة بغابتها لرئيس البلد أبى العباس ابن يملول من اجمل روضة هنالك وأحسنه(٢) فأقمنا هنالك الى أن قبض قطيعهم ، وتساوى فى الاداء ممتنعهم ومطيعهم .

وزرت بمقربة من هذا المصلى مقبرة الفقيه ابى محمد بن يعقوب رحمه الله وهى بدار أعدت لهم هنالك لدفن من يموت من الغرباء ذوى الاخطار ومعه فيها جماعة سواه ، ورأيت قبر الفقيه أبى محمد فى

---

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا ولا يخفى ما فى النظم من التركيك مع اضطراب العبارة وعدم ارتباط صحيح

(٢) كذا فى جميع النسخ

حجر بيت صغير (١) وكتب عند رأسه تاريخ وفاته وذلك السابع من شهر جمادى الاخرى عام اثنين وسبعمائة

وفى أثناء اقامتنا بتوزر وصلت الى قصيدة من الفقيه الاجل الاديب أبى بكر محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتى من مستقره غرناطة، وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا ، وقد كنت اجتمعت به بتونس ووصل الينا فى الخامس لذى القعدة من عام ثلاثة وسبعمائة ، وكان فى نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك فأقام بتونس مدة ثم ارتحل عنها عائدا الى وطنه سبتة ، وكان رحيله فى التاسع عشر من شهر المحرم مفتتح عام أربعة وسبعمائة فاتفق بعد وصوله الى بلاده من أخذ البلد ما اتفق ، وطرق أهله من التشتيت بسبب ذلك ما طرق ، فكان هو وأبوه ممن انتقل الى غرناطة فتخطط هنالك بكتابة الرئيس الوزير أبى عبد الله ابن الحكيم الرندى وبعث الى هذه القصيدة لتونس معرفا بذلك ، فوجهت اليه من تونس من المخاطبة والمجاوبة ما ملا سفرا جمعته وسميته « نفحات النسرين ، فى مخاطبة ابن شبرين »، ونص قصيدته هذه (كامل) :

ما ذا على صوب الحيا المتبجّس   لو جاد ربعها بالكثيب الأوعسِ
إيه على الحيّ الذين تحمّلوا   والشوق يتبعهم ذماء(٢) الأنفسِ

(١) وفى بعض النسخ « قد حجر فى بيت صغير » وفى بعضها « فى بيت صغير حجر »
(٢) فى جميع النسخ « دماء » بالدال المهملة

من كلّ أَغلب مخرز خَصَلَ العلى يوم الرهان وكلِّ أَشنب ألعس
لا يُوحش الله المنازل بالحِمى وسقى عهود الغانيات الأُنَّس
سقيا وتكرمة لما اسلفت من عيد بذات الرقمتين مقدَّس
ولئن نسيت فلست أَنسى جيرة راضعتُهم دَرَّ المُنى في تُونس
هيهات ما إن شاقني بعد النوى زمن تصرَّم (١) للظّباء الكُنَّس
لكن تَذَكّر سادة قد أنطقُوا بصفات مجدهمُ لسان الأخرس
يا نسمة سحبت فضول ذيولها ما بين ورد بالعذيب ونرجس
والوُرق قد صدحت على أفنانها والأَرض قد لبست ثياب السُنْدُس
حطّي رحال تحيّتي في معهد بين الجوانح منه عهدٌ ما نُسِي
والحيّ من تيجانَ (٢) فاشرح عندهم فرط اشتياقي نحو ذاك المجلس
وإذا همُ سأَلوك فاذكر أنني قد لُذت بالعزّ المكين الاقعس
وحللت ساحة ماجد متهلّل من يعتصم بعلاه يُحتَم ويُحْرَس
لابن الحكيم مآثر ما زال بالسّلف الكريم الأصل فيه تأَتسي
آنست نار الجود من ناديه في ليل الشجون فكنت أَسعد مؤنِس
اولا تأَلّي (٣) نور تلك النار من ناديه طال تخبطي في الحِنْدِس

(١) وفى بعض النسخ « التصرم »
(٢) فى بعض النسخ « تجان »
(٣) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « تألق » او « تلالؤ »

يا ليت قومي يعلمون بأنّني ... في دوحة العلياء طاب معرَّسي
أَأَبا محمّد العزيز وإنّه ... لدعاء ودّ في علاك مؤنّسي
لله درّك من بليغ لابس ... من حلّة الآداب أسبغ ملبَس
حاشاك أن تنسى على شحط المدى ... عهداً نقيّ العرض غير مُدنَّس
دعْني أسدّد من حديد ملامتي ... سهماً يفوت المرسَلات من القِسي
هل أَنت ذو علم بما أَصبحتُ من ... كأس الشجون لأَجل بعدك أحتسي
ما زلت مذ نزحت ديارك أسأَل الـ ... ـرُّكبان بين مهجر ومغلِّس
أَوحشتَ من سِحر البلاغة محضري ... ولقد عهدتك في القديم مؤنِسي
أَبديتَ لي هجرا بغير جناية ... والهجر منك بخاطري لم يهجس
وأَنا الّذي ما زلتُ أَمحضك الهوى ... وأَمُتّ بالحبّ الزكيّ المغرس
أَسعَى حسود بيننا فاستشعرت ... علياك من جرّايَ خيفة (١) مدنس
لا تخفرنّ ذمام إخلاصي فقد ... أُظفرتُ بالذخر الخطير الأنفس
إن لم تحرّك لي فؤادك هذه ... نضرب على الودّ القديم ونَيْأَس
أَستغفر الرحمن لا أَنساك ما ... لم أُطوَ في شقّ الضريح وأُرمَس
يا معلمين (٢) من البدائع أكؤسا ... عاطوا غريب الدار فضل الأكؤس

---

(١) فى بعض النسخ « خيمة »
(٢) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا وفى الحلل السندسية « يا معملين »

وتعطفوا برسائل من نحوكم   تأتي بإحسان على العبد المُسِي
وإذا سَرَت من نحوكم نجديّة   تهدي نسيم المسك عند تنفسِ
فلتبعثوا للمستهــام تحيّة   تُدنِي مسرّاتى وتذهِب أَبؤسِي
لا زلتُمُ تلْقَون في أَطواركم   عزًّا تدين لديه شُوسُ الاروُس

واتصل بهذه القصيدة من الكتب : « سيدى دامت سعودك ، وحرس لاحياء الاجادة وجودك ، ان فوقت سهام العتب ، فلضنتك بالكتب ، وان ألمت بالملام ، فلابطاء بلاغ السلام ، فقد استحالت فيما أظن عندك الاحوال ، وجفتنا أنباؤك ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال ، حتى كأنك تعرفت بعدى ، ما أحالك عن عهدى ، وتلقيت من أنبائى ، ما صرفك عن ولائى ، وقد أكثرت بالمخاطبات ، وأثقلت بالمراسلات ، ظهور الواخدات ، فما روجعت بحرف ، بل عبدت مودتى على حرف ، واتخذت نسيا منسيا ، ونبذت فى الظاهر ولا أقول فى الباطن ظهريا ، ومع هذا فلا أشك أن عند سيدى أعزه الله علما بما جرت به أحكام الليالى ، وتشوفا الى تعرف ما تريد (١) من خاصيتى فى حالى ، فقد حلبت الدهر فى هذه الحادثة أشطره ، وخبرت الناس فى حالى العسرة والميسره ، الى أن اقتادنى السعد بزمام ، وأحلنى الامل النائى بمثوى امام يا له من امام ، حيث الامير

(١) وفى نسخة « ما تزيد فى خاصيتى من حالى »

المؤيد (١) العالى مرفوع مناره ، واضحة للسالكين آثاره ، والسيادة الوزيرية ، الحكمية العلمية ، ملتقى الامال ، ومحط الرحال ، وناسخة أحكام الادبار بالاقبال ، فهنالك أضاءت لى البركات ليلى المدلهم ، ونادت بى المكرمات ألا هلم الا هلم ، لا زال هذا الامير (٢) العزيز مقصودا منصورا ، بالغا من آماله الشريفة ما يقر من المؤمنين أعينا ويشرح منهم صدورا ، والسلام .

وقد كتم الفقيه أبوبكر فى هذا الكتاب خبر أخذ بلده وطواه ، وأومأ فيه اليه اكتفاء بما بين فى سواه ، فقد كان كتب الى قبله كتابا يصف فيه ذلك وكان صدره بهذه الابيات (منسرح) :

يا أَيّها الراكب الّذي طلعا لقيت مستوطناً ومنتجعَا
انزل وحدِّث بما تشاء فقد وجدتني للحديث مُستَمِعَا
لعلّ في مقتضى حديثك من أنباء ما قد وددته لُمعَا
أَستودِعُ اللهَ لا أَقول هوًى قطّع قلبي بصدّه قِطَعَا
لكن صديق حمدتُ خلّته لدن شربنا كأس الصفاء معَا
من غير ما خانة (٣) له خُلُق على المعالي مزاجها طُبِعَا
أَنعم صباحا على البعاد أبا محمّد لا برحت مصطنعَا

---

(١) وفى بعض النسخ « الامر المديد »
(٢) وفى بعض النسخ « الامر »
(٣) فى بعض النسخ « من غير تخانة »

واحفظ فؤادي لديك إنّي قد ... تركته في حماك منقطعَا
أمّا ودادي الذي علمتَ به ... فإنّه في الضمير قد ربعَا
لولا ولاء ظفِرتُ منك به ... لكنتُ أشدو بتونس جَزَعَا
« وارحمتَا للغريب بالبلد النـــازح ما ذا بنفسه صنعَا »

فصدرت الجواب عن كتابه هذا بقولي ، وأشرت الى بسط القضيــة :

حدِّث عن الحادث الّذي وقعا ... تُلف مصيخاً إليك مُستمعَا
وهاكَ(١) ما قد سمعت منه وإن ... تركتَ قلبي بذاك منْصَدِعَا
هل معهد الأنس كيف كان فقد ... عهدتُــه للكمال مجتمعَا
وهل حِمَى العزّ فيه محترم ... أم سُلب العزّ منه وانتُزِعَا
وأين ناس هناك أعهدُهم ... على المعالي جميعهم طُبِعَا
من كلّ طلق اليدين مبتسم ... أرضِع دَرّ السماح فارتضعَا
تلفيه كالنجم رفعة وسناً ... لا بل كبدر الدجى إذا طلعَا
باكرَهُم حادثٌ ففرّقهم ... وأذهب الناس والبلاد مَعَا
وجرَّ عدوانَه فجرَّعهم ... به من الهَمّ والأَسَى جُرَعَا
يا ليت شعري وفي المُنى سعة ... إن أبقت الحادثات مُستَمعَا

(١) في نسخة « وهات »

هل يُرجع الدهرُ مامضى فلكَم … قد عاد من ذاهب وكم رجعَا
أم لا يُرى عائدا فوا أسَفِي … على زمان مضى ووا جَــزَعَا
هيهات تــمّ القضاء وارتفعت … مطامع النفس عند مــا ارتفعَا
فلست ممّــا طلبت عودتــه … أوّلَ من في المحال قد طمعَا
عهدي بهم والشجون تُقْلقهم … لاجنبَ منهم يزورّ مضطجِعَا
منـثّرا في البــــلاد نـظمهـــــمُ
يا من رأى (١) السلك بعد مــا انقطعَا
امر مــن الله لا مــردّ لهُ … لم يُبْقِ كهلا منهم ولا يَفعَا
وخدعة تــمّ امرهــا فمضت … وكم سديد الآرَاء قد خُدِعَا
هناك سلامــي على البعــد ابــا … بكر فقلبي (٢) إليك قد نزعَا
وثِقِ بودّ ادينُ فيـك بــه … ملتزماً منه كُــلَّ ما شُرِعَا
إن حــالَ خلٌّ عن المودة او … اجاب داعي السلـوّ حين دعَا
فاعْلم بأنّي والصدقُ من شيمي … ممّن رأى حفظ عهده ورعَا
وانّني ما قطعت ذكرك بل … ما زلت للشكر فيك منقطعَا
اقسمتُ بالركن والمقام ومن … قد طاف بالبيت نحوها وسعَى

(١) في نسخة « زاء »
(٢) وفي بعض النسخ « بقلب »

ما طاب لي بعدك البقاء ولا وجدت لي في الحياة منتفعا

وكتبت أيضا من توزر للشيخ المكرم أبى محمد عبد الواحد بن أبى يغمور الهنتاتى وهو بنفزاوة كتابا صدرته بهذه الابيات : (بسيط) :

يا نسمة صدرت عن روضة ظهرت في برد رقم وشته السحب منثور
فكلما يممت في سيرها جهة مرت بذيل على الأزهار مجرور
أنهي اشتياقي وتسليمي لمجد أبي محمّد بن أبي زيد بن يغمور
وأعلميه بما يطوي الضمير له من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وأنبني بين قلب للوداد له مفرغ وفم للشكر مقصور
وقرري ذاك تقريرا أثبته ولست فيه بمحتاج لتقرير
لا زال في نعم موصولة وعلا باق وحظ من الإسعاد موفور

وأكثر الفقيه الطيب الفاضل أبو ابراهيم بن حسينة فى هذه الايام من مخاطبتى بالنظم والنثر فى أغراض شتى وأنحاء تأتى على حسب ما اتفق وأنا أجيبه عن ذلك كله وأكثر ذلك ضاع منى وأذكر منه الان قوله (وافر) :

أعبد الله فقت ذوي المعالي حباك الله أياما سعيده
ونلت منال آباء كرام لهم في المجد آثار حميده

أَردت إِليك إِرسالا بشعر لِأَسمع من جوابك لي مديده
فإِنك مستمدّ من بحور سواحلها غدت مني بعيده
فإِن جاوبتَ عن نظم بنظم بعثتُ بقطعة أَيضا جديده
فلا أَبقى لِأَطلب منك نظما ولا أَبقيتَ تطلب لي قصيده

فأجبته عن ذلك (وافر) :

أَمحرز كلّ منقبة حميده ومن لم نلف في الدنيا نديده
أَعنت على النظام بحسن طبع وأَفكار مؤيّدة سَديده
وتسألني الجواب وإِنّ فكري ليقصر عن مجاريك المديده
فمهّد لي على التقصير عذرا وهوّن من مطالبك الشديده
ودُم في عزّة وبلوغ قصد وسعد دائم وعلا جديده

ثم ارتحلنا عن توزر يوم الجمعة السابع عشر شوال عائدين لقابس بعد ان تم قبض مجابى جميع البلاد الجريدية(١) بالمباشرة فيما دخلناه منها وبالتوجيه فيما لم ندخله، فكانت مدة الاقامة بتوزر خمسة عشر يوما وكان الرحيل عنها باثر حضور الجمعة بجامعها فقربنا ليلتنا تلك لمرحلتنا من الغد سالكين في أول السبخة المعروفة بتاكمرت حسبما فعلنا فيها اولا ، وبتنا على غير ماء ثم هبينا(٢) لسلوكها ثلث

(١) فى بعض النسخ « قبض جميع مجابى البلاد الخ »
(٢) فى بعض النسخ « شرعنا »

الليل الاخير فلم نزل نحف بأيدى المطايا ، ونعد ذلك ان شاء الله تكفيرا لما ارتكبنا من الخطايا ، الى عصر الغد وكانت هذه الخطرة أشد من الاولى نصبا ، وكأنما كانت دبورا وتلك بالنسبة الى هذه صبا ، ولما حللنا بمنزل بشرى من خطرتنا الثانية اليه حاول جميع الجيش أن يقيموا خباء لمخدومنا ولانفسهم فلم يستطيعوا لقوة الريح فتفرق الناس ودخل أكثرهم الى البلدة ولم يضرب فى ذلك اليوم خباء لاحد من الناس، ونزلنا نحن بجنة من جناتها أمكننا فيها ضرب الاخبية بسبب ما يسد الريح من الثمار التى تكنفنا ، فبتنا تلك الليلة هنالك وأصبحنا من الغد فاشتد عصف الريح حتى أيسنا الحياة بابتعاد ، (١) واستعذنا الله من قتلة عاد ، وقصفت الريح فى ذلك اليوم من البساتين التى تكنفنا نحو عشرين نخلة فانجعفت فى الارض ولم يتأذ بها أحد من الناس

ووصل الينا بهذا المنزل الفقيه الاجل أبوبكر بن فتح المتقدم الذكر من مستقره طرة بسبب وعد باحسان كنت وعدته اياه عن مخدومنا فبينا أنا بداخل هذه الجنة وذلك يوم الاثنين اذ دفع الى بوابها براءة ففتحتها فاذا فيها (متقارب) :

لقاؤكَ فتحٌ فهل لابنه ... وقد حلّ بابك إذنٌ كريم

فخُذْ منه فألا بمقلوبه ... تَفَاؤُلَ كلِّ حسود رجيم(٢)

---

(١) فى نسخة « باستبعاد »
(٢) يعنى « حتف »

فخرجت اليه بنفسى وأدخلته وذلك أول اجتماعى بـه ، فـرأيت شيخا ظريف المنزع حلو المحاورة لطيف الاشارة مستغرب وجـوده فى مثل تلك البقـاع فتأنست بمذاكرتـه تلك العشية ، وطلب منى رؤية مخدومنا فلم تمكن تلك الليلة بسبب مرض كـان يشكو بـه فواعدته من الغد وأمرت البواب أن يعرفنى به اذا وصل وأصبحنـا يوم الثلاثاء ، فلما كان عشية هذا اليوم دفع الى أحد المتصرفين براءة من الفقيه أبى بكر بن فتح فاذا فيها هذه الابيات (وافـر) :

وقفتُ بباب عزّ لا يسامى ... مليّـا وِقفة الرجل الذليـلِ

لوعد كانَ منه قرّ عيني ... جميلٍ جاء عن سَعْيي جميلِ

وكان القصد تسليمي عـلى من ... إليه قطعت ميلا بعد ميلِ

على كبر وضعف أَنت تدري ... بما عاينتَ منـه ومن نحولِ

وما آليت عند البـاب جهدَ ... مُعينـاً للمُلاطف والسّؤُولِ

فأبدى الوازعون هناك نَجْهً ... وقالوا مـا لقصدك من سبيلِ

فرخـتُ وُقِـيتَ حـالي لست ادري ... دبـري مـا أيمّنـم أَم قبيـلي

وها أَنا قد عزمت على انطلاقي ... إلى ضَفَف وليسوا بـالقليلِ

تركتُهم على قدم الترجّي ... وكلُّ مذ سالفة التليلِ (١)

---

(١) فى نسخة « وكل من سلافته سليل »

إلى فـرَج قريب من إيابي ... كـما يرد الطبيب على العليلِ
فما ظنّي إذا ما قيل أكدى ... على بحر النـدى أمل المعيلِ
هنـالك شماتة الـأعداء تـأتـي ... بإجهاز يضيق (١) بها مقولي
وداعاً ياعياذي (٢) فاحتفظني ... لعهـد قد وثقت بـه مثـيلي
سلام سالمتـك يدُ الليـالي ... وعيش الـعزّ في ظـلّ ظليلِ
وبلّـغ دُمْتَ تسليمي ولثمي ... هنالك موطئ الشرف الجليلِ

فأخبرت أنه وصل ولم يكن البـواب المـوصى بهـا حـاضرا فلم يعرفه غيره من البوابين فدفعوه عن الوصول الى : وصادفت أبياتـه منى ضجـرا وضيـق نفس بسبب عـارض عـرض لى فقلت أجيبـه وخرجت اليه عما فى نفسى مستريحا بـذلك (وافـر) :

أمـحرز غايـة الشرف الـأثـيل ... ومن قـد جَـلّ عن سمـي مهيلِ
أتـتني منـك أبـيات حسان ... شمائـلهـا أرقُّ مـن الشمـولِ
يعِزّ عليّ ما قـد بيّـنت من ... وقـوفك وقـفة الرجل الـذليلِ
فـأقسِم بـالهدايا مُشعَـرات ... تـجوب الـأرض ميـلا بعد ميلِ
إذا اشتكت السُرَى بلسانِ حـال ... تـقرّر بالوخيد أو الـذميلِ

---

(١) وفى بعض النسخ « وضيق »
(٢) فى جميع النسخ « عبـادى »

تَؤمّ بسيرها أَسنى محلّ ... به نزل الكتاب على الرسولِ
لَوانّك بالّذي استحققتَ تُجزَى ... لما جوزيتَ إلاّ بالجزيلِ
وها أَنا أَشتكي لعلاك شكوى ... تبثّك بعض ما بي من غليلِ
أَرَى الأيّام تمنعني مرادي ... وَتُلْقِي بي لقصد مستحيلِ
وأَطلب للعلا فيها وصولا ... فيصعب للعلا فيها وصولي
ويُمضي الأمر غيري وهو دوني ... وأَمري لا بس ثوب الخمولِ
وإن تكُ قد أَنالتني قليلا ... فمثلي ليس يقنع بالقليلِ
وما طلبي لها إلاّ لَعَلّي ... أَسوء عدايَ أَو أُرضي خليلي
وليس ينال حظّ باجتهاد ... ولا تجري على قدر العقولِ
فحسب المرء تسليم وصبر ... يُيمّم (١) منهما أَهدى سبيلِ
ولكنْ لي على الأقدار دَين ... لَوَت بقضائه ليّ المطولِ
وإن هي بلّغتنيه فكم لي ... من (٢) الأيام من خبر طويلِ
خرجت عن المراد إلى حديث ... نفثت بشرحه نفث العليلِ
أودّع ودّك الأصفى فإنّي ... دعاني للنوي داعي الرحيلِ
وأَطلب منك زاداً من دعاء ... تُواصِله ومن ذكر جميلِ

---

(١) فى بعض النسخ « يؤمم »
(٢) فى بعض النسخ « مع »

وقـد أصفيت نحوك بـاعتقاد   صحيـح من فـؤاد لي عـليل

ثم سعيت تلك الليلة فى انفاذ ما كان وعد به من الاحسان اليـه فأنفذ له وكانت تلك الليلة التى اجتمعت به فيها أول اجتماع وآخر افتـراق منـه .

ثم أصبحنا يوم الاربعاء فارتحلنا الى طرة وقد تقدم ذكرها ، ومنها يوم الخميس الى موضع يعرف بتاسرا (١) وهو قصر خـرب ، والى جانبه واد سرب ، وبقيت طريقنا الاولى فى هذه المرحلة يسرة منا(٢)

ومنه يوم الجمعة الى الحمة وهى الحطرة الثانية اليها وكانت هـذه المرحلة والتى قبلها فى غاية الطول فلاجل ذلك نقصت عدة مراحل عمـا سبق فى المسير مرحلـة ، وفى هـذا اليوم أظهـر مخدومنا أمر الحج الـذى بنى السفر على كتمه حسبما بينا أول التقييد ، واستدعى أعيان العساكر فعرفهم بذلك وظهر من الاجناد اذ ذاك من التأسف والحزن لانصرافه عنهم وانطلاقه ما لا أفى(٣) بالعبارة عنه فلاتسمع من الناس يومئذ الا بكاء ودعاء .

ثم توجهنا الى قابس وهذه خطرتنا الثانية (٤) اليهـا فنزل الجيش بخارجها ودخلنا نحن مع مخدومنا الى داخـل البلد بالـدار الكبرى

---

(١) يعرف مكانه اليوم (بالاصنام) على طريق الظاهر بين قبلى والحامة

(٢) فى نسخة « يسيرة منـا »

(٣) فى بعض النسخ « ما لا اجبى »

(٤) وفى بعض النسخ « الثـالثـة »

التى اعتنى ببنائها الشيخ الفقيه أبو مروان بن مكى رحمه الله ، وهى فى غاية الضخامة والاحتفال وغير قليل ما أنفق عليها من الاموال ، ورأيت فى وسط الحائط الذى فى قبتها الكبرى خرقا متسعا ذكر لى انه أثر ضربة منجنيق جعل ضاربه غرضه هذا المجلس(١) حيث كان الشيخ أبو مروان يجلس به فقصر الحجر بملاقاته لذلك الحائط وحرفت اياه(٢) عن البهو قليلا ، وكانت تلك الضربة أيام محاصرة مخدومنا لقابس كما تقدم ، ودار ابن مكى هذه مجاورة لجامع قابس الاعظم ببطحاء متسعة ، وتلك البطحاء هى سرة قابس والبطحاء اسم علم لها وفيها يقول أبو عبد الله محمد بن العطار القرطبى عرف بالمفرجي (سريع) :

لهفي على طيب ليال خَلَتْ ... بجانب البطحاء من قابس
كأنّ قلبي عند تذكارها ... جذوة نار في يدي قابسِ

فبتنا هنالك ليلة الاحد ثم أصبحنا فوصل الاجناد لوداعنا فكانوا يدخلون أفواجا أفواجا يودعون ثم يخرجون وهم يبكون ويدعون الى آخر النهار .

وشاهدنا بهذا الموقف حالا تحرق الضلوع ، وتذكى الولوع ، وتجرى الدموع ، وقد كان النظر اقتضى توجيه الكاتب الفقيه

---

(١) فى بعض النسخ « بها هذا المجلس » ولعل الصواب « بهو هذا المجلس »
(٢) كذا فى النسخ التى بايدينا

الاكرم أبى زكرياء بن يعقوب صحبة الجيش أقامة للحرمة ، وقياما بتميم ما يجب من الخدمة ، واصبح الجيش يوم الاثنين السابع والعشرين لشهر شوال متوجها الى تونس ، والفقيه أبو زكرياء معه وأقمنا نحن مع مخدومنا فى قابس يومنا ذلك والثلاثاء بعده ، ثم خرجنا عنها وكان السبب الذى حثنا على تعجيل الارتحال عنها ما كان بها من الوباء الذى ورد النهى النبوى عن القدوم على أرض هو بها، وقد كان أفرط فيها فى هذا الفصل وخرج عن معتاده وقتل بشرا كثيرا من الغرباء القادمين عليها، وتأثيره غالبا انما هو فى الغرباء الذين ليسوا من سكانها ، وتخيرنا موضعا نقصده للاقامة الى أن يصل الفقيه أبو زكرياء من الحضرة فنتوجه الى طرابلس وتكون الاقامة هنالك الى أن يصل الركب الذى يتوجه مخدومنا معه الى المشرق ، فوقع الاختيار بعد ملاحاة كثيرة وتنازع شديد بين يعقوب ابن عطية أمير المحاميد وسالم بن مرغم أمير الجوارى على الاقامة مع يعقوب فى منزل غمراسن فان أهله حلفاء له مع ما هنالك من الامن الذى لا تخاف معه اغارة مغير ، ولا ضياع كبير من الاشياء ولا صغير .

فارتحلنا عن قابس متوجهين اليه يوم الاربعاء فنزلنا بمنزل تبلبو على نحو ميلين من قابس، وهو منزل فيه مبان قليلة وعليه غابة زيتون متسعة وكانت به قبل هذا غابة نخل فقطعت أيام محاصرة مخدومنا

لقابس كما تقدم ولم يبق منها الا نخيلات قليلة فى مواضع متنافرة(١) منه، فأقمنا به يومنا ذلك وهو يوم الخميس بعده وهو مستهل ذى القعدة ، وارتحلنا منه يوم الجمعة ثانى الشهر المذكور فاجتزنا بموضع يقال له زريق بتقديم الزاى على الراء ، وهو الموضع الذى أقام به الميورقى متلوما على أهل قابس لما كاتبهم بالدخول فى طاعته حسبما بيناه فى ذكر قابس .

وبمقربة من زريق نخلات على عين ماء هنالك عذبة وزاوية يسكنها رجل من البربر وهو عوسجى اسمه سلام ويعرف بأبى غرارة ، وهذا الرجل منتم الى الدين وقد حكم على العرب بأنواع من الشعوذة فلا يقدر أحد على مخالفته ، وهو يخفر فى قبائل دباب وله فى استخراج اموالهم(٢) منهم اليد القوية وان امتنع أحد منهم هول عليه وأوعده بمصائب يوقعها به فيخافون منه ، وقد ظهرت له فى هذا الباب عجائب تنقل عنه ، وأخبرنى الشيخ أبو جبارة عبد السلام ابن موسى قال: أغارت المحاميد على قافلة فأخذت منهم بهائم كثيرة فمضى أهل القافلة اليه ، قال فاستدعانى ومضينا الى المحاميد واسترجعنا منهم ما قدرنا عليه ولج (٣) بعضهم فى الامتناع من الرد فقال له : والله لتكونن لك القاضية او كلاما يشبه هذا قال : فخاف

(١) فى بعض النسخ « متنابذة »

(٢) فى بعض النسخ « الاموال »

(٣) فى جميع النسخ « لج »

وراجع نفسه فرد ما أخذه وقال له : يا سيدى ابا غرارة لعلها تكون بفرسى لا بى، فقال له : بفرسك لا بك ، قال ابو جبارة : فبعد ثلاثة ايام ذهبت فرس الرجل وليس فعل مثل هـذه القضية فى نفـوس الاعراب بقليل .

ونزلنا يومنا ذلك بقرية مارث وهى قرية حقيرة وعليها غابة نخل يسيرة ، ومنها يوم السبت الى قرية أجاس وهى قريـة ضخمـة ذات مبانى كثيرة ولها غـابة متسعة وبها عـين خرارة عذبة الماء غير انها مستوبأة واخبرنى اهلها انهم احتفروا فى هذا الوقت بئرا عذبة الماء سالمـة من الـوباء فهم الان يشربون منها ويسقون من تلـك العين بهائمهم وزروعهم ، ورأيت بها مسجدا يـذكر اهلها ان لـه فضلا مشهورا عندهم وان الدعاء مستجاب عنده وقد اظهر بعض زهادهم بـه الاغتباط ، فلازم به الرباط ، وان كان هذا المرابط وجميع اهل هذه البلدة على المذهب السيئى المنسوب للخوارج ، وهذا المـذهب هو الغالب على سائر البقاع التى بين قابس وطرابلس كما تقدم قبل هـذا

وبهذه القرية كانت اقامة جعفر بن حبيب حين وجهه باديس بن المنصور من المهدية لقتال يانس الصقلى لما اقبل من مصر مدعيا ولاية طرابلس ، فاقام جعفر بن حبيب بقرية اجاس هذه متلوما عليه نحو ثلاثة اشهر الى ان كانت الوقيعة بينهما بظاهر زنزور، قرية من قرى

طرابلس سياتى ذكرها بعد هذا وذلك كله فى سنة تسعين وثلاثمائة، وبسط هذه الوقيعة : ان باديس بن المنصور كان واليا على افريقية وكانت طرابلس مستثناة عليه لا يليها احد من قبله بل تتعين ولاتها من مصر فاحب والى طرابلس اذ ذاك ان يرتحل الى مصر فكتب الى الحاكم يطلب ذلك منه ليكون بين يديه فى حضرته وان يوجه اليه من يتسلم البلد من يده فوجه اليه يانس المذكور وكان واليا على برقة فلما وصل الى طرابلس توجه واليها الى مصر وامكنه من البلد فلما علم بذلك باديس وجه الى يانس يستفهمه عن سبب وصوله ويستدعى منه سجلا ان كان بيده بالولاية فبعث اليه انما بعثت نائبا عن امير المؤمنين ومثلى يكبر عن ان يولى بسجل فحينئذ وجه باديس جعفر بن حبيب المذكور لقتاله فاقام المدة المذكورة بقرية اجاس هذه متلوما عليه وبعث اليه فى اثناء تلك المدة يخيره فى واحدة من ثلاث اما بعث السجل ان كان بيده، واما القدوم على باديس ليفاوضه فيما وصل اليه، واما المناجزة بالحرب فعاد جوابه اليه يقول : اما الوصول فلا سبيل اليه، واما سجل الولاية فانا اكبر من ذلك اذ كنت خليفة امير المؤمنين على ما هو اعظم من طرابلس، واما الثالثة فانا اوافيك عن الحركة الى وأجيئك الى موضعك فاقاتلك به، فتحرك اليه جعفر ابن حبيب متوجها اليه فنزل غربى زنزور ونزل يانس بالجانب الشرقى منها والزيتون بينهما ثم التقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل اكثر جنده وأخذ هو اسيرا فطلب ممن اسره ان يحملوه الى جعفر فابوا

من ذلك واحتزوا راسه ثم حملوه الى جعفر. ونجا فلال المنهزمين فلجأوا الى مدينة طرابلس فابى اهل طرابلس من تمكين جعفر من البلد. ومن اللاجئين اليها الى ان وصل اليهم فلفل بن سعيد الزناتى فمكنوه من البلد وهو اصل ملك الزناتيين لها

ويوم نزولنا باجاس هذه انفصل عنا سالم بن مرغم متوجها الى أرضه سالكا طريق الساحل ، وارتحلنا نحن يوم الاحد مسحرين فاخذنا ذات اليمين مصحرين الى موضع يعرف بالعقلة وهو واد متسع بجبل يجرى فى وقت الامطار ويجف فى غيره وصادفناه فى ذلك الوقت ليس به ماء الا ماء فى احساء صغيرة، وتلك الاحساء هى المسماة بالعقلة، والعقلة عند العرب هى التى يحبس الماء فيها عن ان يسير، فبتنا هنالك تلك الليلة على غير ماء وقاسينا فى مبيتنا هذا شدة بسبب ما كان فيه من البهمى التى منعت كل احد من ان ينام ، وذلك انها تبرز عند يبسها شوكة تتخلل الثياب والفراء وتصل الى الاجسام فلا يمكن لاحد معها سكون وربما قتلت البهائم التى تبيت فى مرعاها من نباته(١) اذا دخلت بين اصوافها

ويبس (٢) البهمى هو الذى يسميه العرب بالصفار بفتح الصاد وتخفيف الفاء ، وتلك الشوكة التى لها هى التى تسميها السفى مقصورا ، وانشد ابو على للشماخ بن ضرار يصف حمارا(٣) (طويل) :

---

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا
(٢) فى بعض النسخ « نبت »
(٣) راجع لسان العرب ج ٣ - ص ١٨٣

رعَى بَارِضَ الوسْميّ حتّى كأنّما   يَرى بسَفَى البَهْمَى أخِلَّة مُلْهِج

البارض النبات فى اول خروجه، والوسمى المطر الذى يسِم الارض بالنبات ، والاخلة جمع خلال ، والملهج الذى قد لهجت فصاله بالرضاع وكانوا يجعلون على انف الرضيع اذا وجب الفصال خلالا يمنعه من الرضاع ، فيقال ان هذا الحمار رعى بارض البهمي الى ان جف وظهر شوكه فلم يستطع رعيه اذ ذاك فعاد كانما يرى به أخلة ملهج كراهة له ونفورا عنه ، وعلى هذا البيت عول الاديب ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم فى قوله من قصيدة له جيمية (كامل) :

تركَتْ مطايا الآملين لِما سَقَتْ   يمْناه ما تسقيه ضرْب الزِبْرِجِ (١)

فتجمّ أنفسها لورد جمـــامه   بصدودها عن بردِ ماء الحَشْرَجِ

وتصدّ عن رعي الجَميمِ كأنّما   تَلْقَى من البهْمى اخلةَ مُلْهِجِ (٢)

ومعنى الشعرين واحد .

ثم ارتحلنا صباح يوم الثلاثاء السادس من ذى القعدة فلم نزل نسلك بين هضاب متسعة ، وشعاب متبعة ، الى أن وصلنا الى موضع اقامتنا منزل غمراسن فوجدنا منزلا قد غضب الله على أربابه ، فابتلاهم من سكناه والاقامة بمغناه بأليم عذابه ، وخرج الينا جميع أهله فتلقونا على بعد ، ولما وصلنا اليه اخترنا موضعا لبناء الاخبية فلم

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « ما يسقيه صوب الزبرج »
(٢) فى نسخة « ترى سفى البهمى اخلة ملهج »

نجده الا بعد صعوبة ومقاساة شديدة لصلابة الارض وعدم ثبوت الاوتاد بهـا

وغمراسن اسم لناحية من الجبل المتصل الـذى أصلـه جبـل درن بالمغرب وهو الجبل الاعظم الـذى قل على وجه الارض مـا يـدانيه سموا وامتدادا وكثرة خصب واتصـال عمارة ، ومبدؤه من البحـر المحيط فى أقصى السوس مـارا مع المشرق مستقيما الى أن يصل الى هذا الموضع فيسمى دمر ثم يمتد فتسمى مسافـة منـه جبل نفـوسة فاذا حاذى طرابلس رق وخفى وامتد كذلـك رقيقـا الى أن يصـل الى طرف أوثـان من أرض برقـة فينقطع هناك ، وهو من مبدئه الى منتهاه مخصوص بسكنى البربر وبـه كل طريفة من الثمار وغرائب الاشجار والماء ينبع منـه فى مواضع معروفـة ، وهـذه المسافـة التى تسمى منه غمراسن هى متصلة بالمسافـة التى تسمى منـه دمـر من جهة شرقيها وقد يقال فى غمراسن انها من دمر

ومسافة غمراسن تحتوى على قـلاع كثيرة اشهرهـا قلعـة نفيق ـ بكسر النون وتشديد الفاء ـ وقلعة حمدون ، وكـان منزلنا فى فضاء متسع بين هاتين القلعتين وقلعة نفيق أحصنهما واليها يلجأ جميع اهل البلد اذا حل بهم عـدو أو وصل اليهم جيش ، وهو جبل مـرتفع فى السماء قد سهلت فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك الا على غرر وقد تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها تنازى العصم ، وكذلك

غنمهم وابلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع الادمى سلوكها الا بالحيلة ، وتؤدى تلك الطرقات الى بيوت منحوتة فى الجبل بعضها فوق بعض من وسط الجبل الى أعلاه يسمونها «الغيران» وأكثر جهاته عامرة(١) الجهة الشرقية وتليها في ذلك الجهة القبلية وفى الجهة الغربية أيضا مساكن قليلة الا أنها الان غير مسكونة ، والنسور كثيرا ما تأوى اليه وتجتمع فتصاف (٢) عليه ، وتحف بهذا الجبل مزارع فيها نخل كثير لا يرى أحسن من رطبه ، وبها أبيار (٣) ليست بالكثيرة يستقون منها بالغراغيز ، وأكثر مزارعهم الذرة التى يسمونها القصب وسبب قلة آبارهم ما يعانونه فى حفرها من شدة الارض وصلابتها حتى ان الرجل ليمكث فى حفر البئر العام والعامين بحسب كبر البئر وصغرها ، وقوة اعتمادهم فى رى الارض انما هو على ما ينحدر من سيول تلك الجبال فى وقت الامطار فانها تجتمع فى أبطح ذى حصباء متناسبة وتربة بيضاء كافورية تحدق بمزارعهم احداق السور أو السوار وتخترقها مذانب متسربة اليها منه ، وليس فى تلك البقاع ما يرتاح اليه الخاطر سوى هذا الابطح وبموضع منه أحساء مياه عذبة ترد عليه نعمهم وعلى هذه الاحساء نخل كثير يتغالون فى أثمانه اذا تبايعوه بينهم

---

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « عمارة »

(٢) فى نسخة « فتتضاف »

(٣) كذا فى جميع النسخ

وأهل غمراسن قوم من البربر ورغميون ، وفيهم رحالة (١) مع العرب المحاميد والعداوة بينهما متأكدة (٢) وبين أهل قرية قريبة منهم يعرفون بالمقدمين ولا تزال الحرب بينهم قائمة على سباق ، ومن سيرة هؤلاء المقدمين أن لا يدفنوا موتاهم الا على هيأة الجالس فى كهوف متسعة يحفرونها لهم ويتأكد عندهم الدفن على هذه الصفة فيمن توفى وترك ولدا فانهم يقولون : « عز الولد لا ينقطع ما دام أبوه جالسا » هذه عبارة من سألته منهم عن ذلك ، وليس لاهل غمراسن ولا لاكثر ساكنى هذا الجبل فى الحقيقة من الاسلام الا الاسم فقط ولا تجد منهم من يعرف للصلاة اسما ، فضلا عن ان يقيموا لها رسما ، وكذلك جميع الشرائع ، وأقمنا ما أقمنا معهم فلم نسمع عندهم أذانا ، ولا طرق صوته لنا آذانا ، وان كنت قد رأيت فى أعلى قلعتهم موضعا سموه مسجدا ، وليس يصلى فيه الا رجل غريب من أهل زوارة سكن عندهم

وهم ينتحلون مذهب النكارة من الخوارج البربر ولا يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم ولا يورثون البنت شيئا من مال أبيها ، وعيشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكمن بعض المكامن لمن يمر بها من العرب وخصوصا الجوارى والمحالفة بينهم وبين المحاميد لان أبا جبارة كاتب المحاميد ورغمى منهم ولا ينالون (٣) فى

(١) وفى نسخة « راحلة »
(٢) فى نسخة تاخير « متاكدة » عن قوله « بالمقدمين »
(٣) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « لا يبالون »

الاغـارة على الجوارى باصطلاح المحاميـد معهم ولا باحترابهم (١) ولهم أيضا حقد على النفاتيين وبينهم دماء ، وهم أغـير خلق الله على الضيف وأكرمهم له فاذا حل الغريب لديهم واستند اليهم جعلـوه من رؤسائهم وانزلوه فوق رؤوسهم وحكموه فى انفسهم ، ولديهم الامن الذى لم يسمع بمثله فى بقعة من بقـاع الارض وحسبك أنـا أقمنـا معهم فلم يضع لاحـد منـا شىء مـع أنى كنت أرى الثيـاب والامتعة وأوانى الصفر وغير ذلك ملقى بين الاخبية لا يتعرض أحد منهم لشىء من ذلك ، ومن أحكامهم أن الرجل منهم اذا ظهرت عليه سرقة أو خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا فيما لا بـد منـه ولا يخرجونـه من بلدهم اذا كـان منهم فان كـان من غيرهم (٢) قتلوه ، وأخبرنى جماعة منهم أن رجلا منهم ضـاعت لـه دنـانـير ووجدها رجل آخر منهم فتركها فى المسجد الذى فى قلعتهم فبقيت فى ذلك المسجد لا تمد اليها يد الى أن اتفق فى بعض الاوقـات أن دخل صاحب الدنانير المسجد فوجدها هنالك فأخذها

فأقمنـا بينهم ساكنين فى الاخبية نحوا من شهر وبعـده بنينا بيتـا فى أرض رجل منهم مطمر (٣) وهـو فـريض للعـرب المحـاميد ، والفريض عندهم كناية عن المفتى الذى يرجعون الى أحكامـه وقـد

---

(١) وفى نسخة « باحترامهم »

(٢) وفى نسخة « من غير بلدهم »

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « مظهر » وفى نسخة واحدة « يسمى مطمرا »

تأملت فى كثير مما يحكم به ، وهم هنالك يبنون بيتا فوجدته لا يرجع فيه الى شىء من حكم الشرع وانما سمى هذا مطمرا نسبة الى حكم السياسة والتسديد بينهم ، ولهذا الرجل قوة خطابية على طريقتهم وقدرة على اظهار أقيسة وضرب أمثلة يفعل بها فى نفوسهم كثيرا ، وذلك البيت باق الى الان يسمونه بيت السلطان وليس فى ذلك الموضع بناء غيره ، ولما كمل بناؤه انتقلنا اليه وتوالت بعد انتقالنا اليه رياح محرقة(١) كانت تهب من قبل الصحراء ودامت كذلك فحمدنا الله على ما ألهمنا اليه من بناء ذلك البيت الذى تقدم وعلمنا انا لم تكن لنا طاقة بسكنى الاخبية معها

ووصل الى بعد حلولنا بهذا الموضع كتاب من الفقيه الاجل أبى زيد بن نزار جوابا عن كتاب كنت بعثته اليه وكان فى آخره التسليم عليه بخط الفقيه أبى ابراهيم بن حسينة فوصل كتاب الفقيه أبى زيد يتضمن مخاطبتنا معا وكان على عنوانه (كامل) :

للسّيدين أخ ونجل بارع إسحاق مع عبد الإله يُسَلّما
لا زال كلّ منهما متحلّيا بالفضل والآداب دأبا مُكْرَمَا

وفى داخل الكتاب (كامل) :

حَيّي المعاقل والرعان لجمعها رعياً لدمّر إذ رعى الأحبابَا
سكَنوا الرعان وأَسكنوه فما لهم ساروا الغداة بخلبه خلاّبَا

---

(١) فى بعض النسخ « مخرقة »

من أَجل من حلّ الحِمَى أهوى الحمى ... وأَحبّ لي في لاَ بِـهِ إِلْبَـابَا
وجْدي بهم وجد أَفاق (١) قـوى ... عـزم اللحـاق بهـم نوى إِيـجابَـا
مولى كبدر والنجوم صحابه ... نجْل وخِـدنٌ أَوحشا الـأَصحابَـا
حلّوا بـآفاق العلاء كواكب ... اسعادهـا (٢) تستعبد الالبَابَـا
سيعود منزلنا السمال (٣) كما بدا ... وظهورها من أَن يرَى منجابا (٤)
وكذا الثوابت نورها يسعى بها ... تأبـى الجفـاء وتـأْلف الآدابـا
تكفي من المولى جلالـة قدره ... عن أَن أَجلّ بذكره الإِسْهـابَا
ولَـدى المفدى حكمة نبويّـة ... تبري السقام وتذهب الـأَوصابَا
وحـوى البلاغـة والـبراعـة آنسا ... عبد الـإِله وقد شأى الأَتـرابَـا
فـالله يُسعدنـا بهـم وبـأَمْنِهم ... ويُنـيل كلًّا منهـم الآرابَـا
وعليهـم مني السلام مقبـــلا ... تـربا يربـّ (٥) نواله الـأَتـرابا

وكتبت لابن عمى الفقيه الاكرم أبى زكريـاء ابن الفقيه الاجـل أبى الحسن على التجـانى (٦) كتابـا مصدرا بهذه الابيات (طويل)

---

(١) كذا فى نسخة وفى سائر النسخ بياض
(٢) كذا فى النسخ التى بايدينا
(٣) كذا فى بعض النسخ وفى نسخة « اشمل »
(٤) وفى نسخة « حجابا »
(٥) كـذا فى جميع النسخ
(٦) وفى بعض النسخ « التيجانى »

إذا الله حيّــى معشرا بتحيّـــــة يقصر عنها المسك في الطيب والنـد
فحيّى بني عمّي الّذين فخارهم فخاري ومجدي حين أَسمو لهم مجدُ
وخصَّص منهم من تخصّص فيهـم بأوصاف فضل ليس يحصرهـا العدُّ
أبا زكريّاء الرِضَى الأرفع الّذي لـه منّي الشوق المجـدد والـوُدُّ
أَحبّتَـنا هل يجمع الدهر بينـــنا فقد طال هـذا النأي واتّصل البعـدُ
يذكّرنيكم أنس يوم مضى لـنا وعهـد ائتلاف حبّذا ذلك العهدُ
فيبدو قليلا من غرام أحبّتـــــي وفي القلب للاشواق أضعاف ما يبدو
فـقد بلغت منّـي النوى كلّ مبلـغ ففي أدمُعي ودقٌ وفي أضلعي وقدُ
فهل تقرب اللقيـا وينصرم الـنوى ويَنْجَز للآمال من قربِكم وعدُ
لئن جـمعت أيـدي التفـرّق بيننا فقد تمّت النعمى وقد كمل السعدُ

وعرضت لمخدومنا أعزه الله فى أواخر شهر ذى القعدة هذا شكاية شديدة وتواتر لدينا الخبر أيضا عن جدب برقة وفتنة أهلها بما لا سبيل الى اجتيازها معه ، ووصل الينا عقد بشهادة عدول من أهل طرابلس وخطاب قاضيها أن ركبا فيه نيف على سبعمائة نسمة جاء من برقة وأنه لم يخلص منه حاشا مائة أو نحوها وأن سبب ذلك أنهم لم يجدوا هنالك ما يقتاتون به حاشا لحوم الحيات فعدا عليهم سمها فأهلكهم ، وصح لدينا من هؤلاء الذين خلصوا منه انهم

كانوا يمرون فى كثير من أرضها بالاحياء والخيام فيها مضروبة وجميع من فى تلك الخيام موتى من رجال ونساء وأطفال الى غير ذلك مما يحكونه من بيع من بقى فى تلك الاحياء من الاحياء للناس وأكلهم للحومهم ، فحاولنا بما اجتمع من هذه الاخبار المفظعة ومن مرضه الشديد رده الى تونس لتكون اقامته بها الى أن يعافى من مرضه ويصل ركب الارسال المشرقين فنتوجه حينئذ معهم من تونس ، ونظم فى ذلك الفقيه أبو ابراهيم بن حسينة قصيدة مطولة يحضه فيها على هذا الرأى ، وكان أول قصيدته (متدارك) :

عَرِّج يَا صَاحِ علي الطَّلَلِ واسكب أجفانك في الحِلَلِ

ولا تحضرنى الان هذه القصيدة ودعت الضرورة الى موافقة اصحابنا على هذا الرأى بعد أن ألحوا فى طلب مشاركتهم بالنظم فى ذلك فقلت معارضا لقصيدة الفقيه أبى ابراهيم :

طلعت كالبدر المكتمل فتوارى البدر من الخَجَلِ
وأَمال اللحظ تمايلها عن غصن البان المعتدِل
حَوراءُ يحار الصبُّ بها ويخلّي السلوة كلّ خلي
حكمَت بهواها فتّي فلم يعدل في الإمرة حين ولي
فأبحتُ النفس لما احتكمت وحميتُ السمع عن العَذَلِ
جمعت أشتات الحسن فقد زادت في الحسن على المثَلِ

كأبي يحيي تلقى منه ... أشتات الفضل لدى رجل
مولى زهت الايّام بـه ... وتحلّت من بعد العَطَلِ
ينميه أبو العبّاس إلى ... حسب في مرقى المجد علي
شرفٌ بالإرث تملّكه ... فتنقل أحسن متنقَلِ
بأس كالنار إذا اضطرمت ... وندى كالغيث المنهمِلِ
قد ألقى الله بحكمته ... بيديه مقاليد الدُوَلِ
يُمضي الآراء مسدّدة ... في قول أنفذ أو عَمَلِ
مولاي قصيدة ممتدح ... وافاك بشعرٍ مرتجَلِ
طلبت إيضاح فضائلكم ... فحكت منها بعض الجُمَلِ
فإذا أحسنتُ فذاك لكم ... وإذا قصّرتُ فذلك لي
وافت علياك معارضة ... «عرّج يا صاح عَلى الطَّللِ»
مع أن قصيدة أولنا ... فاتت سبقا شأوَ الأُوَلِ
وارجع لمحلّ حالَ بما ... يشكو لفراقك من عِلَلِ
فأقم للدين تجدُدَه ... في عزّ باق متّصِلِ
واخلع أثواب السقم بما ... تكسى للصحّة من حُلَلِ
فشروط الحجّ قد ارتفعت ... لزوال القدرة والسُبُلِ

عهدي بعيدك فيه وقد ... مدّوا يد داع مبتهل
يرجون ثواءك عن كثب ... ودنوّ لقائك عن عجل
كانوا من عهدك في ظلل ... فغدوا من بعدك في خلل
فأنلهم منك مرادهم ... وانقع بالقرب صدى الغلل
واجمع شملا بالأهل فقد ... ماتوا شوقا قبل الأجل
واسعد واصعد وتسام وزد ... وترقّ ونل أقصى الأمل
والله يوفق رأيك في ... حلّ أزمعت ومرتحل

فأبى الا سلوكا لمنهجه ، وقصد أن لا يرجع لتونس الا بعد تحصيل حجه ، وكان أعزه الله وجه لوالدى كتابا بخطه يعرفه فيه بحالتى معه ويصفنى فيه بما يليق بذاته الشريفة ، ومرتبته الرفيعة المنيفة ، فوجه اليه والدى جوابا عن ذلك كتابا نصه (بسيط) :

يا نسمة الفجر والازهار قد رويت ... ممّا ادار عليها الوابل الساقي
والروض قد أمسك الامساك منه نرى ... نمّت عليه به أنفاس أحباق
ولا قرارة إلاّ قرّرت خبرا ... بأن دارين منّا رأي أحداق
لو أنّه نشر طيب للتجارة قد ... سيقت لطائمه منه بأوساق
والنّور تسري إلينا من محامده ... أنفاس ندّ ولكن دون إحراق

بالله هبّي على نـــاذ تبوّأه   مَن للندى في يديه سحب ارزاق
فـإن ظفرت بقرب منـه فلتصفي   بألسن الوُرْق في الأوراق أشواقي
وتسألي لِـيَ وعدا بـاللقاء عسى   وعد التلاقي يجلي مـا أنـا لاقـي
وقبّلي يـا نجوم الـأفق راحتـه   عنّي فبين الدراري قدرها الراقي
يـا راحلين وقلبي راحلٌ معهم   عنّي وإن كان لي جسم هنا باقي
لولا رجاء التداني لم أعش زمنـاً   فردا ولا وُصِفت بالصبر أخلاقي
عسى الليالي الّتي بالبعد قد حكمت   يُجْلَى دجاها من اللقيا بـإشراق
له رقعـة مولى قد علقت بـما   أولت من النعمة العظمى بأعلاق
تضمّنت ذكر مملوك ووالـده   من مالك لهمـا بـالفضل سبّاق
فللأمن والـيُمن والإقبال ما بقيت   دنياهما لهمـا من أجلها بـاقـي

واتصل بهذا النظم من النثر : « يـا أيها المـلا انـه ألقى الى كتاب كريم ، ويا شاكرى الايادي إنى لا أبرح عن شكر هـذه اليد ولا ريم ، ومن لى أن أقوم بواجب حقها ، وأستطيع السلوك فى لاحب طرقها ، وهى يد خطتها يد أعلى الله قدرها ، فما يقدر أحد أن يقدرها قدرهـا ، تصـول بالقلـم والحسام ، وتصوب على الايـام كصـوب الغمام ، بالنعم الجسام ، ولما وصلت العبـد أحـرف مـولاه ، وأولاه وأولى ولده من لا والد ولا ولد له من التشريف بذكرهما فيها مـا

أولاه ، لم يجد لها كفيا ، ولا عملا مرضيا ، الا تضرعا الى من تمد اليه أيدى الرغبات ، وتستمد من فضله المنح الجزيلة من الهبات ، فقلت اللهم يا أرحم الراحمين ، اجعلنى على السلام على تلك الغرة ، واستلام تلك اليمين الكرة بعد الكرة ، من المزاحمين ، ثم رفعت البراءة المباركة على رأسى اكليلا ، وأوسعتها شوقا لليد التى خطتها لثما وتقبيلا ، ولم أزل أتنعم بمطالعتها بكرة واصيلا ، ثم وصلت الدعاء بأن قلت اللهم ان يكن فى علمك الخير التام له ، فى بلوغ ما أم له وأمله ، فهون عليه فيه كل صعب ، ورؤه من نمير لطفك بكل عذب ، وأسعد غيبته وسيره على أتم وجوه السلامة ، وأعم الكرامة(١) ، وأنله خيرك وافرا جليلا ، والا فاثن عزمه عما أمه ورده الى وطنه ردا جميلا ، وأنسئى له أجله ، حتى تستشنى(٢) ذلك له ، فى الوقت الذى تؤمن فيه الغوائل ، وتتساوى فى تهوين صعوبته وتسهيل حزونته الاواخر والاوائل ، والبكر والاصائل ، فأنت يا ربنا تعلم ما للاسلام ، ولامة سيدنا محمد نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فى نظره السديد ، المبارك السعيد ، من الخير التام ، والصلاح العام ، وناهيك به من دعاء تنزه عن السمعة والرياء ، ورفعت به الايدى الى رافع السماء ، وختم بالحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ،

---

(١) فى نسخة بزيادة « وعجل اوبته »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « يتسنى »

وفى أوائل شهر ذى الحجة تواردت علينا وفود العـرب المحـاميد فكان فيمن رايته منهم رجل أسود اللون اسمه ابـراهيم بن مطرف ويكنى ابا زرارة ، ذكروا أنه كان كاهنا من العرب وادعوا صدقـه فيما يتكهنه وحكوا عنه فى ذلك عجائب فسألته عن ذلك فأقر بـه وادعى أن له رئيا من الجن يأتيه فيخبره بما يكون فى أشعار يخاطبه بها فاستثبته عن شيء من ذلك فذكر لى شعرا ادعى انه أنشده ايـاه منذ أيام يحيل فيه على كائنة وصفها تكـون فى رجب الاتى بعـده وهو عام سبعة وسبعمائة ، وكنت كتبت ذلك الشعر فى هذا التقييد فلما تأخر الامر الى انقراض شهر رجب من العام المذكور ولم يكن فيه شيء مما أحال عليه ، وأشار اليه ، بادرت الى محو ذلك الهذيان من الكلام ، وتذكرت قـولـه صلى الله عليـه وسلم لا كهـانـة فى الاسلام

وحضرنا هنالك عيد الاضحى ونحن بحالة قد غاب عنهـا السرور بأسره ، فقطعناه ولا أعيـاد ابن عبـاد أيـام أسره ، واستهل بعـده شهر المحرم من عام سبعمائة وسبعة ففى أوائل هـذا الشهر وصـل الينا الخبر بقتل ملك المغرب أبى يعقوب المرينى على يد أحد فتيانـه ثم قتل ولده أبى سالم ثم قتل اخيه أبى يحيى واستقرار الملك لحفيده أبى ثابت عامر بن عبد الله ، وكان قتل أبى يعقوب على مـا تحققت من الكتب الواصلة من هنالك فى التاسع لذى القعدة من عام ستة ، وقتل ابنـه أبو سالم بعده بأيـام يسيرة وكذلك أخـوه أبـو يحيى ،

وانتقل أبو ثابت الى مدينة فاس بعد أن سلم مدينـة تلمسان الجديدة لابى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان المحصور بتلمسان القديمة أكثر ولاية أبي يعقوب .

ووصلت الى بعد وصول الخبر بذلك أبيات من الوالد فى مخاطبة مخدومنا استلوح فيها من موافقـة اسم جـد هـذا المحصـور لاسم المنزل الذى نحن به معنى فقال (طويل) :

ألاَ أيّهـا المولى المبـارك سعيه تنبَّهْ لما خُوّلْتَه من محـاسنِ
كـفيت قديمـا أهل قابس فتنة غوتـهم بسعْي منك للنجح ضامنِ
ولمَّـا أقـمت الآن في يغـمراسن إقامة مجتاز بـه غير قـاطنِ (١)
وحَسْبِي تلمسان الّتي أبصرت بها عجائب صنع الله عينُ المُعَايـنِ

وكتب الى فى هذا الشهر شقيقى ابو العباس احمد بهذه القصيدة الفريدة من نظمه (طويل) :

لأهل الحِمى أصبو وإن جدَّ لائم وإنّي على وِرد بـه الدهرَ حائـمُ
وما القلب خال من هَوَى ساكن اللِوى وإن أقفرت منهم وأقـوت معالمُ
عليَّ لهم جفن من الدمع مُتْرَع وقـلب على حكم الصبابـة هائـمُ
حمى الله قلبي كم يحنّ إلى الحمى ويُطْربه عهدُ اللقـــا المتقادِمُ

(١) كذا فى جميع النسخ ولابد ان يكون بعد هذا البيت بيت سقط

يحنّ اشتياقاً أو يحنّ صبابة   إذا لاحَ ضحّاكٌ من البرق باسمُ
وإن غرّدت ورقاء في غسق الدجى   يميل بها غصن من الأيك ناعمُ
تذكّر عهداً قد تقضّى نعيمه   كأنّ لياليه المواضي مَوَاسمُ
أَلاَ في ضمان الله قلبي فقد غدا   يشبّ عليه من لظى الشوق جاحمُ
وبالنفس أفدي جيرة قد تحمّلوا   فلا القلب مرتاح ولا الجفن نائمُ
نأوا فنأى صبر المتيّم إثْرَهُم   وأيّ اصطبار بعد حِبٍ يلازمُ (١)
سرَوْا يقطعون البِيد والليل عاكف   كأنّهم فيه نجوم عوائمُ
على كلّ فَتْلاء الذراعين جسْرة   سواءٌ لديها سهلُها والمخارمُ
تباري عليها القفر (٢) جدّا كأنّما   قوائمها عند النجاء قوادم
جديليّة الآباء موثوقة القوى   سليمة ما نيطت إليه القوائمُ
ويا قاتل الله المطيّ وإنّما   نأت بأحبّائي المطيُّ الرواسِمُ
لقد خلفوا من بعدهم ذا صبابة   يروح ويغدو وهو بانٍ وهادمُ
إذا ما جرى ذكر العقيق جرت له   دموع حكت لون العقيق سواجمُ
فيا جيرة الوادي نداءُ متيَّم   تعدّى عليه الدهر والدهر حاكمُ
أعندكم أنّي على العهد ثابت   إذا ضيّع العهد القديمَ مصارمُ

---

(١) وقع تحريفٌ شديد فى هذا المصراع بجل النسخ
(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « العفر »

وأنّي على رعي الذمام محـــافظ ... وأنّـي علـى حفظ الوداد مـداومُ
ويا مُزمِعَ الترحالِ تحمل كوره ... على بُعْدِ ما ينوي قلاص سواهمُ
لك الله عون والنجـــاح موافق ... وبلغتَ في دنيـاك مـا أنت رائـمُ
تحمَّلْ رعـاك الله عنّي تحيَّـــة ... كما انشقّ عن زهْر الرياض كمائمُ
تضَوَّعُ في وسط النـدي فكانَّما ... تنشّـق مسكا من شذاهـا العراتِمُ
وإنْ صرْتَ مجتازاً بأربُع دمّر ... ولاحت بـه للعيـن مـنك المعـالمُ
فخُصَّ به عنّي شقيقي وإنّنـــي ... بحكم النوى والبعد فيه لراغـمُ
وصِفْ ما ألاَقي بعده من تشوُّق ... ووجد غدت تنقدّ منـه الحيـازمُ
تمثّلـه الـأشواق لي فكأنّـما ... وإن كان نـاء بين عـينيَّ قـائـمُ
وما ظبياتِ ضرّم القيْظُ لُوحـها ... فهـُنَّ على ورد الشراب حوائـمُ
إذا لاح برق في عنانِ سحابـة ... فهنَّ لما يلتـاح منه شوائـــمُ
رأت نُطفَةً زرقـاء في قلب صخرة ... ممنّعـة قـد غادرتـهـا الحمائـمُ
يفيء عليها الظلُّ كلّ عشيّة ... وتسترها أغصانُ دوح نواعمُ
بأَعْظَـمَ من شوقي لرؤيتـه الّتـي ... بهـا أَمَلِي يدنو وسعدي يـلائـمُ
أأَحبابَـنا بالسخط منّيَ لا الرضـا ... عدتْـني نجودٌ (١) عنكمُ وتهَائِمُ

---

(١) في بعض النسخ « حوتني نجوم »

لقد طال هذا البعد واشتطّت النَوى | وجار علينا الدهر والدهر ظالمُ
اذا ما تذكّرت الليالي الّتي مضت | تخيّلتُ أنّي في ادّكاري حالمُ
أحنّ لمسرى البرق من نحو أرضكم | إذا ماسرى والليل أسودُ ساجِمٌ (١)
وكم هيّجت شوقي سواجع أيكة | يجاوبها إلف لها ويناغمُ
أطارحها رجع الحنين صبابة | وأغرب عن وجدي وهنّ أعاجمُ
فيا ليت شعري هل يعود بقربكم | زمان نعمنا فيه والشمل ناظمُ
ويا حبّذا دهر قضى باجتماعنا | كريم وأيّام تولّت كرائمُ
بحيث قطعنا العيش وهو مهنّأ | ونلنا الأماني والزمان مسالمُ
وكم قد أدرنا اكؤس المنّ والمنى | علينا وما غير السرور منادمُ
فهل مُبْلِغٌ ذاك السرور الّذي مضى | سلاماً تؤديه الرياح النواسمُ
اذا حملته عطّر الجوّ عرفُه | كما خطرت يوما عليك لطائمُ
سقى الله صوبَ المزن أعلام دمّر | وروى رباه العارضُ المتراكمُ
ولا زال ممطور الثرى مخصب الذرى | تردد فيه اللحنَ وُرقٌ حمائمُ
اذا السحب أذرى فوقه الدمع اصبحت | تضاحك للأزهار فيه مباسمُ
وما طلبي سقياه الاّ رعاية | لمن حلّه والدهر مُعْط وحارمُ

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « ساحم »

ومن اجل من حلّ الحمى يذكر الحمى ... وإلاّ فما تُجدي الربوع الطواسمُ
فيــــا نائيا عنّي ومثواه في الحشا ... ومِن أَعجب الأَشياء ناءٍ مــــلازمُ
الى مَ نوى لا يستطاع احتمالُها ... وحتّى مَ بعدٌ حولَه متفــــاحمُ
ألا زورة تهدي الشفاء على النوى ... ويهدي لنا منها المسرَّة قــــادمُ
ومن لِيَ باللقيا ودون مَنالها ... فيافي تحامَى جوبَهن المناسمُ
اروح واغدو والصبــــا متنسّمٌ ... عسى خبر يأتي به منك ناسمُ
وكم لي على بعد النوى من تحية ... تحمّلهــــا عنّي البروق البواسمُ
فيا ليتني طارت بِكوري على النوى ... خواف(١) شديدات القوى وقوادمُ
لِـأَحْظَى بِحَظٍ لي برؤياك مقنع ... وانّي اذا ما نلت ذاكَ لغــــانمُ
احِنّ اذا ما مرَّ ذكرك خاطراً ... بقلبي كما حنّت نياقٌ روائــــمُ
عسى الله ان يدني ايابك عاجلا ... فيحسم هذا البعد والبين حاسمُ
وممّا يسلّي النفس انّك مُودَعٌ ... بحيث تحاماك الخطوب الهواجمُ
ومن يك بالمولى العماد اعتقاله ... فقد نكبت عنه الدواهي الرواسمُ
همام توقّاه الاسود مهابــــة ... وتحسد كفّيه البحور الخضارمُ
عماد بني الدنيا ومولاهم الّذي ... يصادر (٢) عنهم من عدا ويُصارمُ

---

(١) في بعض النسخ « فــراخ »
(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يصادم »

من آل ابي حفص الّذي قد غدا به ... حمى الدين في امن وذَلّ المراغمُ
حمى حوزة الاسلام قدماً بعزمه ... فعزّت لَهُ بالله تلك العزائمُ
لقد شمخت تلك الربوع بماجد ... نمته الى العليا جدود أكارمُ
يقاسمه في ماله كلّ مُجتَد ... وليس له في مجده من يقاسمُ
كريم اذا ما السحبُ ضنّت بقطرها ... حليم اذا ما حفّ بالحلم راقم
يرى البخل عصياناً اذا سال سائل ... كأن عطاياه فروض لوازمُ
يذكر يوم الجود والروع حاتما ... وعمرا ومن عمرو لديه وحاتم
حوى قصب العلياء والغاية التي ... يُبرى كلّ خلق دونها وهو فاحمُ
فمن كابي يحيى ندى وشجاعة ... اذا أمّهُ عاف (١) ودارت ملاحمُ
هو الجود حتّى لو تخلّف مجتَد ... لسارت اليه من نداه (٢) المكارمُ
لقد غاب عن ترشيش اذ غاب انسها ... ولاقت من الاشواق ما لا تنادمُ
تغيّر منها كلّ حسن واصبحت ... يلوح لها وجه من الشوق قاتمُ
حياة ابي يحيى حياة بني الدُنَى ... وآراؤه من كلّ خطب عواصمُ
فلا زال في عزّ وسعد مجدّد ... تقابله الايام وهي خوادمُ
ودام على مرّ الليالي وكرّها ... ينادي مجيبا للمنى وينادمُ

---

(١) في جميع النسخ « امة عافت»
(٢) في نسخة « يديه »

واستهل بعد هلال صفر بالثلاثاء ففى أواسطه وصل الينا الفقيه الاجل ابو زكرياء بن يعقوب وذلك يوم الجمعة الثامن عشر منه وأخبرنى أن خروجه من تونس كان يوم السبت الخامس منه ، ولما وصل عزمنا على التوجه الى طرابلس للاقامة بها الى ان يصل ركب يتوجه معه مخدومنا الى المشرق على حسب ما كان بنى عليه أولا فأقمنا بغمراسن بعد وصوله شهرا كاملا وارتحلنا منه ظهر يوم الاحد الثامن عشر لشهر ربيع الاول فكانت مدة الاقامة بها أربعة أشهر وثلاثة عشر يوما التى هى بحساب كمال الشهر ونقصه مائة وواحد وثلاثون يوما ، وودعنا فى هذا اليوم الفقيه أبو ابراهيم ابن حسينة وانفصل متوجها الى تونس وأنشد مخدومنا عند وداعه له (بسيط) :

سخا بنفسي على ايثار صحبتكم   يومُ الوداع ومالي منكمُ خَلَفُ
الاّ فؤادا (١) كطيرٍ حلّ في شَرَكٍ   ودمعة مثل منهلّ الحيا تكِفُ
أكفّها عن مجاريها فيبعثها   حاد من الوجد يُجْرِيها فلا تقفُ
خلالها زفرة تشتدّ طالعة   تكاد من حرّها الاضلاع تنقصفُ
عِلْمُ اليقين بانّي ان صحبتكم   اردى وشيكا ولم يمهلني التلَفُ
فقلت ما صحْبةٌ دانٍ تصرّمُها   بعدي (٢) بفرقة وقتٍ ماله طَرَفُ

(١) فى نسخة « وحيدا »
(٢) كذا فى جميع النسخ

وفي رجوعي رجاءٌ للبقاء بـــه ارجو حصول التلاقي حين تنصرفُ
فاختار عبدك بعداً بعده صلة على اتصال ببعد الدهر يكتنفُ
فانظر بعين اعتبار ما اتيتُ بـــه يُقِم لي العُذرَ في عليائك النَّصَفُ
واترك مقالة اقوام ذوي غرض يردهم قصدهم عن بعض ماعَرَفُوا

وقربنا نحن مرحلتنا من الغد فبتنا على غير ماء ثم أصبحنا يوم الاثنين فنزلنا ببئر تعرف بالعقلة وهى بئر مرة تتضمنها أرض قفرة ، ووجدنا بعض المحاميد قد أوردها ذلك اليوم ابلا كثيرة فزادها الى المرارة تغييرا ، وأخبرنى بعضهم أن حفر تلك البئر محدث وأن البئر القديمة المعروفة هنالك ابعد يسيرا منها وانما انتقل الورد الى هذه لفضل مائه على الماء الاخر، وأرض هذه البئر من الارض المعروفة عندهم بأرض فسي - بكسر الفاء وكسر والسين المهملة مشددة - ثم انتقلنا يوم الثلاثاء الى ماء يعرف بالقصار بضم القاف كذا ينطقون به وهى أحساء لا يستطيع أحد لمائها شربا ، ولا يحب الليلة قربها قربا (١) ، ومنه يوم الاربعاء الى ماء يعرف بأبى الحبر - بضم الحاء والباء - لا يحمد مذاقه مختبر ، ولا يصبر لتجرع صبره مصطبر ، ومن هذا الماء فارقنا أرض المحاميد وودعنا فى هذا اليوم أميرهم يعقوب ابن عطية وانقلب راجعا الى مخيمه وبتنا نحن تلك الليلة هنالك ثم

---

(١) كذا فى بعض النسخ وفى نسخة « ولا يحب ليلة قربها قربا »

ارتحلنا من الغد فنزلنا بماء يعرف بتاذر ، وهو أول أرض الجوارى وهم بنو جارية بن وشاح بن عامر وقد تقدم رفع نسب وشاح الى سليم عند ذكرنا للمحاميد ، ورئاسة الجوارى الان فى المراغمة منهم وأميرهم فى حين تاريخه سالم بن مرغم بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية ووصل الينا بهذا المنزل بعد أن كان قد انصرف عنا من منزل أجاس قبل وصولنا لغمراسن على ما تقدم ، فصحبنا فى هذا المنزل وما بعده من المنازل ولما اجتمع بنا رغب الى مخدومنا أن تكون اقامتنا عنده بمنزل زنزور (١) الى أن تصل المشارقة وأن لا يتجاوزه الى طرابلس وجعل هذا الغرض من أكبر مطالبه ، وأقصى مئاربه ، وانما فعل ذلك مضاهاة لابن عمه يعقوب بن عطية حيث أقمنا عنده بمنزل غمراسن تلك المدة المتقدمة ، فلم يكن بد من اسعافه بما طلب فتوجهنا بانين على الاقامة معه حيث ذكر .

وكان انتقالنا عن تاذر يوم الخميس فملنا الى طريق الساحل متياسرين ، وسامتنا من البحر مدخل فى البر آخذا(٢) من المشرق الى المغرب بطول خمسة أميال أو نحوها ، ومرساها مرسى مستحسن عند أهل البحر ويعرف هذا الموضع فى القديم بقصر صالح ، وسيأتى له ذكر فيما بعد هذا وهنالك السبخة المفضل ملحها على جميع السباخ ومنها يمتار أكثر بلاد النصرانية جئناها وبها اذ ذاك ماء يسير وكأنها

(١) فى بعض النسخ « جنزور »
(٢) بياض فى بعض النسخ وفى بعضها اختلاط كبير لا تستقيم معه العبارة

طرف من سبخة التاكمرت التى بتوزر ، وأهل ذلك الموضع يذكرون انهم اذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا الى تراب الارض احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة من الملح أخرى ثم يحتفرون فيجدون طبقة أخرى وكذلك الى سبع طباق وهم يجهدون الى الطبقة السابعة لان النصارى يتغالون فى اشترائه منهم ، ويذكرون أن له عندهم منافع طبية متعددة .

واجتزنا بعده أيضا على ورد يعرف بتفاضلات ـ بالتاء المثناة من أعلاه والفاء والضاد المعجمة ـ وهى أحساء ماء بين أحقاف رمال ووجدنا العرب قد أوردتها فى ذلك اليوم من النعم الدثر ، ما ضاق به متسع ذلك القفر ، وتمادى السير بنا الى أن نزلنا بظاهر زوارة الصغرى وتعرف أيضا بوطن بلد المرابطين وهى قرية ذات نخل كثير باسق الارتفاع وماؤها فى غاية العذوبة وقد استولى الان الخراب على هذه القرية فليس العامر منها الا بعض الغامر ، وأهلها قوم من الخوارج غلاة فى مذهبهم موصوفون بتصميم فى دينهم وأمانة فيما يودع عندهم مكفرين بمواقعة(١)الذنوب ورأيت منهم اقواما قد نحلت من العبادة ابدانهم ، واصفرت الوانهم ، بانين فى ذلك على هذا الاصل الفاسد من تكفير العصاة على ما تقدم بيانه عند ذكر جربة

وأظهر اهل وطن المرابطين شيخ يعرف بعبد الرحيم الزوارى

(١) وفى نسخة « مواقعى »

وجميعهم يعظمه ويقدمه رئاسة وسنا وصلاحا بزعمهم اجتمعت به فرأيت شيخا مجتهدا فى العبادة حسن السمت الا انه باعتقاده الفاسد قد ضيع اعماله ، وخسر حاله وماله ، وتوسمت فى احد من وصل معه الطلب فتكلمت معه فوجدته قد شارك فى طرف من العلم وانجر الكلام معه من التحدث فى اصل المعتقد الى التحدث فى مسالة المسح على الخفين فى الطهارة فشنع بها على مثبتيها كثيرا وفاقا لمذهب الخوارج ، فذكرت له بعض الاحاديث الواردة فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها بالجملة وقال هذه اخبار آحاد لا يجب العمل بشيء منها ، قال : وقد نص لنا سيدنا ابو يزيد مخلد بن كيداد على طرح ما كان من الاحاديث يناقض اصلا من اصولنا فلعنت النص ومن نصه ، وأبعدت عنى لفلتات لم يصن لسانه عنها شخصه ، وقد وافقت الخوارج على انكار المسح على الخفين اضدادهم الشيعة مستندين في انكاره الى ما رووه عن على بن ابى طالب رضوان الله عليه انه كان لا يرى المسح ، وذلك غير صحيح عنه كرم الله وجهه فان حديث التوقيت فى المسح وهو حديث صحيح يروى (١) وقد تغالى الشيعة فى هذا واتخذوه شعارا حتى ان الواحد من غلاتهم ربما تألى فقال : برئت من موالاة امير المؤمنين ومسحت على خفى ان كان كذا والى هذا اشار الشاعر بقوله ، ونذكر حكاية هذا الشعر على ما ذكرها ابو سليمان الخطابى فى معالمه ، قال :

(١) كذا فى جميع النسخ ولا بد ان يكون فى العبارة نقص ولعل الناقص هو « عنه »

كان الحسن بن زيد بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وعنهم واليا على المدينة من قبل ابى جعفر المنصور فعتب على بعض كتابه فحبسه فكتب له من السجن (١) (بسيط) :

اشكو الى الله ما لقيتُ   احببت قوما بهم شقيت
لا اشتم الصالحين جهراً   ولا تشيّعت ما بقيت
امسح خفي ببطن كفّي   ولو على جيفة وطيتُ

قال فاطلقه واكرمه .

واما الخوارج فوقفوا فى انكار المسح مع نص الكتاب ولم يروا نسخة بالسنة ، ورويت (٢) عن مالك رحمه الله فى ذلك رواية شاذة لا ينبغى ان تحمل على ظاهرها ، وقد تاولها عليه من صححها عنه . وبالجملة فالعلماء مجمعون على خلاف هذا القول وقد نصوا على تفسيق من قال به ، وقول هذا الزوارى ان هذا من اخبار الاحاد ليس كذلك فقد نص الاية على ان هذا الحكم مما ارتفع عن رتبة خبر الاحاد ووصل الى رتبة التواتر

وأمام هذه القرية بمقربة منها قصر يسمى وزدر - بكسر الواو - وسكون الزاى وكسر الدال المهملة - قد محى رسمه ، وبقى اسمه ، وتخرب أكثر البناء الذى يحف به ولم يبق من اهله الا أناس قليلون

(١) فى بعض النسخ « من الحبس »

(٢) فى بعض النسخ « روى »

سكنوه حبا للوطن، وهذا القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به الحجاج وغيرهم للنصارى ، ولم تزل الركوب تحترس اذا مرت به خوفا من أهله وخوفهم على سرقة الرجال ، اكثر من خوفهم على سرقة الرحال، فاذا جازوا عليهم ولم يفقدوا أحدا ممن معهم هنأ بعضهم بعضا بذلك ، وكان هذا الفعل فيهم كثيرا شائعا فيما تقدم وأما الان فقد قل ذلك لقلة العابرين به ، وسألت أقواما منهم عما اشتهروا به من هذا الفعل فأقروا به ولكنهم ادعوا انقطاعه عنهم جملة ، قالوا وهذا الخراب الذى فى موضعنا الان انما هو مساكن القوم الذين كانوا يفعلون ذلك أهلكهم الله تعالى وأخرب بيوتهم .

فبتنا تلك الليلة بظاهر وطن ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فاجتزنا فى أول المرحلة على زوارة الكبرى التى تسمى كوطين - بضم الكاف وكسر الطاء المهملة - وهى قرية أضخم من الاولى وأكبر غابة، وفى أهلها شجاعة موصوفة وعزة أنفس وطاعتهم للعرب مشوبة بعصيان وكان نزولنا منتصف النهار بظاهر ولول ، وبين وطن وولول عشرون ميلا وهما قريتان متشابهتان عذوبة ماء وخراب بنيان وولول هى منتهى أرض زوارة ، وسميت بذلك لان أقواما من البربر يعرفون ببنى ولول نزلوا بها وكذلك تعرف فى القديم بأرض بنى ولول ، وهى أكثر بقاع الارض ظباء ولاهلها دربة فى صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك عن غيرهم .

ومن ولول يوم الاحد الى موضع يعرف بتليل وهو حصن فى راس تل مشرف على البحر وتحف بالقصر فى سند التل دور كثيرة معمورة وما تحت التل سوانى ومزارع وليس هناك شجرة واحدة وانما معتمدهم فى سكناهم بذلك القصر على ما يزدرعونه بتلك السوانى ، وبها آبار معينة الا أن ماءها شريب وليس العذب منها الا ما بين التل والبحر وأهله برابر نكارة موصوفون بخبث وشر .

وارتحلنا عنه يوم الاثنين فاجتزنا فى أول المرحلة على زواغة وبينهما ستة أميال أو نحوها ، وزواغة هى أكبر قرية فى ذلك الموضع وأضخمها وبها نخل كثير ومنها يظهر للمتوسم بعض مبانى طرابلس وبينهما نحو خمسين ميلا ، وأهلها لم يزالوا فى القديم مشكورين مكرمين للحجاج على الضد من جيرانهم أهل زوارة ولم يكن يسمع عن أحد منهم بيع مسلم ولا تعرض له بسوء ولكنهم فى هذا الزمان أظهروا تعديهم ، ومدوا الى المراكب البحرية والركائب البرية أيديهم ، كأنهم حسدوا أهل زوارة على تميزهم بتلك الفضيلة التى اشتهروا بها ، وبهذه المدينة آثار قديمة وأعمدة مرتفعة من الرخام قائمة الى الان لابناء يكنفها ووجدت سارتين منها متجاورتين على شكل واحد وكل واحدة مؤلفة من أربع قطع فى غاية الضخامة والارتفاع وحسن الصنعة غير أن احداهما قد سقطت قطعة من أعلاها فأخبرنى أهل الموضع أن بعض كبراء

العرب كلفهم رمى تلك القطعة لانه سمع أن كل قطعة منها مملوءة ذهبا فرموها وكسروها فلم يجدوا بها شيئا ، والى جانبها من جهة البحر آثار المدينة القديمة المعروفة بصبرة(١) وربما كتبت بسين مكسورة عوض الصاد ، وهى كانت فى القديم قاعدة ذلك الموضع كله ولم يكن هناك أحصن منها ، واستفتحها عمرو بن العاص رحمه الله تعالى أول دخوله لافريقية بعد افتتاحه لطرابلس ، جرد اليها خيلا وهم آمنون قبل أن يصل اليهم الخبر بفتح طرابلس فصبحتها(٢) خيله ، وقد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم وكان على الخيل عبد الله بن الزبير فدخلوها فلم ينج من أهلها أحد الا ناس قلائل توجهوا فى مراكب لهم الى صقلية واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا الى عمرو فأمرهم بهدمها واحراقها

وبعد مجاوزتنا لزواغة اجتزنا أيضا على قرية أخرى تعرف بصرمان وسياتى لها ذكر بعد هذا ، ثم اجتزنا على زاوية تعرف بزاوية أولاد سهيل فنزلنا هنالك وهى رابطة حصينة يحف بها شجر كثير من التين والرمان والخوخ وغير ذلك ، ولها أرض متسعة تعرف بالسابرية ، وأولاد سهيل قوم من العمور ، والعمور فخذ من الوشاحيين ينتسبون الى عمور بن وشاح أخى جارية بن وشاح أخى المحاميد ، ولهم أخ رابع اسمه جواب وهو أبو الجواوبة ، وقبيلا

---

(١) صبراتة
(٢) وفى بعض النسخ « هجمتها »

العمور والجواوبة فى زماننا هذا لم يبلغ من كثرتهم أن يقوم كل قبيل منهما بنفسه فهم تابعون لاحدى قبيلتى اخوتهم الجوارى أو الحاميد ، وقد كانت قبل هذا لهم بهذه الارض صولة ، ساعدتهم فيها من الايام دولة ، ثم أخمد الدهر ذكرهم ، وطوى أمرهم ، وهم الان تابعون للجوارى ، وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف بأبى عيسى يذكر عنه صلاح واعتناء باضافة من كان يرد عليه وتوفى عام ثلاثة وسبعين وستمائة ، وخلفه فى اقامة(١) رسم هذه الزاوية أبناؤه وهم ناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم فانهم يرفدونهم بما يحتاجون اليه من زاد وغيره ويرجعون اليهم ما استلبتهم العرب ، والدبابيون يرعون لهم حق رباطهم وحق مشاركتهم لهم فى النسب .

ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية وصل الينا أهلها راغبين فى الوصول الى موضعهم والتحرم بطعامهم فسرنا مع مخدومنا اليهم فأصعدونا اليهم فوجدناهم قد شحنوها بالعدد المنمنة على نحو(٢) التحبيس عليها ، ورأيت هنالك كتبا كثيرة محبسة وزرنا بداخلها قبر الشيخ أبى عيسى رحمه الله ، ثم أتوا بطعام محتفل فطعمنا وانتشرنا وبتنا تلك الليلة بمقربة منها ، ثم لما أصبحنا سرنا فاجتزنا بزاوية أضخم منها حالا ، وأكثر رجالا ، وبها مبان كثيرة ولها أرض

---

(١) فى جميع النسخ « امانة »

(٢) فى بعض النسخ « على رسم »

متسعة وتعرف بزاوية اولاد سنان اخوة الوشاحيين والنوائل ، وهم بنو سنان بن عامر بن جابر وعامر هو أبو وشاح ونائل كما تقدم عند ذكرنا للنوائل ، فبنو سنان يتداعون مع الوشاحيين فى عامر أبيهم ، وهذه الزاوية راجعة الى حكم عبد الله بن دباب بن أبى العز بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية الشديد القسوة المشهور هو وبنوه بربط البربر وتعذيبهم بالنار وغيرها لاستخراج أموالهم منهم ، وهنالك مجمع (١) العرب وسوقهم ، وبها يباع مجتلبهم ومسوقهم

وكان نزولنا فى هذا اليوم بموضع يعرف بلماية ، وهى قرية صغيرة وبها نخل يسير وقصور مرتفعة متفرقة ، وبمقربة منها قرية تعرف بقرقوزة - الاولى راء والثانية زاى - وبها آثار قديمة وكانت لها غابة نخل فأهملت وبطل ثمارها فبتنا تلك الليلة بلماية كما تقدم .

ثم أصبحنا يوم الاربعاء الثامن والعشرين من هذا الشهر وهو شهر ربيع الاول فحللنا بمنزل زنزور ، فرأيت غابة متسعة الاقطار ملتفة الاشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون وأكثره من الغرس القديم على نحو زيتون الساحل ، وليس يعظم (٢) شجره فى موضع من المواضع ما يعظم (٢) فى هذه القرية ، وبها مع ذلك نخل كثير ورطبه متناهى الطيب ، وبها أيضا من شجر التفاح والرمان

---

(١) فى بعض النسخ « مجتمع »
(٢) وفى بعض النسخ « يطعم »

والعنب والتين كثير وهى كثيرة القصور وقد استولى الرمل على أكثرها ، وهم الان يتوقعون استيلاءه على باقيها ، ويقال ان طولها الان نحو من خمسة أميال وعرضها نصف ذلك ، وهى أشبه البقاع بجزيرة جربة هيأة غراسة ، واتصال عمارة ، ولا فرق فى المنظر بينهما الا أن مساكن أهل جربة أخصاص من النخيل كما تقدم ومساكن هؤلاء دور مبنية، وكانت فيما تقدم من أملاك أهل طرابلس فلما وقعت فتنة الميورقى بتلك الجهات وانقطع بسبب ذلك طرق أهل البلد اليها وانتفاعهم بشىء من غللها (١) زهدوا فيها فباعوها من بعض البربر فهو أصل ملك المجريسيين (٢) وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص رحمه الله ، اسسه واحتجر من هذا الجامع موضع فدفنت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولده وضرب عليه بباب .

ويجاور هذا الجامع قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم يقال انه أول قصر بنى بزنزور ، ولم يبق منه الان الا سوره المحيط به وهم يعظمون أمره ويقولون ان فناء (٣) ما بقى منه يؤذن بخراب البلد وفناء أهلها ، والى جانب هذا الحائط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم وهى سوق نافقة ضخمة يجتمع البربر بها من الاقطار

---

(١) فى بعض النسخ « غلاتها »

(٢) وفى نسخة « تملك المجوسيين »

(٣) فى بعض النسخ « بقايا » وفى سائرها « بقاء »

المتنائية(١) فى كل جمعة فيبيعون هنالك جميع ما يجلبونه وأهل زنزور قوم من البربر هواريون ثم مجريسيون كما تقدم .

وهوارة يقال ان أصلهم من البربر وان أباهم هوار بن المثنى بن المسور بن يخصب ، ويقال ابن أبى المثنى وكذا رأيت بخط أبى اسحاق الاجدابى ، وسمى هوارة لكلمة قالها فى حكاية طويلة اختصارها أنه كان ساكنا بالحجاز فضلت له ابل فتوجه فى طلبها الى أن بلغ الى مصر ودخل الى بلاد المغرب طالبا لها فمر بجبال طرابلس فقال لغلامه أين نحن من الارض ؟ فقال له الغلام بأرض افريقية، فقال: لقد تهورنا، والتهور الحمق، فسمى هوار لذلك، وحالف بافريقية قوما من زناتة فرأى عندهم العرجاء أم صنهاج ولمط بنى لمط الاكبر وقد كان زوجها لمط توفى عنها وكانت جميلة فتزوجها هوار فكثر نسله منها واتسع فهم الهواريون ومجريس فخذ منهم ، سموا باسم أمهم ، وكانت لابيهم وخيع(٢) زوج أخرى تسمى تاسا ينسب اليها التاسيون فبنو مجريس وبنو تاسا بنو أب واحد .

وكانت لمجريس قبل هذا قوة واشتداد بقريتهم هذه وامتناع من العرب لم يكن أحد من العرب ولا غيرهم يدخل غابتها ولا يتجاوز شجرة واحدة منها الا باذن منهم ، وكان بها اذ ذاك أجناد

---

(١) فى بعض النسخ « متباينة »

(٢) فى بعض النسخ « وخيمن » ولعل الصواب « ونيفن »

مرسومون فى ديوان العطاء كلهم من أهلها قد عدوا هنالك جندا لمن يلى طرابلس ، ورسم لهم عطاء يقبضونه من خراج طرابلس فكانوا يذيقون الاعراب شرا ، ويكفون منهم فسادا كثيرا وضرا ، ولم تزل العرب حاقدة عليهم الى ان ضعف الامر وتمكن مرغم بن صابر من الدولة وطلب من الملك أخذ هذه القرية بظهير فأعطيها وذلك فى أول سنة ست وسبعين وستمائة ، فأخبرنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى التاجورى قال : لما وصل مرغم بن صابر الى طرابلس أرانى الظهير وسألنى هل هو صحيح فقلت له : انه صحيح ، وهو بالعلامة الجارية قال: فحينئذ أيقن بتملكها ولم يكن يصدق بذلك، ولا خطر له قط أن يجوزها سالك، فأحرى أن يحوزها مالك، ثم أخذ فى اضعافهم، والسعى فى اتلافهم، الى أن كاد يفنيهم، وفى وقتنا هذا متفرقون الى جماعات كثيرة وأظهر فرقهم فرقة تعرف بالقياد وأمرهم راجع الى رجل اسمه جابر بن مالك وهو قائد الرئاسة فيهم ، وتناظر هذه الفرقة فرقة أخرى تعرف ببنى سلام وبنى حسين تجمع الفرقتين، ولا تزال الحرب قائمة بينهما وينضاف اليهما باقى الفرق كالخطابيين وبنى مزبلة والابراهيميين وبنى رزق وبنى مدنين وغيرهم فى حال الحرب والسلم بالحلف والمعاقدة ، وجميعهم منقسمون بين المراغمة من الجوارى على رتبهم لكل واحد منهم جماعة يجبيها ويحميها وربما تبايعوهم فيشترى أحدهم ونساؤه وولده للجباية بما يتراضى مع صاحبه عليه ويجعل أداء فى كل عام

على حسب شجره وسعة أرضه وليس أهلها ملاكا فى الحقيقة لشيء منها وانما هم أجراء للعرب ناصحون واسم الملكية لهم هو النصح فى الخدمة .

وبظاهر زنزور كانت الوقيعة بين جعفر بن حبيب قائد باديس ابن المنصور ويانس الصقلبى (١) الواصل من مصر وكانت منزلة جعفر بن حبيب بغربيها ومنزلة يانس بشرقيها فالتقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل هو وأكثر جنوده وحملت رؤوسهم الى جعفر وذلك فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الوقيعة مستوفى قبل هذا .

ومن أهل زنزور صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن أبى بكر بن برنيق الهوارى المجريسى انتقل من زنزور الى طرابلس فاستوطنها ، وله مشاركة فى علوم منها أصول الدين على طريقة القدماء قرأها على الفقيه أبى محمد بن أبى الدنيا ، ومنها الفقه وغير ذلك ، لقيته بزنزور ثم لازمنى بعد بطرابلس وهو شيخ كبيرالسن حفظه(٢) ممتع الحديث ذو دين متين ويذكر أنه كان فى صغره آية فى الجمال وحسن الصورة وافتضح فى محبته بعض الكبراء من أهل طرابلس فأدركه خبل فى عقله فكان مولعا بتكرار اسمه لا يجيب من كلمه الا بذلك ، وأخبرنى بعض أهل طرابلس أن هذا المفتضح المخبل العقل كتب

(١) فى بعض النسخ « الصقلى »
(٢) بياض فى جميع النسخ

يوما فى جدار من جدران طرابلس : أيلام من يحب أبا بكر ؟ فقرأه بعض الظرفاء فكتب تحته ان كان أبا بكر الصديق ، فأنت مؤمن على التحقيق ، وان كان أبا بكر بن برنيق ، فانت فاسق زنديق .

وزرت بخارج الغابة من هذه القرية قبر الشيخ أبى محمد عبد الجليل الحكيمى (١) وهو على ساحل البحر ببيت يجاور مسجده الذى كان انفرد فيه بنفسه ، وتخلى عن أبناء جنسه ، وهذا المسجد من المحارس القديمة البناء المفرطة الحصانة وانما أضيف اليه لسكناه به ، وبنائه الى جانبه ، وأصله من العرب الحكيميين وأهل هذه الجهة يعظمونه كثيرا ، وأخبرنى جماعة منهم أنه مات وقد نيف عمره على المائة والعشرين وكانت وفاته يوم الاحد الثالث لشهر ربيع الاول المبارك من عام خمسة وثمانين وستمائة ، رأيت هذا مكتوبا على قبره .

وعلى مسافة يسيرة من مسجده هذا من جهة غربيه على الساحل أيضا مسجد يعرف بسيقاطة ـ بكسر السين المهملة وبالقاف ـ ابتناه الفقيه الصالح أبو الحسن السيقاطى رحمه الله وبه كان يتعبد وهنالك قبره زرته ودعوت عنده ، وكانت وفاته قديما سنة عشرين وأربعمائة وخرج جميع أهل طرابلس ومن حف بها من النواحى والبلاد فصلوا عليه وكان له يوم مشهود ، وتوفيت لمخدومنا فى أثناء اقامتنا بزنزور ابنة صغيرة فدفنت بخارج مسجد سيقاطة هذا .

---

(١) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان (طبع طرابلس الغرب) ص ١١٠ ـ ١١١

وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة ، وهى مساكن للصالحين قديما وحديثا شهيرة ، والناس يزورونها ويتبركون بها وانها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربه والساكن بها يجمع بين الاحتراس ، ومجانبة الناس ، وأكثرها من مبانى ابن الاغلب مبتنى المحارس من(١) الاسكندرية الى مجاز سبتة وقد تقدمت الاشارة الى ذلك قبل هذا .

وفى أوائل شهر جمادى وصل الى زنزور غلبون بن مرزوق السالمى وهو أمير آل سالم بن رافع بن دباب، وهم أمم لا يحصون فيما بين طرابلس وبرقة ، فتحدث مخدومنا معه فى السفر صحبته فلم يوافق عليه خروج أكثر جماعته من يده وقوة طمع آل سالم وخيانتهم ولم يجعل الى التشريق فى ذلك العام سبيلا بل قال انه لا يتصور بحال ، وجعله من أعظم ممتنع وأكبر محال ، وكانت أيضا الاشاعات قبل هذا تنادى(٢) الينا بوصول ركب الغرب صحبة الارسال المشارقة فلم نكن نتوقع اياسا من تهيؤ السفر فى ذلك العام الى هذا الحين ، فلما سد غلبون باب الطريق ، ومنع بالجملة من التشريق ، ولم نتحقق للمغاربة قدوما ، بل عاد موجود تلك الاشاعات كلها معدوما ، وانما تأخروا بسبب موت السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى الذى توجهوا بالهدية اليه ،

---

(١) فى جميع النسخ « بين »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « تتادى »

اقتضى النظر الدخول الى طرابلس والتوطن على السكنى بها الى أن يكون الحج فى عام ثمانية وسبعمائة ، فكان دخولنا اليها يوم السبت التاسع عشر لجمادى الاخرى وكانت مدة الاقامة بزنزور شهرين اثنين وعشرين يوما

وفى أثناء هذه الاقامة بزنزور وصل الى كتاب من ابن عمى الفقيه الكاتب البليغ أبى الفضل محمد بن على التجانى جوابا عن كتاب صدر منى اليه ، ونص كتابه نظما ونثرا : (مجزو الرمل) :

لمع البرق فشِمْتُهُ وبدا سرّ كتمتُهُ
وسرى نحوي بسِرّ وبمعنى (١) ما فهمتُهْ
مُعْلِما (٢) خلعة وُدّ من وداد قد علِمتُهْ
كاشفا عنّي قِناعاً بدموعي قد رقمتُهْ
همل الدمع لبرْق بِلظَى ناري وسمتُهْ
وأَطار القلب منّي وبودّي لوزممتُهْ
فهو للوجد مضيف وعلى الشوق ضممتُهْ
أَفرد التركيب بالتحليل لمّا أَن قسمتُهْ
فلَديّ الجسم والقلب لدى خِلّ عدمتُهْ

(١) وفى نسخة « وبعجب »
(٢) بياض فى بعض النسخ

سار شرقا فمدحت الشـــرق من غرب (١) ذممتُه

ثم حيّاني بروح وبريحان شممتُه

بكتاب صحّ في الود د دليلا فأقمتُه

كم سرحت الطرف منـ تاحا إليه ولثمتُه

رسمت (٢) أحرفُه فيـ ـه خلوصا قد رسمتُه

يعلم الله اعتقادا واتّحادا ما حرمتُه

وانتسابا وانتصابا لهوى منّي أدمتُه

وبعين القرب في سـ ـنّ الهوى بالنفس سمتُه

فإذا صحّ بشيء فهْوَ ما بيّنت رمتُه

وهل أعزكم الله للقلب ارتياح ، الا اذا كان لشمس القرب التياح ، فحينئذ تتجلى ظلمه ، ويشهر بناره (٣) علمه ، فنور القرب لا يبقى ظلاما ، وينادى نار القلب يا نار كونى بردا وسلاما ، وسيأتى عند جسم نداه (٤) جوهره ، ولم يغب عن القلب مظهره ، وروح ائتلف مع البعد متعارفها ، واتخذ بالذمم فى أهل النهى معارفها ، والاسباب التى تدنى الشاسع ، وتنفى القاطع ، شوق من خافق الجناح او

---

(١) فى بعض النسخ « من عزم »

(٢) فى بعض النسخ « وسمت »

(٣) فى بعض النسخ « بالاخبار » وفى بعضها بياض

(٤) فى بعض النسخ « ثراه »

كتب تتصل بـه أشعـة شمسه ، أو سر لا ينشر دفينـه من رمسه ، وأقواها سببا ، وأقربها نسبا ، تعارف الروحين فى مبدأ أول ، وتوحد الاثنينية بقلب غير قلب وحال غير حول ، وهذا هو النسب ، الـذى تحمد فيه النسب ، على كل حال ، ولعل حال مـودتنا بحسب هـذا الاتصال يتصل ، فهذا هو الفصل المميز الـذى لا يمتـاز عن جنسه ولا ينفصل ، وأطلب منكم أن تبلغوا أملى المعظم سلمه الله سلامى ، وتؤدوا له ما يجب من توقيرى واعظامى ، ولو كنت عنده أعزه الله سليم العقد ، سالما من النقد ، لاقدمت على مخاطبة جلاله ، وجريت على عادتى فى ترسيل الكلام وارساله ، وفى التأليف الـذى رفعت الى مجده المرفع محفوظه ومخفوضه (١) وأديت الى مقامـه المحمود معروضه ومفروضه ، وهو المصنف الذى خصصته بسيادة العلمـاء ، وسميته « الناسم » (٢) وأستحيى ان أذكر الاحياء ، دليلى على العادة ، فى تلك العبـادة ، زمن اسعاد السعادة ، ولا جـرم أن الجـزم للحظ المنغمس (٣) وأن الفراسة لا ترد بطش الدهر المفترس ، والامر لله وحده ، وحتى الان ليس لى عيش الا فى بركته ، ولا دعاء الا بكلاءة الله فى سكونه وحركته ، فهو مبدأ الحياة لى وتمامها ، وكفه بو كفها طالما روانى غمامها ، وقد اتصلت من نحو برقة بـروق ، لا تنبض معهـا

---

(١) محفوظه ساقط فى بعض النسخ

(٢) وفى بعض النسخ « الناسـخ »

(٣) كذا فى جميع النسخ وما يقتضيـه السياق « ولا جرم ان الحـزم لا يـرفع الحظ المنغمس » او عبـارة بمعنـاه

عروق ، غير أنكم وان أجريتم فى مرعى (١) خصيب ، ومسعى للخير مصيب ، قد أحضركم السفر فى مكان مكين ، واستندتم الى ربوة ذات قرار ومعين ، فمن اليقين أنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، وأنك تقطع كل يوم بسيما فطر وأضحى ، كل ذلك بمقاربة ذلك الجناب ، واعمال السير والسرى فى مصاحبة ذلك الركاب ، والله تعالى يصحبكم الخير والخيرة ، ويصون لحفظ محاسن الجود تلكم الذخيرة ، ويديم اليمن المصاحب لامركم مدبرا ومديرا ، ويقيم لكم فى كل أرض تحلونها روضة وغديرا ،

أشار بقوله فى هذه الرسالة وسميته « الناسم » وأستحى ان أذكر الاحياء ، الى مبحث كان بينى وبينه فى لفظة الاحياء مما ذا بنيت افعل فيه وهى انما تبنى من فعل يبنى منه فعل التعجب ، وفعل التعجب انما يبنى من الفعل الثلاثى واليه أشار أيضا فيها ولو كنت سليم العقد ، سالما من النقد ، فأجبته عن هذا الكتاب بقولى وكلا الشعرين الاصل والجواب لزومى : (مجزو الرمل)

نـمّ عمّا قد كتمتُه ... ما من الدمع سجمتُه

وشجا الشوق فؤادا ... لم يطعنى حين أمتُه

سُمتُه الصبر فحال الـ ... ـوجد عمّا منه سُمتُه

أيّها الاخوان والسّلـ ... ـوان ذنب ما اجترمتُه

(١) وفي بعض النسخ « مغنى »

قَسَمٌ فيكم بشوق   مذ تفرقنا لزمته
ما تذكّرتُ فؤادي   بعدكم إلا رحمته
لا ولا مـرَّ (١)   ذكركم ليلًا فنِمته
ولقد جدّد وجدي   بارق للغرب شِمته
هاج لي ذكرى نعيم   مع من أهوى نعِمته
وأفاد القلب قرباً   قلبه لمّا فهمتُه (٢)
من كتاب أوجب الأنـ   ـس وقد كنت عدمتهُ
أحرزت كفّي منه   غنمها حين غنمته
جاء فألا باقتراب   بعد بُعد قد سئمتُه
معْلما لي بـوداد   كنت من قبل علمتهُ
فمددتُ القول في الشكـ   ـرِ عليه وأدَمْتهُ
وتمثّلتُ يمينا   رسَمَتْه فلثمتهُ
يا إمامي وفقيدي   علمَ ما فيه ائتممتهُ
ومن الشكر (٣) . فرض قد ختمتهُ

---

(١) بياض فى جميع النسخ ولعل الناقص « بفكرى » او كلمة ما بمعناها ووزنها
(٢) مقلوب « البرق » وهو « القرب »
(٣) بيـاض فى جميع النسـخ

فُزْ وحُزْ (١) كـلَّ علاء (٢)واحْذ مارمت ورمته
وابق مخصوصا بفـضل أنت منحـاه وسَمــته

« لما وصلنى كتاب سيدى الـذى أعترف باحسانـه ، وأغترف من بحر بيانه ، وصل الله سعوده ، وانجز من الامـال موعـوده ، قابلته بما يجب له من اجلال وتعظيم ، وظفرت يداى منه بكتاب كـريم ، وعند ما حللت طبعـه ، وحللت ربعـه ، علمت أن من البيـان سحرا ، وأن من الدر ما يكون له بعض الصدور بحـرا ، فلثمته عـوضـا عن اليمين التى رسمته ، ووسمته من المحـاسن بمـا وسمته ، واتخـذتـه سميرا لمناجى ، أرفعه طورا على رأسى تاجا ، وأتخذه تارة امامـا فيما أحـاول من صياغـة هذه الصناعة ومنهاجا ، ثم لما فهمت خطابـه ، وأردت أن أكتب جوابـه ، استشعرت بقصـور ، فـارتبكت بـين جواب لا أرتضيه جوابا ، واغفال ليس فى حكم التأدب صـوابـا ، فقلت الاول تعرض للافتضاح ، وابانة لقصور ذى اتضاح ، والثانى وبالله العصمـة ، اخـلال بحقوق ، ووقـوع فى عقوق ، فـرأيت أن خطب الاول أقـرب ، وأن المعتـرف بقصوره لا يثـرب ، مـع أن اغضاء المخاطب عن المعترف معروف ، وطرف رضـاه عن المساوى مصـروف ، فـأجبته بمـا أحببت وكتبت ، ومـا أدرى أأخطـأت أم أصبت ، غير أنى لم أفعل الا وأنا على ما ذكرت معول ، ولم أقـدم

(١) بيـاض فى بعض النسخ وفى بعضها « وفـز وحـز »
(٢) بيـاض فى بعض النسخ ولعل الصواب « واحـو »

الا وأنا على ما قدمت(١) وحق لمن شغلت النـوى فكـره ، واستلب فراق الاخلاء الاجلاء مثلك صبره ، أن يتجاوز عن هفواتـه ، ويقبل ما صدر منه على علاته ، ومعاذ الله ان تكون هذه شكوى من تبـرم بحاله ، أو سئم من حله وترحاله ، فقد أصبحت بحمد الله بمـلازمـة من رفهتني أياديه ، ورفعتني خدمة ناديه ، بين مراد مكثب ، ومراد مخصب ، غير أن الانسان يقوم بعذره ، ويقوم بـزعمه سببا لقصور فكره ، وضعف نظمه ونثره ، واعـرف سيدى أني بلغت مخدومنـا أعزه الله سلامه ، وأوضحت له اشارتـه في ذلـك الفصل أمـامـه ، فذكر أن العقد كما كان سليم ، وأن النقد نبذ بالعراء وهـو سقيم ، وهـو مثن عليكـم ، وممهـد سلامـه اليكم ، والله يحفظ على سيـدى كماله ، ويبلغه آماله ، ويحرس احتواءه على الفضل واشتماله ،

وكتب الى ايضا في هذه المدة صـاحبنا الفقيه المتصوف الفـاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى في جـواب كتاب كنت كتبته اليه قصيدة طويلة حقق فيها وتصرف بأحسن التصرف والذى يخصني من هذه القصيدة قوله في فصل منها : (كامل)

ومن السعادة وصل خـلّ صالـح عن كـلّ فعْل سيّىء (٢) ينهاني
من لي بخلّ كان يؤنس وحشتي ويؤمّني بالبشر إذ يلقانـــي
صاحبـتُه في الله أحسن صحـبة فشكرت منه كلّ ما أولانِي

(١) بيـاض في عامة النسخ التى بايدينا ولعل الناقص « متكل »
(٢) في نسخة « عن فعل كل قبيحة »

ورأيت منه مودّة (١) ومحبّة وفضائلا زادت على الحسبانِ
لا غرو أن حاز الكمال فإنّما وقف الكمال على بني تيجانِ
كم زهرة في روضة سمحت به فرأيت بستانا لدى بستانِ
فوداده عندي نضر دائما وثناؤه غضّ بكلّ أوانِ
أمقدَّمَ الآباء دون منازع وسلالة الحُسَباء والأعيانِ
وأجلّ حبْر قد سما في عصرنا بالعلم والآداب والإتقانِ
قد جاءني منكم كتاب سرّني بالبشر والترحيب إذ حيَّاني
إنّي لأحْيَا إذ سمعت بذكركم فيميتني شوقي إذا أحياني
ولربّما أدمى جفوني ذكركم فإخال قلبي فاض من أجفاني
فالله يجمع شملنا بلقائكم ويزيدكم بالعفو والغفرانِ
وعليكمُ منّي سلام دائم متعطّر ما اهتزّ غصنُ البانِ

وكانت تحت هذه القصيدة أسطر فى مخاطبتى بخط صاحبنا الفقيه أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر ابن أبى زاكى البلوى تتضمن تجديد الوداد، وتأكيد الاعتقاد، فكتبت اليهما فى الجواب، وجمعت بينهما فى الخطاب : (كامل)

إن لم تفِضْ بدمائها أجفاني لفراق من أهوى فما أجفاني

(١) فى بعض النسخ « توددا »

أو لم اواصل ذكر إخواني فقد   أصبحت معدودا من الخوّان
من مُبلغ عني السلوّ بان لي   في الحبّ قلباً غير ذي سلوان
عندي لأحكام الوداد شريعة   أضحى القَصيّ بحكمها كالداني
لا أرتضي إلاّ الوفاء طريقة   ما الغدر من خُلُقي ولا من شأني
ولئن نسيت فلست أَنسى صاحبا   يصل التذكر لي ولا ينساني
خلي الّذي عزّت به هوّارةٌ   غزّي بصحبته على أَخداني
من قد صرفتُ إليه وجه مودتي   وصرفت لحظي عن فُل وفُلان
ذا المنزع الأحلى الّذي اجرَى به   في الناس حالته على ميزان
ذات قد اختصّت بكلّ فضيلة   فاختصّها بالشكر كلُّ لسان
يُسدي تفضلَه الى اخوانه   ويعدّ فيه الفضل للاخوان
كم خصّني من نصحه بفوائد   اهدى إليّ حليّها فهداني
ولَكَم ابان لي الحقائق فكره   فأقام صورتَها مَقام عِيان
ولقد أَتاني من لدنه على النوى   كَتْب أَتاني الأنس حين أَتاني
قد وُفيت فيه البلاغة حقّها   ما بين الفاظ وبين معاني
جمع الصنيعة والصناعة مازجا   تبيين إحسان بحُسن بيان
ورايت في اقصى الصحيفة اسطرا   أَلَّفن بين الحسن والإحسان

من ماجد أسدى الــيَّ أياديًا ماليَ بواجب شكرهنَ يدانِ
جاءت تُقرِّر من كريم وداده ما حلَّ من قلبي أجلَّ مكانِ
لمّا قرأت خطابها ففهمته ناديت والسرّاء ملء جناني
قد أتحفتني بالوداد بنو أبي زالك ففخراً يا بني تيجانِ

ولما وصلت اليهما هذه القصيدة راجعني الهوارى بقوله وهو من حر نظمه : (طويل)

كتابكمُ اهدى من الوجد ما اهدى فلا تحسبوا أنّي نقضتُ لكم عهدا
سرى لي بسرّ منه عرف معرّف أفاد بمسراه الصبابة والوجدا
حباني بحبّ سيّد فيه ماجد به شرّف الله السيادة والمجدا
نسيم الصبا بالله سر بتحيّة فضضتُ بها من شكره المسك والندّا
وحَيّ بها عبد الإله على النوى وأدرج له أثناءها الشكر والحمدا
كأنّي به لمّا جرى البينُ بيننا ومدّ حجاب البعد ما بيننا مدّا
يقول جفا او مال او ملّ او سلا وحال عن الإخلاص أو نسي الودّا
غرامي غرامي بالحبيب وان نأى وحبّي له حبّي دنا لي او صدّا
وانّي لمشتاق اليك وصابر اذا لم أجد ممّا اكابده بُدّا
اذا خطرت ذكراك يوما بخاطري وجدت لحرّ الشوق في اثرها بَرْدا

ألا نفحة منكم تبرّد باطني ... فإنّ بقلبي من أليم النوى وقدا
ألاَ موعد منكم يُعلّل مهجتي ... فأرتاح للقّيا وأستنجز الوعدا
لئن جاءني يوما بشير بقربكم ... وهَبتُ له نفسي وأهْوِنْ بها نقدا
وإنّي لأستجدي ودادك إنّه ... أجلُّ نفيس والأفاضل تستَجْدى
وإنّي لأستهدي سلامك جالبا ... بمأتاه أنسي والأكارم تستهدى
وإنّي لاَستدعي جوابك راغبا ... ليُفتح بابُ القرب من بعد ما سُدّا
لقد ضيّع الأصحابُ عهدي ولانَوَى ... وأنت بظهر الغيب تحفظ لي الودّا
سأشكركم شكر الرياض بسُحْبها ... وأَنظم فيكم من حُلَى مجدكم عِقدا
وأجهد في شكري لمجدكم عسى ... بفضلكم أن تقبلوا منّي الجهدا

وكتبت للفقيه الاديب الفاضل أبى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم ابن حسينة كتابا صدرته بهذه الابيات : (كامل)

يا نسمة الروض الّذي حاكت له ... أيدي الغمام ملابس الإيراقِ
سيري (١) مبلغة على شحط النوى ... طيب السلام الى علا إسحاقِ
الفاضل الأسمى الرضا الأسنى الّذي ... حاز العلا والفضل باستحقاقِ
وتحمّلي منى اليه تحيّة ... كالمسك نمّ شذاه في الآفاقِ

---

(١) وفى بعض النسخ « هبى » وفى بعضها « منى مغلغلة »

يزداد منهـا من تنشق عرفَـها طيبا متى مـــا زاد في استنشاقِ
وصِفي له بعد التفرّق قدر مـا لاقيـت من وجـد ومن أشواقِ
الله يـا إسحاق يعلم أننـــي للشكـر في علياك ذو استغراقِ
وبعثتُ هذا الطرْس نحوك قاصدا تـقرير ود مُبْـرَم الميثـــاقِ
فـأتى يُبين إليك صدق مودتـي إن الخطاب على البغـاد تلاقـي
لا زلت في نِعَـم تجلّ ورفـعة ولك الإله من المكاره واقـي

فأجاب عن ذلك بقوله : (وافـر)

اعبد الله قـد حُزتَ المعـــالي وفُقْتَ كبار أعلام الرجـال
مُـلئتَ نباهـة وملئتَ علمـــا وأكثر من ترى من ذاك خـالي
فـأنت إمـام أهل العلم طُـرًّا لك التقديـم في هذا المجـــالِ
ولمّـا أن أتـاني منك كتْبٌ سُررتُ بأن حالك خيرُ حـالِ
وأن عمادنـا في حال نُعمـــى وقـاه الله من عـين الكمالِ
وأبـقـاه لـإسداء الأيــادي وتشـيـد المكارم والمعـــالي
وقـلتم كيف حـالكم وحـالي وقـد فـارقتُكم بعـد اتّصـالِ
فحـالي كلّها غـمّ وكـرب فوَا أسفي لِما قضت الليـــالي
فدمع العين لا يـرقـــا وقلبي له وجـد حكى وخـزَ النِبـال

وكنت أَظنّ أَمر الصبر هيْناً وأَنــ الوجد عنّا ذو انفصالِ
وأَنــ فراقكم يبْلَى فَيُنْسَى سوى ذكْرَى إذا خطرت ببالِ
فكانــ بعكس ما قدّرتُ فيه فلا تبخَلْ بتكرير السؤالِ
فقلبــي لا يفارقه التياعٌ .كما يَصلَى بحرّ النار صالي
فلولا أنــ سني لم يُعنّي وأَنــ بناء جسمي ذو اختلالِ
لكان الجسم عندكمُ كقلبي ولم أَحْفِلْ بأهل أَو بمــال

ثم غير قوافى الابيات التى وجهت له وصرف مدحها الى اسمى وبعثها الى مع القصيدة المتقدمة وقال مخبرا عن ذلك فى جملة كتابه : « واما قصيدتك القافية فلاشراقّ معانيها ، واتقان أصولها ومبانيها ، وعجزى عما يضاهيها ، أغرت على كل ما فيها ، ولم أغير منها غير قوافيها ، ثم رددتها اليكم القهقرى . بعد أن جرى فى أمرها ما جرى ، وهى هذه : (كامل)

يا نسمة الروض الّذي نظمت له زهرا تحلّاهُ يَدُ الأمواهِ
سيري مبلّغة على شحط النوى طيب السلام لمجد عبد اللهِ
الفاضل الأسمى الرضا الاسنى الّذي حاز العلى والفضل دون مضاهي
وتحمّلي عني إليه تحيّة كالمسك او ذكراه في الأفواه
وصِفي الذي قاسيت بعد فراقه فلقد دهتني من نواه دواهي

اللهُ عبدَ الله يعلم انني   بوداد مثلك في الأنام أباهي
وبعثتُ هذا الطرس نحوك قاصدا   تقرير ود فيك ليس بواهي
لا زلت في نِعَم تجلّ وعزّة   وعلوّ مقدار ورفعة جاه

وذكرت بهذه الابيات أبياتا على وزنها خاطب بها والدى أبقاه الله تعالى الفقيه أبا محمد عبد الله بن أحمد الازدى العسيلى حين وروده على تونس : (كامل)

يا نفحة الزهر الجنيّ إذا سَرت   غبّ انسكاب السُحب بالأمواهِ
زيدي بحمل شذا المسوك تعطّرا   ثمّ اقصدي الأزديّ عبد الله
بتحيّة تصف التشوّق عن أخ   عَقدُ الوداد لديه ليس بواهي
وَصِفي له وصْفي له بمحاسن   هي حلْية الأسماع والأفواهِ
القادم المتقدّم الحبر الّذي   جلّت مناقبُه عن الأشباهِ
أدب يهزّ السامعين ومنطق   عذب وظَرْف حاز (١) كلّ تناهي
وافى فكلّل لفظه أسماعنا   بجواهر هى في البلاغة ما هي
إعلم فديتَ ابا محمّد انّني   (٢) من نهاه عن السلوّ نواهي
ان التنائى والتواصُل ممكن   داء يعزّ دواؤه ودواهي

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « جاز »
(٢) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « اين » وفى بعضها « بن » ولا يقوم باحداها الوزن ولعل الصواب « ممن »

هب ان قربك عاق عنه عوائق ان الترسل للدنوّ مضاهى
ولقد بعثتُ لك النظام لأنّنى ادريه عندكمُ وجيهَ الجاهِ
فلعلّ فكرك ان يعلّلنى بما يهديه من ذاك الطراز الباهى

فأجاب عنها الفقيه أبو محمد عبد الله بقوله وتعرض فى الجواب لذكرى مع ذكر الوالد : (كامل)

يا روضة الأَدب الّتى جاءت كما جيّى الحيا زهر الرياض الزاهى
لله اسطار بطرْس قد حكت سودَ الفروع على بياض جباهِ
وغريب معناك الّذي ضمَّنْتَه شرك الحليم وفتنة الأَوّاهِ
لمّا فضضتُ ختامه استجليت من مرْآك حسنا جلّ عن أَشباهِ
وكذاك حين لمحتُ خطّاً (١) مقدار كلّ مبرّز تيّاهِ
ما ارتبتُ في ان الإمام محمَّدا (٢) طوع ليس عن اكراهِ
قل للألى سبقوا وليسوا مثله هيهات ما الفرزانُ مثل الشاهِ
خلوا الفصاحة لستمُ من اهلها عبد الإله لها وعبد الله
طَودا وقار وانفرادِ معارف وكمالِ تهذيب وحُسن تباهى
لله درّك يا وحيد زمانه ماذا تعاظم بالتفاتك جاهى

---

(١) بياض فى جميع النسخ
(٢) بياض فى جميع النسخ

فاتخَتنى ففتحتَ باب مودة ببنائها مرقى النجوم اباهى
ولكم ظللت ولي اليك تشوق كتشوّق الصادي لعذب مياهِ
واريد اقداما فاحجمُ هيبة ولىَ النُهَى من خوف عجزي ناهى
هل يستوي وَشَلٌ وبحر زاخر او هل يساوي الآس شوكُ عِضاه
فعسى التسامح فهو فيك سجيّة فالمرء امّا خاطئى او ساهى

وقد كنت أنا كتبت للفقيه أبى محمد أول وروده علينا (كامل)

أأبا محمّد الّذي اخباره في الفضل ترويها الثقات مسلسلَه
لله درك من وحيد بلاغة ساق الكلام منظّما او رسّلَه
لا زال في الأفواه ذكرك طيّبا واذا احبّ الله عبدا عسّلَه
وإليكها ابياتَ خلّ مخلص قد ضمّن الطرس الوداد وارسَلَه
واتى بها عن خاطر متوحّش ومتى اجَبتَ فقد اتحْتَ الانس لَه

فاجاب بقوله وكلا الشعرين الاصل والجواب لزومى : (كامل)

احميمَ الاسمى سميّي والّذي من دون ما ردّ وهبْتُ النفس لَه
اهديتَ لي من روض نظمك زهرة وسقيتها من ماء طبعك سلسلَه
ياحسنها من اسطر قد نشّطت ذهنى وقد كان التبلد كسّلَه
جاءت بخطّ اشبهت نوناته اصداغ فرع في الخدود مسلسلَه
فيها رايتِ السحرَ لا ما حدّثوا عن طرْف خِشف لم يفارق مأسلَه

وروت حديث الفضل عنك محققا   فرفعت مسنده إليك ومرسله

ولما توجهنا الى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يعشى الابصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء : وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء ، وتخلى والى البلد اذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الخراب قد تمكن منها وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التى تكتنفها الان انما استخرجت منها ، ولها رحبتان متسعتان ، وفى الخارج منها المسجد المعروف فى القديم بمسجد العشرة(١) لان عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم ، وزال عن المسجد ذلك الاسم ،

وكان فيما يقابل هذه القصبة موضع يعرف بالرياض مخصوص بوالى البلد ، وأصله من مبانى بنى مطروح رؤساء طرابلس فى القديم ويذكر عن حسنه كان وثماره وضخامة مبانيه وهو الان خرب غير ان به آثارا دالة على ما يذكر عنه ، وقد اقطع هذا الموضع فى هذا الوقت لبعض العرب فغيره عن حاله وابتنى فى موضعه دارا .

ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرايت حماما صغير الساحة

---

(١) فى نسخة واحدة بزيادة « ويعرف الان بمسجد الموحدين وسمى مسجد العشرة »

الا انه قد بلغ من الحسن غايته ، وتجاوز من الظرف نهايته ، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها ، وهو الان محبس على بعض المساجد ، وبالبلد حمامان آخران غيره الا انهما فى الحسن دونه ، ورايت شوارعها فلم أر اكثر منها نظافة ولا احسن اتساعا واستقامة ، وذلك ان اكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من اولها الى آخرها على هيئة شطرنجية فالماشى يمشى بهما مشى الرخ خلالها ، ورايت بسورها من الاعتناء ، واحتفال البناء ، ما لم اره لمدينة سواها ، وسبب ذلك ان لاهلها حظا من مجباها ، يصرفونه فى رم سورها ، وما تحتاج اليه من مهم أمورها ، فهم لا يزالون أبدا يجددون البناء فيه ، ويتداركون تلاشيه بتلافيه ، ورأيتهم قد شرعوا فى حفر خندق متسع يرومون ان يصلوه بالبحر من كلا جانبى البلد ، وابتداء حفره من الركن الذى بين القبلة والمشرق وعارضهم فى حفره هنالك موضع يعرفونه « بالرملة » وهو حقف رمل متسع لاصق الى جانب السور ولا يزالون ابدا يتكلفون نقله من ذلك الموضع فاذا جهدوا جهدهم فى حمله ورميه فى البحر اعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره واختصاص ذلك الموضع لذلك الكثيب من الرمل من اعجب الاشياء ، وهو على الضد من موضع رايته بظاهر توزر خال من الرمل مع ان ما حوله من البقاع قد ارتفعت كثائبها(١) لما تسفى الرياح من الرمال عليها ، واخبرنى ابو العباس

---

(١) وفى نسخة « كثبانها »

احمد بن محمد بن يملول ان ذلك الموضع ايضا من عجائب بلدهم وانهم لا يزالون يرصدونه فلم يروا قط رملا عليه وان الرياح ربما اشتد هبوبها فيرون الرمال تتفرق عنه يمينا وشمالا

وكان افتتاح طرابلس فى القديم على يد عمرو بن العاص رحمه الله تعالى ورضى عنه بعد افتتاحه لمصر والاسكندرية وذلك سنة اثنين وعشرين ، سار اليها فى جيشه فنزل على شرفها من الجهة الشرقية واقام عليها شهرا لا يقدر منهم على شيء وقد كانوا استعانوا بقبيل من البربر يعرفون بنفوسة دخلوا معهم في دين النصرانية فخرج ذات يوم من عسكر عمرو رجل من بنى مدلج يتصيد فى نفر معه فامعن عن العسكر الى جهة غربى المدينة ومال الى شاطىء البحر والبحر لاصق بالمدينة وليس بالمدينة اذ ذاك من جهة البحر سور بل كانت سفنهم شارعة الى بيوتهم فنظر المدلجى واصحابه الى البحر قد حسر من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ اليها منه ، فندبوا معهم جماعة واقتحموا المدينة فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم ، وابصر عمرو اصحابه فى جوف المدينة فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت من الروم سوى من خف فى سفينة ، واحتوى عمرو على المدينة فهدم سورها ، وارتحل عنها ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبد الرحمان بن حبيب المتغلب على افريقية فى آخر دولة بنى امية سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وتاخر بناؤه من جهة البحر الى ولاية هرثمة ابن أعين على افريقية من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذى

ابتناه على يد ثقته زكرياء بن قادم ، ثم زاد فى اتقانه ورفع بنائـه من جهة البر والبحر معا أبو الفتح زيـان الصقلبى متولى طـرابلس عـام خمسة واربعين وثلاثمائة .

ويحيط بهذا السور الان فصيل آخر اقصر منه على العادة فى ذلك يسمونـه الستارة ولم يكن فى القـديم وانما امر ببنيانه الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابى حفص ايام وصوله الى طرابلس فى شهر شعبان من سنة اربع عشرة وستمائة ، رايت هذا مكتوبا على باب من ابواب الستارة يعرف ببـاب عبد الله ، ولم يصلوا هذه الستارة حـين بنوها بالبحر وانما انتهوا بها الى الباب الاخضر وبينـه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء ايام مقامنا بطرابلس .

وقد كـان زيادة الله بن الاغلب لما تغلب الشيعى على اكثر بلاد افريقية هرب من رقادة فارا امامه فتوجه الى طرابلس فاقام بها اياما ثم انفصل عنها متـوجها الى المشرق ووصل بعد ذلـك الشيعى الى رقادة فـولى عليها اخاه ابا العبّاس وتمام بن المبارك ثم انفصل الى سجلماسة واستخرج عبيد الله المهـدى من سجنه ودعـا لـه بالخلافـة وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين، فلما استقامت الامور للمهدى وقتل ابـا عبد الله الشيعى وأبـا العباس اخـاه جهز جيشا الى طرابلس مع بعض قواده فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائبا ولم يفتتحها فغاظ ذلك عبيد الله فوجه ولده ابا القاسم الملقب بعد بالقائم فكان خروجه لذلك في جمادى الاولى من سنة ثلاث وثلاثمائة فحـاصرها وضيق

عليهم الى ان فنى طعامهم وافتتحها وقد كانوا اسمعوه شرا ونالوا من عرضه كثيرا فسالمهم فى انفسهم الا قليلا منهم واغرمهم ما أنفق على الجيش وذلك اربعمائة الف دينار ، وكان المتولى لتغريمهم وتعذيبهم خليل بن اسحاق وهو من ابناء جندها وممن ولد بها وكانت له صولة وهيبة وحظ جليل من العلم وباع متسع فى الادب وسيأتى خبر وفاته بعد هذا ، واستخلف عليهم ابو القاسم القائم واليا من قبله ثم انصرف عنهم

ولما انفصل العبيديون الى مصر وتركوا الصنهاجيين بافريقية استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس ، وكانت بينهم وبين الصنهاجيين وقائع كثيرة اشار الرقيق فى تاريخه الى بعضها ولم تزل بايدى الزناتيين الى سنة اربعين وخمسمائة ، وكانت فى تلك السنة شدة عظيمة ومجاعة هلكت فيها الناس وفروا عن اوطانهم فجهز اليها « لجار » صاحب صقلية اسطولا حاصرها به وذلك بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولاته فيهما ، ووقع بين اهل طرابلس خلاف ادى الى تغلب الاسطول المذكور عليها فاحسن قائده جرجى (١) بن ميخائيل الى اهلها لما اضمره من تملك غيرها من البلاد الساحلية ، وابقى فيها جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم وولى على البلد شيخه ابا يحيى بن مطروح التميمى ، وجعل قاضيهم رجلا منهم يعرف بابى الحجاج يوسف ابن زيرى وهو صاحب

(١) فى بعض النسخ « جرجيس » وفى بعضها « جرجير »

التاليف المعروف « بالكافى فى الوثائق » فكانت احكام المسلمين كلها مصروفة الى واليهم وقاضيهم ولم يكن النصرانى يتعرض لشىء من احكامهم

وأقامت تحت تغلب النصارى اثنى عشر عاما أو نحوها الى أن افتتح الموحدون أكثر بلاد افريقية فخاف النصارى أن يكاتبهم أهل طرابلس فأحبوا أن ينشروا بينهم عداوة فأمروهم أن يصعدوا المنابر فيتكلموا فى جهة الموحدين بسوء فأعظم أهل طرابلس ذلك واجتمعوا الى قاضيهم أبى الحجاج فسفر بينهم وبين النصارى وأعلم النصرانى عنهم أنه لا سبيل الى نيل ذلك منهم وأن الامر انما كان العقد بينهم أن لا يكلفوا المسلمين بشىء مما يخالف دينهم وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف الدين فان رضوا منهم بهذا والا سلموا لهم البلد وخرجوا عنهم فأعفاهم النصرانى من ذلك ، وأحدث الله عند أهل طرابلس عزما على القيام عليهم والتخلص من أيديهم فأسروا النجوى بذلك بينهم واتعدوا لليلة معينة ونصبوا تلك الليلة فى الطرقات خشبا وأناشيط تمنع الخيل من الجرى فيها وثاروا عليهم فبادر النصارى الى خيولهم وركضوها فلم تجد مجالا فأخذوا قبضا باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان هذا فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وحكم على البلد شيخه أبو يحيى بن مطروح وكان رجلا شهما حازما وصانع العرب المجاورين له فاستقام حاله .

ولما نزل الخليفة عبد المؤمن الى افريقية افتتح المهدية ووصلت

اليه وفود البلاد وذلك فى سنة خمس وخمسين فكان من جملتهم وفد طرابلس وشيخه ابن مطروح فبايعوا عبد المؤمن وقدمه عبد المؤمن على أهل بلده فلم يزل محمود السيرة فيهم الى أن عجز فى أيام أبى يعقوب بن عبد المؤمن وقيده الهرم فطلب التوجه الى الحج فسرحه السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك صاحب تونس فتوجه بجميع أهله فى البحر واستقر بالاسكندرية فمات بها وبقيت ذريته هنالك الى الان ومنهم رؤساء وأدباء .

وفى فصل من مياومة الفاضل البيسانى قال : وفى شهر رجب - يعنى من سنة ست وثمانين وخمسمائة - وصل الى الاسكندرية فى البحر شيخ طرابلس أبو يحيى بن مطروح وهو شيخ كبير قد أضر وعجز عن الحركة ، وذكر باقى خبره وأهل طرابلس يتحدثون أن النصارى ملكوا بلدهم مرة أخرى وذلك ليس بصحيح وانما أخذها النصارى من حين الفتح الاسلامى هذه الاخذة فحسب

وقد قدمنا فيما سلف من كتابنا هذا الخبر عن وصول قراقوش من المشرق فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وأنه حصر طرابلس بمن التف عليه من العربان حتى استولى عليها وكانت اذ ذاك خالية من الاقوات والاجناد لانهم بعد بيعتهم لعبد المؤمن واستقرار بلدهم فى ملك الموحدين لم يتوقعوا ثائرا ولا مخالفا ، فملكها قراقوش وبقيت تحت بيعته سنين يسيرة ثم انتقضت عليه هى وغيرها من

البلاد فأظهر الهجرة الى الموحدين مخادعا وأقام لديهم مدة ثم فر عنهم مبادرا الى قابس فاستولى عليها ثم الى طرابلس فملكها أيضا وأقام بها حتى وصل اليها يحيى الميورقى من بلاد الجريد قاصدا حصاره فخرج اليه قراقوش من طرابلس وترك نائبا عنه بها ثقته(١) ياقوتا المعروف بالافتخار وكان اللقاء بينهما بالموضع المعروف بمحسن من جهات طرابلس وهو الذى يقول فيه عبد البر بن فرسان : (طويل)

أَلا لا سقى الرحمن محسنَ قطرة ولا زال مغبرّ الجوانب محسنُ
وخيّب قطيسا من الغيث كلّه ولا ابتلّ فيه للرّكائب فرسنُ

فانكسر قراقوش كسرة شنيعة وتوغل فى جبال طرابلس وتبعه الميورقى أياما ثم رجع الى طرابلس فحصر بها ياقوتا المذكور فلم يقصر فى دفاعه وضبط البلد ضبطا عظيما فكتب الميورقى الى أخيه عبد الله وهو اذ ذاك صاحب ميورقة يطلب منه الاعانة ببعض أسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضييقا شديدا الى أن استولى عليها فامتن على أهلها بالعفو وحصل نائب قراقوش فى يده فوجهه الى ميورقة فى القطع التى وصلت اليه منها ولما حصل بها قيده عبد الله بقيد ثقيل وتركه فى سجنها فلم يخرج منه الا بعد استيلاء الموحدين على ميورقة وقتلهم لعبد الله المذكور وذلك

(١) وفى نسخة « فتاه »

فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فحينئذ خرج ياقوت (١) وتوجه الى مراكش فبقى بها الى أن مات ، وترك يحيى بن اسحاق ابن عمه تاشفين بن غازى نائبا عنه بطرابلس وخرج منها فأقام بها تاشفين المذكور مدة ثم ثار عليه أهلها وأخرجوه منها ودخلوا تحت طاعة الموحدين فتولت عليهم حفاظها الى الان .

ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة نسبة الى من نزل به فى أول الزمان ، وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم ، وهنالك مسجد ينسب بناؤه الى عمرو بن العاص رحمه الله (٢) وفى هذا الموضع يقول أبو يحيى ابن مطروح الذى قدمنا الخبر عن توجهه الى الاسكندرية : (بسيط)

لوقفةٌ عند باب البحر ضاحية او باب هوّارة او موقف الغنمِ

اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطى بِرْكة الخدمِ

وبين الباب المعروف بالباب الاخضر منها وباب البحر مسجد مصاقب (٣) لسور المدينة أشاد بذكره حلول الامام المهدى رحمه الله تعالى به حين جوازه على طرابلس ، والى جانبه ميضاة جعلت هنالك للمتوضين والمغتسلين ، والمواضع الخربة من المدينة والخالية

---

(١) فى بعض النسخ « خرج ياقوتا »
(٢) فى نسخة « رضى الله تعالى عنه »
(٣) وفى بعض النسخ « معاقب »

انما هى بين يدى الباب الاخضر ، وبخارج باب البحر منها منظر من أنزه المناظر مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة ، وهو مرسى حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر وتصطف هنالك اصطفاف الجياد فى أواريها

ومصلى البلد بجانبه بين جنوب وشرق منه وهو محدث الوضع هنالك وانما كان المصلى القديم فى الجهة الغربية هنالك بناه عبد الله ابن أبى مسلم وخليل بن اسحاق سنة ثلاثمائة فنقل كما تقدم ، وموضع المصلى القديم يعرف الان بالعيون سمى بذلك لان هنالك عيون ماء عذبة وهو بشاطىء البحر وماؤها ينصرف اليه ، وبمقربة من هذا المصلى الان بئر قد نبتت بها شجرة واحدة من شجر الجميز المخصوص نباته بأرض المشرق وهو شجر عظام على شكل التين وورقه أصغر من ورق التين وحمله كحمل التين الا أنه ليس للواحدة منه علاقة وانما تنبت ملاصقة للعود وفى طعمه حلاوة شديدة تصحبه غثاثة وأهل طرابلس يقولون ان بلدهم فى حكم بلاد المشرق لنبات هذه الشجرة الواحدة به ، وليس بخارج البلد فى وقتنا هذا شجرة سواها ما عدا نخلات يسيرة فى الجهة الغربية وأما داخل البلد فلا تكاد دار منه تخلو من نخلة أو كرمة على اصطلاحهم فانهم يسمون شجرة التين الكرمة ، والكرمة فى اللغة انما هى شجرة العنب ، وقد جاء النهى عن تسميتها بذلك فى الحديث الصحيح(١) وينبت

(١) راجع النهاية فى غريب الحديث ج ٤ ـ ص ١٦

بخارج البلد صنف من أصناف النرجس دقيق الورق لم أر أقوى منه فوحا، ولا أعطر روحا، ويذكر فى التاريخ أن غابة طرابلس كانت متصلة الى الجبل بأنواع الفواكه على اختلافها ، وتعدد أصنافها ، فافسدتها العرب وأجلت أهلها عنها .

وبخارج البلد محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزورة للبركة ، وأثنى البكرى (١) على المسجد المعروف منها بمسجد الشعاب وذكر أنه أعمرها وأشهرها ، يريد فى ذلك الزمان ، وأما الان فهو خال لاعمارة به ، وقد رأينا أن نذكر بناء هذا المسجد الذى اشار اليه البكرى وبعض ما تأدى الينا من خبره ومثل ذلك فى غيره من المساجد التى بخارج البلد تتميما لفوائد هذا التقييد بحول الله تعالى : فمنها مسجد الشعاب المذكور وهو منسوب لابى محمد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء الفضلاء من أهل طرابلس وكان نجارا ونسب المسجد المذكور اليه لانه هو الذى أتم بناءه ولزم السكنى به ، وكان بعض النخاس قبله قد ابتدأ بناءه ثم وقف عنه فحضرت الشعاب نية فى اتمامه فرمى الالة من يده وتوجه الى قاضى طرابلس فقال له انى قد عزمت على بناء ذلك المسجد وأحب أن تستدعى فلانا الذى ابتدأ بناءه فتستفهمه هل يتمادى على بنائه أو يرفع يده عنه فأتمه وأسكن به فاستحضره (٢) القاضى وسأله عن

(١) راجع البكرى ص ٧
(٢) فى نسخة « فاستدعاه »

ذلك فأقر بعجزه فتولى الشعاب بناءه وسكن به ، ويذكر أن الخضر عليه السلام كان يزور الشعاب هذا ويحادثه وأنهما رئيا مجتمعين فى المسجد المذكور، وسمع الشعاب يوما بكاء امرأة عند باب مسجده فسألها عن سبب بكائها فأخبرته أن لها ولدا أسره عدو الدين وسالته الدعاء بخلاصه فدعا له وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت المرأة الى بيتها فأصبح ولدها فى السكك يسأل عن دار امه فسئل فأخبر بفراره فى البحر وسلامته ووصوله عن عهد قريب فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصول ولدها وأن ذلك انما كان ببركة دعائه فهنأها بسلامته وقال لها انما نجاه الله بدعائك لما علم اضطرارك وكانت وفاته رحمه الله سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

ومنها مسجد خطاب وهو بخارج المدينة من جهة شرقيها على البحر وينسب للشيخ خطاب البرقى الرجل الصالح ويكنى أبا نزار وكان ذا كرامات وخصوصا فى باب المرائى ظهرت له فى ذلك عجائب ، وكان يخاطب فى النوم بجميع ما يكون فى اليقظة قبل كونه ، وحكى عنه أبو عبد الله الحيارى قال : قال لى خرجت مرة الى الحج منفردا فبينما أنا فى البرية اذ مر بى رجل فتوسمت فيه الخير ووقع فى قلبى أنه الخضر فبادرته بالسلام واقسمت عليه بالله تعالى أأنت الخضر فقال : لقد بقيت فيكم من الخير بقية لم يزدنى على هذا وغاب عنى، وأخبرنى الحيارى عنه أيضا قال: قال لى بينما أنا سائر فى البرية واذا بسبع قد عارضنى فقلت له : يا أبا الحارث ان كنت قد

أمرت فينا بشيء فدونك والا فالطريق ، قال فقرب مني ووقف هنية ثم انصرف ، وحكى أنه قال : بينما أنا فى البرية اذ رأيت شخصا فاستغربت وجوده هناك وقصدته فوجدته مفرج بن بياضة فقلت له : أبا عبد السلام ههنا ! فقال : نعم يا أبا نزار ، فاستغربت معرفته بى مع أنه مكفوف البصر ، وكان مفرج هذا رجلا صالحا من أهل جزيرة تونس المعروفة بجزيرة باشو ، وكان يخرج وحده من بلده الى مكة فيحج ثم يعود قال فبتنا جميعا وتأنست به وسألته كيف يتهيأ له الحج مفردا فقال : يا أبا نزار انى اذا خرجت من موضعى أسمع قائلا يقول لى : يمينك شمالك أمامك خلفك حتى أصل الى مكة أو كما قال .

ومنها المسجد المعروف بالجدود ويعرف أيضا بمسجد الجدة لان احدى جدات بنى الاغلب ولاة افريقية بنته وهكذا كان يعرف فى القديم ، ثم يعرف بعد بمسجد البارزى لسكنى أبى الحسن البارزى به وهو بخارج طرابلس من جهة جوفيها مشرف على المقابر ، واشتهر هذا المسجد بسكنى أبى عثمان سعيد بن خلفون الحسانى المعروف بالمستجاب وأصله من قرية حسان من قرى طرابلس كان زاهدا فاضلا منقطعا الى الله سبحانه وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب واتفقت له فى المسجد المذكور قضية مشهورة : كان ذات يوم جالسا فيه على عادته فسمع تحته دويا عظيما اهتز المسجد له فخرج بعض من

كان معه لاختبار ذلك فوجد شخصا يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فنهاه عن ذلك فلم ينتـه فـرجع الى الشيخ فأخبـره فنـزل الشيخ اليه وقال له ، اتق الله فانك تزلزل المسجد بهذا الـذى تصنع فقال : ارجع أيها الشيخ الى مسجدك فان الوالى أمرنى بهذا فقال له : لو أمرك الوالى بهدم المسجد كنت تهدمه؟ قال نعم والله لو أمرنى بذلك لفعلت ، فرجع الشيخ الى مسجده وهو يقول اللهم احصد عمره فعند استقرار الشيخ فى المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الـرجل فقتلــه .

وقال الشيخ أبو عبد الله الخشاب القاضى رحمه الله تعالى : خرجت مع أبى الحسين بن المنمر من طرابلس لزيارة الفقيـه أبى محمـد بن أبى زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم عنه ، فبينما نحن عنده يومـا اذ تحدث أبو الحسن فقـال أراد الشيخ أبـو عثمان الحساتى مـرة الحج فاتفق مع جماعة من إخوانـه اهل الـدين والفضـل وكنت معهـم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثـا لم نطعم فأتى الشيخ أبو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل يأخـذ من ترابها ويجعله فى اناء كان معه ثم ثراه بشىء من ماء وقرأ عليه وسمى وقال لنا : سموا الله وكلوا ، قال : فجعلنا نأكل ونطعم طعم السويق ، قال : فأطرق الشيخ أبو محمد بن ابى زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل في الامكان لا سيما وقد ذكرتم انكم أقمتم ثلاثة أيام لم

تطعموا وقرأ قوله سبحانه : أمن يجيب المضطر اذا دعاه

ولما رجع المؤدب محرز بن خلف رحمه الله تعالى من الحج قيل له : من رأيت فى طريقك من الصلحاء ؟ قال رأيت بطرابلس رجلا وامراة اما الرجل فأبو عثمان الحسانى وأما المرأة فسمدونة وكانت سمدونة هذه عجوزا(١) صالحة تسكن مسجد الشعاب المتقدم الذكر وكان أبو نزار خطاب الرجل الصالح المتقدم الذكر يزورها ويعتقد بركتها ، وهذا كما يحكى(٢) أن سحنون بن سعيد لما رجع من الحج قيل له من رأيت من الصالحين فقال : لقد لقيت رجالا ما الفضيل ابن عياض بأفضل منهم .

ومنها المسجد المعروف بمسجد المجاز وكان معروفا بسكنى أبى الحسن على بن احمد بن الحصيب(٣) أقام ساكنا به فيما يقال اربعين سنة ، وكان فقيها صالحا عالما زاهدا وله فى الفقه والفرائض والشروط تواليف مفيدة ، وأقام أربعين سنة لم يضحك ونحوا من خمسين سنة لم يحلف بالله يمينا ، وقال له ابن اخيه عند ما أملى وصيته : أنسيت الكفارة فقال : لولا أنى فى الموت ما أخبرتك ما حلفت بالله منذ كذا وكذا يمينا محقا ولا مبطلا وما علمت أن على يمينا أكفرها .

وهذا آخر ما حضرنا ذكره من المساجد التى وقعت الاشارة اليها

وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المنتصرية(٤) التى

---

(١) وفى اكثر النسخ « عجوزة »
(٢) فى نسخة « ذكر ان سحنون »
(٣) فى بعض النسخ « الخطيب »
(٤) فى بعض النسخ « المستنصرية »

كان بناؤها على يد الفقيه أبى محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبى الدنيا(١) رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين الى سنة ثمان وخمسين ، وهذه المدرسة من احسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا . ونقلت من خط أبى الحسن على بن موسى بن سعيد فى بعض تقاييده قال : حللت فى بعض سفراتى بطرابلس فبكرت يوما الى المدرسة التى أنشأتها بها الهمة العلية الامامية المنتصرية فدخلت اليها ، وقعدت مسرحا طرفى فى روضة حبق حبست حاستى البصر والشم عليها ، ثم قلت : (بسيط)

يا حبّذا نسمة هبّت لناشقها غبّ الكرى سَحَراً من روضة الحَبَقِ
حسبتُها عندما هبّت وقد نعشت بلّة من نداها روح منتشقِ
قرنفل الهند قد وافى التجارُ به محافظين على نشْر له عبِقِ
فعند ما فضّه الداويّ ذكّرنى بطيبه طيب عيش مرّلي أنِقِ
بتونس أنّس الرحمن ساحتها وسُقيت ابدا بالعارض الغدِقِ
ولا اموت إلى ان التقى قمراً للحُسن مطلعه من ذلك الاُفُقِ

وبين هذه المدرسة وباب البحر مبنى من المبانى القديمة العجيبة وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسب الاعالى والتحوت(٢) التى لا تستطيع المائة نقل القطعة الواحدة منها ، قامت مربعة فلما

(١) ترجمته فى عنوان الدراية ص ٦٤ وفى تاريخ الزركشى ص ٣٤ ـ ٤١
(٢) فى بعض النسخ « النحوت »

وصلت الى السقف ثمنت على احكام بديع ، واتقان عجيب صنيع ، وهى مصورة بأنواع التصاوير العجيبة نقشا فى الحجر ، وقد بنى الان عليها مسجد يصلى فيه ، وأخبرت أن ذلك كان لان بعض الكبراء حاول هدمها وأخذ رخامها ، وعلى بعض قطعها من الجهة الشمالية أسطر مكتوبة بخط رومى ، أخبرنى أبو البركات ابن الفقيه أبى محمد ابن أبى الدنيا عن والده الفقيه أبى محمد أنه لم يزل معتنيا بالبحث عمن يحسن ترجمتها وأنه وجد نصرانيا يعرف ذلك الخط فذكر له أن نصه : أمر ببناء هذه الكنيسة فلان بن فلان من حلال ماله الذى اكتسبه من غلة زيتونه وفى يوم اتمامه لبنائها او يوم شروعه فى بنائها وصل اليه الخبر من الشام أن نبيا من العرب ظهر بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله .

وبين القصبة وهذه المدرسة المتقدمة جامع طرابلس الاعظم الذى بناه بنو عبيد ، وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد ، وبه منار متسع مرتفع قائم من الارض على أعمدة مستديرا(١)فلما تم نصفه كذلك سدس وكان بناؤه فى العام المكمل للمائة الثالثة على يد خليل بن اسحاق ، وقتل خليل بن اسحاق هذا أبو يزيد مخلد بن كيداد لما تملك القيروان سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة، وأصله من طرابلس كما تقدم وقد ذكرنا طرفا من أخباره قبل هذا ، ولما قتله أمر بصلبه فبادر اليه بعض القرويين فجرد ثياب نفسه وشرع

(١) فى بعض النسخ « على اعمدة مرتفعة قائمة من الارض مستديرة »

فى ذلك فنظر أصحاب أبى يزيد الى آثار السياط (١) قد عمت ظهر القروى ، فسألوا عن ذلك فذكر لهم بعض من حضر أن كل عامل يتولى يفعل ذلك به لدناءته وشره ، فاعتوروه برماحهم وصلبوه الى جانب خليل بن اسحاق .

وأخبرنى صاحبنا الفقيه (٢) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى قال : نقلت من خط القاضى أبى موسى بن معمر أن شكرا المعروف بالصقلبى ابتنى الماجل الذى بجامع طرابلس من الجهة الجوفية (٣) والقبه التى عليه فى سنة تسع وستين ومائتين ، وأن خليل ابن اسحاق ابتنى المنار الذى به كما ذكرنا ومساجد البلد لا تحصى كثرة وهى تكاد تناهز الدور عدة .

والقائم برسم العلم فى هذه البلدة فى وقتنا هذا شيخنا الامام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد ، وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد ، ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى ، وحاز فيما حاز من العلوم الاصولية والفرعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلا متضلعاً من العلم ذاكرا بالمذهب ذكرا (٤) لا يجاريه فيه أحد ولا تكاد مسألة من مسائله تشذ عنه ، حسن العبارة

---

(١) فى بعض النسخ « اثر الضرب »

(٢) بزيادة « الحافظ » فى بعض النسخ

(٣) فى نسخة « من جهة جوفية »

(٤) لا يوجد « ذكرا » فى بعض النسخ

مشاركا فى علوم جمة وله اعتناء بحفظ كلام القرويين فى المذهب من تعليل أو تفسير أو تفريق أو تخريج واعتماده فى الاصول الدينية والفقهية على كلام الامام أبى المعالى، وكلام الشيخ أبى حامد الغزالى، وهو سبائى النسبة من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأخبرنى أن مولده بطرابلس عام تسع وثلاثين وستمائة، واكثر استفادته على ما أخبرنى على الفقيه القاضى أبى موسى عمران ابن موسى بن معمر الطرابلسى رحمه الله تعالى، وليس له رحلة عن بلده الا الى الحج، حج فى عام ثلاثة وسبعمائة.

ولما حضرت درسه وتحققت مكانته المكينة فى العلم أحببت القراءة عليه مدة اقامتنا (١) هنالك، وطلب مخدومنا أن يكون ذلك بمحضر منه فلم يكن بد من استدعاء الشيخ لموضع سكنانا فعقدنا مجلسا لذلك بالقصبة وفى مجلس الامر (٢) منها، وطلب الحضور بذلك المجلس جماعة من أعيان الطلبة بالبلد فأذن لهم، ورأينا أن يكون المقروء حديث خير الانام، الذى هو الاصل لجميع الاحكام، فابتدأت القراءة بلفظى لصحيح مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى رحمه الله تعلى فى غرة شهر شعبان من العام المذكور قراءة تفقه فيه، وتدقيق للبحث فى الفاظه الكريمة ومعانيه، وقد كنت ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة، وأفادته المحاضرة، مما جاء كالاكمال،

---

(١) فى بعض النسخ « مقامى »

(٢) فى بعض النسخ « الامير »

لكتاب « الاكمال (١) » ، ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى رحمه الله ، وامتد فى قراءتهما مدى ، قرىء فيه منهما ما هو نور وهدى ، الى أن دعا بنا داعى البين فاعجلت النقلة عن تمام الكتابين .

وكتب لى شيخنا أبو فارس بخطه اجازة سمى فيها من شيوخه الفقيه القاضى أبا موسى عمران بن موسى بن معمر المتقدم الذكر أنه (٢) ولى القضاء ببلدهم نيفا وثلاثين سنة، ووصله الامر بالطلوع الى تونس فى عام ثمانية وخمسين فتوجه اليها وولى قضاءها ما ينيف على عشرين عاما ، ثم توفى بها رحمه الله سنة ستين قال : وكان رحمه الله ذا أخلاق جميلة ، وسيرة حميدة ومعارف جليلة ، واخبر أنه قرأ عليه كتاب « التفريع » لابن الجلاب ومن أول كتاب « التهذيب » الى كتاب الخيار منه ، قال وسافر الى تونس فاستمرت قراءتى للكتاب المذكور مع سائر طلبة الفقيه أبى موسى على الفقيه أبى محمد عبد الوهاب ابن محمد الهنزوتى ، وكأن الهنزوتى حين كان القاضى أبو موسى حاضرا معيدا لدرسه بعد قيامه ، وقرأ على الهنزوتى أيضا جملة من كتاب « المحصول » لابن العربى وجملة من كتاب « المستصفى » للغزالى ، وتوفى الهنزوتى هذا عام ثلاثة وستين .

---

(١) يعنى الاكمال على صحيح مسلم للقاضى عياض

(٢) كذا فى جميع الاصول ولا يبعد سقوط « وذكر » او كلمة بمعناها بين « الذكر » و « انه »

ومن شيوخه أيضا الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات ابن أبي الدنيا قال قرأت عليه كتاب « الارشاد » لابي المعالى وبعض كتاب « البرهان » له وجملة من كتاب المستصفى ، ومنهم الفقيه أبو الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البسطي ، اجتاز على طرابلس قافلا من الحج فقرأ عليه بعض تواليفه فى العربية وسمع عليه شيئا من نظمه وروى عنه « المذهبة » لابن المناصف حدثه بها عن مؤلفها .

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغمارى، اجتاز على طرابلس من المغرب قاصدا الى المشرق فطالت اقامته بطرابلس فقرأ عليه كتابه الذى ألفه فى الفرائض وجل كتاب « الكافى » لابن المنمر فى الفرائض أيضا وجل كتاب « الحصار » فى علم الحساب وكان ذلك فى عام أربعة وخمسين .

ومنهم الفقيه القاضى أبو العباس أحمد بن عيسى الغمارى وصل الى طرابلس قاضيا بعد انفصال القاضى أبى موسى بن معمر منها ، فقرأ عليه جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب ، وسمع ما كان يتناظر فيه بين يديه من التهذيب ، ومنهم الفقيه أبو العباس الاعجمى ورد من المشرق على مدينة طرابلس فى سنة اثنين وستين قاصدا الى المغرب ، فقرأ عليه بعض المعالم الدينية لابن الخطيب ، ومنهم الفقيه القاضى أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن أبى مسلم القابسى وصل الى طرابلس قاضيا وله رحلة الى العراق ودخل فيها بغداد، قرأ عليه بلفظه أكثر من

نصف البخارى ، وهنا انتهى من سمى شيخنا أبو فارس من شيوخه ، وبالجملة فقد كان زهد الشيخ كبيرا ، وذكره فى المغرب والمشرق شهيـــرا .

وجميع الخواص من هذه البلدة مقهورون تحت أحكام العوام منهم لبعد بلدهم عن الحضرة(١)وانقطاعهم عن الاوامر الا أن فى خواصهم وعوامهم اكراما لمن يحل ببلدهم من الغرباء ووفاء بحقوقهم ومراعاة شديدة لامورهم .

وقد أنشدنـى صاحبنـا الفقيه أبو العبـاس أحمـد بن عبد السلام التاجورى، قال أنشدنى الشيخ الفقيه البليغ أبو الحسن على بن ابراهيم التجانى أيام حلوله بطرابلس على غير اختياره فأقام بها مدة ثم توجه منها الى الحج وذلك سنة أربع وثمانين ، وأنشدت بعد ذلك بتونس الفقيه أبا الحسن البيتين فأنشدنيهما لنفسه : (متقارب)

لأهل طرابـلس عـــادة ... من البرّتـُنسى الغريب الحِميا
حللت بها مُكـْرهًا ثـمّ إذ ... اقمتُ بهـا ابدلوا الهاء مِيمًا

واعتماد كل واحد منهم فى طعامه ، وما يدخره من قوت عامـه ، انما هو على ما يجلب اليها فى البحر ، ومن عادتهم أن لا يتركوا أحدا يخرج شيئا مما حصل ببلدهم من الطعام الى خارجه ويعـاقبون على اخراجه ، وليس البلد بلد اختراث وهو بالجملة بحرى لا يـرى الا ان

(١) فى بعض النسخ من « الحاضرة »

أرضهم معدومة المثال فى اصابة الزرع اذا أصابت وليس يـدرى(١) مثلها فى ذلك ، وأشهرها بذلك الفحص الذى يسمونه سوفجين وهو ـ بالسين المهملة المضمومة والفاء والجيم المشددة ـ قال البكرى : وربما انبتت الحبة فى هذا الموضع فى بعض السنين مائة سنبلة ، قال : وهم يقولون فحص سوفجين ، يصيب سنة بعد سنين(٢) وذكر البكرى متصلا بهذا أن بمدينة طرابلس بئـرا تعـرف ببئر الكنود من شرب منها فقد عقله وأنهم يعيرون الشارب منها ومن أتى منهم بمـا يـلام عليه قيل له : لا عتب عليك فقـد شربت من بئر أبى الكنـود انتهى كلام البكرى(٣) وهذه البئر قد رأيتهـا بـداخل المـدينـة وعليهـا يوردون بهائمهم ، وكثير من أهل البلد يشرب من مائها ولا يتحرج من ذلك مع علمه بما يسند عنها

وزرت بخارج المدينة بين شرق وشمال قبـر الشيخ الصـالح أبى محمد عبد الوهاب القيسى رحمه الله ، وهـذا الـرجل يعظمـه أهـل طرابلس كثيرا حكى لى جماعة منهم : أنـه رأى النبى صلى الله عليـه وسلم فى منامه نحوا من أربعمائة(٤) وأنـه كـان يشاور النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل الا باشارته ، قالـوا ولم يسمع منه هذا فى حياته ولكنه وجد بعد موتـه مكتوبـا عنـده بتواريخه يذكر كل ليلة وما رأى منها ، ثم أوقفنى بعد ذلـك بعض

---

(١) فى بعض النسخ « يرى »
(٢) راجع البكرى ص ٩
(٣) راجع البكرى ص ٨
(٤) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان الفيتورى ص ١٤ ـ ١٥

أهل البلد على جزء فيه هذه المنامات وذكر أنه نقلها من خطه ، فرأيت فيها غرائب من سؤاله للنبىء صلى الله عليه وسلم عما يفعله فى جميع ما يعرض له من أموره واشارة النبىء صلى الله عليه وسلم بذلك بما يراد ودوام ذلك واستمراره فى كل جزئية من جزئيات حاله قال : وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : انى آخيت بينك وبين أخيك أبى يعقوب يعنى الخشاب وابى على يعنى يونس بن السماط ، قال فرأيته ليلة فقلت له : يا رسول الله ما رأيت فيما خطر لى ولاخى أبى يعقوب قال وما ذاك قلت نكتب ببعض ما يجرى بينى وبينك يعنى فى النوم لاخينا أبى على يونس ، قال فقال لى نعم أبو على رجل صالح وذلك زيادة فى حقه فانه يزداد معرفة فاكتب له ثم قال لى : ولكن لا تمازح غير اخيك أبى يعقوب هكذا رأيت هذه اللفظة فى النسخة التى نقلت منها ولا ادرى هل هى بالحاء أو بالجيم ، قال فرأيته بعد ذلك ليلة أخرى فقلت له يا رسول الله قلت لى لا تمازح أحدا غير أخيك أبى يعقوب ولم أفهم مقصودك بذلك فقال لى صلى الله عليه وسلم ألم آذن لك أن تحدث بهذه المرائى أبا على كما تقدم فكيف أقول لك أطلعه عليها ثم أقول لا تمازحه انما مقصودى أنك لا تطلع على هذا المعنى ، قال الشيخ اى المرائى غير أخيك أبى يعقوب وأبى على خاصة ، قال فقلت له : ان الاخ أبا يعقوب يخطر له السفر فما ترى فى ذلك ؟ فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : ألم أقل لك ـ يعنى فى منام قبل

هذا ـ ان الاقامة أرفق بحاله قال فقلت له يا رسول الله وهو مخير فى الذى عنده من السبب كما تعلم هل يخرج عنه او يبقيه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : بل يبقيه على الامانة فيعطى منه كل ذى حق حقه ، الى امثال هذا من المنامات وهى نحو من اربعمائة منامة كلها على هذا النحو وفيها تبسمه له مهما رآه بانواع الدعاء وقوله له مرحبا بالحبيب ومرحبا بالرجل المفلح واعلم يا بنى انى أحبك واحب أخاك ابا يعقوب وأنى لافرح بك وأمثال هذا ، قال وشكوت اليه ليلة حالى ومخالفة فعلى لقولى فقال لى صلى الله عليه وسلم: يا موفق من خلق سعيدا او سبقت له السعادة اتراه يشقى كرر ذلك مرتين او ثلاثة ، ثم قال لى : وانى لارجو انك واخاك ابا يعقوب ممن سبقت لهم السعادة

وأبو يعقوب الخشاب هذا ممن استوطن فى آخر عمره طرابلس ، واصله من الاندلس وقد كان فى اول امره على ما بلغنى ثار فى جبل الفتح وادعى المملكة هناك ، ثم نقلته تصاريف الايام الى طرابلس فاقام بها متعبدا متزهدا ، وأتاه استدعاء من حضرة تونس فتوجه اليها فى البحر فاجتاز على جزيرة جربة فتوفى بها رحمه الله تعالى ، وامر بتعمية قبره فلا يوقف له بها الان على قبر ، ويظهر لى ان ذلك والله اعلم لانه اطلع على النصارى ستملك تلك الجزيرة بعد ، فكره اشهار قبره بين قوم كفار ، أو لانه مال على احد القولين عندنا فى تكفير اهلها بما شرحناه من مذهبهم الفاسد

ولابى محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى الان ولـد يـدعى ابـا الحسن ، وهو رجل فاضل زاهد حضرت درسه فى الوعظ وقد قـال والده ان النبىء صلى الله عليه وسلم قال له فى بعض مناماته ان الله جاعلك وجاعل أولادك من خواص اوليائه ، وفى منامـة أخرى أنـه رأى كأنه أوتى السعادة ، قال فجعلت اديرها على ولدى ابى الحسن ومحمد ، فابو الحسن هذا ، واما محمد فتوفى رحمه الله بمكة عند تمام حجة حجها طاف فيها طواف الافاضة فسقط فى بعض أشواطه ميتا ، أخبرنى بهذا شيخنا ابو فارس ابن عبيد ، وكان حجهما فى عام واحد

وزرت هنالك أيضا قبر الفقيه الامـام أبى اسحـاق ابـراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الاجدابى اللـواتى الطرابلسى وهـو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده، وكان الفقيه أبو اسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تـآليف جليلة وأسئلة مفيدة فى الفقـه وغيره ومن جملة تـآليفه كتابه المتداول المسمى بكفايـة المتحفظ ، وكتابـه فى العروض ناهيك به حسنا وترتيبا وتهذيبـا وهـو نسختـان كبـرى وصغرى، وكتابه فى الرد على أبى حفص بن مكى فى تثقيف اللسان ، وكتابه فى شرح ما آخره ياء مشددة من الاسماء وبيان اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع احكام هذه الياء على اختلاف أحـوالهـا من تصغير وتكسير وغير ذلك ، ولما استوفى فيـه ذلـك استيفاء جميـلا

تعرض لشرح المقاطع الواقعة فى سورة مريم لاشتمالها على كثير من تلك الاحكام ، فجاء هذا التأليف فى غاية الافادة والتحقيق وكتابه المختصر فى علم الانساب وله تأليف مختصر فى الانواء على مذهب العرب

ورسالته المعروفة برسالة الحول تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير ، وكان الفقيه أبو اسحاق أحول ، وسبب تاليفه لها انه حضر يوما بطرابلس عند القاضى بها أبى محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسى، فحكم ابو محمد بحكم أخطأ فيه فرد عليه الفقيه أبو اسحاق فقال له : اسكت يا أحول فما استدعيت ولا استفتيت ! فألف تلك الرسالة ، وكانت ولاية ابن هانش طرابلس سنة اربع واربعين وأربعمائة بعد ان فر عنها قاضيها محمد بن فاضل البكرى الافريقى هاربا خوفا من أهلها وعزل عنها سنة سبع وسبعين فكانت ولايته اثنين وثلاثين سنة

وأكثر هذه التاليف ملكتها بخطه ، وكان رحمه الله من أحسن الناس خطا ، وأخبرت ان الامير أبا زكرياء رحمه الله كان شديد البحث على خطه وانه سمع ان كتاب الفصيح يبع بخطه بطرابلس فبرد بريدا اليها فى البحث عنه فبحث عنه ووجه به اليه ، وكذلك أخبرت ايضا انه سمع أن بطرابلس كتاب أمثلة الغريب لابى الحسن على بن الحسن بن الحسين الهنائى المعروف بكراع(١) بخط

(١) انظر بغية الوعاة ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤

الفقيه أبى اسحاق فى ملك بعض بنى النقاد وهم من أعيان طرابلس فوجه اليه فيها ، فوجه النقاد بها اليه وقد وقفت على كتب (١) النقاد بوصول الكتاب المذكور والشكر له على بعثه ، وملكت بخطه أيضا تأليفه الذى اختصر فيه كتاب أنساب قريش تاليف أبى عبد الله الزبير بن ابى بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله، وحسبك بهذا التأليف الجليل علما وفائدة وهو كما كان الشيخ أبو الحسن على بن مغيث رحمه الله يقول : هو كتاب عجب لا كتاب نسب، ورأيت الفقيه أبا اسحاق قد أدخل من حفظه فى نفس هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد نبه عليها ، وكفى بهذا الرجل المعظم القدر فخرا لهذا القطر ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس الى غيرها، وقد سئل أنى لك هذا العلم ولم ترتحل فقال: اكتسبته من بابى هوارة وزناتة وهما بابان من ابواب البلد نسبا الى من نزل بهما فى اول الزمان ، يشير أنه انما استفاد ما استفاد من العلم بلقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقيين والمغربيين ، وكان له اعتناء بلقاء الوفود والقيام بضيافتهم

وأخبرنى بعض الطلبة ان خط الفقيه أبى اسحاق باق الى الان فى بعض جدر داره من طرابلس وهى فى وسط البلد بمقربة من الجامع الاعظم ، وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دار الشيخ الفقيه

---

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب ، على ما كتب للنقاد .

أبى الحسن على بن محمد بن المنمر(١) الطرابلسى الفرضى المشتهر فضله وعلمه ورئاسته ، وهى مزاحمة لمسجد يعرفونه بمسجد ابن فرج أضيف الى الفقيه أبى مسلم مؤمن بن فرج الهوارى الطرابلسى لاقرائه به، وتوفى أبو مسلم هذا سنة اثنين واربعين واربعمائة، وكان مولد الفقيه أبى الحسن بطرابلس قديما سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وله تآليف فى الحساب والازمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى بالكافى فى الفرائض ، وقد لقى الشيخ أبا محمد بن أبى زيد وقرأ عليه وارتحل الى مكة سنة تسع وثمانين فلقى بها أحمد بن زريق البغدادى ، وروى عن أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهرى، ثم عاد الى طرابلس فلم يزل بها الى سنة ثلاثين واربعمائة، فخرج منها لمحنة جرت عليه فتوجه الى موضع يعرف بغانيمة بالغين المعجمة والنون قرية من قرى مسلاتة ، فسكن بها الى ان توفى هناك سنة اثنين وثلاثين ، وقبره الان على الطريق بها ، وقد اجتزت على غانيمة ورأيت قبره بها. وسيأتى ذكر ذلك بعد هذا ان شاء الله تعالى، وهو اول من اظهر السنة بطرابلس لما كانت فى افريقية الوقعة المعروفة بوقعة المشارقة سنة سبع واربعمائة قتل فيها الشيعة واتباعهم، وعلى يد الفقيه(٢) ابى الحسن كان قتل من قتل بطرابلس منهم، واول

---

(١) كذا فى بعض النسخ وهو موافق لاختيار النسخة الجزائرية من كتاب العبر لابن خلدون ج ٢ - ص ٦٠ - س ٢ وفى بعض النسخ الاخرى « المنصر » وفى النسخة البولاقية من كتاب العبر ج ٧ - ص ٤٢ « المنتصر »

(٢) وفى نسخة « الشيخ »

من قطع من الاذان ، حى على خير العمل ، واذن فى ذلك اليوم أذان اهل السنة بنفسه، وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا اسقطوا هذه اللفظة من اذانهم(١) تعمدا او نسيانا ، واول من اقام الناس بطرابلس صلاة القيام ، وقد كان رسم هذه الصلاة امحى من افريقية فقال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمه الله تعالى: لما دخل بنو عبيد القيروان ارادوا ان يمنعوا الناس من هذه الصلاة ، قال: وليس (٢) شيء اشد على بنى عبيد من هذه الصلاة ، فقيل لهم انكم توغرون بهذا الفعل قلوب العامة فانهم يقولون منعونا من الصلاة، فامروا الائمة ان يختموا كل ليلة ختمة كاملة وان لا ينقصوا شيئا منها ، فصلى الناس اول ليلة بوفرهم فلما كانت الليلة الثانية نقصوا ولم يزالوا ينقصون لثقل ما كلفوا به حتى خلت المساجد منهم كما ارادوا، واسقط الناس القيام بهذه الصلاة فكان الشيخ ابو الحسن بن المنمر اول من أحيا بطرابلس رسمها وقدم ابا مسلم مؤمن بن فرج فصلاها بالجامع الاعظم ولم تكن قبل ذلك صليت به لانه من بناء بنى عبيد كما تقدم، واول من اطلق الناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن احد فى مدة بنى عبيد يصليها الا مستخفيا بها فان ظهروا عليه قتلوه ، ومر بعض عمالهم برجل على شاطىء البحر يصلى وقت الضحى فساله عن صلاته فذكر انه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم يقبل ذلك منه وامر به فالقى فى البحر الى ان مات

---

(١) فى نسخة « من الاذان »
(٢) فى نسخة « ولم يكن »

وكان سبب محنة الفقيه ابى الحسن ان سعيد بن خزرون لما قتلته زغبة (١) سنة تسع وعشرين واربعمائة فتح ابو الحسن بن المنمر مدينة طرابلس لخزرون بن خليفة فدخلها واقام بها اشهرا ، ثم لما كان شهر ربيع الاول من سنة ثلاثين وصل المنتصر بن خزرون وكانت معه عساكر زناتة ففر خزرون بن خليفة من طرابلس مختفيا وترك له البلد ، فدخله المنتصر واوقع بابى الحسن مكروها عظيما ونفاه من البلد واستباح جميع املاكه وعذب كثيرا من اقاربه بسببه .

ورايت مقابر طرابلس كلها فوجدتها قد امتلات من بنى آدم وغلبت عظامهم على تراب الارض فلا ترى منها ملء كف من تراب الا وعليها جمجمة او عظم ولا سيما الجهة الشمالية منها ، وكثيرا ما يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من اهل البلد ، وهناك مدفن جثة ابى عبد الرحمان يعقوب بن ابى يعقوب يوسف بن محمد الهرغى الثائر بطرابلس ، وكان هذا الرجل قد ظهر في اول دولة الامير ابى زكرياء يحيى ظهورا عظيما واشتهر بالاقدام والاقتحام فى الامور العظام ، وكانت بينه وبين الجوهرى صداقة متكاذبة ، فلما قتل الجوهرى بتونس سنة تسع وثلاثين استوحش ابن ابى يعقوب ، وعلم الامير ابو زكرياء باستيحاشه فوجه اليه اخاه ابا عبد الله بن ابى يعقوب يوسف ليؤنسه ويصل به فلما وصل اليه لم يزده وصوله الا فرارا وكان قد اقتنى لنفسه اموالا عظيمة ، فحدثته نفسه بالامارة هناك والاستبداد بالملك

(١) وفى بعض النسخ « زعب »

فاجمع على ذلك واستعد لاظهاره فتفاوض عقلاء طرابلس فيما بينهم في ذلك وتذاكروا ما يتخوفون من عاقبته وراوا ان يبادروا بالقبض عليه فاحاطوابه في الليلة التي عزم على اظهار ذلك في صبيحتها فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى جماعة ممن تبعهما فاحتبسوهم الى ان طالعوا بامرهم فورد عليهم الامر بقتلهم فقتلوا وصلبت جثثهم بباب هوارة من ابواب طرابلس وحملت رؤوسهم الى تونس فنصبت على سور القصبة منها ، وذلك في شهر شوال من السنة المذكورة وهي سنة تسع وثلاثين ثم نزلت جثة ابي عبد الرحمان بعد فدفنت حيث ذكرنا

وكان ممن قتل مع يعقوب في هذه الكائنة ونصب رأسه مع رأسه ، ابو عبد الله محمد بن القاضي ابي عمران بن عيسى بن عمران وابوه هو قاضي القضاة بمراكش الذي يقول فيه الشاعر : (مجتث)

يخط في الرق خطا كانه خط شيطان
يفك عنه المعمى موسى بن عيسى بن عمران

وكان ابنه هذا قد وصل الى حضرة تونس فضاقت حاله بها مع ضيق كان في خلقه فتوجه الى طرابلس فاتصل بابن ابي يعقوب وشاع عنه انه انشأ خطبة اعدها لتقرا يوم بيعته ، كان منها في وصفه: القائم بالمدينة البيضاء ذات الرمال ، الفاصل بهدايته بين الحرام والحلال ، فتعرفا معا شؤم هذه الخطبة ، واستمرا بعد الممات على ما

كانا عليه فى الحياة من الملازمة والصحبة ، وأخبرنى الفقيه ابو عبد الله محمد بن يحيى العدل بحضرة تونس رحمه الله قال : كان ممن حبس بطرابلس معهم أبى فدخلت عليه فى السجن وكنت اذ ذاك صغيرا فقال لى يعقوب ما سورتك يا بنى ؟ فقلت له الحديد، فجعل يكرر هذه اللفظة تطيرا منها ، فكان من صدق هذه الطيرة من قتله(١) ما تقدم ، قال ولم يسلم من اصحاب ابى عبد الرحمان الذين ثقفوا معه غير ابى لتشفع اهل طرابلس فيه عند الامير ابى زكرياء ، وانشد ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الاصولى فى بعض تئاليفه لنفسه من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويصف هذه الكائنة ويذكر تسمية يعقوب نفسه بالامام الفاطمى ، ويعقوب هذا ينتسب لهذا النسب العلى : (طويل)

لقدْ عجّلت للفاطميّ فطامه ... وما سوّغته دَرّها البِيضُ والسُمْرُ

رجا رفعة فاعتاض منها بمنصب ... نماه به للجِذع منصبكَ الحُرُّ

يرى شَرَفَات السور قد قُمْن حوله (٢) ... يصخْن لأمر منه أكذبه الأمرُ

ضحى فلحَرّ الشمس لفْحُ إهابه ... وللريح لا للرُوح في جسمه كَرُّ

وكم رام تشييد القصور فحلّها (٣) ... وأَعظم ما يرجوه لو أُسْعِف القبرُ

---

(١) لا يوجد « من قتله » فى بعض النسخ
(٢) فى نسخة « نحوه »
(٣) فى نسخة «يحلها »

أَتـى رهبـة لمّـا دعـوت إجـابة فجرّده من ثـوب نعمتك الـكفرُ
وجـاءك منـه بعضه متنصّـــلا وخُلّف بعض حيث لاجاده قَـطْرُ
يـناجي اخـــاه لا بقـول يبـثّه وهيهات عزّ السرّ فَحواه والجهرُ
تبـرّأ منـه وانتحاك لسانـــه فلو رام نطقا لم يـرِمْه لك الشكرُ
فدونك يـا يعقـوب عُقبى منـافق إلى النار عقْبَاها اذا ضمّك الحَشْرُ

وانشدنى بطرابلس صاحبنا الفقيه ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموى التاجورى فى قضية ابى عبد الرحمان لما نصب رأسه ورؤوس من قتلّ معـه بسور القصبة من تونس للفقيه المحـدث الحافظ ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر بن الابار، ثم انشدنى بعد ذلك هذه الابيات بتونس الشيخ الفقيه ابو الحسن على بن ابراهيم التجانى قال انشدنيها قائلها : (كامل)

وعصابة قطفت رؤوسهم الظبى قـطْفَ البنان ازاهر البستانِ
غدروا وما شعروا بان وراءهم للحقّ انصـاراً عـلى البهتـانِ
فـانظرْ الى هاماتهم مسودة كالليل غـيـرَ بوارق الـأسنانِ
تبدو من السور المُنيف بصفحة بيضاء كالشامـات والخيـلانِ

والاشهر فى هذه المدينة طرابلس بفتح الطاء وضم البـاء والـلام ،

قال البكرى فى المسالك : وترجمة هذه اللفظة باللغة الاغريقية ثلاث مدن (١) تم كلامه (٢) وبعض الناس يكتبها حيثما وقعت فى خطه بالالف وعلى هذا قول احمد بن يحيى من قديم شعرائها فى قصيدة له: (متقارب)

لقد طال شوقي الى فتية   حسانِ الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مُسعدي   على الشوق الاَّ دموع بَجِس

واحمد بن يحيى هذا من ولد اخى على بن زياد الفقيه التونسى رحمه الله واصل على بن زياد من طرابلس ايضا مات سنة ثلاث وثمانين ومائة (٣) وذكر لى بعض النبهاء من طلبتها انه وقف لبعضهم على ان المختار فى طرابلس الشام ان تكتب دون الف تفرقة بينهما ، واما الكاتب المتاخر ابو الحسن على بن ابى بكر بن بلال فانه سكن لام طرابلس استنادا الى ما تقرر فى اللغة العربية من جواز تغيير الاسماء الاعجمية للضرورة فقال فى بعض وترياته يخبر عن نفسه : (طويل)

سرى فرسًا في سيره ولو انّه   خليٌّ من الاوزار سار ولم يرْسُ
سعى سعي طمّاحٍ لِأَبعد غاية   فكانت له دارَ المقام طرابلسُ
سينضي ركاب العزم عنها مجرّدا   لافضل من دانت له الجِنُّ والانسُ

(١) راجع البكرى ص ٦ ـ ٧
(٢) فى بعض النسخ « ثم تلاءمت »
(٣) طبقات ابى العرب ص ٢٥٣ وفى بعض النسخ سنة ثلاثين ومائة وهو تحريف من النساخ

وكان رحمه الله أخذ فى التوجه الى المشرق ليحج ووصل الى طرابلس فصرفه الدهر فى بعض خدمها فنظم مدة اقامته بها هذه الوتريات يصف اشتياقه ، ويطلب التخلص مما عاقه ، الى ان تهيأ له السفر فانفصل وحج وذلك سنة احدى وثمانين، ثم رجع فمات بطريقه وهو قافل رحمة الله تعالى عليه

وبطرابلس كانت وفاة أبى حفص عبد الله بن محمد بن عامر ابن أبى عامر وهو والد الحاجب المنصور أبى عامر محمد بن عبد الله ابن ابى عامر صاحب الفتوحات المدونة والاستيلاء المشهور، وكان أبو حفص هذا فقيها صالحا معلوما بالخير والزهد والقعود عن السلطان ، سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة ثم عاد قافلا فادركته منيته بطرابلس فدفن بها انتهى من كلام أبى حيان ، وفيه عن ابن عفيف وذكر ابن الابار فى « التكملة »(١) ما تقدم وأخبر ان وفاته كانت آخر خلافة الناصر وكان انقراض خلافة الناصر فى شهر رجب من سنة(٢)

ومن فضلاء طرابلس المشهورين بالعلم والمشاركة فى الادب المتقدمين عن عصرنا هذا قليلا : أبو محمد عبد الحميد بن ابى البركات بن عمران ابن ابى الدنيا الصدفى الطرابلسى ،

---

(١) راجع التكملة ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨

(٢) بياض فى جميع النسخ وكان انقراض خلافة الناصر فى رجب من سنة ٣٥٠

مولده بطرابلس فى منتصف شعبان من سنة ست وستمائة وارتحل الى المشرق فقضى فريضة الحج وادرك الريفى والصفراوى فقرأ عليهما ووصل الى تونس فى مدة الامير أبى زكرياء فاقام بها زمانا ثم عاد الى بلده ، واستدعى بعد ذلك الى تونس فولى بها الخطط الرفيعة من قضاء الجماعة وقضاء الانكحة والخطابة بالجامع الاعظم وغير ذلك من الخطط وله تصانيف منها : العقيدة الدينية وشرحها ، وجلاء الالتباس فى الرد على نفاة القياس ، وكتاب مذكر الفؤاد فى الحض على الجهاد، وله شعر قليل منه قوله: (كامل)

طُرُق السلامة والفلاح قناعةٌ ولزوم بيت بالتوحّش مؤنِسِ
يكفيه أنسا ان يكون أنيسَه آيُ القران ونورَه في الحِنْدِسِ
وإذا رأت عيناه انسانا اتى فلْينفرنّ نفورَ ظبي المكنسِ
ولقلّما يَنْفَكُّ صاحب مِقْوَل من زلّة أو عَثْرة في المجلسِ
تُحصَى وتُكْتَبُ والجهول مُغَفَّل حتّى يَراها في مقام المفلسِ

وأظهر له الخليفة المستنصر رحمه الله فى بعض الاوقات تغيرا فكتب اليه يستعطفه : (طويل)

أمولايَ مَا زلتم تنيلون عبدكم ضروبا من النعماء جلت عن المثلِ
ولم يبق إلاّ العفو وهو أجلّ ما يُنال فأكْمِل لي به منحة الفضلِ

فما العيش في الدنيا بغير رضاكم بصاف ولا طَعمُ الحياة بمحْلَوْلي
وقد كدّر الاعراضُ صفوَ معيشتي فأنكرتُ أحوالي وانكرني اهلي
ولي أمَل يَقضِي بغفران زلّتي وبالعفو عن جُرمي وبالصفح عن فِعْلي
بقيتَ تزيد المُلك عزّا وبهجة
وتحيي رسوم الفضل والدين والعدلِ
ولا يخطِئني منك عفوٌ ورحمة فإنّهما ما أخطَئَا أحداً قبْلي
وصلّى إلاه العرش بدْءًا وعودة على المصطفى من خلقه خاتم(١) الرسلِ

وله القصيدة الطويلة التي اولها : (وافر)

بحمد الله نبتدىء الامورا ونختم آخرا فيه الحبورا

وكانت وفاته بتونس يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الاول عام أربعة وثمانين وستمائة .

ومنهم الفقيه أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي احد ارباب الرتب ، الجامعين بين رئاسة الفقه ورئاسة الادب ، ولد بطرابلس سنة تسع وستمائة وقرأ بها يسيرا ثم توجه مع أخيه الفقيه القاضي أبي موسى الى المهدية للقراءة بها على الفقيه أبي زكرياء البرقي فلزماه مدة ، ثم عاد أبو موسى الى طرابلس وأقام أبو علي ولزم البرقي وتفقه عليه واختص به اختصاصا كثيرا فلما

---

(١) في نسخة « خيرة »

وقعت فتنة أبى حمراء بالمهدية ووصل كتاب الشيخ أبى على بن أبى موسى بن أبى حفص الى(١) المهدية اذ ذاك بالتحذير من أبى زكرياء البرقى ومن أبى حمراء ، وتوجه الامر له بقتل أبى حمراء وازعاج البرقى الى الحضرة كان ذلك فقتل أبو حمراء وحمل البرقى على حمار ومعه خواص أصحابه فيذكر من رآه على تلك الحالة وهو يتمثل عند(٢) اشرافه على الحضرة : هكذا فى البر يفعل بى فكيف لو زلت بى القدم ، فكان ابن معمر احد من وصل صحبته وأدركت الامير أبا زكرياء شفقة على البرقى فاعاده الى وطنه وأقام ابن معمر بالحضرة وكان فقيها مفوها خطيبا لسنا غير انه كان فى لسانه فضول ، كثر امتحانه به والتعرض له بسببه .

وترقى فى دولة الخليفة المستنصر رحمه الله فولى خطة القضاء فى كثير من بلاد افريقية منها باجة وبجاية وغيرهما ، وولى خطة العلامة الكبرى وخطة الارفاع والنظر فى خزانة الكتب ، ونغير الخليفة عليه فنفاه الى المهدية ، فكان خروجه من الحضرة يوم السبت الثامن عشر لذى القعدة الحرام سنة سبع وستين ، ثم وقع الرضى عنه بعد عام كامل وتوجه الامر بتسريحه فى ذى الحجة من سنة ثمان وستين فوصل الى تونس فى شهر ربيع الاول من سنة تسع وستين ، ولما مات الخليفة وولى ولده الواثق استدعى فى يوم السبت التاسع عشر

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « والى »

(٢) وفى بعض النسخ « على »

لذى الحجة من سنة خمس وسبعين فأمره بالنظر فى خزانة الكتب وسئل عنها حين كانت لنظره اولا فذكر انها كانت ثلاثين الف سفر وأنه أخر عنها ثم أعيد اليها فوجدها عشرين الف سفر وأنه الان اختبرها فوجدها تقصر(١) عن ستة آلاف سفر ، فسئل عن موجب ذلك، فقال: المطر وأيدى البشر، واستمر على النظر فيها الى ان تغير عليه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبى مروان فى بعض القضايا فامر بتثقيفه فثقف بدار الاشراف مدة ثم أخرج ، وكانت وفاته بتونس فى اليوم الثانى لجمادى الاولى من سنة اثنين وثمانين وستمائة ، وله شعر كثير أخبرنى ابن أخيه الفقيه أبو يعقوب يوسف ابن القاضى أبى موسى عمران قال: كنا جلوسا عنده فأنشد بعض من حضر بيتين لابى الوليد سليمان بن خلف الباجى : (وافر)

مضى زمن المكارم والكرام ... سقاه الله من صوب الغمام

وكان البِرّ فعلا دون قول ... فصار البرُّ نطقا بالكلام

قال فانشدنا لنفسه متمما عليهما (وافر)

وزال النطق حتى ليس تلقى ... فتى يسخو بمرجوع السلام

وزاد الامر حتى ليس إلاّ ... سخيّ بالاذَى او بالملام

وكان أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضيلى ممن ثقف بدار الاشراف معه حين ثقفه ابن أبى مروان على ما تقدم فحصل بينهما

(١) فى نسخة « تنقص »

اتصـال وود واتفق ان سرح ابن معمر قبـل سراح الفضيلي فهنـاه الفضيلي بذلك فأنشد مرتجلا : (طويل)

لَئن سرَّني فك الإسَار من الحبس   لقد ساءني فقدي لما فيـه من أُنسِي
ولو إنّني خُيِّرتُ فيمـا أريده   لآثرت تقديمي سراحك عن نفسي

وفي مدة لزومه داره للجفوة التى كانت عرضت لـه قبل نفيه الى المهدية قدم من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلـك فكتب اليه : (طويل)

كتبت ولولا الحكم كنت إليكم   من الشوق في مَتْن الرياح أطيرُ
وَإنَّ يسيراً انْ أسيرَ مسلِّماً   عليكم على وجهي وذاك يسيرُ
وما في صميم القلب من خالص الوفا   فسِيَّانِ فيـه غيبة وحضورُ

وأنشدني له بعض الطلبة من أهل بلـد طرابلس قصيدة وقعت هنا مرتبة على حسب ما اخترناه منها : (بسيط)

لولا احورار جفونٍ أودعتْ سَقَماً
ما أمطرت سحْبُ أجفاني الدموع دَمَا
ولا وقفتُ أُصَيْلَانا بربعكم (١)   ولا سقيتُ رُباه من دمي دِيَمَا
ولا نَثَرتُ عقيق الدمع في طلل   منه أُذِيع الّذي قد كان مكتتَمَا

(١) وفي نسخة « بربعهم »

شمل السلوّ شتيتٌ بعد بُعدكُم وطالما كان قبل اليوم ملتئمَا
البينُ يقطع منه كلّ متّصل والشوقُ ينثر منه كلّ ما انتظمَا
والوجد شاد بجسمي ما يهدّمه آه على ما بنى فيه وما هدَمَا
يا من يلوم على ما جلّ من أَسَفي هذا اليسيرُ من الامر الّذي كُتِما
ماخطّط النومُ في جفنيّ رسم كَرَى إلاّ محا السهْد ما قد خُطّ او رُسِمَا
أُنبيكمُ انّني من يوم بينكُمُ ما زلتُ للسهد والتذكار ملتزِمَا
ارتاح إن هبّ ريح من جنابكُم او لاح برق بذاك الافْق وابتسَمَا
اما وَمَن قدّر الاشياء مقتدرا وحُبّكم وكفى بالحبّ لي قَسَمَا
ما رام قلبي اصطباراً بعد بُعدكُمُ ولا تأخّر بي من وجده قَدَمَا

وانشدنى أيضا وقد ابل الخليفة من مرضه : (بسيط)

الله أنعم بعد اليأس بالفرجِ يا ازمة الدهر عند الشدّة انْفرجِي
شُكرُ الخلائق لا يكفي لأيسر ما كفى وسكّن من هَزج ومن رَهَج
أَبقى الانام بإبقاء الإمامِ فَكَمْ بِصَوْنه صان من مال ومن مُهَجِ
إذا رعى الله للإسلام راعيهم لم نأسَ من فَقْد ذي قدر ولا هَمَجِ

وذكر ابن الابار فى بعض تواليفه قال : انشدنى القاضى أبو على ابن معمر له ولاحد أصحابه فى أبى المجد الصوفى المهدوى يداعبانه لولوعه بتزوج العجائز : (طويل)

ابا المجد كم تغرَى بحبّ العجائز وذلك في شرع النهَى غير جائز
كَلِفت بأطلال محا الدهر رسمها فاصبحت تبغي الفوز بين المفاوز

وأنشدنى شيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الاوسى ، قال أنشدنى أبو على بن معمر لنفسه : (بسيط)

آهاً نُرَدّدُ لو تشفي لنا كَرَباً وبالتعِلّات نحيَا لو قضت ارَبا
وبالاماني ينال القلب بُغيتَه وقد تحقّق من معتادها كَذِبَا
يرتاح إن لاح برق من جهامتها وما تَرَاءى له إلاّ وقد ذَهَبَا
يُسَرّ إن مُدّ يَوْماً حبل مُنْيَته وما تطاول إلاّ جُذّ وانقضَبَا
إن عزّ ما يبتغيه (١) فهْو في هَرَج ويختشي الفَقْدَ إن ما يبتغي قَرُبَا
وارحمتاه لقلبي كم أجَشّمه امراً يذيب من الأصلاد ما صَلُبا
وكم يعاني ملمّات بايْسَرِها يهوّن الأمر (٢) من دنياه ما صعُبا
وكم يُلَجْلِج في افكاره لُججاً سوداً تُؤجّج في احشائه لهبَا
وكم تهبّ سمومٌ من تنفسه لو استمرّت لما هبّت نسيمُ صبَا
استغفر الله لا اشكو الزمان ولا أبدي إذا طرقت أحْدَاثه رَهَبَا
ولا أئنُّ لِحَظّ منه اعْوَزَني ولا أسَرُّ إذا ماء المُنى انسكَبَا

---

(١) وفى نسخة « ما يرتجيه »
(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « المرء »

أَنّى يُسَـرُّ لَبِيبٌ إِن رأى حلُماً وكيف يَطْرَب مَن خمَرَ الفنا شرِبَا

وأخوه الفقيه القاضى أبو موسى كان عالما صالحا فاضلا وقد قدمنا من أخباره ما ذكره شيخنا أبو فارس عبد العزيز بن غبيد عند تسمية شيوخه .

فأقمنا بطرابلس ساكنين فى قصبتها كما تقدم عاما كاملا ونصف عام وأياما الى ان تهيأت لمخدومنا أعزه الله وجهته ، وكملت على اتم المراد بغيته ، حسبما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى ، فحينئذ وقع الرحيل عنها . وبلغنى باثر الحلول بها ان الفقيه البليغ الكاتب أبا الفضل محمد بن أبى الحسن على بن ابراهيم التجانى ضوعف له بالحضرة مرتبه وأعليت عن اخوانه الكتاب رتبته فكتبت اليه بذلك :

(كامل)

اهدي ابا الفضل السلام مردّدا لعلاك عن قلب اليك مشُوقِ
وأقرّر الودّ الّذي انا سالك فيه من الاخلاص خير طريقِ
وسمعت اخبارا أَدَارَ بِذكرها مُنْهِي الحدِيثِ الّتي كاسَ رحيقِ
أُنبِئت انّك قد خُصِصتَ برتبة أسمت مقامك فوق كلّ رفيقِ
فسُرِرْتُ ان نال السيادة والعلا مَنْ فخره فخري لدى (١) التحقيقِ
ما العزّ عندي ان اعزّ وانّما عزّي المكمّل ان يعزّ فريقي (٢)

(١) وفى بعض النسخ « على »
(٢) وفى بعض النسخ « فنيقى »

ان اكرموك فقد اتى اكرامهم   في موضع بالمكرمات حقيقِ
طُوّقت للانعام مـا تَشْدُو به   والشّدْوُ شِيمَةُ كلّ ذي تطوِيقِ
والله يرزقك الزيادة حاكما   لك بـالعلا والسعد والتوفيقِ

فوصل جوابه عن ذلك بما نصه : (كامل)

أهدي سلام الود خير رفيـق   من عُدّ اوحَد أسرتي وفريقي
ومقام عبد الله نجل محمّـد   في قومه سام عـلى العيّوقِ
نَدْب تحلّى من جلالة سندس   واقـام للعليـاء أنفقَ سوقِ
وازدان بالفضل الّذي هو مُرضَع (١)   لبني الافاضل ليس بالمَمْذُوقِ
زانت فتاة السّن مـنه فتوّةٌ   قد ضمّخت اخلاقـه بِخَلُوقِ
ومعارفٌ تُدرَى لهنّ عَوَارف   فيها حقيّق مجـدُه بحُقُوقِ
امّـا مواثيق العهود فانهـا   ابداً لديه مَميزَةٌ بوثـوقِ
ومشارع الودّ الّتـي اروى بـها   ما إمطرتها خُلّبات بـروقِ
هي ما علمتُ موالِدٌ ومراضـع   وزكاء فرع من زكاء عروقِ
ودليل تأكيد الوداد رسائـل   تقضي بعهـد في الوداد وثيقِ
تدنو على شحط الربوع كانّـها   شمس تعمّ ببهجـة وشروقِ

---

(١) وفى اكثر النسخ « موضع »

اوكالحيا الهتّان يروي ممحلا فيعود بعد المحْل جِدّ انيقِ
ولربّ قافية اتت قافيّة تقفولها الشعَراءُ نهج طريقِ
فلئن تمكّن من طريقته امرُؤٌ فلها مكان ليس بالمطروقِ
انت الذي تجلو المعاني خلوة يصبو الحجى لِجَمَالِها المرموقِ
ولكلّ معنى زانه اللفظ الذي يكسو كغُصْن في الرياض وريقِ
وافت تهنّي لي باسعد رتبة رُفعت بحُرّ سوابغ التوفيقِ
ومقدّم بالله شرط قضيّة قرنت بها الآمال بالتصديقِ
واجل ما آثرته حظ أَتَى عفوا بدون الظنّ والتعليقِ
هي نظرة من نحو خير خليفة غَاظَت (١) أَبا زَيْد بخير عتيقِ
ماكنت لولا ان عين رضاهمُ نظرت باينسَرِ مَا جرى بحقيقِ
سوّدت ان طُوّقِتُ نُعماه التي قد قام فيها شاهداً تَطْوِيقِي
وكفاية الآثار قد قابلتها بفصيح قول في الثناء طليقِ
هو مشرب انا منه صاحب نشوة ومُواصِلٌ لصبوحه بغبوقِ
لا اشتكي الاّ نواكَ فانّني من اجل حادثها اغصّ بِريقِ
سحقاً لدهر لو قضى بتألّف لغدا مكان الإِلْف غير سحيقِ

---

(١) وفي نسخة « غاضت »

اقصى فلولا ما دعوه ابا الورى لعقته ويقلّ فيه عقوقي

أعليه نذر لا يزال يفي به ان يعقب التجميع بالتفريق

لم انس سيل الدمع يوم فراقنا وغريقنا مستمسك (١) بغريق

مَا ان ذكرت البين الاّ بان من نفسي ومن نَفَسي دخان حريق

فالله اسأل ان ينظم شملنا عقداً ويجمع نازحا بمشوق

، وما ذاك على الله بعزيز ، وقرب الاماكن(٢) فيه متعلق بخير مجيب مجيز ، فعما قريب نتلقى بالفعل هذا الامكان ، ويعود الجمع منتظما كما كان(٣) بفضل الله وهذا الزمان(٤) الذى اوقع ريبا ، واشتعل الرأس منه شيبا ، سرعان ما تقهقر القواطع عنه مقصرة ، وتمحو ليله آية النهار مبصرة ، وتلقى حبلاه من سقط الفرقة مضغة ، ويرجع راجع الشباب صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، واذا كان يعيده حامل كلام ، ويرده واصل سلام(٥) ، فما ظنك به حين تقبل الركائب ، ويلتقي المقيم والايب ، وترى القافل الذى شد ما أثقل رحله ، يلقى الزاد فما زاد حتى نعله ، فتراح الركائب من جذب البرى ، ويراح الى جنة القرب ونار القرى ، وحينئذ تتصل الافراح ، وأنشد من صد عن نيرانها فأنا أبو قيس لابراح (٦)

---

(١) في بعض النسخ « متمسك »
(٢) وفى بعض النسخ « الامكان »
(٣) وفى بعض النسخ « هذا الشمل مشتملا » وفى بعضها « هذا الشمل منتظما »
(٤) وفى بعض النسخ « هذا الوثب » وفى بعضها « هذا الرتب »
(٥) وفى بعض النسخ « كلامى » و « سلامى »
(٦) والمشهور فى قول سعد بن مالك هذا « من فر »

والله المرجو فى أن يعيد (١) ذلك الزمان ، وعليه سبحانه فى تحقيق الرجاء الضمان (٢) ، بحوله وطوله ثم تنوب الى واجب الشكر ، وشكر الواجب الذكر ، وغرس ثمرة (٣) الاحسان ، اذا تعهد بعهد الانسان ، كانت ثمرتها وهى الثناء ذائعة ، ولم تكن ثمرة تلك الغروس ضائعة ، وكل ما يلحق الغرس من نضرة ونعمة ، تلبسه ملابس نعمة ، فلغارسه ينسب ، ومن جملة مكارمه يحسب ، وذلك الجلال للشيخ أمن الله جهته ، ويمن الله وجهته ، لا يشك أنى غرس نعمته ، واحد المعتزين بخدمته ، وعنايته قديما هى التى أصارتنى من خدمة هذا المقام الكريم الذى طوقت نعمه فمدحت ، وسقيت ديمه فشكرت ومرحت (٤) بثاية منه سقت دوجى غمامها ، فبشكره - أعزه الله - يغرد من لسانى حمامها ، وعن ثغور منحه تفتر مباسمها ، كما أنه عن منشور (٥) مدحه لا تفتر نواسمها ، فصادح (٦) ثنائى لا ينثنى عن تغريد وتلحين ، وثمر بر طيبات ممادحه لا تزال تؤتى أكلها كل حين ، فقرروا عند سيادته - حفظها الله - ما يجب تقريره ، وكرروا من معاد ذلك ما تحسن اعادته وتكريره ، والله سبحانه يبلغكم أملكم ، ويختم بالصالحات عملكم ، ويسهل سبيلكم ، ويجعل اليمن المصاحب دليلكم .

---

(١) وفى نسخة « يعود »
(٢) وفى نسخة « التكلان »
(٣) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « شجرة »
(٤) وفى بعض النسخ « فرحت » وفى بعضها « صدحت »
(٥) وفى بعض النسخ « منشور »
(٦) وفى جل النسخ « فصادح »

ووصلت بعد ذلك أبيات من بعض من وصل الى الحضرة من الادباء وكان من مقصده رؤيتى فلم يجدنى بها : (كامل)

خذها تحيَّة نازح الأوطان لكنّه بوداده لك دانِـــي
من شيِّق لأبي محمّد الرضى عبد الإلاه الماجد التيجانِـــي
مُثن على تلك الخلال ولمْ يَزل من اجل بُعدك دائـم الاشجان
لمّا وصلتُ لتونس الفيتهـــا من بعدكم ربعا بلا سُكّانِ
قد اظلمت في مقلتي لبعادكم فكانّها جَفنٌ بِلا انسانِ
فلو استطعتُ لسرت عنها نحوكم اسعى لرؤيتكم على اجفانِي

وكتبت فى أول شهر المحرم مفتتح عام ثمانية وسبعمائة للفقيه البليغ ابى الفضل محمد بن أبى الحسن على بن ابراهيم التجانى بهذه القصيدة وما ردفها من النثر مقررا لادامة الود ، ومتبرما بامتداد امد البعد : (مخلع البسيط)

حبّكم في الحشا مقيم فما يروم الذي يلـــوم
اما درى العاذلون جهلا ان عذاب الهوى نعيم
هل عند مَن عنده فؤادي ان غرامي به عَمِيم
يبيت من لوعتي خليّـــا ومنه بي المُقْعِد المُقيم
احبابنَا هل ينالُ حظّا مِن وصلكم مَن بكم يهيم

هَبوا لاجفانـنا منامـــا فعهدُهـا بالكرَى قديـم
لازمهـا بعدكم سهادٌ تعرف مقداره النـــجوم
وعلِّلوا بالرضى فؤادا به لهجرانكم كلـوم
يظنّه عُذَّلي سَليمـــاً وهو لِفَرْط الاسَى سليم
إن حكم الدهر بافتراق موقعه في الحشا اليـــم
فكلّ شيء الى كتاب قدّره القـــادر الحكيم
هاكَ أبا الفضل من سَلامِي مِسكاً رسولي به النسيم
واعْلَم بما بي من اشتياق اليك مقداره عظيـــم
وإن طلبتَ بعلم حـــالي وانت عندى بِهَا عليم
فانني في اتصال نُعْمَى بشكرها الدهرَ لا اقوم
منعَمٍ في جناب مَوْلى بقُربه تبعد الهمـــوم
لله منه غمام جـــود عمّ الورى صوبُه العميم
كم كفَّ بؤس الورى بكفّ تعجز عن جوده الغيوم
ينثر (١) أموالَه ولكن شمل المعالي بها نظـــيم
ايه نِدائي حواه قلـــب مَازجه ودّك الصمـــيم

(١) وفي بعض النسخ « ينشر »

هل تَرْتجي للزمان عدلا   فانه في النَوَى ظلوم
قد علم الله من ودادي   ما أنا راع له مُديم
وانّ عندي لحفظِ عهدي   طريقة نهجها قويم
وانْ تحلْ بيننا فياف   يقصر عن جوبها الرسيم
فان ذكراك كلّ حين   في الفَم والقلب لا تريم
لقد تدانت لنا قلوب   وان تناءت لنا جسوم
فنسأل الله جمع شمل   فهو لطيف بنا رحيم

« هذه أعزكم الله أبيات صدرت عن قلب(١) منقسم ، وفكر بتولد التبلد متسم ، قد أعاره الهوى أتباعا ، وأعادته النوى شعاعا ، فكلما رمت جمعه ، وطلبت أن أرأب صدعه ، طرقه من هوائج الفكر ، ولواعج الذكر ، ما يفرق منه ما لأمت ، ويشتت ما نظمت ، ولربما جذبه الحنين الى الوطن ، وجد به التشوق الى الاهل والسكن ، فيطلب الصبر وهو جد متمنع ، ويروم التصنع ولات حين تصنع ، وكيف يحجب الوجد وهو ذو استبانة ، أم كيف يطلب الصبر وقد أبانه البين أى ابانة ، وقد كان فى حول ثواء ثويته (٢) تقضى لبانة ، فكيف بثواء احوال ، ولقاء اهوال ، بمثلها يسأم السائم ، ويعدم صبره القلب الهائم ، ولكن مشاهدة هذا المولى الذى أنا فى كرمه

(١) فى نسخة « من ذهن »
(٢)فى بعض النسخ « في حول ثويته » وفى بعضها « فى حول ثواه »

أمسى وأصبح ، وبنعمه أغبق وأصبح ، تنسى الاهل والوطن ، وتسلى عن كل ما شط وشطن ، فلا ندم على ما عدم من رآه ، ولا تغرب من يممه ولو خلف الاهل وراه ، وان فضل الله تعالى لكفيل بأن يجعل مدة الفرقة قليلة ، وأن يعلل بالقرب منا انفسا عليلة ، فيعيدها وقد بلغت التراقى ، ويفيدها من اللقاء الطبيب الراقى ،

(طويل)

وقد يجمع اللهُ الشتيتَين بعد ما ... يظنّان كلّ الظنّ ان لا تلاقيا

(طويل)

وانّي لارجو الله حتّى كانّما ... ارى بجميل الظنّ ما الله صانع

واياه اسأل أن يزيد جدكم جدة (١) ، وأن يديم مدتكم فى السعادة ممتدة ،

فأجاب بقوله : والتزم فى الجواب تشديد حرف الروى ، وكان أولاد مخدومنا قد وصلوا اليه فى ذلك الوقت من الحضرة - فاشار فى جوابه هذا اليه : (مجزو الرمل)

من لمشغوف مُعَنَّى ... ذَكَر العهد فَحَنّا

راعه الدهرُ ببين ... بعد ما كان اطمأنّا

ابصر الربع قواءً ... فبكى شوقا وأنّا

(١) فى بعض النسخ « ان يزيدكم جدة »

وتمشّى مشي ولهـــانَ بـه يـقرع سِنًّا

وشجـــاه هاتف فو   ق الرُبَى غنّى فغنى (١)

إلفه دانٍ فلو فـا   رق إلفا مـا تـغـنّى

اطرب الـروح وأبْر   دت شجوني حين ثَنّى

فهي من فرط ارتياح   دونَ راح تتثنى

وتـذكّـرتُ زمـانـا   بالتداني مرّ غبًّـا

وحديثـاً مـا أحَيْلا   ه وسرًّا منـه صُنا

وبصدري مَيْت سرّ   مُدرَجا فيـه أجِنّا

لستُ فيـه بـضنين   عند ما (٢) يعمل ظنًّا

أيـها الاحباب ما بنـــتم ولكن نـحن بنـا

أطْلِعُوا(٣) مِنْ قُرْبِكم صبـــحاً فلَيلُ البعـد جنا

وانظرونـا نقتبس من   نوركُمُ (٤) ما نتمنى

ما عليكم لو نظرتـم   نظـرة الـإشفاق مِـنا

وسمحتـم لـقريـح الـــقلب بالسلوان ضَـنا

---

(١) فى بعض النسخ « عنى »

(٢) فى بعض النسخ « من »

(٣) فى بعض النسخ « اصبحوا »

(٤) فى بعض النسخ « من قربكم »

لم يزل في كل معنى يجلب الود معنى
راكبا في كل فن منه ذيالا وفنا
لا يحاشي من فنون الو د والإخلاص فنا
هل أمان من زمان فرض البعد وسنا
سن أغياراً وغارا ت النوى والبين شَنَّا
ورَمانا بسهام بعد ما كان مجنا
خاننا العهد وما للعهد والميثاق خُنَّا
وجرى جري سَبوق للنوى لا يتأنَّى
نال منَّا بافتراق بعد ما كان أمِنَّا
وعناء ترك الأبدان وهْيا حين عنَّا
عقَل العقلَ بتسريـ ـح مناصات فجُنَّا
عند ما شدّت رحالٌ ضعُف الصبر فلِنَّا
كيف بالصبر وأنّى بجميل الصبر أنَّى
ولعلّ الدهر ينسخ ماكان استسنَّا
ويعيد الشملَ منظو ماً كما كنتم وكنَّا
وإذا ما الله سنّى عقد أمر يتسنَّى

« سبحانه لا اله سواه ، وبارادته يوقع الدهر ما نواه ، فمن يعتب الدهر أو يسبه ، ففى النار حصيدة لسانه تكبه ، فهو عبد بتصريف مالكه يتصرف ، ونكرة باضافته الى أعرف المعارف يتعرف ، فلا ذنب ينسب اليه ، ولا احد يعتب عليه ، سواء أنأى أو قرب ، وآهل أو عزب(١) ، وسهل أو صعب ، وضم الشتيت أو شعب ، له ان يتحكم حكم الوصى ، ويستقصى حكمه فى القريب والقصى ، وذو الحجى يستمسك بحلمه وعلمه ، ويسلم نفسه لحربه وسلمه ، ويرى ان لا حجة له فى اعتراضه ، على افتراضه ، ولا سبيل لاحتكامه ، فى أحكامه ، ولا قدرة على صرفه ، عن صرفه ، ولا حيلة فى خديعته ، عن شريعته ، لا جرم أنه يجرم ويتوب ، ويحرم ويثيب ، وينجح اذ يجمح ، ويبخل ثم يسمح ، أحواله غير مقصورة على انفراد صورة ، ولا مبنية ، على اتحاد نية ، لا يدوم على حالة ، من ايجاب أو احالة ، ولا يبقى على نسق ، فى اصباح أو غسق ، بل يتلون تلون الحرباء ، ويتكون تكون الجرباء ، بينا تطلع نجومها ، يأفل نجومها ، فنجومها أبدا تطلع وتغيب ، ونيراتها لا يدوم لها الطلوع ولا المغيب ، وكذا الدهر مهما أعد للنوى طريقا ، وجرع بضاعة الفرقة فريقا ، ابان الى الدنو أسرع راجع ، وأشبهت عاقبته عاقبة دواء نافع ، وقد مدت النوى منكم باعها ، حتى كادت الايام تتناسى طباعها ، وعند هذا التناهى يقصر متطاولها ، ويقرب من الامانى الصادقة بكم متناولها ،

---

(١) فى بعض النسخ « غرب »

مع نجح الطلب، وحسن المنقلب، ان شاء الله تعالى والله سبحانه لطيف بخلقه ، حاكم على الدهر وخلقه ، يقضي وفى قضائه لطف ، ويؤكد ارادته وفى تأكيدها عطف ، ألا تراه كيف يسر لمولانا المعظم ، ما سره من الشمل المنظم ، وذلك بانفراج المتضايقين شوق وخلد ، واجتماع المتضائفين والد اعزه الله وولد ، بعد ما كانت الشمس شعاعا فعاد الشمل بذلك نظيما ، وأصبح غيظ الدهر الذى لا يكاد يكظم كظيما ، وعما قريب ينظم به شمل الاوامر والامور ، وتلحق بركته وهو مقيم ببلده سائر المعمور ، وقد طال عهدى بتقبيل راحته، واستثمار قلبى مع تعبه من راحته ، فهى راحة عهدتها كالعادة جودا ، وكنت بها ممطورا مجودا ، أيام كنت من خاطر الخطير ببال ، ورزقت منه حظى قبول واقبال ، والزمان يقبل ويعرض ، ويصح ويمرض ، وأنا أنتظر هذا الوجود أن يجود ، وأرتقب تلك السعود ان تعود ، فلى بضاعة ولاء تثمر بوفورها مربحى ، وتعمر بموالاة تجرها ممساى ومصبحى ، والله أسأل ألا يمد بفرقتكم مدة البين ، وأن يعود بعودكم قلبى الى جسدى فما جعل الله لرجل من قلبين ، انه المنعم والقادر ، وعند أمره يقف الوارد والصادر »

وكتب الى فى شهر ربيع الثانى بعض من وافق اسمه اسمى من اصحابنا الطلبة بتونس فى اثناء مخاطبة خاطبنى بها : (طويل)

لعمرك لو ان الرياح تحمّلت جسوماً لسارت بي لنحوك ريحُ
وكم لك عندي. ن صريح مودّة لعلمي أن الودّ منك صريحُ
أراك على بعد قريباً لناظري على أن طرفي بالدموع جريحُ
وإنّي لأرجو الله في جمع شملنا فإنّي على باب الرجاء طريحُ
عليك سلام الله ما هبّت الصبا وما ناح قمريّ فحنّ قريحُ

فكتبت اليه الجواب عن ذلك : (طويل)

رأى بارقاً تحت الظلام يلوح فناح اشتياقاً والكئيب ينوحُ
تألّق من أرض الأحبّة موهنا فحنّ فؤاد بالبعاد قريحُ
وطالبه أهل الملام بسلوة فلم يك منه للسلوّ جنوحُ
رعى الله إخوانا إذا ما ذكرتهم تسابق دمع العين وهو سفوحُ
لئن نزحوا عن ناظريّ فما لهم مدى الدهر عن قلبي المشوق نزوحُ
وبلّغ عبد الله عنّي تحيّة مرددة تغدو له وتروحُ
سميّي الذي أصفيته بمودّة له خالص من وردها وصريحُ
شربنا معا كأس الصفاء فما لنا سواها غبوقٌ دائم وصبوحُ
أعلّل آمالي بقرب مزاره ومن دون ما ارجو مهامه فيحُ
لقد أتعب البينُ المُشتّت قلوبنا فهل بعده من اوبة فتُريحُ

وفى شهر جمادى الاخرى كتب الى من أصحابنا الاخلاء الفضلاء الفقهاء الادباء بتونس من دعاه كرم عهده ، الى أن يجدد بتجديد المخاطبة ثابت وده ، وأرادوا أن يودعوا نظمهم كله صحيفة واحدة فرغبوا الى الوالد حفظه الله تعالى أن يصدرها بشيء من نظمه فكتب الى الوالد فى صدرها : (طويل)

سلام من الربّ الرحيم ورحمة مجدّدة تتْرى على عابد اللهِ
وانّى لمعمور الفؤاد بذكره اذا مالها عن ذكر احبابه اللّاهي
فيا ربّنا اجمع شمل أحبابه به فلا منية تدني الأماني إلاّ هي

ثم أثبت كل منهم اسمه ونظمه وقد رتبت هاهنا ذكرهم على حسب ما رتبوا شعرهم

فكان الذي خاطبنى بعد الوالد ابقاه الله صاحبنا الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن يعيش ، كتب الى بقوله : (وافر)

شجاك الربع إذ ظعن الحبيب فأنت وإن نشأت به غريبُ
اذا بعُد الأحبّة عن محلٍّ فما عيش بساحته يطيبُ
وكيف يطيب عيش بعد خِلّ نأى فجميعنا صَبٌّ كئيبُ
بقرب نَبيي محمّد المفدّى وأوبته السرور لنا يؤوبُ
عليه تحيّة ما انهلّ غيثٌ على روض فمال به قضيبُ

فأجبته عن ذلك بقولى : (وافر)

عسى الزمن الذي ولى يَــؤوب   فقــد سئمتْ من الشوق القــلوب

اذا ما قلت قد قرب اجتماع   قضــى بتفرق خطب يــنوبُ
واعظم من ترى أسَفاً وحزنا   حبيب قد نــأى عنــه حبيبُ
ابــا عبد الاله نــــــداء خلّ   هواكَ لــه من الدنيــا نصيبُ
رعــاكَ الله من راع لمــهدي   وان طــال التباعد والمــغيبُ
اتتني منك ابيات حسان   بها للفضل قد جُمعتْ ضروبُ
افادتني من اسمك حين وافت   وطيب حديثها عيشا يطيبُ
واهدت لي الوداد على التنائي   ففرَّيت بعد كرَّتها الكروبُ
فثق مني بإخــلاص ووُدّ   جديــد ليس تبليه الخطوبُ
وان تك مدّة البعد استطالت   فيُرجَى بعدها الفرج القريبُ

وكتب الى بعده الفقيه الاجل الافضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى واظنه وقف على مطلــع قصيدة الفقيه البليــغ أبى الفضل القافية التى تقدمت قبل هــذا فأشار اليــه ، وعــول فى مطلع قصيدته هذه عليه ، وجعلها جوابا عمــا كنت خاطبته بــه قبل هــذا : (كــامل)

أهــدى سلام الودّ خيرُ حبيب   من عُــدَّ أوّل فــاضل وحسيبِ

أهـداه عبـد الله نـجل محـمَّـد فخر الزمانـ امام كـل اديـب
فأعادلي انساً مضى وافـادنـي بمُصَنَّـف من نَظمـه وغـريـب
وكـفايـة ابـدت فصيـح بيانـه برسالـة طُبعت عـلى التهذيـب
هي درة الغـوّاص جلت قيـمة ويتيمـة عـزّت لـدى التـقليب
حلت فجلت كـل هـمّ كان بي ودنـت فـأقصت زفرتي ولهيـبي
صدرت عن الفكر الصقيل عن الحجى عن صـدر حـبر بـالعلوم رحيـب
... كتبُه الاً الكتـائـب اقبلت تـرتـج بالترهيب والترغـيب
... تها الخلّ الرضا الاوفى الّذي ما نـأيُـه عـن خـلّه بـقريـب
... ـرك من رئيـس فـاضـل متيقّظ متحفّظ محـبوب
... مقداري ببعث قـصيدة هزّت لها الادبـاء عطف طَروب
... تها روح أتـى ذا كُربَة (١) ومـدامـة دارت عـلى شرّيـب
... رتُهـا كَـلَفـاً بها فلثمتُـها ولقيتهـا بالبشر والترحـيب
... اجتهدت اصبت في مدحي لكم بلسان صـدق خلّ عن تـكذيب
... بشرك والقريـض كـلاهـما اجرانـ جاءا لاجتهادِ مصيب
في ...ث ما تـهدونه من كتـبكم مسلاة قـلب ظـلّ في تـعـذيـب

---

(١) في نسخة « راح اتى ذاكدة »

لا تحسبوا انـي سلوت ودادكـم   في حـالـة الابعـاد والتـقريـبِ
اخذتْ على قلبي حقوقـك موثقاً   رعْـيٌ لـه يـبقى بقـاء عسيـبِ
فاحضر وغـبْ عني فودّكَ ثابت   ارعـاهُ فـيك بمحضر ومَغيـبِ
وإذا ذكـرْتك خاليـاً فكأنّـما   جمعتْ لـيَ الأفكارُ كـلَّ حبيبِ

فأجبته عن هذه القصيدة بقولي : (كامل)

ان أقْضِ من اسَفٍ فغير عجيب   فرطُ اشتـياق وابتـعاد حبيـبِ
ما قلت قد بَلِيَ التفرّق فانقضى   الاّ وجـدّده جديـد خطـوبِ
ولقد شجا نفسي واضرم لوعتي   واثـار اشجاني وهاج كروبي
برق بدا والليـل ارخـى سجْفـه   والبـدر شمّـر ذيلـه لغـروبِ
اجرى حديثَ القرب صادقُ فألهِ   ففهمته من لفظه المقلوبِ (١)
يا بارقاً اعدى (٢) الفؤاد بخفقه   وطوى الضلوع على لَظى ولهيبِ
الله والعهد القديـم ونسبـــة   يـرعى نسيبٌ مثلهـا لنسيـبِ
فلقد تشابهنـا انسكابَ مدامعٍ   ولزومَ سهْد واجتناب (٣) سهوبِ
ان انت جزت على ربوع احبّتي   فاشرح لهم شوقي وفرطَ وجيبي

(١) اى القرب مقلوب البرق
(٢) فى بعض النسخ « اغدى » وفى بعضها « اغذى »
(٣) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اجتياب »

واخصص ابـــا عبد الاله محمّدا بتحيّة كثنائه في الطـــيب
ابلغه ان القلب بعد بعـــاده لم يخل من حزن ولا تعذيب
ذا السيرة المثلى الّذي قد جلّ عن مثل يُرى فيها له وضريب
كم من يد اسدى التي على النوى لم يسله عن ذاك طول مغيب
متضمّنا نظما ونثرا أزريـــا حسناً بكلّ مُخيّل وخطيب
قد اودعت جمل المحاسن منه في لفظ وفي معنـــى وفي اسلوب
واراد مني ان اجيب وانـــه لمدى يقصّر عنه كلّ اديب
فاجبته ولو استطعت توقّفـــا فيما اراد لكنت غير مجيب
لكن لوازم حقّه وفروضه حكمت عليَّ بذاك حكم وجوب
فبعثته والخوف يُقصر خطوه يرنوا بلحظ للحيـــاء مريب

وكتب بعده أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البلوى المعروف بابن أبي سلام : (طويل)

سلام محبّ قد اتى طيّ طرسه وزارك عبدَ الله في ثوب نفسه (١)
فخذه عن الزاكى المحبّ لكم فقد عدته العوادي عن اداه بنفسه
وبلّغ الى المولى العماد تحيّـــة معطّرة تحكى طهارة قُدسه

(١) في بعض النسخ « لبسه » وهو حسن لازالة الايطاء

فاجبته عن ذلك : (طـويل)

اتى فأتى القلب (١) المشوق بأنسه نظام رأيت الدر في طيّ طرسهِ
كما (٢) زار حِبٌ عاشقا بعد بعده وعاد رجاء آملا بعد يأسهِ
كتاب أتى مَن لم يزل متشوّقا لاتيانه والدهر يقضي بحبسهِ
فقبّله تقبيل ذي كلف به ونقّله من راحتيه لرأسهِ
رعى الله من راعى ذمامي على النوى ومَنْ يومُه في الوُدّ لي مثل أمسهِ
أبا عابد الله الاجلّ الرضا الّذي سما قدرُه عن قدر أبناء جنسهِ
لقَد حاز أشتات الفضائل واكتسى ملابس حمد زانهنّ بلُبسهِ
إذا ضيّع العهد القديم مضيّعٌ وبـاع وداداً من أخيه ببخسهِ
فلابن ابي زاك عهودٌ زكيّة ترفّعن عن شك السلوّ ولَبْسهِ
ادام لهُ الله السيادة والعلا وبلّغه أقصى أماني نفسهِ

وكتب صاحبنا الاديب الفقيه البليغ المجيد أبو العباس أحمد ابن عبد الله الرصافى بهذين البيتين : (طويل)

سلام زكيّ يحسد المسكُ عرفه ودارينُ تهوى ان تمُرّ بدارهِ
يسير ويسري كي يوافى رضا ابي محمّد الأسنى بحسن بِدارهِ

---

(١) فى نسخة « اتانى فحيانى »
(٢) فى نسخة « فكم »

فكتبت الجواب عنهما : (طويل)

رعى الله مَن اجلو الـأسى بادكارهِ   ومن قرب آمالي بقرب مزارهِ
خليل رعى عهدي وإن اقصت النوى   دياري بماضي حُكمِها عن ديارهِ
اتى نظمُه صَبًّا به شيّقا الـه   يعاني الـأسى في ليله ونهارهِ
فاذهب عنه حزنه وأنالهُ   من البرّ والتأنيس فوق اختيارهِ
ومَن كابي العبّاس فضلا ووصفُه   يزيد على الاخبار عند اختبارهِ
فأسألُ ربّي أن يمنّ بقُربه   وينظم منّا الشمل بعد انتثارهِ

وكتب صاحبنا الفقيه الاديب أبو القاسم بن محمد بن الملجوم هذه الابيات : (بسيط)

اذكى السلام وازكاه واسراه   يعطّر العنبر الشحري (١) مسراه
يَمُرّ مرّ نسيمات الصباح على   ذاك المحيّا اعزّ الله محيّاه
من ذي وداد وذي شوق وذي كلَف   يحبّك(٢) الدهرَ يا من لنتُ انساه
بيني وبينك ودّ لم اخُنْه ابا   محمّد فارعه إنّي لَارعاه
نفسي فداك لئن شطّ المزارُ لقد   ادنتك من كبد المشتاق ذكراه
ولم اطق ذكرَ ما القاه من حرَق   ومن أسى فيك بَعد البُعد القاه

(١) وفي بعض نسخ « الندى »
(٢)في جميع النسخ « يحييك » ولا يستقيم عليه الوزن

لكن اعلل آمالي فأنشدها كم من امور صعاب فرج الله
فلا تزال تحياتي مرددة عليك ما رددت ذكراك افواه

فأجبته بقولي : (بسيط)

حيى الفؤاد على بعد فاحياه خل ابت غير حفظ العهد عُلياه
اهدى إلي سلاماً من لدنه فقد اهدى إلي الأماني حين أهداه
وقد كساني ثياب الانس ضافية طرس كسته ثياب الوشي يُمناه
دنا فادنى سرورا كان قبل نأى وصادف الحزن ذا قرب فأقصاه
قد ستوى الناس في استحسان جملته لما استوى لفظه حسنا ومعناه
يا غائبا حاضرا في حال غيبته فكلما شئت ان القاه القاه
اما الوداد الذي قررت صحته فإنني مثل ما تزعاه ازعاه
ما حلت عن حب من احببت منقلبا ولا نسيت هوى من كنت اهواه
فثق بود صحيح من أخ ثقة باق على حفظ عهد ليس ينساه
ودم ابا القاسم الاسنى حليف علا واسعد وفز واحو اقصى ما تمناه

وكتب الى الفقيه المتصوف الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن عمر ابن رأس الحجلة : (طويل)

احبة قلبي ذبت في حبكم وجدا ولم استطع للدمع صرفاً ولا ردا

وبين مكانينا من الرّمل والربى متالف يُعيي ما يقاد وما يُحْدَى

فهل تتأتى (١) من جنابكم الصبا فانشق من ارواحها المسك والندا

فمهدي بريّاكم (٢) وطيب نسيمها يعيش بها في الترب من سكن اللحدا

سلام على ذاك الجلال فإنني رايت سلام الله افضل ما يهدى

فأجبته عن ذلك : (طويل)

سلام يحاكي المسك في الطيب والندا على ماجد قد فاق اهل العُلا مجدا

حباني بطرس منه مشتمل على معان معال لست احصرها عدّا

فقرّر وُدًّا لم يزل متقررا واهدى من الإخلاص والبرّ ما اهدى

إذا الناس عُدّوا كان احلاهم حلى (٣) وافضلهم ذاتا واكرمهم عهدا

ادام له الله السيادة والعلى واصحبه التوفيق واليُمن والسعدا

ووقف صاحبنا الفقيه الافضل أبو عبد الله محمد الجزرى على ما كتب به الى هؤلاء الاخلاء فكتب الى فى أسفل كتبهم : (خفيف)

ايّها الماجد الرضا ان نظمي لست ارضى بان يحلّ لديكا

فعسى الفضل في القبول وفي الصفح اذا الصفح منك صار اليكا

وعليك السلام بدءًا وعودا ضعف ما سلّم الجميع عليكا

---

(١) فى جميع النسخ « تاتى » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) فى بعض النسخ « برؤياكم »

(٣) وفى بعض النسخ « اعلاهم علا »

فكتبت اليه : (خفيف)

ايّها الخلّ ان نظمك وافى   مبدياً ما من الوداد لديكا
فتامّل جواب خلِ مُحبِّ   فيك شاك نواك مثن عليكا
وعلى مجدك الصميم سلام   طيّب العرف قدرَ شوقي اليكا

وكتب الى فى شهر شعبان صاحبنا الفقيه الكاتب الاديب أبو عبد الله محمد بن يعيش بهذه الابيات مراجعا عما كنت كاتبته به قبل هذا : (كامل)

في القلب من الم الفراق كلومُ   فعذابه من اجل ذاك اليمُ
وللوعةِ الاشواق بين جوانحي   نار لها بمدامعي تضريمُ
جرّبتُ كلّ عظيمة حكمت بها   ايامنا ولصرفها تحكيمُ
فوجدته دون الّذي حكمت به   في المعلَوات وفي المكارم خيمُ
أأبا محمّد الّذي (١) ....   من بعد عبد الله فهو عظيمُ
اعلم فديتك انني مذغبت عن   عينيَّ لم يطرقهما التهويمُ
وافى جوابك لي فقمت مبادرا   للقائه ولمثل ذاك اقومُ
حاز الفضائل والمكارم طرسه   فعليه من حلل البهاء رسومُ
اهدى لقلبي كلّ ما احببته   فكانّما هو بالضمير عليمُ

---

(١) بياض فى جميع النسخ

بني وبين اكابر لك ذمّةٌ ... رعيي ورعيهم لها معلومُ
ومودّة الآباء يحفظ عهدها ... من كان ذا كَرَم ٍ وانت كريم
فالله يجمع شملنا بكم على ... خير ويُبقي عزّكم ويُديمُ
ومن اليعيشيّ السلام عليكم ... ما مال غصن حين هبّ نسيم

فراجعته بقولي : (كامل)

الم الفراق على النفوس عظيم ... من ذا بعبء الصبر فيه يقومُ
سلني بما أحببتَ من انبائه ... فلديّ قلبٌ بالشجون عليمُ
لله إخوان نعمتُ بقربهم ... زمنا وايّامُ الوصال نعيم
غاظ الزمان دنوّنا فاعاده ... بُعدا فشُتّت شملنا المنظومُ
لكنّها الاقدار تجري بالّذي ... شاء الإله وحسبنا التسليم
قسماً بما اضمرته من ودّهم ... انّي لقلبي بعدهم لرحيم
ولقد وجدت وقد فقدتُهم أسى ... صبري بحكم وجوده معدومُ
ومنعتُ جفني بعدهم سِنة الكرى ... أنى يكون لِهائم تهويمُ
ويظنّ من لم يدر مابي من اسى ... قلبي سليما منه وهو سليم
واشدّ من آسى بِفرقته ابو ... عبد الإله فقربه مغنومُ

فهو الّذي نازعته كأس الهوى — صرفا فلا لغو ولا تأثيم
ذو الفضل والعلياء والشيم التي — وجه الزمان بحسنها موسوم
ذات قد انتسبت بزاكي طبعها — للفضل فهو أخ لها وحميم
اخذ الوفاء سجيّة فضميره — ابداً على حفظ الوداد مقيم
ودليل صدق وداده كُتُبٌ له — يصل الوداد وصولها ويديم
ولرُبَّ نظم جاءني من نحوه — جمع الفضائل طرسه المختوم
وافى فقرّر (١) ذمّة مرعيّة — ورسوم ودّ عهدهنّ قديم
فالله يحفظ مجده وكماله — ويُنيله مــا يبتغي ويروم
وعلى علاه تحيّة لا ينقضي — منها ورود نحوه وقدوم
تسري معطّرة إليه كما سرى — سَحَراً على زهر الرياض نسيم

وكتب الى فى شهر رمضان بعده أيضا بعض أصحابنا الافاضل بقوله : (طويل)

تحيّة مشتاق تمرّ به الصبا — إلى ذلك المغنى الّذي به من اهوى
فتبلغ عنّي من أُحِبّ تحيّتي — وتشكو بطول (٢) البعد لو تنفع الشكوى

(١) فى بعض النسخ « يقرر »
(٢) فى بعض النسخ « تشكوه طول »

وتُعْـرِب عنها (١) في الغصون حمائم فتنعطف الاغصانُ من تحتها زهْوَا
أخُصُّ بهـا عبد الإله على النوى سراج بني تِيجانَ حقًّا بلا دعـوَى
وكلّهمُ نـور لِـأهـل زمـانهـم وأخبار أهل الفضل عنهـم غدت تُـرْوى
ارى امـدَ البـعد استطـال وعمرهُ توالى وأزجو أنّـه مُسْرِعا يُطْوَى
وما حال مقصوص الجنـاح وشوقه يطير به لو كان ينهضُ أو يقـوَى
عليك سلامٌ من محبّ هفتْ بـه نوازع شوق تيمّت قلبـه شجْـوَا

وفى شهر ذى القعدة وصل التعريف بوصول المشارقة الذين كنا ننتظرهم الى حضرة تونس ثم خروجهم منهـا صحبـة حصـة عينت لتشييعهم الى طرابلس ، فبنى مخدومنا على التوجه صحبتهم ، وكان وصولهم الى طرابلس فى أوائل شهر ذى الحجة ، وفى يـوم الجمعـة السادس والعشرين منه كان خروجنا من طرابلس فبتنـا بظـاهـر المدينة وودعت فى هذا اليوم شيخنا أبا فارس عبد العزيز بن عبيـد وأنشدتـه : (بسيط)

سقى ربوعـك يـا مغنـى طرابلس حيـاً يحيّيك منـه كلّ منبجسِ
فكم يد لك في تأنيس مغـترب شطّت به الدار عن أُنس وعن أَنَسِ
اقمتُ فيك على حكم النوى زمنـا كأنّني فيه للسـرّاء في عُـرُسِ

---

(١) فى بعض النسخ « عنى »

أثُوب من اهلك الغرّ الكرام إلى قوم أوافي لديهم كل ملتمَس
ما بين جِدّ وتأنيس بمثلهمــا نأى عن الخاطر استيحاشه ونُسي
لو لم يكن لك عندي في الزمان يد اثني عليك بها ما امتدّ في نَفَسي
إلاّ ملاقاة من حزتُ الفخار به عبدِ العزيز الامام العالم الندِس
محيي العلوم ومحظيها ومُبرِزها من حلْي الفاظه في احسن اللُبس
ومحرِز الشيَم الغرّ التى كرُمت فَفَاهَ بالمدح فيها كل ذي خرس
يجلو اذا اشكلت في العلم مسالة ذهنا يجَلّي سناه كل ملتبِس
نعمتُ من قربه لمّا اتصلتُ به بوقت انس من الأيّام مختلَس
والله يحفظــه غوثا لمستبق لكشف نازلة نورا لمقتبِس

وأصبحنا من الغد مرتحلين فنزلنا يومنا ذلك بتاجورة وهى قرية كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة ، وفى وسط هذا القصر حصن اقدم بناء منه يقال ان حميد بن جارية أبا الجوارى ابتناه وشارك فيه فى العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على اتمامه ، وهو الذى عمر هذه القرية ونقل أهلها اليها من أرض هنالك تعرف بارض عبد رب(١) وكان ابتداء عمارتها فى عام خمسين وخمسمائة ، وهم يدعون أنهم من العرب وينتسبون الى تميم ويذكرون أنهم سكنوا الارض المعروفة بارض عبد رب من حين

(١) فى بعض النسخ « بارض رب »

الفتح الاسلامى ثم نقلهم منها حميد بن جارية الى هذه القرية

وبتاجورة السفرجل الذى لا يوجد فى بقاع الارض مثله وليس يقرب منه الا السفرجل الموجود بنفزاوة وقد تقدم التعريف بذلك ،

والى تاجورة هذه ينسب صاحبنا الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد ابن عبد السلام الاموى التاجورى لزم سكنى طرابلس وهو أحد العدول المصدرين بها عارف بالتوثيق وعقد الشروط حافظ للاداب والتواريخ حسن الخط جدا ، ورد على تونس قبل هذا واجتمعت به فيها ثم اتصلت ملازمتى له بطرابلس مدة اقامتى بها ، مولده فى العشر الاواخر من رجب سنة خمس وثلاثين وتوفى رحمه الله بطرابلس فى هذا العهد الاقرب وذلك فى يوم الاربعاء السابع والعشرين من شوال من عام ثمان وسبعمائة .

وينسب أيضا الى تاجورة هذه الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحسينى التاجورى وله بطرابلس وجهاتها شهرة عظيمة ، وكنت أسمع أخباره من صاحبنا الفقيه أبى العباس وأتوهم أنه من اهل تاجورة ، ثم وقفت بعد ذلك على ذكره فى كتاب « كنوز المطالب » لابى الحسن على بن موسى بن سعيد(١) فنقلت هذا الفصل من كلامه فيه، قال : « اجتمعت به فى حصن الخليل عليه السلام ، وكان قد أطال السكنى به حتى عرف فى المشرق بالخليلى ، وانما يعرف فى المغرب بالتاجورى ، قال : وتاجورة بليدة فى شرقى طرابلس كان قد

---

(١) هو ابو الحسن على بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطى المتوفى سنة ٦٨٥

أطال المكث بها ، وهنالك جبال كان أهلها يتشيعون فيه بزكواتهم وهداياهم اليه يفعل فيها ما شاء فسعى به، وخاف ففر الى المشرق، قال وأنا رأيته بحصن الخليل وفى مصر وفى دمشق يقلب الطرف بين الخيل والخول ، ومائدته منصوبة للصادر والوارد ، وكان الناس يتعجبون من حديثه فى ذلك فبعضهم يقول انه يصنع الكيمياء وبعضهم يقول انه يصله من جبال تاجورة ما جرت به عادتهم وانهم ينتظرون أن يقيم بها دعوته، قال: وأخبرنى أن أباه خرج به من الكوفة وهو ابن سبع فدخل به الى المغرب وربى فى مراكش ثم انتقل الى تاجورة فسكنها ثم الى المشرق ، وكانت وفاته بدمشق فى سنة اثنين وخمسين وخمسمائة وأنشد مما انشده لنفسه قوله : (مخلع البسيط)

جربت في الارض كلّ حَيّ　　فلم اجد في الورى كريما
اظنّ ما في الطروس زورا　　عساه ان يسخي (١) اللئيما

وقوله ايضا : (طويل)

ألسْنَا بنى بنت النبيّ وعمّه　　وفي الذروة العلياء من آل غالبِ
ليوث ولكن لا تصاد بحيلة　　سيوف ولكن لا تَدين لضاربِ

وانتقلنا عن تاجورة يوم الاحد فنزلنا بموضع يعرف بغافق وهو

---

(١) وفى بعض النسخ « ينتج »

قصر خرب خال لا عمارة به ، ومنه يوم الاثنين الى وادى الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه فى شتاء ولا فى صيف ومبدؤه من الجبل قاطعا الى البحر لابد لكل مشرق يجعل الجبل يمينه أو مغرب يجعله يسرته (١) من قطعه ، وأصل مائه من عيون تنبع فى أثنائه تبتدىء من مسافة قريبة من الجبل فتجرى قليلا ثم تنقطع ثم تبتدىء بعدها عيون أخرى فينتهى ماؤها الى البجر ولا يعم الماء جميع الوادى الا فى وقت الامطار عند نزول السيول من الجبل

وفى عاليه عند سفح الجبل قصر يعرف بصيبار ـ بكسر الصاد المهملة تليها ياء معتلة ثم باء مفردة ـ وهو معمور وكان نزولنا من هذا الوادى فى أسفله بمقربة من البحر وعلى مسافة يسيرة من هذا المنزل الذى نزلنا به ، بينه وبين البئر المعروفة ببئر طشانة ـ بضم الطاء المهملة وتشديد الشين المعجمة ـ قبر يعرف هذا الموضع به فصار القبر اسما علما له وهو لرجل من العرب ثم من دباب ثم من بنى عيسى منهم، واسمه شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وكان هذا الرجل ذا رئاسة فى قومه وصيت بعيد واشتهر بالكرم فلم يذكر معه فى وقته غيره وفيه يقول شاعر العرب : (طويل)

حَمى الارض شهوان بن عيسى بن عامر

وعِرْض الفتى إن ضيّع المجد تالفُ

---

(١) وفى بعض النسخ « ميمنة » و « ميسرة »

والاعراب الان اذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره فنادوا : يا شهوان اقر أضيافك ، فيذكرون أنهم لم يبيتوا قط دون عشاء اما بصيد يتاح لهم أو بضالة يلقونها أو بغير ذلك وهذا أمر حدثني به جماعة منهم وهو مشابه لما يذكره المؤرخون عن حاتم الطائي أنهم كانوا ينزلون بقبره فيقريهم وفي ذلك يقول الشاعر يمدح عدى بن حاتم : (طويل) (١)

ابوكَ ابو سَفَّانَةَ الخَيرُ لم يزل   لَدُنْ شَبَّ حتى شاب في الخير راغبا
قرى قَبْرُه الاضيافَ إذ نَزلوا بِه   وَلم يقْرِ قبرٌ قَبْلَهُ الدهْرَ راكِباً

وحكى أبو عبيدة قال: نزل أبو الخيبرى فى نفر من قومه بقبر حاتم فجعل يناديه: يا أبا عدى اقر أضيافك، فقال له قومه فكيف تنادى رمة بالية فقال ان طيئا تزعم أنه لا ينزل به أحد قط الا قراه فناموا فانتبه أبو الخيبرى مذعورا ينادى وا راحلتاه ، فاستفهمه أصحابه عن أمره فقال : خرج حاتم بالسيف وأنا أنظر حتى نحر راحلتى فنظروا الى راحلته فاذا هى تتشحط فى دمها(٢) فقالوا له : قد والله قراك، وأخذوا يأكلون من لحمها ما شاؤوا ثم ارتحلوا صباحا فنظروا الى راكب يقود بعيرا وهو يسأل عن أبى الخيبرى فتعرض له أبو الخيبرى فقال له: « أنا عدى بن حاتم وان حاتما أتانى الليلة فذكر أنك استقريته وهو

(١) راجع ديوان حاتم (طبع ليبزيك) ص ١١
(٢) فى بعض النسخ « فى دمائها »

ينشدك (١) (متقارب)

ابـا الخَيْـبَريّ وانت امرؤٌ   لَـؤُومُ العشيرة ظـلّامـها
اتَيت بصَحْبِك تَبْغي القِرَى   لدى حفرة صَدحَتْ هامها
أتـبغى لِيَ الذَمَّ عندالمَبِيتِ   وَحولِي طَيٌّ وَانعَامُها
وانّـا لَنُشبِـعُ أضيافَـنا   ونَأْتِى المطيَّ ونَعْتَامُها

وقد أمرنى أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه ،

وانتلقنا من وادى الرمل يوم الثلاثاء فنزلنا بالعين المعروفة بعين(١) تامدنت - بالتاء الصحيحة المثناة وبكسر الميم وكسر الدال المهملة وسكون النون - وهى عين متسعة عذبة الماء يتضمنها (٣) واد متسع يشتمل على غابات مشتبكة من الابا والقصب والى جانبها أحساء ماء تشابهها فى العذوبة، فأقمنا عليها يومنا ذلك ومن الغد، واستهل علينا شهر المحرم مفتتح عام تسع وسبعمائة ونحن مقيمون بها

ثم ارتحلنا عنها صباح يوم الخميس الثانى لشهر المحرم فسلكنا بين غيطان وأودية قد عم قاعتها الشجر المعروف بالعشر وهو شجر ناعم النبات شديد الخضرة يضرب الى سواد ما ، وهو ينبت صعدا وله أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر كنوار الدفلى وثمره أخضر كالاترج تملا الواحدة يد حاملها وهى مملوءة بشىء يشبه القطن

(١) راجع ديوان حاتم ص ١١ وص ٩٣ - ٩٤
(٢) فى بعض النسخ بغير « عين »
(٣) فى بعض النسخ « ينتظمها »

تسميه العرب الخرفع - بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الفاء - ربما حشيت منه المرافق والوسائد ، وأخبرني من أثق به أنه رأى ثيابا صنعت منه

وأنشد أبو حنيفة قول الشاعر وشبه به لغام ناقته : (بسيط)

يضحي على خطمها من فرطها زَبَدٌ كأنّ بالرّسَ منه خرْفعا نُدِفَا (١)

ولذي الرمة في مثله (٢) (طويل)

تطير اللُّغامَ الهَيَّبَانَ كأنه جنى عُشَرَ تنفيه اشداقها الهُدْلُ

الهيبان الخفيف المتناثر ، وعود العشر خوار ضعيف أجوف مستو ، ولذلك تشبه به العرب سوق النساء واذرعهن قال طرفة (٣) (طويل)

كأنّ البُرِينَ والدمالِجَ علّقت على عُشر او خِرْوَع لم يُخضّد

البرين الخلاخل ، واحدتها برة

وقال ذو الرمة في مثله (٤) (طويل)

كأنّ البُرَى والعاج عيجت متونه على عشر نهى (٥) به السَّيلَ ابطح

والعشر لا ياكله حيوان ، وفي ذلك وفي خضرته ونعمة نباته قال عوف (٦) (كامل)

هَلا فوارسَ رَخرحانَ هجوتَهُمُ عشَراً تناوَحُ في سَرارة وادي

(١) اورد صاحب اللسان هذا البيت في الجزء ٩ ص ٤٢٢ برواية اخرى
(٢) راجع ديوان ذي الرمة (طبع كنبريج) ص ٤٥٨
(٣) راجع معلقة طرفة (بيت ٦٠)
(٤) راجع ديوان ذي الرمة ص ٨١
(٥) وفي بعض النسخ « نهس »
(٦) راجع كتاب الاغاني ج ١٠ ص ٣٢ واللسان ج ٣ ص ٢٧٢ (برواية اخرى)

لا تاكل الابل الغراثُ نباته وعماده لا يجتنَى (١) لعمـاد

تناوح أى تتقابل ، وسرارة الوادى وسطه وهو شجر كثير التيوع وليس شيء من النبات على اختلافه أكثر لبنا منه ويجنى منه المغافير واحدتها مغفور وهو صمغ حلو كريه الرائحة يقال له سكر العشر ، وفى الحديث : أكلت مغافير ، وهو من هذا ولا تكون المغافير الا فيه وفى العرفط والرمث والثمام ، والثمام أكثرها مغافير ، وليس فى كلام العرب مفعول بضم الميم الا مغفور هذا ، ومغرود بالغين المعجمة لضرب من الكمأة ، ومنحور لغة فى المنحر ، ومنابت العشر القيعان وبطون الاودية وقد ينبت بالرمل قال ابن البيطار فى أدويته : ولم أر شيئا منه فى بلاد الاندلس وأول ما وقفت عليه بظاهر طرابلس الغرب بالجهة الشرقية منها يشير الى هذا الموضع ، ثم قال بعد ذلك : رأيته بديار مصر بظاهر القاهرة ، انتهى كلامه

وكانت العرب تستجلب المطر اذا احتبس عليهم بشجر العشر هذا، وذلك ضرب من السحر ، يعمدون الى شجر العشر وشجر السلع بفتح السين واللام فيأخذون منهما أغصانا يجعلونها فى أذناب البقر ويشعلون النار فيها ثم يصعدونها الى الجبل فيزعمون انهم يمطرون من وقتهم ، وقد اشار الى ذلك أمية بن أبى الصلت فى قوله : (خفيف) (٢)

---

(١) فى نسخة « ينتحى »

(٢) راجع ديوان امية بن ابى الصلت ص ٤٥ وكتاب شعراء النصرانية للاب لويس شيخو - ج ١ - ص ٢٣٦ - ٢٣٥

سَنَـةَ أزْمَـــةٌ تـخيَّــلُ بالنـــاسِ تـرى العِضاهِ منهـم صريـرَا
لا عـلى كـوكـب ينوءِ ولا ريـــح جـنوب ولا تـرى طُـخـرورا
ويسوقون بـاقرِ السَهْل للطَو د مهازيـلَ أوشكت ان تبورا
عاقدين النيرانَ في ثُكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا
سَلَعـا مّـا ومثله عشرا مّــــا عائلا مّـــــا وعـالت البيقورا

تخيـل بالنـاس أى تطمعهم فى المطـر ، والطخـرور القطعـة من السحاب بالخـاء المعجمة وبالحـاء المهملة ، والبيقور جماعـة البقر

وقال الشاعر يعيب عليهم فعلهم هذا : (بسيط)

لا دَرَّ دَرُّ رجال خـاب سعيهم يستجلبونَ نزول الغيث بـالعُشَرِ
أجاعلٌ انت بيقورا مسلَّـــــعة وسيلـة لـك بين الله والمَطَرِ

ونزلنا يومنا ذلك بالعين المعروفة بعين فارة ، وهـذه العين أعـذب من الاولى وهى بـواد حسن المنظر شارح للنفس ، وقبلهـا (١) عين اخرى جارية الا انها أضعف جريا منها يجرى ماؤها فينتهى الى هذه العين وتجتمع منه بركة ماء متسعة قد ظللتها غابـة مشتبكة من شجر العرعر والضرو والخروع وغير ذلك ، ثم يجرى الماء من تلك البركة

---

(١) وفى بعض النسخ « وقبليه »

جريا قويا ينتهي الى البحر ولا يجرى الماء فى أعلى هذا الوادى الا فى وقت الامطار ، وهنالك القصر المعروف بقصر فارة سمى باسم قوم من البربر سكنوه يعرفون ببنى فارة وبهم سميت العين ، وهو الان خال لا عمارة به ، ويقابله من أعلى الوادي القصور المعروفة بقصور الورانيز - بالراء والنون والزاى - وهم قوم من هراغة نزلوا بتلك القصور قديما فأجلتهم العرب وأخلتها منهم فانتقلوا منها الى أرضهم المعروفة بهم التى بين تاجورة وطرابلس والقصر المعروف ببنى خيار ، وهو أيضا خال خرب أجلت العرب أهله فانتقلوا الى المحرس بين قابس وصفاقس وقد تقدم ذكر ذلك عند ذكرنا للمحرس.

وعرض لى فى هذه الايام عارض مرض رجوت أن يهون أمره فاشتد ، ورمت أن يقصر أمده فامتد ، وبلغ منى فى هذه المنزلة أشد مبلغ ، فأقام مخدومنا والشارقة وجميع الركب بسببى هنالك خمسة ايام رجاء أن أجد ابلالا ، أو أطيق معهم ارتحالا ، فلم تسعف الاقدار بذلك ، فعزم على مخدومنا فى الرجوع من هنالك ، فلم أطب بذلك نفسا وأظهرت تجلدا وقوة تكلفت بها الارتحال معهم، فنزلنا بالعين المعروفة بعين ودرس - بكسر الواو وسكون الدال المهملة وكسر الراء - وهكذا تنطق العرب بها والبربر يلحقون هذه اللفظة تاء ساكنة(١) على ما هو المعروف من كلامهم ، وأمام هذه

(١) فى بعض النسخ بزيادة « فيقولون تودرست »

العين على اميال يسيرة منها القرية المعروفة بغانيمة ـ بالغين المعجمة والنون ـ وهى الان خالية لا عمارة بها وبها قبر الشيخ الفقيه أبى الحسن على بن محمد بن المنمر وقد تقدم ذكره وسبب سكناه فى آخر عمره بهذه القرية الى أن مات بها ، والناس الى الان يزورون قبره ويتوسلون الى الله سبحانه عنده ، ويذكر أهل تلك الجهات أن كل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فانها لا يتعدى عليها فهم لا يزالون ينقلون ترابه فيجدده من يقصد الاجر من أهل تلك الجهات أو من المجتازين عليه

فأقمنا بهذه العين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بعده والعلة التى عرضت لى كما تقدم فى ابتداء حدتها ومنتهى شدتها وعجزت بالجملة عن الركوب فلم يكن بد من الرجوع واعتذر لى مخدومنا بان الموضع لو احتمل الاقامة أكثر مما أقام به لاقام الى أن أجد الزاحة ، فودعته فى هذا اليوم وهو يوم عاشوراء وانقلبت راجعا ، وكانت الحصة الواصلة من الحضرة صحبة المشارقة بانية على الوصول الى مسراتة فرجعت من هذا الموضع بسببى ، ونزلنا فى هذا اليوم بالبئر المعروفة ببئر ينوت ـ بضم الياء المعتلة وبالنون والتاء الصحيحة المثناة ـ وهى بئر معينة عذبة بسفح جبل عال ومنها يبتدىء المشرق فى قطع الشعراء المعروفة بشعراء قماطة وكانت طريقنا فى هذه المرحلة متعالية عن طريقنا الاولى الى جهة الجنوب

وانتقلنا من البئر المذكورة يوم السبت الى الحصن المعروف بحصن سلمة وهو من أرض مسلاتة فرايت ملجأ ، يذكر سلمى وأجأ ، وهو على أعلى جبل وقد دارت به دور كثيرة ، وتحف بهذا الجبل مغارس زيتون وكرم ومزارع وهى كلها فى ثنايا واودية بين جبال وعرة ، وتحت هذه القرية فى قاعة مستوية قرية صغيرة تعرف بتاغرمت - بكسر الغين المعجمة وكسر الراء - وبها مبانى ضخمة بالنسبة الى تلك القرى ، وشرب جميعهم من أجباب مملوكة لهم تملاها السيول المنحدرة من تلك الجبال فى أوقات الامطار ، وما وراء هذه الجبال من قبليها يسمى بالظاهر ، وما بين يديها من جهة البحر يسمى بالباطن .

فأقمنا بظاهر هذا الحصن ستة أيام آخرها يوم الخميس السادس عشر الى أن وجدت خفة من المرض ، وارتحلنا غدوة يوم الجمعة السابع عشر مغربين آخذين ذات اليمين مما يلى باطن الجبل فقطعنا هنالك فى اول المرحلة القاعة المعروفة بقاعة شنيكس - بكسر الشين المعجمة وكسر النون وسكون الكاف وبالسين المهملة آخرا - وبها أشجار زيتون متفرقة من بقايا الغرس القديم الذى كان هنالك قبل الاسلام وهى مثمرة الى الان ، وامتد السير بنا الى وادى الرمل فكانت هذه المرحلة مشتملة على اربع مراحل مما تقدم لنا فى المسير .

ومنه يوم السبت الثامن عشر الى طرابلس واشتملت هذه المرحلة

أيضا على ثلاث مراحل مما تقدم ، فأقمت بطرابلس خمسة ايام آخرها يوم الاربعاء الثانى والعشرين منه ، ثم خرجنا عنها فنزلنا يوم الخميس بزنزور فأقمنا بها يومنا ذلك ويوم الجمعة بعده ، ومنها يوم السبت الى صرمان وقد ذكرت قبل هذا وعلى هذه القرية غابة زيتون ممتدة وبها قصر كبير يأوى اليه أهلها وقد حف به حفير متسع وابتنيت فى أسفل الحفير دور كثيرة لا تسكن الا فى وقت الامن فاذا خافوا دخلوا الى الحصن

ومنها يوم الاحد الى حصن تليل وقد تقدمت الاشارة اليه ، ومنه يوم الاثنين الى قرية ولول وقد ذكرت ، ومنها يوم الثلاثاء الى وطن وقد وصفناها قبل فأقمنا بها ثم ارتحلنا مقربين لمرحلة الغد بعد أن احتملنا ما يكفينا من الماء فبتنا بالمرسى المعروفة برأس المخبز وقد وصفناه قبل هذا

وارتحلنا منه يوم الاربعاء فانتهينا الى البئر المعروفة ببئر الزكرة فبتنا عليها ، ثم ارتحلنا عنها يوم الخميس غرة صفر فنزلنا على المورد المعروف بخنافس وارتحلنا منه فانتهينا الى المورد الاخر المسمى بنبش الذئب فلم نجد فيه ماء ولم نحتج اليه لاننا كنا احتملنا معنا من الماء ما كفانا عنه ، ووجدنا على هذا المورد ركبا صغيرا قد وصل اليه قبل وصولنا بأيام يسيرة فلم يجدوا به ماء فهلكوا هنالك جميعا ، فبتنا حيث ذكر ثم ارتحلنا من الغد فوصلنا الى أجاس وقد تقدم

ذكر هذه القرية ، ومنها يوم السبت الى واد يعرف بوادى الزركين - بفتح الزاى وسكون الراء وكسر الكاف - وهنالك سوانى(١) لبعض المرابطين تسقى من آبار هنالك عذبة ، ومنه يوم الاحد الى قابس فنزلنا برياضها المنسوب(٢) الى عروسيها وأقمت بها يوم الاربعاء السابع لصفر .

وفى يوم الخميس الثامن منه كان ارتحالى عنها ، وتاخرت الحصة عنى من هذه المنزلة منفصلة الى البلاد الجريدية وكان النزول فى هذا اليوم بالمباركة وقد ذكرت قبل هذا ، ومنها يوم الجمعة الى المحرس وقد ذكر أيضا ، ومنه يوم السبت الى صفاقس وقد استوفينا الكلام عليها ، ومنها يوم الاحد الى قرية تعرف بحجاى وهى قرية صغيرة على نحو هذه القرى الساحلية .

ثم منها يوم الاثنين الثانى عشر لصفر الى المهدية فرأيت مدينة جليلا قدرها ، شهيرا فى قواعد الاسلام ذكرها ، وهى بناء عبيد الله المهدى أول خلفاء العبيديين واليه تنسب ، وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلت من ذى قعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، ولما اكمل بناءها أمن بزعمه على الفاطميات قال أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : « خرج عبيد الله المهدى بنفسه فى سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس فاجتاز على قرطاجنة

---

(١) كذا فى جميع النسخ
(٢) كذا فى جميع النسخ

وغيرهما ومر على جميع السواحل يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده ، وقد كان عنده علم حدثانى بقيام قائم على ذريته فأقام يلتمس ذلك مدة فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موضع المهدية فبناها هنالك وجعلها دار مملكته» قال «وكان أول ما ابتنى منها سورها الغربى الذى فيه أبوابها وعند ما وضع أول حجر منه وهو حاضر أمر ناشبا كان بين يديه أن يوتر قوسه ويقف على ذلك الحجر ويرمى سهمه ففعل الرامى ذلك فانتهى السهم الى المصلى ووقع قائما على نصله فقال المهدى الى ذلك الموضع ينتهى صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فقدر أن وصل أبو يزيد الى ذلك الموضع ولم يتجاوزه »

قال معلم الفتيان(١) فى تاريخه : وأمر المهدى بقياس مسافة هذه الرمية فكانت مائتى ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا فقال المهدى : هذا منتهى ما تقيم المهدية فى ايدينا من السنين ، قال : ولما تم بناء السور هنأه أولياؤه بذلك فقال لهم : « ان جميع ما ترون انما عمل لساعة واحدة يعنى ساعة وصول أبى يزيد الى المهدية، قال: وكان يقف على فرسه فيأمر الصناع بما يصنعون ، قال : وامر بعمل باب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة ثم أثبتت فيها المسامير فبقيت تتقلقل فقال للصناع: ما عندكم فى هذا؟ فقالوا: لا ندرى، فأمرهم بتسميرها كذلك ثم أمر بايقاد النار تحت الباب كله حتى التهب واتصلت المسامير

---

(١) لعله محرز بن خلف المعلم المتوفى سنة ٤١٣

بالصفائح فعادت كلها قطعة واحدة ، فكان ذلك مما عد من معارف المهدى . ، وهذا تعصب ممن نقله وأدنى معرفة الصناع ان يعرفوا هذا القدر ان كان صحيحا

ولما تم الباب على هذه الصفة أحب اختبار وزنه فكلهم أخبره أن لا سبيل الى ذلك لافراط ثقله فأمرهم أن يضعوا احدى مصراعيه(١) على ظهر سفينة ففعلوا ذلك ونظر الى منتهى غوص السفينة فى الماء ثم أنزل وشحنت السفينة بالرمل والحجارة الى أن وصل منها ما وصل اولا واستخرج الرمل منها فوزن على كرات فكان وزن كل مصراع مائة قنطار ، وفى كثير من نسخ المؤرخين الف قنطار وكذا حكى أبو عبيد فى « المسالك » ولما علموا قدره وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه واغلاقه فلم تكن المائة من الرجال تستطيع ذلك فأمر المهدى أن يكون مداره على الزجاج فهان أمره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كانت المائة تعجز عنه ، فعجب من هذا كله من (٢) فطنة المهدى ونفوذ فكرته

وأمر المهدى بحفر مرسى المدينة وكان حجرا صلدا فنقر نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية ، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى من دخول مراكب الروم(٣) وابتنى دار الصناعة

---

(١) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « احدى مصاريعه »

(٢) فى بعض النسخ « ومن »

(٣) فى بعض النسخ من « طروق مراكب الروم »

وهى من عجائب الدنيا ، ثم شرع فى حفر الاهراء بداخل المدينة وبنى الجباب والمصانع واختزن الاهراء بالطعام وملا الجباب بالماء ثم أمر بحفظها ولم تفتح الا فى أيام ابى يزيد ولولا ذلك لما أطاقوا الحصار ، وكان اتساع المهدية فى أول بنائها من الجوف الى القبلة قدر غلوة سهم فاستصغرها المهدى عند ذلك فردم من البحر مقدارها وأدخله فى المدينة فاتسعت ، والجامع الاعظم الان والدار المعروفة فى القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم من البحر

واخذ عبيد الله فى بناء قصوره بها فبنى قصره الكبير المعروف به الذى كانت به طيقان الذهب ، وبنى ابنه ابو القاسم بازائه قصره المعروف به ايضا وبينهما فسحة ، وبشرقى قصر عبيد الله حيث كان هى دار الصناعة الان

ولما كمل سور المدينة وقصورها أراد عبيد الله الانتقال اليها فثقل ذلك على أوليائه وجنده وصعب عليهم استبداله بالموضع الذى استوطنوه ، فقال لهم : ان صعب ذلك عليكم فنحن ننتقل وتتركم هاهنا ونجرى عليكم الارزاق والصلات وعما قليل ستنتقلون الينا مسارعين ، قال المؤرخون فلم يكن بعد ذلك الا زمان يسير حتى أرسل الله السماء بامطار غزيرة أخربت مساكن رقادة وأهدمت دورها وأهلكت خلقا عظيما من أهلها فخرج الناس فى الاخبية والفازات ، وكتبوا الى المهدى يسألونه الانتقال الى المهدية فأجابهم الى ذلك فانتقلوا اليها وتمت عمارتها

وقالت الشعراء فى تهنئة المهدى بها فأكثروا ، ومما استحسن فى ذلك قول ابن بديل الكاتب : (كامل)

بُنِيت لَدَى اقصى المغارب دار قطنت بها الاحرار والابرار
لاذتِ ببرد الماء لمَّا ان درت ان القلوب على الحسين حِرَار

وأنزل المهدى جنده وخاصته فيها وابتنى لعامة الناس المدينة الاخرى المسماة بزويلة وهى احدى المدينتين وبينهما قدر غلوة سهم وجعل الاسواق والفنادق فيها وادار بها خنادق متسعة تجتمع بها مياه الامطار ، فكانت كالربض لمدينة المهدية ، وقد كان المعز بن باديس جعل عليها سورا عند دخول العرب الى أرضه سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وقد خربت هذه المدينة الان فلم يبق لها أثر ، وكان بخارجها الحمى المعروف بحمى زويلة وكان كله جنات وبساتين بسائر الثمار وأنواع الفواكه فأفسدته العرب كما تقدم

وأقام المهدى ساكنا بمدينة المهدية مدة حياته ثم مات بها سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ، فولى ابنه ابو القاسم القائم ففى آخر دولته ثار عليه أبو يزيد مخلد بن كيداذ النكارى وقد قدمنا فى هذا التقييد صدرا من حروبه معه ، فما زال يفتتح المدن ويخرب البلاد الى أن افتتح القيروان وهزم جيش القائم الاعظم ، وأقبل يريد حصار المهدية وكتب الى أهل البلاد الداخلين تحت طاعته يستنفرهم لحصار المهدية وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، فعلم القائم بذلك

فأمر بحفر خندق حول أرباض المهدية وزويلة ، ووصل أبو يزيد فى جيوشه فأحاط بالمهدية وكان جيشه بموضع يعرف بخربة جميل على أميال قريبة منها ، فكانت خيله تصل الى أرباضها فتقتل وتنهب فلجأ جميع الناس الى المهدية واخلوا أرباضها

وأبصر القائم ذات يوم غرة من أبى يزيد لتفرق أكثر جيشه للنهب فأخرج طائفة من جند الكتاميين وغيرهم فقصدوا أبا يزيد وسبق الخبر بذلك الى أبى يزيد فوافق وصول ابنه فضل اليه بجمع عظيم من ضريسة فأمرهم بلقائهم وأن يكف عن قتالهم ما كفوا عنه فان أبوا الا قتاله وجه اليه من يعلمه بذلك فالتقوا بالموضع المعروف بسوق الاحد وهو فيما بين المهدية ومعسكر أبى يزيد وسطا ، فأبى الكتاميون الا قتال فضل فوجه الى ابيه يعلمه بذلك فركب أبو يزيد من حينه بجميع من معه فوافاهم وهم يقتتلون وقد هزم ابنه فضل وقتل جماعة من أصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهدية فدخلوا اليها .

ووصل أبو يزيد فى اثرهم الى أن اشرف على المهدية فأحب نقل فازاته الى موضعه ذلك ، فأشار عليه أصحابه بالرجوع الى معسكره وان تكون اقامته به الى أن يستقصى الامور فرجع اليه وأقام هنالك أياما ثم انتقل منه وزحف الى المهدية فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم ، وجيوش القائم فى ذلك كله

متقهقرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه فى تلك الحظرة الى مصلى المهدية فلم يبق بينه وبين المهدية الا رمية سهم حسبما انذر به المهدى عند بناء سورها ، فلما رأى الناس ذلك لم يشكوا فى تغلبه على المهدية ، فاجتمعوا الى القائم وعظموا له الامر وسألوه الخروج الى أبى يزيد فقال لهم : انه قد بلغ الى أقصى غايته ولن يتجاوزه ولينجزن الله وعده ، ثم قال لبعض من بين يديه : اصعد الى السور فاذا رأيت ابا يزيد انتقل عن مكانه من المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما أمر به ، ولما أشار لهم قال لهم القائم : أبشروا فلن يعود أبو يزيد الى مكانه ذلك أبدا ، وانتقل أبو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة أميال من المهدية فعسكر هنالك ، واتصل حصاره لها فقتل بين الفريقين فى ذلك على توالى الايام أمم لا تحصى أكثرها من جيوش القائم

وذكر البكرى أن فى كتاب الحدثان : « اذا ربط الخارجى خيله بترنوط، لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط » أهل السواد أهل الساحل قال وفيها أيضا : « ويل لاهل السواد ، من محلة ابن كيداد » ويقال من مخلد بن كيداد(١)

ولما طال على جند أبى يزيد المقام وسئموا التغرب على بلادهم وتحققوا حصانة المهدية وامتناعها عنهم انفصلوا عن أبى يزيد

(١) راجع المسالك والممالك للبكرى « طبع الجزائر » ص ٣١

بأجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هوارة وزناتة ، فحينئذ أقلع عن المهدية وذلك فى صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ومات القائم فى آخر هذه السنة وأبو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذكر ذلك قبل هذا

فولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور ، فبادر بانفاذ جيش برى وجيش بحرى الى أبى يزيد بعد أن أحب النهوض بنفسه فمنعه أولياؤه منه ، فتوجهت جيوشه الى سوسة وكان ما أخذه التحصيل من جند أبى يزيد المحاصرين لها حسبما قدمنا قبل هذا مائة الف خص يسكن فى الخص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ، وكان جيش القائم البرى أربعمائة فارس لا تزيد على ذلك فهجموا على عسكر أبى يزيد فى يوم كثير الغيم وأطلقوا النار فى مجتمع حطب كان هنالك فتطاير شرارها الى أخصاص أبى يزيد فأظلم الجو وتخاذل البربر وانهزموا واسلموا أبا يزيد، فقتل من أتباعه أمم كثيرة وتوجه أبو يزيد منهزما الى القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من أصحابه فهرب عنهم

وخرج المنصور من المهدية فى طلبه بشجاعة قوية قال المؤخون ، فلم يزل يهزمه ويقتفى أثره الى أن أخذه جريحا فى جبل كيانة(١) وذلك فى شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فسلخ جلده وجعل فيه ما ملاه حتى عاد صورة هائلة فطيف به من جبال صنهاجة

---

(١) فى بعض النسخ « كياتة » وفى بعضها « كتامة »

بالمغرب الأوسط الى المهدية (١) ثم صلب بهـا الى أن مزقته الريـاح بعد ان مزق شمل العالم فى البلاد ، وكـان يبيح دم أهـل القبلـة ويستحل الفروج ويفعل فى الاسلام أشد مما يفعل فى دار الحـرب

ولما تم للمنصور أمره ولم يبق له من ينازعه أحب الانتقـال من المهدية الى مدينة صبرة وهى ملاصقة للقيروان، وقد كان بنى سورها وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقالـه اليهـا أول سنة سبع وذلـك أصل تسمية صبرة بالمنصوريـة ، ولم تـزل صبرة دار ملكهم الى أن انتقلوا الى مصر فتغلب المعز ابنه عليها سنة اثنين وستين وثلاثمائة ، فصير ولاية افريقية الى زيرى بن مناد الصنهاجى، فسكنها هو وبنوه الى أن خالف المعز بن باديس على بنى عبيد وصرح على المنابر بلعنهم وذلك سنة اربع وأربعين واربعمائة ، فجهز اليـه وزيـرهم المعروف باليازورى الاعراب الذين غلبوه على امره وأخذوا أكثر بـلاده من يده ، وقد تقدم بسط ذلك كله والاشارة الى بعض حروبهم معه فى أثناء هذا التقييد

فلما رأى المعز اختلال الاحوال وتغلب الاعراب على البـلاد علم أن صبرة لا تحصنه منهم ، فبنى على الانتقال الى المهديـة فولى ابنـه تميما عليها وذلك سنة خمس وأربعين وجعل ينقل اليها أهله وذخائره شيئا فشيئا ، وقد كان رجاله وخاصته حذروه من تـولية ابنـه تميم وخوفوه أن يستبد بنفسه ويمتنع بالمهدية على أبيـه فلم يسمع منهم ،

(١) وفى بعض النسخ « الى وسط المهديـة ».

ووصل تميم الى المهدية فوجد بها عبيدا لابيه قد كان أعدهم هنالك لضبطها قد قويت شوكتهم وكثر ملأهم فوقعت بينهم وبين عبيده فتنة ومنازعة ، فبينما هم فى ذلك اذ دخل عليه شاعره محمد بن حبيب القلانسى فأنشده قصيدة منها : (بسيط)

السيف يسبق قبل الحادث العَذَلا   لا تُغمِد السيف حتّى تقتل السَفِلا
نقِّلْ عُداتك من دنيا لِآخرة   فكلّهم ظنّ هذا المُلك مُنْتَقِلا

فحركه لابادة أولئك العبيد فأطلق عليهم أيدى العامة فقتلوا أكثرهم وفر من بقى منهم الى المعز بصبرة فأتبعهم تميم طائفة من الاعراب لحقوهم قبل وصولهم الى صبرة فقتلوهم أجمعين ، وبلغ المعز ذلك فقوى فى نفسه ما كان يذكر له عن تميم من الاستبداد والاستئثار بما حصل لديه من الذخائر ولكنه لم يجد بدا من مداراته والاغضاء له عن فعلته هذه .

فلما كانت سنة تسع وأربعين توجه المعز الى المهدية فى خفارة رجلين من العرب قد كان صاهرهما ببنتيه يعرف أحدهما بالفضل ابن أبى على وهو مرداسى ، ويعرف الاخر بفارس بن أبى الغيث توجها اليه فاستخرجاه من صبرة سرا ، وأحس باقى الاعراب بخروجه فلحقوه فى أثناء الطريق فوافقهم فارس بن أبى الغيث فى جماعة من قومه وجعل يؤنبهم على الاستخفاف بخفارته ، فقالوا له انك قد أعظمت التحامل علينا فى خفارة مثل المعز وتركنا له عظيم والفائدة

فى أخذه كبيرة فلا تمنعنا منه ، فلم يزل يـواقفهم ويراجعهم الى أن خلص المعز وصاحبه الفضل بن أبى على ودخل المهدية ، ويقال انـه قد كان أخرج بعض قطعه البحرية وسيرها فى البحر محاذيـة لـه خوفا مما عساه أن يعرض له فى طريقه ، فلما لحقه الاعـراب كمـا قدمنا ناداه أرباب القطع بالبدار اليهم ليعتصم بالبحـر من أولئـك الاعراب فلج فى السير وأبى من الدخول اليهم أنفة منه وجلدا الى أن خلص وحصل بالمهدية . ودخلها وهو خائف من ولـده تميم ان يقبض عليه، فخرج تميم لتلقائه وترجل وقبل الارض بين يديه ومشى أمامه ولم يزل فى خدمته وبره الى أن مات المعز سنة أربع وخمسين ، فحينئذ استبد تميم بالملك وغلبه الاعراب على أمره فلم يكن لـه الا ما ضمت(١) أسوار بلده خلا أنه كان فى بعض الاحـايين يحـالف فريقا من الاعراب فيجد السبيل بذلك الى الخروج لقتال من يقصده وحصار من يثور عليه ببلد من بلاده ، وقد قدمنـا أن حمـو بن مليل البرغواطى ثار عليه بصفاقس واستبد بها وأراد الوصول الى المهدية لمحاصرته فخرج تميم للقائه فالتقيا بظاهر المهدية فهزمـه تميم وعـاد حمو الى صفاقس خائبا فأتبعـه تميم ابنه يحيى فحـاصره بصفـاقس واستوفينا ذلك عند ذكرنا لصفاقس

ولـما كانت سنة ست وسبعين واربعمائة وصل لحصـاره ابراهيم بن محمد الثائر بقابس ومعه جمع عظيم من الاعراب أميرهم مـالك

---

(١) وفى بعض النسخ « الا مسامتة »

ابن علوان(١) الصخرى، فنزلوا على المهدية فارسل تميم الى احلافه من الاعراب أموالا فهجموا على عسكر ابراهيم وخرج تميم بمن معه من جنده فهجم عليه من الجهة الاخرى فانهزم ابراهيم هزيمة فاحشة ورجع ابراهيم الى قابس وفر ابن علوان الى القيروان فتوجه اليه تميم ومن معه من الاعراب فحصروه بها الى ان خرج منها تحت الليل هاربا ثم عاد تميم الى المهدية

فلما كانت سنة ثمانين واربعمائة وقع ما وقع من نزول اهل بيش وجنوة من النصارى على المهدية فاستولوا عليها وعلى زويلة وسبوا أهلها وقتلوا من شاؤوا منهم واحرقوه بالنار ، وكانت عدة القطع التى نزلوا بها عليها ثلاثمائة قطعة تجتمع على ثلاثين الف مقاتل، قال أبو الصلت : « وكسفت الشمس فى هذا العام ببرج الاسد طالع تخطيط المهدية كسوفا كليا فجرى بها هذا الواقع باثر ذلك، قال: « وكان من أعظم الاسباب فيه مع قضاء الله الذى لا يرد ومشيئته التى لا تدفع غيبة عسكر السلطان عن المهدية ومفاجأة الروم دون استعداد لهم وأخذ أهبة للقائهم وخلو كافة الناس من الاسلحة والعدد وقصر الاسوار وتهدمها وتكذيب تميم مع ذلك بما يرد عليه من اخبار النصارى وسوء رأى فلان متولى تدبير البلد(١) اذ ذاك في المنع من الخروج اليهم ولقائهم فى الماء فتركوا الى أن نزلوا فى البر فكان من تغلبهم على المهديتين وعيشهم فيهما ما هو مشهور

---

(١) فى بعض النسخ « ملك بن علوى » وفى بعضها « ملك بن علوا »

(٢) وفى بعض النسخ « متولى البلد ومدبرها »

معلوم » قال : « ولجأ تميم الى قصره المعروف بقصر المهدى، وهو قصر حصين فأقام به الى أن وقع الصلح بينه وبينهم على مائة الف دينار تدفع لهم ويقلعون بما حصل فى أيديهم من المسلمين فدفعت لهم وأقلعوا باموال المسلمين ونسائهم وابنائهم » قال: « وقد استوفى وصف ذلك كله أبو الحسن على بن محمد بن الحداد فى قصيدة طويلة اولها : (منسرح)

أنىٰ يلمّ الخيال أو يقفُ　　وبين اجفاننا نوى قذفُ

ويقول فيها :

غزا حمانا العدوّ في عددٍ　　هم الدّبا كثرة او النغفُ
عشرون الفا ونصفها ائتلفوا　　من كلّ اوب لبئسما ائتلفوا
جاؤوا على غِرّة إلى نفر　　قد جهلوا في الحروب ما عرفوا
وهم من العيش في بُلَهْنِية　　وليس للدهر أعين طرفُ
فايقظوا من سِنات غفلتهم　　لهمْ عيون اجفانها رهفُ (١)
في سُفُن كالجبال ليس لها　　إلاّ من السُمْرِ والظُبى شغفُ
هبّت رُخاءً رياحها فجرت　　كما اشتهوا وهي عندنا عصفُ
فإن وَنتْ في الهبوب حرّكها　　مجاذف كالصِلال تلتقفُ

---

(١) فى بعض النسخ « وضف »

وأقام تميم بعد ذلك بالمهدية الى أن مات بها سنة احدى وخمسمائة ، فولى ابنه يحيى فكان مما حدث فى أيامه من الاسباب المؤدية الى تغلب النصارى على المهدية التغلب الثانى الذى أدى الى انقراض دولة صنهاجة منها أن نصرانيا اسمه جرجير ابن فلان الانطاكى كان قد هاجر من المشرق الى تميم، وكان قد عرف لسان العرب وبرع فى الحساب وتهذب بالشام بانطاكية وغيرها ، فحكمه تميم فى دخله وخرجه وجعل مصارف الاموال لنظره فصارت أموال المسلمين كلها فى يده وأيدى أقاربه ، وكان الاتساع فيه من الاموال ، فلما مات تميم خاف هذا النصرانى من يحيى فخاطب لجار صاحب صقلية واعلمه أنه يحب الإنتقال اليه فوجه لجار اليه قطعة أظهرت أنها وصلت فى رسالة فخرج هذا النصرانى وأقاربه فى يوم جمعة عند اجتماع الناس للصلاة وتزيوا بزى البحريين فطلعوا اليها وتم لهم أمرهم ، فلم يفطن الناس لهم الا وقد أقلعوا ولما وصلوا الى صقلية حكمهم عبد الرحمان النصرانى صاحب اشغالها فى الجبايات فنصحوا وأظهروا ، واحتاج لجار أن يوجه رسولا الى مصر فأشار عليه عبد الرحمان بجرجير هذا فأرسله فنصح وأقبل بذخائر ملوكية أحظته عند لجار

ثم مات يحيى بن تميم بالمهدية سنة تسع وخمسمائة ، وولى بعده ابنه على بن يحيى فوقعت الوحشة بينه وبين لجار بسبب السفينة التى أنشأها رافع بن مكى بن كامل بقابس حيث منعه منها على ،

فاستنصر رافع بلجار فوقعت المقاتلة بين أسطول علي وأسطوله بسببها وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى عند ذكرنا لقابس ، ووصل باثر ذلك رسول لجار الى علي يقتضي أموالا كانت تثقفت له بالمهدية، وكان علي عند تلك الوحشة قد أمسك وكلاءه فسرحهم له علي ووجههم اليه بأمواله فلما وصلت اليه وجه رسولا ثانيا بمكاتبة فيها اغلاظ وتهديد وتقصير على العادة واساءة في الادب ، فأغضب ذلك عليا وصرف رسوله دون جواب ، وبلغ عليا ان النصراني يتهدده ويوعده فأمر باستجداد الاساطيل والاستعداد لقتاله فأنشأ اسطولا قويت انفس الناس به ومدحته الشعراء بسببه فقال محمد ابن بشير من قصيدة له : (طويل)

واعددت للاعداء كل مصمصم ... يسير إليهم قاصدا وهو أهوج

كمثل الرواسي منعة غير انها ... على ثبج الدأماء تسري وتدلج (١)

كأن القنا والنبل في جنباتها ... سيال بأكناف الهضاب وعوسج

يميد مضيء الجو قتم حالكا ... دخان لظى من نارها يتوهج

اذا نضنضت من ألسن لهبية ... بمارج نار يستقل ويعرج

رايت صلالا أخرجت من جهنم ... تحرق اكباد العداة وتنضج

ولم تزل الفتنة متأكدة بينهما الى أن مات علي وولى بعده ابنه الحسن فكاتب أمير الملثمين بالمغرب علي بن يوسف بن تاشفين

(١) في بعض النسخ « تولج »

واتفق باثر ذلك أن وصل أسطول على بن يوسف مع قائده على بن ميمون الى بلاد لجار فاستفتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة ، فلم يشك النصرانى أن الباعث لعلى بن يوسف على ذلك انما هو الحسن فاستجاش من قبله وحشد أجناده ومقاتليه وبالغ فى كتم أمره بمنع السفر الى سواحل المسلمين ، ولم يخف على الحسن مقصده وخشى أن يطرق بلاده دون تأهب له فأمرهم باتخاذ الاسلحة وتشييد الاسوار واستقدام القبائل من العرب وغيرهم للجهاد ، ووصلت الحشود اليه من كل جهة ونزلت الاعراب بظاهر المهدية

فلما كان يوم السبت لخمس بقين من جمادى الاولى سنة سبع عشرة وخمسمائة وصل أسطول لجار الى المهدية فأرسى بالجزيرة المعروفة بجزيرة الاحاسى وهى على عشرة أميال من المهدية ، ونزل قائداه عبد الرحمان وجرجير الى الجزيرة وضربت لهما ولمقدمى الفرنج مضارب هنالك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق كثير وانبسطوا حتى بعدوا عن البحر أميالا ثم عادوا الى الجزيرة ، ووصل القائدان فى اليوم الثانى فى البحر فى بعض قطعهم الى المهدية فأطافا بها وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما ما رأيا بالاسوار والسواحل من الناس وانصرفا عائدين الى الجزيرة ، فوجدا طائفة من العرب والاجناد قد دخلوا اليها وكشفوا

من كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا بعض أسلحتهم

فلما كان فى اليوم الثالث تمكن النصارى من القصر المعروف بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض الاعراب لهم على ذلك لما مناهم به عبد الرحمان وصاحبه ، وقد كان لجار أمرهما بذلك من النزول بجزيرة الاحاسى والتحيل فى أخذ قصر الديماس بمباطنة العرب ثم الزحف من هنالك فى البر بالرجال والخيل الى المهدية

فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت من فى الجزيرة فظنوا أنهم داخلون اليهم فانهزموا الى مراكبهم وقتلوا بأيديهم كثيرا من خيلهم ، ودخل المسلمون الجزيرة وليس بها أحد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات وأسلحة أعجلهم الهرب عن حملها ، وأحاطوا بقصر الديماس يقاتلونه والاسطول فى البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة من فى القصر لكثرة ما اجتمع فى البر من عساكر المسلمين، فلما علموا أنهم غير قادرين على استنقاذ من فى القصر أقلعوا عائدين الى صقلية ، وأقام المسلمون يقاتلون من حصل بقصر الديماس منهم الى أن اشتد عليهم الحصار وفنى ماؤهم وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخر فتخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم

وهنئى الحسن بهذا الفتح ولم يدر مـا تحت طيه من المحنـة التى خصت وعمت المسلمين بسببه ، وكتبت عنه فى ذلك كتب الى سائر الجهات منها كتاب يقول فى بعض فصوله : « وان صاحب صقلية لج فى طغيان غيه ، واستمر على عدوانه وبغيه ، وحمله سوء تقديره ، وفساد تدبيره ، على اهتضام جانب الاسلام ، وظن أن ذلك سهل الملتمس قريب المرام ، فاستجاش وحشد ، واستنفر واستمد ، ولما استتمت له فى ظنه أموره ، وكمل تدبيره ، الذى كان فيه تدميره ، سير أسطوله نحو المهدية ـ حماها الله ـ فى نحو من ثلاثمائة مركب حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس ، وكان اقلاعه فى طالع مقارن للنحوس ، قاض عليه بتلف الاموال وهلاك النفوس ، فمن أول ما أسناه الله فيه من صنعه الجميل ، وأظهره من عنايته التى لا يؤدى حقها بغير الشكر الجزيل ، أن أرسل عليهم ريحا صيرت جميعهم الى التبار ، وأصلتهم ببرد الماء حر النار ، ونابت فى اهلاكهم مناب زرق الاسنة وبيض الشفار ، وكان لجار قد رام اخفاء كيده ومكره، بمنع السفر الى سواحل المسلمين وحظره، فسقط الى الساحل مركب من جملة أسطوله يعرفنا من ركابه صورة أمره ، وما يسر الله سبحانه من تشتيت شمله ونثره ، ولم نكن قبل ذلك مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التأهب والاستعداد ، واستضافة الاجناد الى الاجناد ، فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب

المطيفة بنا فأقبلوا أفواجا أفواجا ، وجاؤوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا ويتدفق أمواجا ، وكلهم على نيات فى الجهاد خالصة ، وعزمات غير مترددة فى مواقف الموت ولا ناكصة ، ووصل الاسطول المخذول بمن أسلمه السوق الى حد الحسام ، وتخطاه الغرق فنجا من الحمام الى الحمام ، ونزلوا على عشرة أميال من المهدية بجزيرة هنالك ذات أحساء بينها وبين البحر مجاز متدانى المعبرين ، قريب ما بين الشطين ، هين مرامه ، سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه، فتسرع اليهم من جندنا ، ومن انضاف اليهم من العرب المنجدة لنا ، طائفة أوسعت أعداء الله طعنا وضربا ، وملات قلوبهم خوفا ورعبا ، فلما عاينوا ما نزل بهم ، أنزلوا عن ظهور مراكبهم ، ما كان أبقاه الغرق من أفراسهم ، وكانت نحو خمسمائة فرس وظنوا أنهم ان امتطوا متونها مستسلمين(١) ، وصدموا بها جيوش المسلمين ، أمكنهم بها انتهاز فرصة فأكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ، وجعل الدائرة عليهم لا لهم ، وخامرهم من الرعب الذى نصر الله به المسلمين ، وخذل به المشركين ، ما ولوا منه أدبارهم يرون الهزيمة والهرب غلبا ، وتركوا كثيرا من خيلهم واسلحتهم نهبا مقتسما ، وفيئا مغتنما ، واتفق فى مدة مقام هذا الاسطول بالجزيرة أن رجلا من طغاة العرب ومردتهم دعاه فساد دينه ، وضعف يقينه ، أن اغتال لهم قصرا على المجاز المذكور شديد الامتناع فحصل به منهم

---

(١) كذا فى الاصول ولعل الصواب « متسنمين »

زهاء مائة علج ، وتسربت العرب اليهم من كل فج ، فجردنا من خيلنا من تولى أمره ، وباشر حصره ، اذ كانت العرب لا تباشر مثل هذا وانما تعرف الحصن(١) لا الحصون ، وانما يعظم غناؤها فى السهول لا الحزون ، ثم أقلع جميع الاسطول حين علم عجزه عن استنقاذ أصحابه ولبثوا بعده والقتل يمحقهم ، والنار تحرقهم ، الى ان استؤصلوا عن آخرهم ، وكبهم الحتف على جباههم ومناخرهم ، وجرى أمر هذا العدو المخذول من أوله الى آخره وفاتحته الى خاتمته على ما قاله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها » ، فالحمد لله الذى أيد الاسلام ونصره ، وأعلاه وأظهره ، وأباد الشرك ودمره ، وأذله ودحره »

ولما أقلع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ لجار ذلك ، ثم اتفق باثره أن وصل أسطول الملثم من المغرب وقائده محمد بن ميمون المذكور قبل فعاث فى بلاد لجار وقتل وحمل نساءها سبيا الى بلاده ، وكان لجار كلما وصل أسطول من المغرب الى بلاده نسبه الى الحسن فعزم العزم المصمم على غزو المهدية وانشأ فى ظاهر الامر بينه وبين الحسن صلحا وفى نفسه ما فيها لتتم خديعته ويتمكن من مراده ، وكان بين الحسن وبين عمه يحيى بن المعز بن باديس ابن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد صاحب بجاية ما أوجب

(١) فى بعض النسخ « الحصر » وفى بعضها « الحصا »

أن بعث يحيى فى هذه المدة لمحاصرته بالمهديـة أسطولا فى البحـر وجيشا فى البر ، قائـده مطرف بن على بن حمدون الفقيـه ، فحصر المهدية برا وبحرا ونزل مطرف بن على بجيشه بظاهر زويلة فاستمد الحسن لجار فأمده بأسطوله ، فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهدية مسرعا وكانت للجار جواسيس بالمهديـة فكتبوا اليـه يعلمونـه أن بمرساها مراكب قد استوفت وسقها ، فأمر جرجير قائد الاسطول المتوجه للنصرة بالهجوم عليها وأخذها ففعل ذلك غدرا وحملهـا الى صقلية ، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهدية فأخذ منه مركبا كـان الحسن قد احتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليوجـه بها الى الحـافظ العبيدى صاحب مصر وكان ذلك المركب يسمى « بنصف الدنيا »

ولم يزل يوالى(١) الغزو عليها بأساطيله والمقـدم عليهـا جرجـير المذكور وهو العارف بالمهدية حاضرة وبادية ويضعفه بذلك الى ان دخلت سنة ثـلاث واربعـين وخمسمائـة فلم يشعر الحسن صبـاح الاثنين الثانى من شهر صفر الا وقد طلع عليه جرجير المـذكور فى ثلاثمائة مركب للفرنج فأرسى على بعد من المهدية وكـانت الـريح قد منعته من الدخول الى المرسى ، فأرسل الى الحسن يخادعه ويذكر أنه وصل لطلب عسكر يستعين به على أهل قابس ليوليها ابن رشيد، وقد تقدم ذكـر ابن رشيد هـذا فيما سلف من التقيـد وبينـا سبب خروجه من قابس فعلم الحسن أن هذه مخادعة لـه الى ان تتهيا لـه

(١) فى بعض النسخ « يرسل »

الريح فيدخل بها وأنه لم يصل الا بعد علمه بخلاء المهدية من العسكر

وقد كان الغلاء المتوالى على افريقية أضعف أكثر جند الحسن وأهلك خيلهم ومع ذلك فكانت بقية العسكر فى محاربة ابن خراسان صاحب تونس عضدا لمحرز بن زياد الفادعى صاحب المعلقة، فعزم الحسن على تسليم المهدية للنصارى ، وأمر فى الحين بالرحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد وجرى عليهم فى هذه الضغطة ما لم يكونوا يقدرونه ، وذكر ابن شداد من كلام الحسن عند خروجه : « سلامة المسلمين من القتل والاسر ، خير الى من الملك والقصر »

وبقى الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلد بسبب الريح الى الساعة السابعة من حين وصوله ثم لانت له الريح فدخل ووجد المهدية خالية فتملكها من دون مدافع ، ووجد جرجير قصر الحسن على حاله لم يحمل الحسن منه الا ما خف له ، فرأى فيه من الذخائر الملوكية ما هاله وحكم على ذلك كله ، وأمر أن ينادى فى المهديتين بالامان فارتفع النهب منهما ، وأخرج النصارى من المهديتين فأنزلهم فيما بينهما فى مضاربهم وأخبيتهم ، فكان من بقى بالمهدية أحسن حالا ممن فر منها فان الفارين لقوا من المشقة وعدم الماء ما أهلك أكثرهم الى أن تداركهم جرجير فبعث لهم خيلا

يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعاما أقرضهم اياه فصلحت أحوالهم واغتبط الناس بالمهدية لما رأوا من عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة

وأما الحسن بن على فانه وصل(١) الى عسكره الذى قدمنا أنه كان فى نصرة محرز بن زياد فلقيه محرز بالبر وأكرمه وأنزله عنده فأقام هنالك أشهرا وهو كاره فى الاقامة ، لما يرى فى عينى محرز من السئامة ، فأحب الانتقال الى مصر وواليها اذ ذاك الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى وباسمه كان الحسن يخطب فى بلاده ، فابتاع من تونس مركبا أعده لسفره فعلم جرجير بذلك فاعد له عشرين قطعة ترقب اقلاعه فتتبعه وعلم بذلك الحسن فعدل عن السفر الى مصر ، ونظر فى التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن على بالمغرب ، وأنفذ كبار ولده يحيى وتميما وعليا الى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية وكتب له يستأذنه فى الوصول الى حضرته وأن يكون توجهه الى عبد المؤمن بعد اجتماعه به فتلقى بنيه ميمون ابن حمدون وزير يحيى أحسن تلق وكتب على لسان يحيى الى الحسن بالتوجع على ما جرى عليه والتحريض على الوصول والعدل على ما خطر بباله من قصد غيره

---

(١) فى بعض النسخ « سار » وفى بعضها « صار »

فأعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب اليه ابن عمه فأشار عليه بالتنكيب عنه وأن يتوجه حيث ما أحب فهو خير له منه ، فلم يطعه الحسن وتوجه الى بجاية فلما قرب منها ندب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك وبعد لأى ما (١) أمر أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقائه مع مشيخة البلد وأن يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها ، ففعل أخوه ذلك وأنزله هو وأولاده بمدينة الجزائر فى أمكنة لا تليق بهم وأجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وأمر ميمون بمراعاة احوال الحسن ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن لما توقعه من استعانة عبد المؤمن به فى أخذ بجاية فبولغ فى التشديد عليه فى ذلك ، وأقام ساكنا بها الى أن نزل عبد المؤمن الى المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك عام سبع وأربعين وخمسمائة فتغلب على مليانة والجزائر ، فاجتمع الحسن به هناك وقد سار اليه وهو بمدينة متيجة فأقبل عبد المؤمن عليه وقربه اليه واستصحبه معه وجعل الحسن يغريه بأخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة لخروج الملك من يده ليتساووا (٢) فى ذلك فنزل عبد المؤمن الى بجاية والحسن معه فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها وذلك بعد هزيمة لعساكر

(١) فى بعض النسخ « وبعد » عوض « بعد لاى ما »
(٢) كذا فى جميع الاصول والصواب « ليتساويا »

صنهاجة بجبل زيرى وأعان يحيى أيضا على نفسه بانهماكه فى لذاته واهماله تدبير دولته وتفويض الامر لغيره

فلما استولى عبد المؤمن على بجاية فر يحيى بن العزيز منها فى البحر وكان مرامه التوجه الى برقة والنفوذ من ذلك الى بغداد لعلمه أن الخليفة العبيدى بمصر ينقض (١) عليه الخلع الاول ، فلما وصل الى بونة جعل الحارث يتأفف منه ويؤنبه على اهمال الملك فخرج عنه يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن بن العزيز فأكرمه الحسن وتخلى له عن الامر فأقام بقسنطينة أياما يعمل رأيه الى أن أناب الى الطاعة ودخل فى ايالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه وأنزله مع ابن عمه الحسن بن على

ثم كانت لعبد المؤمن على العرب (٢) الوقيعة المعروفة بوقيعة سطيف ، هزم فيها طوائفهم وطلع الى الحضرة بجميع من حكم عليه ومن جملتهم الحسن ويحيى فأسكنا بمراكش فى رفاهية ورزق جار، فلما كانت سنة ثمان وأربعين وصل الخليفة الى سلا واستصحب يحيى معه فأسكنه بها فى بعض قصور بنى عشرة وأقام بسلا الى ان مات هنالك ودفن فى مقابرها الجوفية مما يلى البحر

وأما الحسن فانه أقام بمراكش الى أن عاد عبد المؤمن اليها فلم يزل يغريه بالحركة الى افريقية ويحضه على استنقاذ المهدية من أيدى

(١) فى بعض النسخ « ينقض » ولعل الصواب « ينقم »
(٢) فى بعض النسخ « المغرب »

النصارى الى أن تحرك اليها سنة أربع وخمسين وخمسمائـة ، فافتتح تونس وأذهب دولة بنى خرسان منها وقد كـان عند وصولـه الى باجة عرض عسكره فكانت الخيل أزيد من مائة الف فـارس وأمـا الرجال فلا يحصون كثرة ، فأقام بها ووجه الى اهل تونس بالتـأمين والعفو فلم يزدادوا الا عصيانا، وقد كانوا قاتلوا ولده عبد الله قبل ذلك ومزقوا جيشه وفعلوا فيه الافاعيل لما وصل الى محاصرتهم سنة اثنين وخمسين وانفصل عنهم أسوأ انفصال ، فارتحل عبد المؤمن من باجة ونزل على طبربة وأعاد اليهم الترغيب والترهيب فلم يقبلوا فارتحل الى تونس وكان نزوله عليها يوم السبت العاشر من جمادى الاولى من السنة المذكـورة واتصلت الاخبية من الحنايـا الى حلق الـوادى وعاين أهل تونس أمرا عظيما وأيقنوا بالهلاك وأقام العسكر ثلاثـة أيام لا يقاتلون فنزل الى عبد المـؤمن أشياخ لطلب السلم من أهـل تونس منهم بنو عبد السيد : عمر ومعاويـة وعبد السيد ومنهم ابنـا منصور بن اسماعيل وابن عمه عتيق ، ومنهم الخارجى محمد وحمـزة ابن حمزة وعبد العزيز القمودى(١) وغيرهم وكانوا اثنى عشر رجلا فوصلوا الى عبد المؤمن فطلبوا العفو منه فأسعفوا(٢) به بعد مكابـدة شديدة وامتناع عظيم من عبد المؤمن

ولما عفا عن أهل تونس اشترط مـالتهم فى أنفسهم ومشاطرتهم فى رباعهم وأموالهم كلها للمخزن ما عدا ملبوس رقابهم وغير أهل

(١) فى بعض النسخ « العمورى »
(٢) فى بعض النسخ « فاستعفوا »

تونس من قراها وسائر بلادهـا يشاطرون فى أموالهم ، وكـذلـك صاحب تونس على بن احمد بن خراسان الا أنه اشترط عليه الخروج من تونس والانتقال الى بجاية فوقع الشرط على ذلـك وتسلم عبـد المؤمن منه تونس وخرج ابن خـراسان منها من يـومـه فمـات فى الطـريـق

وأقام عبد المؤمن بعد الفتح ثلاثة أيام ثم ارتحل الى المهدية وخلف بتونس أبا محمد عبد السلام الكـومى ومعـه أشياخ من المـوحدين لاستخلاص الاموال من أهل تونس فـوقع البحث عن أمـوالهم ودخلت دورهم فحمل جميع ما فيها وبيع ما أمكن بيعه من رباعهم وأملاكهم وخرج الامناء الى سائر بلاد افريقية لمشاطرة الـرعية فى جميع ما بأيديهم حتى لم يبق من افريقية بقعة الا عمها ذلك

ومن تاريخ ابن شداد : « أن عبد المؤمن لما سار الى تونس بالجموع العظيمة كـانوا يمرون بالمـزارع فى الطرق الضيقة فلا يـؤذون شيئا منها وكانت رسوان (١) هذا العسكر تمتد أميـالا وكلهم يصلون الصلوات الخمس وراء امام واحد بتكبيرة واحـدة ولا يتخلف أحـد منهم كائنا من كان عن الصلاة وكانت مقدمة هـذا العسكر اثنى عشر ألفا قد كلفوا بحفر الابار فى الطريق واستخراج المياه فكانـوا يمتدون قبله بيومين فلا يـاتى الا وقـد هيئت لـه الغـلات وملئت الاحواض بالمياه ولولا هذا التدبير لم يقدر على قطع هـذه المسافـة

(١) كذا فى جميع النسخ

البعيدة بهذه الجيوش العظيمة ، وكان كلما مر بأرض فيها عرب بادروا اليه فاستصحب أعيانهم معه وقد كانت وقعة سطيف أذلتهم وكان أسطوله في البحر سبعين مركبا قوادها محمد بن عبد العزيز ابن ميمون من البيت المشهور في قيادة البحر وابن الحراط وأبو الحسن الشاطبي وغير هؤلاء ممن هو مثلهم في المعرفة والشهرة ، قال: « وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بتونس من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل » .

ومن غير كلام ابن شداد: أن عبد الله بن عبد المؤمن لما فعل به أهل تونس ما فعلوا حين نزل عليهم قبل هذا حلف أن يدخلها بالسيف ويقتل جميع من تقع عينه عليه من أهلها، فأمر الناس في هذه الخطرة أن يدخلوا دورهم ولا يخرج احد منهم حتى يسمع النداء ليدخل عبد الله الى البلد فدخلها وسيفه في يده فلم يلق الا شيخا قتله وانصرف وقد برت يمينه

قال ابن شداد : « ثم توجه عبد المؤمن الى المهدية فكان وصوله اليها ضحوة يوم الاربعاء الثاني عشر لرجب وبها حينئذ ولاة ملوك الافرنج وأبطالهم وقد أخلوا زويلة فنزلها عبد المؤمن بمن حملته(١) من خواصه ومن أهل الاسواق فعادت مدينة معمورة من يومها ، واقبل الناس يقاتلون المهدية مع الامام فلا يؤثر ذلك فيها لحصانتها وضيق مأخذ القتال منها لان البحر دائر بأكثرها ، وكان الفرنج

(١) في بعض النسخ « يحمله »

يخرجون منها فينهبون أطراف العسكر فأمر عبد المؤمن ببناء سور بين عسكره والمدينة يمنعهم من الخروج وركب عبد المؤمن فى قطعة من قطعه ومعه الحسن بن على الذى أخرج منها وطاف بها من البحر ، فهاله أمرها وعلم أنها لا تفتح بقتال وليس لها الا مطاولة الحصار وتوقع الاقدار ، فتمادى حصاره لها ستة أشهر ، وقال عبد المؤمن للحسن : ما الذى أخرج هذا المعقل من يدك ؟ فقال له : اخرجه انقضاء الامد ، وعدم الثقة بأحد ، فصدقه عبد المؤمن واستحس كلامه وكان الحسن فصيحا معروفا بذلك

ووصل من طاغية صقلية أسطول فيه مائة وخمسون مركبا غير الطرائد ، فحضر مقدمو(١) أسطول عبد المؤمن بين يديه فقالوا(٣) له: ان هذا الاسطول قد أقبل ولا يصل الا متفرقا بحكم النوء فلتاذن لنا فى الخروج اليه فسكت عبد المؤمن فاغتنموا سكوته وبادروا الى القطع فملؤوها بما احتاجوا اليه من العدد وخرجوا واصطفت عساكر المسلمين على الساحل ، قال الحاكى : كنت حاضرا وعبد المؤمن يبكى ويسجد فى الارض ويقول : « اللهم لا تضعضع دعائم الاسلام ! ولما قرب أسطول الفرنج من دار الصناعة خرجت اليه من المهدية قطعة لتلقيه فبادر ابن ميمون الى أخذها، وكان بعض أسطول الفرنج أيضا قد حط قلعه للدخول فأعجله أسطول المسلمين عن

---

(١) فى بعض النسخ « مقدم »

(٢) فى بعض النسخ « وقال »

الدخول واستولى على ثمانى قطع منه فاجتمع بقية الاسطول وولـوا منهزمين فسجد عبد المؤمن شكرا لله تعالى وفرق فى غزاة الاسطول اثنى عشر الف دينار مؤمنية ، وأيس أهل المهديـة من النصرة فنـزل فى أواخر ذى الحجة عشرة من فرسانهم فوقفوا بين يدى عبد المؤمن وسألـوه الامـان لمن بهـا فى الانفس والامـوال وأن يسمـح لهم بالخروج منها وكان قوتهم قد فنى فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام، فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياما وقالوا مـا عـى المهديـة وما فيهـا من الافـرنج بالنسبة الى ملكك العظيم وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنا ارقاءك فى بـلادنا ، فـرأى منهم كمالا فى الاجسام وتؤدة فى الكلام فأعطاهم مـا أرادوا وجهزهم فى سفن الى بلادهم وكان الفصل شاتيا فلما قربوا الى صقلية هـال البحر عليهم فهلك أكثرهم

وتسلم عبد المؤمن المهدية وعاد اليها الاسلام فى يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين ، ورغب الحسن الى الخليفة ليلى ذلك ، وولى على المهدية أبا عبد الله محمد بن فـرج الكـومى ، وأسكن الحسن زويلـة فأقام بها عشر سنين الى أن توفى عبد المؤمن وولى ابنه أبـو يعقوب ، فوصل أمره بطلوع الحسن الى المغرب فطلع بأهله وولـده وحاشيته وذلك فى سنة ست وستين، فلما وصل الى الموضع المعروف بتامسنا توفى

هنالك ببقعة تعرف بثابار زلوا (١) وقبره هنالك وكانت وفاته في شهر رجب من العام المذكور

ثم توفي أبو يعقوب وولي ابنه المنصور أبو يوسف ، فثار عليه بالمهدية محمد بن عبد الكريم الرجراجي (٢) وقبض على واليها اذ ذاك الشيخ أبو علي يونس ابن الشيخ أبي حفص وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكان محمد بن عبد الكريم هذا ممن نشأ بها وكان أبوه من جندها الساكنين بها المترتبين (٣) فيها وهو مضاف الى قبيلة كومية ، وكانت لمحمد هذا شجاعة وبسالة ظهرت له في مواطن كثيرة مع الاعراب وغيرهم ، وكان قد جمع لنفسه خيلا ورجالا من الرعايا يضرب بهم على الاعراب المفسدة فيكف ضررهم واعتداءهم ، وعلم اقدامه وغناؤه فقدمه الوالي على ذلك واطلق يده فيمن عند منهم عن الامر ، فكان يقبض عليهم فيقتل منهم من يقتل ويحبس من يحبس ولا يطلق من حبسه الا بعد دفعه الاموال الكثيرة واعطائه العهود والمواثيق على الكف عن العناد والفساد ، فكانت العرب تهابه ولا تنتجع أرضا من أرضه الا باذنه فبعد صيته بذلك وسما ذكره وحصل الامن به في تلك الجهات فكان يدعى له في المساجد وفي عقب الصلوات

---

(١) في بعض النسخ « ابان رلوا » راجع كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ ص ٢١٠ (وطبع بولاق) ج ٦ ص ١٦٢

(٢) في بعض النسخ بزيادة « واستبد بنفسه »

(٣) في بعض النسخ « المرتقين »

واتفق أن قدم الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ ابى حفص على افريقية من قبل المنصور فولى على المهدية أخاه أبا على يونس بن أبى حفص فلما وصل اليها واطلع على حال ابن عبد الكريم بها طالبه باسهامه فيما يغنمه من أموال الاعراب المفسدين فامتنع ابن عبد الكريم من ذلك وطلب من الشيخ أبى على أن يجريه على ما أجراه عليه الولاة من قبله فقبض الشيخ ابو على عليه وأهانه وامتحنه فبعث ابن عبد الكريم الى أخيه الشيخ أبى سعيد يستشفع به فأعرض الشيخ أبو سعيد عنه ، واتفق باثر ذلك أن عظم افساد العرب بالساحل وكثر التشكى منهم ، فألح الناس على الشيخ أبى على فى اطلاق ابن عبد الكريم وكادت تقوم بسبب ذلك فتنة فاضطر الى اطلاقه ورد اليه جنده الذين كانوا متميزين بصحبته ، وأمره بالخروج لكف أولئك العربان عن الفساد فاغتنم ابن عبد الكريم ذلك وخرج عن المهدية مبادرا وضرب أخبيته بظاهرها وأقام هنالك يومين الى أن اجتمع لديه أصحابه فشكا اليهم ما فعله الشيخ أبو على به وعرفهم أنه عازم على الغدر به ان وقعت منهم موافقة له ، فأجابوه الى ذلك وصوبوا له رأيه فنهض بهم فى ثلث الليل الاخير الى المهدية فلما فتح بابها دخل اليها بمن أحب من جنده وامر باغلاق الباب ثم بادر الى قصر الشيخ أبى على وكان ابن عبد الكريم متلثما فانكره البواب وأغلق باب القصر فحسر عن وجهه فعرفه ففتح له الباب وفر هاربا فدخل ابن عبد الكريم بجماعته الى القصر ، وسمع الشيخ أبو على

أصواتهم فخرج الى رحبة القصر عاريا من السلاح وقبض ابن عبد الكريم عليه واحب قتله فتشفع فيه بعض أصحابه فاستحياه وثقفه فى موضع من القصر وذلك فى شهر شعبان من سنة خمس وتسعين المذكورة ، فلم يزل هنالك الى أن وصل فداؤه من قبل أخيه الشيخ ابى سعيد بن أبى حفص على يدى محمد بن عبد السلام الكومى وذلك خمسمائة دينار ذهبا ، فأطلقه ابن عبد الكريم بعد امتناع واباء وانما أطلقه بشفاعة ابن عبد السلام المذكور وكان صهرا لابن عبد الكريم

ووصل الشيخ أبو على لاخيه الشيخ أبى سعيد بتونس فزجره وهجره ولم يزل غاضبا عليه مدة من زمان ، واستبد ابن عبد الكريم بحصن المهدية وتسمى من الاسماء السلطانية « بالمتوكل على الله » وكانت الكتب تنفذ عنه بذلك وقوى أمره ، ووصل الى تونس السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن واليا ، فعزم ابن عبد الكريم على محاصرته فحشد جموعه ووصل الى تونس وذلك فى سنة ست وتسعين، وكان الشيخ أبو سعيد اذ ذاك بها معزولا فدار ابن عبد الكريم بعسكره الى جهة قرطاجنة فضرب أخبيته وخيامه عند مدخل البحر الى البحيرة وهو المكان المعروف بحلق الوادى ، فأمر السيد أبو زيد عند ذلك بتسيير القطع فى البحر وخروج العسكر فى البر ، وكان ابن عبد الكريم قد أكمن للجيش كمينا فى بعض المواضع فلما وصل عسكر تونس ووقع القتال بينه وبين ابن

عبد الكريم خرج ذلك الكمين فولى العسكر منهزما وقتلت منه مقتلة عظيمة ولم ينج منه الا القليل وترامى منه جماعة فى البحر فقتلوا هنالك وانبسطت جموع ابن عبد الكريم فى تلك الجهات فأخذوا من المرسى المعروفة(١) بمرسى البرج أموالا كانت للناس هنالك وأمتعة ، وانتهبوا من تلك القرى ما قدروا عليه

وبعث السيد أبو زيد والشيخ أبو سعيد الى ابن عبد الكريم أشياخا من الموحدين يعيبون عليه فعله ويذكرونه انتماءه الى الموحدين ويسألونه الرجوع عنهم فأجاب الى ذلك ورجع الى المهدية فأقام بها أشهرا ، ثم حدثته نفسه بحصار يحيى بن اسحاق الميورقى وهو اذ ذاك بقابس وقد حدثت بينهما وحشة ، فخلف على المهدية ابنه عبد الله وتوجه الى قابس فلما أشرف عليها هاله أمرها وعلم أن لا طاقة له بها فارتحل عنها الى قفصة وحكم عليها ، وعند استقراره بها وصل اليه الخبر أن الميورقى خرج من قابس فى أتباعه فخرج ابن عبد الكريم بجيوشه من قفصة ونزل بقصور لالة ووصل اليه الميورقى فالتقيا هنالك فكانت الهزيمة على ابن عبد الكريم وولى هاربا لا يلوى على شىء الى أن حصل بالمهدية ، وتسرب اليه من سلم من جنده فحصلوا بها واحتوى يحيى على أخبيته وجميع أمواله وأتبعه الى المهدية فنزل عليها محاصرا له وذلك فى أول سنة سبع وتسعين

---

(١) كذا فى جميع النسخ

وكان من دهاء الميورقى أن بعث الى السيد أبى زيد بتونس يسأله السلم ويطلب منه فى أثناء كتابه الاغانة بقطع فى البحر يتمكن بها من ابن عبد الكريم وكان السيد أبو زيد حقد على ابن عبد الكريم ، فأجابه الى ذلك وبعث اليه قطعتين فلما رآهما ابن عبد الكريم سقط فى يده فأجمع على توجيه ابنه عبد الله الى الميورقى ليصالحه على تسليم المهدية اليه ويشترط المسالمة فى أهله ونفسه وماله فأجابه الى ذلك ، ورجع عبد الله فأخرج أباه من المهدية وتوجه الى يحيى للسلام عليه فلما وقعت عينه عليهما أمر بهما فصرفا الى خيمتين ثقفا بهما متفرقين وحصل يحيى بحصن المهدية واستولى على ما كان لابن عبد الكريم بها من الذخائر السنية ، ثم أدخله هو وولده الى المهدية فثقفهما فى بعض سجونها فلما كان بعد أيام يسيرة أخرج الاب من السجن ميتا لا أثر به فسلم الى أهله فدفنوه بقصر قراضة وبقى ابنه عبد الله يتوقع الموت كل ساعة الى أن أخرجه يحيى وأظهر نفيه الى جزيرة ميورقة ليكون هنالك تحت نظر أخيه فعمر له قطعة توجه فيها فلما حاذى أرباب السفينة به القل بمقربة من قسنطينة ألقوه بقيده فى البحر فانقضى أمر ابن عبد الكريم وولده

وحصلت المهدية للميورقى ولم يبق له بافريقية منازع وحصلت تحت بيعته طرابلس ، وقابس ، وصفاقس ، وبلاد الجريد كلها ، والقيروان ، وتبسة ، ووصلت بيعته بونة فبنى على محاصرة تونس ، وكان نزوله

على تونس يوم السبت من الشهر المذكور فنزل بالجبل الاحمر من جهة جوفيها وأقام هنالك أياما ثم انتقل منه فنزل بين بابى السويقة وقرطاجنة ونزل أخوه الغازى بن اسحاق على الموضع المعروف بحلق الوادى حيث يصب البحر فى البحيرة فردمه ردما حتى صار أرضا يبسا وقطع تصرف القوارب الداخلة اليه والخارجة عنه ، وترك عليه من يحرسه ، وتوجه فنزل بقبلى المدينة بمقربة من باب الجزيرة وردم الخندق الذى هنالك ردما ونصب امام الباب مجانيق وآلات من آلات الحرب وأقام محاصرا لها كذلك أكثر من أربعة أشهر

فلما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر من سنة ستمائة استولى على البلد وقبض على السيد أبى زيد وولديه وجماعة من أشياخ الموحدين فثقفوا بدار بنيت لهم بداخل القصبة وجعل عليهم من يحرسهم، وأمن أهل تونس فى أنفسهم ورباعهم، وأغرمهم مائة الف دينار، ذكر أنها هى التى لزمته فى النفقة عليها، قسطها أهل تونس على أنفسهم بحسب أحوالهم وسعة أموالهم ، وجعل قابضا عليها أبا بكر بن عبد العزيز بن السكاك من أهلها ، ولحقهم فى استخلاصها من العناء والشدة على يد ابن عصفور ثقة الميورقى وكاتبه ما أدى الى قتل جماعة منهم أنفسهم ورأوا ذلك أروح لهم ، ومن جملتهم عبد الرفيع المقدم على قبض مال المخزن وغيره من الناس ، ولما علم الميورقى بهذا أمر برفع الطلب عن أهل تونس

فيما بقى قبلهم من مال المغرم وذلك خمسة عشر ألف دينار ، وعامل الناس بالاحسان ، ونادى فيهم بالامان ، وقد وقفت له على ظهير بصرف بعض أملاك بنى التجانى عليهم مما تطرق اليه النزول حين دخوله وقبل ذلك وتاريخه الثامن لذى قعدة من سنة ستمائة

وفى أثناء ذلك بلغه عن أهل جبل نفوسه توقف عن أداء مغرمهم، فخرج بنفسه اليهم واستصحب معه السيد أبا زيد وولديه يرحلون برحيله وينزلون بنزوله الى أن استوفى من أهل نفوسة مغرمهم وعاد الى تونس واستقر بقصبتها ، واتصل بالناصر ما دهم افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله ، فانتهض(١) لذلك وأخذ فى الحركة اليها وكانت الاخبار ترد على الميورقى بحركته فيدفعها الى ان وصل رجاله فأخبروه بوصول الناصر الى بجاية ، فوجه حينئذ ذخائره وأمواله الى المهدية لتكون تحت حياطة ابن عمه على بن الغازى ، وخرج من تونس فوصل الى القيروان وأقام بها أياما ثم انتقل منها الى قفصة فاجتمع بالعربان هنالك وأخذ مواثيقهم ورهائنهم على الخدمة معه

وبلغه فى خلال ذلك أيضا عن أهل طرة من بلاد نفزاوة ما أوجب أن ارتحل اليها فأطلق أيدى الجند عليها فقتلوا كثيرا من أهلها وانتهبوا أموالهم وأطلقوا النار فى بعض دورهم ، وقد أشرنا الى ذلك قبل هذا ثم انتقل الى حمة(٢) مطماطة ووصله الخبر أن الناصر

(١) فى بعض النسخ « فامتعض » وفى بعضها « فانتفض »
(٢) فى بعض النسخ « حامة »

نكب عن طريق تونس وأخذ على طريق قفصة فى اتباعه ، فانتقل الى جبل دمر متحصنا به ، ووصل الناصر الى قفصة فأقام بها أياما ، ثم توجه الى قابس مستفهما عن أخبار يحيى فعرف بانتقاله الى جبل دمر فولى على قابس بعض ولاته وتوجه الى المهدية فبرز (١) عليها بجموعه ونصب عليها آلات الحرب ، وقدم فى أثناء ذلك الشيخ المقدس أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص لقتال الميورقى ، فتوجه الشيخ أبو محمد بجيش ضخم اليه فأحب يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء فشجعه أصحابه وحرضوه على الثبوت له فالتقيا ، فكانت للشيخ أبى محمد عليه الوقيعة المعروفة بوقيعة تاجرا وقد تقدم ذكرها قبل هذا ، وقد استأصل فيها كثيرا من أجناد يحيى وأجلت الحرب عن قتل أخيه جبارة وكاتبه على بن اللمطى وعامل يقال له الفتح بن محمد ، وفر يحيى فى شرذمة قليلة، وكان قد قدم عياله وأهله على نحو خمسة فراسخ من المعركة فلما فر أخذهم بين يديه ولولا ذلك لسبوا ، واستنقذ الشيخ أبو محمد من يده السيد أبا زيد حيا بعد أن ضربه الموكل به بسيفه ضربات قصد به قتله فاعجل (٢) عن الاجهاز عليه واستنقذ أيضا جماعة من الموحدين سواه كانوا فى يده وأخذ رايته السوداء ، وأحاط الموحدون بجميع ما فى العسكر من الاموال والابل فانتهبوها ، ورجع الشيخ أبو محمد بجميع ذلك الى

(١) فى بعض النسخ « فنزل »
(٢) فى بعض النسخ « اعجز »

الناصر وهو محاصر للمهدية فأركب الامين الموكل بثقاف الشيخ أبى زيد على جمل سام شهرة له وبيده الراية السوداء فطيف به على المهدية وكانت الهزيمة فى الثانى عشر لشهر ربيع الاول سنة اثنين وستمائة ورفع حمادى المالقى المشهور بالابداع فى قطع الكاغط (١) هذين البيتين مقطوعين فى الكاغط (١) (وافر)

رأى يحيى إمَام الحـقّ يأتي ... ففرَّ أمامَ من وافَى إليْـهِ
فشبَّهت الشقيّ بياء يفري(٢) ... ولامُ الأمر قـد دخلت عليْـهِ

وكمل التبريز بالغنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك مكذبـون بهزيمة يحيى مفحشين فى السب وألـح النـاصر فى قتالهم وجمع المجانيق على جهة واحـدة فى السور (٣) حتى كثر القتل والجـراحـات فيهم وتحققوا انهـزام يحيى فسقط فى أيـديهم وطلبوا الامان فأسعفوا به ونزل على بن الغازى وأتباعه وشيعته على أن يخلى سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا فى أمان الموحـدين الى أن يصلوا الى يحيى حيث كان ، وكـان ذلك فى السابـع والعشرين من جمادى الاولى فكان بين هزيمة تاجرا وفتح المهدية أربعة وسبعون يـومـا ۞

---

(١) فى بعض النسخ « الكاغظ » وفى بعضها « الكاغيط » وفى بعضها « الكاغد »
(٢) فى بعض النسخ « يغرى » وفى بعضها « يقرى »
(٣) فى بعض النسخ « الصـور »

وخرج على بن الغازى عن المهدية بجملته وحاشيته فضرب أخبيته بقصر قراضة فبات هنالك تلك الليلة ثم دعته نفسه الى الدخول(١) تحت طاعة الموحدين فبعث الى الناصر يعرفه بذلك ويقول الان أطعت بعد أن صرت فى حكم نفسى ، فاستحسن الناصر ذلك منه واستدعاه وأحسن اليه وأنزله عنده ، ووافق ذلك وصول مملوك الناصر ناصح صاحب ديوان سبتة بالهدايا العظيمة التى جمعها فى المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بأنواع الجواهر وجعلت فيها أعلام من اليواقيت والاحجار النفيسة ، فأمر الناصر بحمل جميع الهدية الى على بن الغازى فمات ناصح عن اثر ذلك كمدا وترك ابنين كالبدرين(٢) قال فيهما أبو الحسن بن حجرى(٣) الاشبيلى : (رمل)

ناصح قد كان عبداً ناصحا في جميع (٤) الأمر حتى في البنين
لم يلد إلاّ هلالا نيّرا فاتنا حيث بدا للناظرين

وأقام على بن الغازى مع الناصر الى أن توجه الى تونس فتوجه صحبته ثم طلع معه الى مراكش وتحرك الموحدين الى الغزو لجزيرة الاندلس فتحرك معهم فاستشهد بها مع من استشهد من الموحدين رحمهم الله تعالى

---

(١) فى بعض النسخ « بالدخول »
(٢) فى بعض النسخ « كالبدور »
(٣) فى بعض النسخ « جحدر »
(٤) فى بعض النسخ بياض وفى بعضها « فى امر ... » وفى بعضها « فى جميع الامور »

وعفا الناصر عن جميع من كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم واشتغل برم سورها ، وترتيب أمورها ، ثم ترك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يغمور الهنتاتى واليا عليها من قبله وكان انتقاله عنها فى الموفى عشرين لجمادى الاخرى سنة اثنين

ونفذت كتب الفتح الى المغرب والاندلس من منزل أبى نصر فى الثانى والعشرين من الشهر المذكور ، واستقر بتونس فى غرة رجب فأقام بها بقية العام المذكور وأكثر عام ثلاثة وستمائة بعده

ولما كان شهر رمضان منه أشاع الحركة الى المغرب وتحدث مع أشياخه ومدبرى دولته فيمن يترك بافريقية فأجمعوا على الشيخ أبى محمد ابن الشيخ أبى حفص ولم يختلف فى ذلك اثنان(١) وكانهم(٢) أرادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى أغراضهم فأمر الناصر بعض خدامه فى الحديث معه فى ذلك استحياء من مواجهته(٣) به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ، ففاوضه الناصر فى ذلك بنفسه فاعتذر له ببعد الشقة عمن خلفه بمراكش من أهل وولد وبما يستلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعد عنه ، ونظر الناصر فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكراهه على المقام فحكى نبيل مملوك الشيخ أبى محمد رحمه الله قال : بينما انا جالس على خباء الشيخ ليلة اذ بضوء قد خرج من مضارب الخليفة فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان

(١) فى بعض النسخ « الا اثنان »
(٢) فى بعض النسخ « لانهم »
(٣) فى بعض النسخ « وجاهته »

قد قصدوا نحو خباء الشيخ، قال: فعرفته بذلك، قال : اذا وصلوا فافتح لهم ، فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة الناصر ومعه ولد الشيخ أبى محمد من ابنة المنصور وهو المعروف بالسيد أبى الحسن ، وكان الناصر خاله قد رباه مع ولده يوسف المستنصر ولى عهده واختصه كولده فوجهه مع ولده ليقرر أنه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفتى مربى الناصر وفتيان آخرون سواد فقام الشيخ أبو محمد لولد الناصر وأجلسه معه وقال له : ما حاجتك أيها الطالب ولو كان عندى غير نعمتكم لقابلتك (١) به فقال له الفتيان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال له الولد : ان مولانا وسيدنا يخصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هى من أول هذا الامر العزيز مع هؤلاء الثوار فى أمر عظيم ، وتحت ليل بهيم ، وقد وصل اليها سيدنا عبد المؤمن وسيدنا أبو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا من انفق عليها أموالا ، وأفنى فى الحركة اليها رجالا ، والمشقة شديدة، والشقة بعيدة ، وما عاد واحد منهم الى حضرته الا وعاد الويل ، وأظلم ذلك الليل ، وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها كذلك يجب عليك ، وقد طلبنا فى جميع اخوانك السادة وأعيان أهل الجماعة من ينوب عنا فى هذه البلاد فلم نجد عنك معدلا (٢) فانحصر الامر الينا واليك ، فاما أن تطلع الى حضرة مراكش فتقوم

---

(١) فى بعض النسخ « لقابلتكم » .

(٢) فى بعض النسخ « معولا » .

هنالك مقامنا ونقيم نحن بهذه البلاد ، أو نطلع نحن الى حضرتنا ، فقال الشيخ : يا بنى أما القسم الاول فهو مما لا يمكن وأما القسم الثانى فأجبت اليه على شروط ، فسر الولد بذلك وقبل يده وقبل الشيخ أبو محمد رأسه وانفصلوا وكأنما كان عندهم تلك الليلة فتح جديد بالسرور الذى عمهم ، والطمأنينة مما كان أهمهم

ثم خلا الناصر به مستفهما عن شروطه فاشترط أن لا يتولى افريقية الا بقدر ما تصلح أحوالها وينقطع طمع الميورقى عنها ويتخير الناصر فى رجاله من يوجهه عوضا عنه وجعل النهاية فى ذلك ثلاث سنين ، وأنه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه، وأنه ان فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه، وأن من بقى بعد انفصال الناصر واليا على بلد من بلاده افريقية فهو فيه بخير النظرين ان شاء ابقاه وان شاء عزله ، وغير هذه الشروط والناصر مقبل عليه قابل لشروطه ، وبعد تقرر ذلك خرج الناصر متوجها الى المغرب وذلك فى السابع من شوال ، وصحبه الشيخ أبو محمد ثلاثة ايام رحل معه فيها الى باجة

وكان أهل تونس عند خروج الناصر قد وقفوا ورفعوا أصواتهم بين يديه مشفقين من الميورقى وخائفين أن يصل اليهم بعد انفصال الخليفة عنهم ، فاستدعى الناصر وجوههم وقربهم منه وكلمهم بنفسه فقال انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان ، فتباشر الناس بولاية الشيخ أبى محمد اذ كان

لا يكاد يسمع له كلام ما دام راكبا الى أن ينزل وكان يلقب بالصامت ، ورجع الشيخ أبو محمد من باجة الى تونس واليا على جميع بلاد افريقية ، وكان أول جلوسه للناس فى القصبة يوم السبت العاشر من شوال من السنة المذكورة وهى سنة ثلاث وستمائة ، وبقى ابن يغمور حافظا بالمهدية الى أن عزل عنها بعد ذلك وتوالت عليها حفاظ من الموحدين

وولى الامير أبو زكرياء رحمه الله عليها(١) ابن عمه أبا على عمر ابن عيسى ابن الشيخ أبى حفص وذلك فى شهر رجب من سنة ثمان وثلاثين، فبقى واليا عليها الى أن توفى بها فى الثانى عشر لصفر من سنة ست وأربعين ، وكان أبو على هذا واليا على بسطة فلما دعا أبو العلاء لنفسه وكتب الى ولاة البلاد بالدخول تحت طاعته امتنع أبو على من ذلك وقال : أنا لا أبايع حتى أرى ما يكون من الامام بمراكش وكتب لابى العلاء فى جواب كتابه قوله سبحانه: قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة ، فلما ثبت عنده موت عبد الواحد المخلوع بايع أبا العلاء وتوجه اليه الى اشبيلية فدخل عليه وقبل يده وكان أبو زيد بن يوجاق(٢) حاضرا فجعل يثنى عليه وكان فى جملة ما أثنى عليه أن قال : وهو حافظ للقرآن ففهمها أبو العلاء(٣) وقال : واخاله لسورة

---

(١) وقعت هنا زيادة « باخوة » فى بعض النسخ

(٢) فى بعض « يوجان »

(٣) فى بعض النسخ « العادل » وفى بعضها « العامل »

المفصل احفظ منه لغيرها ، ولم يضره ذلك عنده بل ولاه جيان التى بسطة من أعمالها

ولما عزم أبو العلاء على تسليم جيان للنصارى وكتب بذلك الى أبى على تورع أبو على أن يفعل ذلك وجمع أهل البلد فقال لهم شأنكم وبلدكم فانى لا أخرجه من يدكم لاحد من أعداء الملة ولا من أعدائكم ، فأخبروه أن ارادتهم مبايعة ابن هود فبايعه معهم ثم ارتحل اليه بنفسه فأعظم قدومه ولم يزل عنده تحت بر واكرام الى أن ركب البحر الى افريقية ، فولاه الامير أبو زكرياء على بجاية ثم نقله منها الى بونة ثم الى المهدية كما تقدم ، وهو شاعر مجيد وقفت على ديوان شعره فى مجلدين (١) ومنه قوله ـ وبعثه الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم من اشبيلية ـ : (منسرح)

إليك ألقي بعذر محتشم مرتحل القلب ساكن القَدَمِ

أصبح من قصده على أمَلٍ ومن لَظَى شوقه على أَلَمِ

يُتبع رَكْبَ الهدى إليك أسى ما شاء من حسرة ومن نَدَمِ

برح (٢) شوق به إليك فما ينفك ما لم يزرْك في ضَرَمِ

ألوى به عن بلوغ نيّته حُكْم زمان عليه محتكِمِ

فعزمة تلتوي على عقِب وهمّة ترتمي إلى أمَمِ

---

(١) فى بعض النسخ : فى مجلد .
(٢) فى بعض النسخ : يروح .

يا خير من تنقل المطي له عذري في اللبث غيرَ متهم
عبدك لو يستطيع جاب اليـك القفر في غيهَب من الظلَم
يمسح ما بين حمص منه إلى يثرب براً بوجهه وفم
ولي ذنوب قد عُقنني ثِقَلاً لولاَ أذىٰ ثِقلِهنَّ لمْ أقِم
يرجوك يا شافع البريّة ان تشفع فيه لبارىء النَسَم
عسى قبول لديك يلحقني بقبرك المستنير والحَرَم
وصاحبيك اللّذين خصّهما بنعمة القُرب منك ذو النِعَم
فقد توسّلت بالّذي لك عنـد الله من رفعة ومن عِظَم
صَلّى عليك الإله ما اتّصفت اوصافه بالجلال والكَرَم

قال ابن الابار فى الحلة السيراء : وكتب الى مع تمر أهداه: (طويل)

اتتك خليقات بحسن الخلائق بها غُنْية عن كلّ ما في الحدائق
سليلات جبّار حكت وسْطَ دوحه خوافق بالمُرّان بين الفيالِق

وله فى صناب أهدى اليه وألغز فى وصفه من أبيات : (متقارب)

بعثتَ بما يشتهَى يابن عمْ فدُمْتَ ودامت لديك النِعَمْ
بابيض كالمحض لكنه به شدّة تستثير القَرَمْ
لسطوته سَورة بالأنوف وليس - لعمرك - ممّا يُشَمّْ

شفاء ولكن نِعِمّا (١) الشفا لمن ظلّ يشكو بداء البَشَم
وقد يجتزي الجَفَلى باليسير منه ولكن لأمر يُذَمْ

ووقع له فى قصيدة مدح بها ابن عمه الامير أبا زكرياء : (سريع)

وانّ من أقبح شيء يرى عقيلة يملكها وغدْ
او حُلّة تلبسها غادة وجيبها في صدرها لِبْدْ

فكان الامير أبو زكرياء وشعراؤه يتضاحكون بهذا ، وينسب كثير من الناس له هذين البيتين : (سريع)

بكفيك يا معتقل السمهري ما نالنا من طرفك الأحْوَرِ
ان كنت من جندك في قِلّة فأنت من لحظك في عسْكرِ

وانما هما لاخيه عبد الرحمن بن عيسى وقد ذكرناه وأخاه فى كتاب الدر النظيم بأتم من هذا

وفضلاء المهدية وشعراؤها كثيرون لو أخذنا فى استقصائهم لطال الكتاب بهم

وفى انموذج ابن رشيق منهم من له البدائع كعبد الله بن ابراهيم ابن مثنى ، وعلى بن عبد الكريم بن أبى غالب ، ومحمد بن حبيب ، ولابن رشيق كتاب «الروضة الموشية» فى شعراء المهدية» ذكر فيها من يطول تعداده ، ولعثمان بن أبى القاسم بن عبد الرحمن بن

(١) فى جميع النسخ « نعم »

حشرون (١) المهدوى كتاب « المختار فيما انتقاه لاهل عصره من الاشعار » وفى كتاب « خريدة القصر » لعماد الدين أيضا جماعة من أهل المهدية وتتبعهم يخرجنا عن مقصود كتابنا هذا ، ولا بأس بذكر من أمكن منهم ممن أدركناه بعصرنا أو أدركه شيوخنا .
وكفى بالمهدية فخرا بعالميها وصالحيها أبو القاسم بن على بن عبد العزيز بن البراء التنوخى ، وأبو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن الخباز اللواتى

أما أبو القاسم منهما فكان مولده بها فى حدود الثمانين وخمسمائة ، وكان رحمه الله أحد العلماء الاعلام الحفاظ المشاركين فى أنواع العلوم ، وكان فى أول أمره زاهدا فى الدنيا وأبنائها ، معرضا عن ملوكها وأمرائها ، ثم جرت محن له آلت به الى مراجعة ما كان معرضا عنه ، فحين أقبل عليها أقبلت عليه وانتهت اليه بالحضرة رئاسة العلم ورئاسة القرب من السلطان ، وكانت وفاته بها فى يوم الخميس العاشر من شوال سنة سبع وسبعين ، وقد كان ارتحل الى المشرق سنة اثنين وعشرين فسمع بالحرمين الشريفين وبالقاهرة ومصر والاسكندرية من جماعة يطول تعدادهم ، وقد ذكرهم فى جزء خاص بهم ، ولم أقف له على شعر الا على قوله — وقد ضربت اجزاء الدنانير العشارية والخماسية فى عام ثلاثة وسبعين : (طويل)

---

(١) فى بعض النسخ « عشرون » وفى بعضها « بشرون ».

بدا الذهب الابريز من كف ماجد سما بالمعالي والكبير كبيرُ

امام ترى الاملاك يصغر قدرها اذا ذكرته والصغير صغيرُ

وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى راحتيه والحقير حقيرُ

لقد جل قدراً ملكه واعتلاؤه فليس يضاهى والخطير خطيرُ

واما أبو عبد الله فكان من اجل أهل زمانه دينا وعلما وفضلا ، ولد بالمهدية سنة ستمائة وتفقه بها على أبى زكرياء البرقى(١) وارتحل الى المشرق فأخذ به عن جماعة يطول تعدادهم وحج وتوجه الى بغداد فقرأ بها « الحاصل » على مؤلفه تاج الدين أبى عبد الله محمد بن الحسين الارموى(٢) وآب الى جمة ، بعلوم جمة(٣) فدرس وأفتى ثم نقل الى الحضرة ، فتقلد قضاء الجماعة بها سنة ستين ثم صرف عنه فى شهر رمضان من سنة اثنين وستين ثم رد عليه فى السابع عشر لذى قعدة فى سنة سبع وستين ، وكانت وفاته رحمه الله ببلده فى السابع والعشرين لجمادى الاخرى من سنة ثلاثة وثمانين ، وولده أبو القاسم صاحبنا سرى (٤) النفس عالى الهمة حسن الاخلاق وهو الان بالحضرة مخطط بخطة العلامة الصغرى وله شعر ضعيف أنشدنى لنفسه يتغزل : (طويل) -

---

(١) فى بعض النسخ « البونى »

(٢) هو الحاصل من المحصول فى الاصول للقاضى تاج الدين محمد الارموى المتوفى سنة ٦٥٦ راجع كشف الظنون (طبع ليدن) ج ٥ ص ٤٢٤

(٣) فى بعض « بعلم جم ».

(٤) فى بعض النسخ « طيب ».

تبدّت فقال القوم قد طلع البدر مهاة (١) بقتل العاشقين لها خُبْرُ
سرَتْ فأسرَّتْ في فؤاد محبّها سرائر وجْد يستبين بها السّرُّ
وأحيته اذْ حيَّت ومنَّت بأمنها لنفس كئيب كاد يُتلفه الهجْرُ
لها الله من فتّانة الحسْن طرفها تقاصر عنه النبل والبيض والسُّمْرُ
إذا ما بدت طاشت عقول ذوي النُهى فتُقْتحم البلوى ويُستعذَب المُرُّ
فكم سلبت لبّا وكم ولهت ظنا وكم فعلت بالعقل ما تفعل الخمْرُ
وكم نقضت عهداً وكم عقدت جفا وكم وعدتْ لكنّ شيمتَها الغدْرُ
ومهما شكوت الحبّ قالت هو الهوى فأوّله قرب وآخره قبْرُ

ومن شعراء المهدية وعلمائها الذين حدثنا أشياخنا عنهم: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتى المعروف بالحنفى، ولد بها وهو من أعيانها وارتحل الى المشرق فدرس بدمشق مدة ثم انتقل الى الموصل فانتحل مذهب ابى حنيفة واشتغل به حتى صار اماما فيه واشتهر بالنسبة اليه فلا يعرف فى افريقية الا بذلك، ولم يكن فى هذه العصور كلها ببلاد افريقية حنفى غيره، ولما عاد من المشرق لزم سكنى المنستير المتعبد المشهور بالفضل تحت جراية من الامير أبى زكرياء رحمه الله، وكان اذا وفد على الحضرة اجتمع بالامير أبى

(١) بعض النسخ « فتاة »

زكرياء وجلاسه . جدث عنه أشياخنا الفقيه أبو يحيى بن عبد الكريم العوفى ، وأبو عبد الله محمد بن ابى القاسم القيسى الازدى، وأنشدنا أبو عبد الله محمد القيسى المذكور قال : أنشدنى الحنفى لنفسه يذم بلده ويصف أهلها بالبخل الابيات المشهورة : (طويل)

إذا حلّ بالمهديّة الضيف نازلا   يروم القِرى زُفت إليه الكوامِلُ
إذا حسروا عنها المناديل أنشدت   وما السيف إلاّ غمدهُ والحَمَائلُ

وبين هذين البيتين بيت أضربت عن ذكره(١)

وكان بالمهدية قاض ذبح قردا لاذاتيه فقال فيه ابن أبى الحواجب المهدوى وهو أحد شعرائها نفاه الإمير أبو زكرياء رحمه الله منها الى المشرق : (منسرح)

غرائبُ الدهر قد كثرن ولا   اغربِ من حكم ذابح القِرَدَهْ
أحلّ ذبح القرود محتسبا   وحرَّمِ الفضل بئسما اعتمدَهْ

فقال الحنفى :

عاب عليه صنيعه نفرٌ   وما دَرَى الجاهلون ما قصدَهْ
يذبح من كان شِبْه صورته   لكي تُرَى في الوجود منفردَهْ

---

(١) يوجد فى طرر بعض النسخ ما نصه « والبيت الذى اضرب عن ذكره هو قوله

صحاف حكت عن ام موسى فؤادها   يغالط فيها حسه ويماطل

وانما اضرب عن ذكرها فيه من التشبيه بالصديقة ام موسى عليه السلام وخلط الجد بالهزل

وكانت وفاة الحنفى فى الثالث عشر لصفر من سنة خمس وخمسين وستمائة

ومن شعرائها ورؤسائها المنسوبين الى بعض منازلها الكاتب الاديب أبو العباس أحمد بن ابراهيم القيسى اللليانى وهو منسوب الى قرية من قرى المهدية تعرف بلليانة ـ بضم اللام الاولى وكسر الثانية ـ هكذا تعرف وكان أبوه مشتغلا بأعمال المهدية ونشأ أبو العباس نشأة طلب وأدب فتفقه بالمهدية على البرقى وتأدب ثم نهض الى الحضرة ، فولى بها الاعمال الجليلة وساعدته الدنيا فبلغ من الرئاسة فيها الغاية القصوى وكان يحدث نفسه بأمور كبيرة يدل عليها قوله : (مجتث)

في أمّ رأسي حديث لسامع ليس يذكَر
فإن تطاول عمري وساعد الجَدّ يَظْهَرْ
أرى جموعا صحاحا ومذهبي أن تُكَسَّر

وشاع فى كلام العامة : ويل للامة ، من سبع جمة

فلما كان فى شهر المحرم من سنة تسع وخمسين دخل أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغسانى على الخليفة المستنصر وكان ذلك اليوم يوم مطر فقال السلطان مستدعيا للاجازة « اليوم يوم المطر » أجز يا أحمد فقال « واليوم رفع الضرر » فتنبه السلطان لما سمع وقال : ايه ، فما بعد هذا ، فقال : (رجز)

والعام عـــــام تسعة كـمثل عام الجوهري

وكان القبض على الجوهرى وقتله فى عام تسعة وثلاثين فكانت هذه الاجازة سببا فى القبض على اللليانى ، وطولب بدفع الاموال وكان يدفعها شيئا فشيئا فلما استخلص ما عنده عذب الى أن مات وذلك كله فى شهر المحرم من العام المذكور، ومن شعر اللليانى قوله: (كـامـل)

هذا العذيبُ وهـذه نَجْدُ ... أين الذي يقضي به الوجدُ
ما هكذا حال المحبّ اذا ... أعلام ربع حبيبه تبدو
سرّحْ دموع العين مبتدراً ... وبذكر ماضي عهدهم فاشْدُ
والثَم على شغف مواطئهم ... ان عاق عن مقصودك البُعْدُ
لم أنسَ يوم وداعهم سَحَراً ... والدمع أسلم دَرّه العِقدُ
هزّ الصبا اغصان بانهم ... فتعانقت وتواجد الرندُ
هذا العُذيبُ بدت له عَذَبٌ ... في ظلّها قد خيّم المجدُ
لا يُخفِق المسعى إذا خفقت ... أعلامها بل ينجح القصدُ
فعسى اللقاء يكون مقترنا ... ان انجدت كلفاً بها نجدُ
ولعلّ ما نرجو تجود به ... كفُّ الزمان ويسعد الجدُّ

وقـولـه (خفيف)

خلّياني يـا صاحبيّ ونجـــــدا هيّجتما بـالملام شوقـا ووجـدا
فـلـنَجِد بـيـن الـجوانـح ودّاً مستجدّ ما دام ربعـاً لسُعْـدَى
لا تـقـولوا مرام سعدى بعيد ربّ سعد اتـى فقرّب بُعدا (١)
اهل ودّي ما حلت عن حفظ عهدي وهواكـم ما غيّر النـأي عهدا
كيف انسى عهداً كريماً وانسا بذلاً لي من خالص الودّ شهدا
ارشفاني ما شفّني وشفـــاني من برود أحْبِـب بذلـك وِردا
خير عيش مصقولُ تلك الليـالي حبّذاه من طِيب عيش مُفَـدّى
اذ يـعاطيـني المدامـــة بـدر يُخجِل البدر نوره إن تبـدّى
إن دينـي ومذهبي للتصـابي لا أرى غيره مدى الدهر رُشدا
فـاغتنم رابحـا مسرّةَ يـــوم ولْتبادِرْ سيرَ الزمانِ مُجِدّا

وقـولـه : (مـديـد)

شادن في القلب مرتعه حظه في الحسن ابدعُه
لامنيّ فيه أخو سفـه بمـلام لست اسمـعه
ردّ قلبي لي لتعـذِلَـهُ فهْو في كفّيـه أجمعهُ

---

(١) فى نسخة « رب سعد لنا بقرب »

هل ترى دهري يجود به　　بعد ما قد كان يمنعهُ
وشقيق النفس يُتحفني　　بحديث جلّ موقعهُ
لفظه در يساقطه　　وَنِطاقُ السمع يجمعهُ

وكتب اليه أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغسانى المقدم الذكر عن نفسه وعمن حضر مجلسه من اخوانه : (سريع)

يا سابق الناس الى غاية　　في ذيلها يعثر صَوب الغمام
إخوانك الكُتّاب يرجون ان　　يُلفى بكم شملهم ذا انتظام
فاطلع على الشَرب فيهم انجم　　مرتقبات منك بدر التمام
وسُرَّهُم منك بِسِرِّ المنى　　وزُرهم عِنْدَ اختلاط الظلام

فبعث اللليانى اليهم دنا وشمعا وكتب مع ذلك من نظمه :

دام لاخواني بلوغ المنى　　في خفض عيش وحميد انتظام
وقرّب الدهر لهم كلّ ما　　راموه من انس بغير انصرام
في لذّة معسولة المجتنى　　وغبطة موصولة بالدوام
ما اشوَق الصبَّ الى انسكم　　واشغَف اللبّ بذاك المقام
لكنّه عاق الفتى عذرهُ　　فالشيخ منه عوض والسلام

فراجعه الغسانى بقوله :

قد اقبل الشيخ بعذر الفتى فتى المعالي والرئيس الهُمام
وأمطرتْنا من سماء الندى يدٌ له بيضاء تجلو الظلام
لا زال يهدي لِأوِدّائه اسنى الايادي واجلّ النظام

ومن شعراء المهدية وفضلائها الفقيه القاضي أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي المعروف بابن عربية أحد العلماء الاعلام ، كان حافظا للحديث مقدما في علوم الادب مجد من فحول الشعراء وله تصانيف مفيدة منها كتاب « جوامع الكلم النبوية » على طريقة الشهاب وكتاب « الزهرة » في مسند العشرة » وكتاب « آثار السحابة في أشعار الصحابة » وكتاب « سنن القوم » في آداب الليلة واليوم » و « المستوفى » في رفع أحاديث المستصفى » وديوان نظمه المسمى « بقصائد المدح » ومصائد المنح » وغير ذلك من التواليف » وكان الامير أبو زكرياء رحمه الله استدعاه مع جماعة من خواصه وشعرائه لنزهة في رياضه المسمى (١) بأبي فهر فنظموا في وصفه قصائد ورفعوها الى الامير أبي زكرياء فأجابهم بأبيات تتضمن تفضيل شعر أبي عمرو هذا على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن الابار وغيره

وأبيات الامير أبي زكرياء رحمه الله تعالى هي : (طويل)

(١) كذا في جميع النسخ

الا ان مضمار القريض لممتدّ   بـه شعراء السبق اربعةٌ لُـدُ
فأمّا المجلّي فهْو شاعر جمّـة   اتى اوّلا والناس كلهم بعدُ
وامّا المصلّي فهْو حبر قضاعة   بآدابه تزهو الـإمارة والمجدُ
وامّـا المسلّي فالمعـاوي امّه   اتى ثالثا لكن يلين (١) ويشتدُّ
وبعدهم الكوميّ اقبل تاليا   وكم جاء سبّاقا مسوّمُه النهدُ
هم علماء الناس مـا منهم غنى   وهم شعراء الملك ما منهم بُدُّ

حبر قضاعة هو أبـو عبـد الله محمـد بن عبـد الله بن أبى بكـر القضاعى ابن الابار ، والمعاوى الفقيه الخطيب أبو القاسم بن معاوية اليحصبى، كنيته اسمه ، ويكنى أيضا أبا الفضل، والكومى أبو زكرياء يحيى بن محمد بن الغليظ.

وأصل اتصال أبى عمرو بالامير أبى زكرياء أن بعض الصلحـاء من أهل القيروان ممن كان معلومـا بالصدق والامـانـة فى ذلـك الاوان رفع الى الامير أبى زكرياء أنه رأى النبىء صلى الله عليه وسلم فى النوم وأمره أن يبلغ اليه أن يستوصى خـيرا بمخمس « القصيـدة الشقراطسية » فبحث الامير أبو زكرياء عمن خمسها من أدباء ذلـك الوقت فلم يجد غير أبى عمرو ، وسأل عن صاحب الرؤيـا فشهد فيه بالصلاح والخير ، فاستدعى أبا عمرو وأكرمه وأمر له بمركوب وصلة

(١) فى بعض النسخ « يليق »

سنية وقال له لا تشكر أحدا ، ولا تجعل لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك يدا ، وهذه القضية تشبه قضية صفوان بن ادريس فى الرؤيا التى رئيت له

مولد أبى عمرو ببلده المهدية فى سنة ستمائة ورأيت ذلك بخطه ، توفى بتبرسق وهو متولى القضاء بها فى الثامن والعشرين لمحرم من سنة تسع وخمسين ودفن بجبل الرحمة هنالك ، وشعره مدون مشهور ، وهو القائل يذكر المهدية ويتشوق اليها والى من خلف بها من أهله وذلك بعد انتقاله منها الى حضرة تونس : (طويل)

أقول لرَكْبٍ قافل عن معرّس ... بجمَّة تَرْدي بالحمول مشاحجته
لك الله أمتِعْنا عن البلد الذي ... اكابرُه اسلافنا واباحُجُنه
وعن وطن لولا العُلى وطلابها ... لعزّ على مثواي انّي خارجُه
وعن رسم ايوانٍ تداعت عراصه ... ودُكّت حناياه وحُزّت معارجُه
وما صنع القصر العبيديّ والحِمى ... وسورُ المصلّى والكثيب وعالجُه
وشاطئه انّى تنوّع حسنه ... وخِضرِمه انّى تدفّع مائجُه
سلام على المهديّتين فقهما ... ابٌ بِنتٌ عنه قاصرُ الخطو هادجُه

وله فى ذلك من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويطلب توليته قضاء بلده : (بسيط)

ذكرت جمّة والذكرى تهيج اسى وايـن جمّـة مني والمنستـــير
وما مناي لياليهـــا التـي سلفت ولا هـواي مجـانيهـا المعـاطيرُ
لكن بها رَحِمٌ محفوفة يئست من انــ تقرّبني منها المقاديرُ
فـإنــ راى مَن ادام الله نعمته عليه لي خطـة فيهـــا فماجورُ

وأنشد عبد الرحمان بن ابـراهيم الاصـولى فى كتـابـه المسمى « تبكيت(١) الناقد » قال أنشدنى لنفسه : (طويل)

نسيم الصبا حدّث عن البانــ والحمى
وعن ساكني حزوى من الخُرّد الدُمى
وعن معهد اقوى من العُفر والمَها وعن رَكْب جيران الغضا اين يمما
أيمّم ذات البانــ ام بطن رامة ام الجزع ام بـالاجرع الفرد خيَّمَا
الا فرَعَى الله الحمـى ونسيمَـه وان جلّ ما القاه من ساكن الحِمَى
وتيّمَـكم يـا اهل نجـد فإنّني اراكم تلومُون المشُوق المتيَّمَا
اما ولَمَى لُعْس الدّمى لو لحظتمُ طلاب الحمى ظلّت لواحظكم(٢) دمَا
وذيّا كم الثغر الذي يستبي النُهى تبسمه ما كنتمُ لِي لُـوّمَا
هجعتم ومَن لي بـالهجوع فربّما الـمّ بـه منكم خيال مُسلِمَا

---

(١) فى جميع الاصول « تنكيت »
(٢) فى بعض النسخ « ظلت جوانبـه » وفى بعضهـا « لـواحظـه »

ايطرُق جفنا بات منيَ ساهرا ويترك اجفاناً لكم بِتَن نوَّمَا
اغرّ شنيب ما أُعَيذبَ ثغرَه واحلى أَلِيفاظاً واندى وارخمَا
هو الظبي لكن لا اسمّيه باغماً إذا رشا ناغاه بل متكلِّمَا
تبدّى لنا والبدر ليلة تِمّه فلم ادرِ مَن بدرُ الدجنّة منهمَا
هل البَلِجُ الاضوا الذي استكمل السَّنَى
ام الغَنِج الاحوى الّذي راق مبسِمَا
ولمّا استطار البرق قلت لصاحبي اقلبي همّا ام ثغره قد تبسَّمَا
اعار وميض البرق حسن ابتسامه وماذا عليه لو اعار له اللّمَى
او البَرَد العذب الذي لن تُذيبه(١) حرارة انفاس امرىء قبَّل الفمَا
تعلَّم منه خلَّبُ البرق خُلفه فمن ايّما برق تراه تعلَّمَا
تجنى فجئنا خُضّعا لجماله عسى عَطْفة نحْظى بها ولعلّمَا
فهَزّ الصِبَى والدّلّ معطفه كما تهزّ الصبا الغصْن الرطيب المنعَّمَا
فابنا وخلّفنا طيور قلُوبنا على ثغر العذب المقبّل حُوَّمَا

وكان لابى عمرو ولد يسمى عتيقا ويكنى أبا يحيى برع فى الطلب وتقدم فى حفظ مسائل الفقه وتوجه الى المشرق فتخطط هنالك وله شعر حسن منه قوله : (بسيط)

---

(١) فى بعض النسخ « تذيبه »

يا واحد الحُسن أنت السمع والبصر عطفاك إن فتكت عيناك لي و زرُ
أبَعْد ما كان ليلي كله سحراً صيّرته بالتجني ما له سَحَرُ
قد رَقّ لي في الهوى كلّ الانام سِوَى مَن حاز رِقّي ومالي عنه مصطبَرُ
فإن شكوتُ له يفترّ مبتسما عن عشرة قد حواها ثغره العطِرُ
طلعٌ أقاح صباحٌ جوهرٌ بَرَدٌ دُرٌ حُبابٌ لُجَينٌ بارقٌ زَهَرُ

ولما قضى فريضة الحج وأقام مجاورا بمكة كتب الى أهله بتونس :

(طويل)

حججت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبيَّ الهدى ذا المجد والجود والفضلِ
ومرَّغت خدّي في مواطىء نعلِه وقابلت ذاك العزّ منّي بالذلِّ
ومتّعت الحاظي برؤية سيّد سريّ كريم طاهر الذات والاصلِ
وبوّأت نفسي من معادن مكّة مكانا عن الدنيا بأجمعها يُسلي
أقام بها قومٌ يناجون ربّهم وقد نبذوا كلّ العلائق والشغلِ
فدعْوَتُهم مقبولة وصلاتهم بألف كما قد جاء عن سيّد الرُسْلِ
وما زلتُ فيها داعياً متضرّعاً لنفسيَ والإخوان والصَحْبِ والاهل

ومنهم : الفقيه الاديب الصالح أبو يعقوب يوسف بن على بن عبد الملك بن السماط البكرى المهدوى ، وأخوه هو الشيخ الصالح أبو

على يونس الكبير القدر العلى الهمة العالى الدرجة فى الصلاح والفضل ، وكان أبو يعقوب هذا قد قصر شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يوجد له فى غير ذلك شعر الا التافه النزر مما قاله فى صباه ، ويذكر أن أخاه الشيخ أبا على رحمه الله تعالى أخبره أنه رأى النبىء صلى الله عليه وسلم فى النوم فسأله عن حال أخيه وكساه حلة ، وهو عالى الطبقة جدا وشعره مدون مشهور

وقد أخبرنى بجميعهالشيخ الفقيه ابو القاسم بن ابى محمد (عبد الوهاب) بن قائد بن على الكلاعى(١) بقراءتى عليه قال : سمعته يقرأ على ناظمه رحمه الله تعالى وكانت وفاته رحمه الله تعالى بالمهدية فى العشر الاواسط من شهر شعبان سنة تسعين وستمائة ، ومولده بها سنة ثلاث عشرة وعنوان شعره قوله من قصائد ربما اختصرنا من كل واحدة منها أبياتا منها قوله : (طويل)

سريتم وطَرفي من كرى العزم ما هبّا
وطِرْف انتهاضي في مدى الحزم ما خَبّا
وثُرتم طِلاب العزّ من دون ناصر   قصاراه ذيل الذلّ يسحبه سحْبَا
وأخليتمُ هالاتكم من بدورها   فما عُوّضت إلاّ الغياهب والسُحْبَا
وعاني هواكم لا معين له سوى   صدى صوته في الربع ما ردّد الندبَا

(١) فى جميع النسخ ورد هذا الاسم هكذا : الشيخ الفقيه بن محمد بن على بن قائد الكلاعى وقد صححناه كما اورده المؤلف نفسه فى شرحه للشفاء

وما كان ندب يستلذ وإنما ... يلذ سماع الندب من فارق النَدبا

ولي مهجة تفنى لتذكار كم أسى ... وجفن يراعي في مراكزها الشهْبَا

ليالَي تسري لي صباكم عليلة ... فيا لعليل منه أُلتَمِس الطِبَّا

رحلتم وغادرتم غريبا غروبه ... تصبّ مَصون الدمع مُذ بنتمُ صَبَّا

وخلَّفتمُ داء التواني محالفي ... وأنَّى لبادي السّقم أن يصحب الركْبَا

وهيّجتمُ هيج (١) الغرام فانتجت ... لكم من فحول الصدق في قصدكم نُجُبَا

فسارت وحاديها احتدام زفيرها ... فما ميّزت وعرا ولا فدفدا رَحْبَا

وسيقت وما قاست كلالا ولا وجى ... وقد سقتمُ مع كلّ راحلة قلبَا

وما أدلجت تثني إلى العشب لِيتَها ... ولكنّ في وادي العقيق لها عُشبَا(٢)

فهم جيرة أخلِق براجي جِوارهم ... ولو باد في البيداء ان يحمد الغِبَّا

منيف على السبع الطِباق علاؤهم ... وان اسكنوا فيما يراه الورى التُرْبَا

دعوكم ولم يرضوا سماعي دعاءهم ... ولو أسمعوني كنت أوّلَ من لبَّى

ومن كان حِفظ العهد سيماه(٣) أقبلوا ... عليه وإلاَّ أسبلوا دونه الحجْبَا

ومن كُلّفت عينُ العناية رعْيَه ... حمته المقام الدحض(٤) والمرتقى الصعبا

---

(١) وفى بعض النسخ « هوج »

(٢) وفى بعض النسخ « شعبا »

(٣) وفى بعض النسخ « شيمته »

(٤) وفى جميع النسخ « الرخص »

ومن عاقه نيل المقادير لم تطق بأرض المنى أقدامه ضَرْبَا

على أنني لا أنزل اليأس ساحتي وقلبي على بُعدي يهيم بهم حُبَّا

وقد جاء ان المرء مع من أحبَّه عن الصادق المصدوق فيما به أنبَا

فحسبي رجائي ان يمنوا بعطفهم وأن يُعقبوا للبعد من وصلهم قُرْبَا

ولِمْ لا ونيران القرى في ذراهم تنادي إلى ناديهم العُجْمَ والعُرْبَا

ولا غرو ان يلقى الطفيليَّ ماجدٌ بوجه به يلقى المعارف والصَّحْبَا

وإن هم جفوني سوف أهدي إليهمُ سلامي لعلّي بالرضى منهم أحبَى

ومن صدَّ عنه الحِب فليُفش مدحه فإنّ امتداح الحِبّ يستنزل الحُبَّا

وما القصد والمعني بالرّمز والكُنَى سوى مَن على كلّ النبيّين قد أرْبَى

ومن شاهدت عيناه من مُلْك ربّه وآياته ما يعجز الكَتْب والكُتْبَا

فسبحان من اعطى النبيّ محمّدا من الفضل ما لم يعطه قبل من نبَّا

فيا غوث من غال الحِمام حماته (١) ويا خير من آوى اليتامى ومن ربّى

أحاشيك يا كلّ المنى ان تذودني عن الحوض يوم العرض أو أمنع الشرْبا

وربّ كريم غضّ عن ورد واغل حياء إذا وافاه يتّبع السِّرْبَا

لئن قصّرت خطوي إليكم خطيئتي وذبّتني الأوزار عن بابكم ذَبَّا

---

(١) في بعض النسخ « حمامه »

فمِن شيمة العبـــد الفرارُ لربّـه ومن شِيَم السادات ان يغفروا الذنْبَا

ومنها قوله من قصيدة : (كامل)

رعْيُ الحقوق كما علمت حقيق والصبر عن وادي العقيق عقوقُ

ولِأَهل ذيّاك الحمى بقلوبنا شَغَفٌ يسوق نفوسنا ويشوقُ

ولذكرهم برد على طيّ الحشى تُشْفَى به مرضاهم وتُفيقُ

وإذا ثنى عطف النزيف(١) صبوحه فلنا صبوح باسمه وغبوقُ

قوم لهم طاب النسيم بطيبة حتى انثنى كالمسك وهو فتيقُ

وغدا ثراها للشفاه مراشفا وبقاعُها كلّ البقاع تفوقُ

ومزارع أشهى إلى عُشّاقها من شاطىء يأوي إليه غريقُ

شَرُفا بأشرف مُرسَل واعزّ مَن شرفت به فئة وعزّ فريقُ

هو صفوة الله الشفيع ومن له خُلُق بكلّ المكرمات خليقُ

سند العصاة اذا الصحائف أفصحَتْ ونبا أب وأخ وفرّ رفيقُ

هو أحمدٌ ومحمّد والمصطفى والمجتبى والصادق المصدوقُ

ومن أبيات هذه القصيدة :

كم ذا أؤمّل أن أزور ضريحه والحظ يكبو والقضاء يعوقُ

---

(١) وفي بعض النسخ « النزيه »

ويد المشيب تناولت حلل الصبا فاخلولقت وفشا بها التمزيق
لكنه ذخري لموقف فاقتي ومضاجعاه الصهر والفاروقُ
صلّى عليه الله ثمّ عليهما ما زان جيد حمامة تطويقُ
وأرت تباشير الصباح تبسما وانقاد غصن للنسيم وريقُ

وقوله : (طويل)

لعلّ نسيمات الضحى والاصائل تؤدي إلى مغنى الحبيب رسائلي
وتهدي إذا مرّت سُحَيراً بربعه سلامي الى بدر بطيبةَ آفلِ
عليٌّ لَدى الاعلَى لذلك(١) اصبحت منازله تعلو مَجَرَّ المنازلِ
وكلّ الأماني في غُدُوّ رواسم إلى رسمه أو في رواح رواحلِ
إذا يمّم الحادي بها حضرة العلا أرتك انسياب الفُلْك تحت المحاملِ
والقت الى كفّ السرى مِقودَ الكرى كما بالطّوى طابت لطَيّ المراحلِ
وان مال ذو وَجْد الى شعبه هوَى تجدها لذاك الشعب اوّل مائلِ
وما سَوقها بل شوقها يستحثّها حثيث اخي الإملاق يُدعى لنائلِ
ومن عَجَب هُوجٌ تهيج لها الصبا صبابةَ عذريّ لطيفِ الشمائلِ
وتهوى بروقا بالعقيق تألّقت كما جُرِّدَتْ بيضٌ بأيدي الصياقلِ

(١) وفي بعض النسخ « مثواه »

حنينا لمن في كفه سبّح الحصى
وانسى خطابُ النُصب (١) سَحْبَان وائلِ

وكم آية دلّت على صدقه فما ... ألبّ لها الإنكار في لبّ عاقلِ

وكم قاصد اقصى مدى معجزاته ... تلقّاه بحر لا يُحد (٢) بساحلِ

رسول اتى والغي وارتْ غيومُه ... نجومَ الهدى والرشْد عن كل غافلِ

ووافى ودين الكفر قامت دُعاتُه ... بإبطال تحقيق وتحقيق باطلِ

فلمّا بدت آياتُه وهِباتُه ... بدا النقُض فيما ابرموا في المحافلِ

وضاق الفضا ضيقَ اللحود عليهمُ ... فلا بال إلاّ وهْو رهْن البلابلِ

تلقّى كتاباً شرع ذي العرش شرعُه ... وحَدُّ المَناص فيه حدّ المناجلِ (٣)

تولّى امين الوحي جبريل حمَلَه ... فأكرِمْ بمحمول اليه وحاملِ

حوَى وعد وهّاب وانفاذ قاهر ... وتنزيه قدّوس واحكام عادلِ

ووعظا باهوال المعاد مخوّفا ... وعلما بأنباء القرون الأوائلِ

ودينا الى دار المقامة مدنياً ... وبُشرى بشكر السعي من كل عاقلِ

وزجراً بما يلقاه مَن زاغ مِن لَظَى ... اذا قيّدَ قومٍ نحوها بالسلاسلِ

وفي كلّ ما يتلو الرسول دلالةٌ ... على صدقه من واضحات الدلائلِ

---

(١) وفى بعض النسخ « الصبب »
(٢) وفى بعض النسخ « يحاط »
(٣) وفى بعض النسخ « المحاصل » ولعل الصواب « المخاصل »

هو المصطفى من قبل تكوين آدم　على الخلق من آبائهم والحلائل
حبيب وحبات القلوب كناسه　اذا بوّىء المحبوبُ خير المنازل
له غابة من صحبه هو ليثها　لديهم مرير الموت عذب المناهل
صدور اذا حلوا بناد وفي الوغى　صدورهم تلقى صدور العوامل
اشداء والهيجاء حام وطيسها　ذوو رحمة بالبائسات الارامل
فكم من عديم صار فيهم كمُترف　وكم من غريب صار فيهم كآهل
كذا فليكن حسن الثناء لسادة　متى أمّلوا لم يُخلفوا ظنّ آمل
على من به سادوا الورى وعليهمُ　سلام كنشر (١) الروض بين الخمائل
فحتى متى اشتاقهم وتغرّني　اماني وامهال بتسويف باطل
وما المرء الاّ ظاعن مترحّل　معارٌ لاوقات تمرّ قلائل
واسفار صبح الشيب عن ليل لمّتي　دليل على ظل من العمر زائل
ولمّا تقضت في التواني شبيبتي　واصبحتُ من جرائها في حبائل
ولم يبقَ لي الاّ التفاني بادمع　على طول تفريطي هوام هوامل
وكلّ يرى ان المديح وسيلة　لكلّ كريم من اجلّ الوسائل
مدحت الشفيع المصطفى غير قائم　بمعشار ما يُحصى له من فضائل

---

(١) وفي بعض النسخ « كنور »

وما المدح فيمن يحسن المدح باسمه   واوصافه الا كتحصيل حاصلِ
ولكنه جُهد المقلّ لقاصر   عن الفرض في تعظيمه والنوافلِ
الم يك (١) قول الله في رفع ذكره   وهل بعد قول الله قول لقائلِ

وقوله : (كامل)

اعِد الحديث فليس بالمملولِ   عن خير مبعوث وخير رسولِ
واملأ مسامعنا بطيب حديثه   فهو الشفاء لحَر كلّ غليلِ
وادأبْ عليه مصليا ومسلّما   فكذا اتى في محكم التنزيلِ
واخصص بترداد السلام ضريحه   في كلّ شارقة وكلّ اصيلِ
واذا رايت العيس تُحدى(٢) نحوه   فاختر مواطئهن للتقبيلِ
واشفع بمن حملت على اكوارها   من حامل لغرامه محمولِ
واصحبْهم بالقصدان ونت(٣)الخطى   وزايت باع الطول غير طويلِ
فعسى ينالك من زكاة زكائهم   ما قرّر القرآن لابن سبيلِ
ومن اقتدى بالصدق في انحائه   قادته عزمتُه بغير دليلِ
ومن اشرأبّ الى لقاء حبيبه   جَذبَ المقادةَ من يد التعليلِ
واماط سَوفَ ومجّ ريقه رِقه(٤)   بلَهَا العزيمة من فم التاميلِ

(١) وفي بعض النسخ « نسرو »
(٢) وفي بعض النسخ « تخدى »
(٣) وفي بعض النسخ « وصب »
(٤)وفي بعض النسخ « ريقه »

حتى يرى البيداء وثبةَ خائف والميل من قِصَر دُوَين الميلِ
كلٌّ الجمال متى ارى لك زائراً متبوّئا بذراك خير مَقيلِ
فرحاً بمغناك المقدّس تربه فرح المحبّ مبشرا بقبولِ
مترنحا طربا ترنح منتش هزّت معاطفه شمالُ شمولِ
فهناك اظفَرُ بالاماني والمُنى وعلى الوجود أصول حينَ وصولي
وتهزّني من طيب طيبةَ نفحةٌ فيطيب لي مَرَحي وجر ذيولي
واذا اساتُ تأدّبا بحماكمُ عفوا فإنّي غِبتُ عن معقولي
من ذا يرى حرم الحبيب فيهتدي لتميُّز المعلوم والمجهولِ
قمر له هضباتُ مكّة مطلعٌ والروضة الفيحاء افق افُولِ
جاءت نعوت كماله منصوصة في الذكر والتوراة والانجيلِ
وبه تشفع آدم لِالإلاهه لَما احسُّ بحالة التحويلِ
واتى بمبعثه المسيحُ مبشّراً يوصي به للجيل بعد الجيلِ
وبليلة الإسراء اكمل فضلُه ناهيك من فضل ومن تكميلِ
واليه نلجأ في المعاد لأنّنا نأوي لِظلّ للنجاة ظليلِ
ما زال في الاصلاب ينقَل نورُه حتى تبلّج في اعزّ قبيلِ
من نبعة للجود روّض نبتها وفروع مجد فارع واصول

صِيد تحل من الاكابر هامها وتحل منها مفرق الإكليلِ
فانجاب غيمُ الغيّ عند ظهوره كالشمس في جوّ تلوح صقيلِ
واذلّ من بالكفر حاول عزّة واعزّ بالإيمان كلّ ذليلِ
الِفَ الجميل فما يقابل سائلا إلاّ بوجه كالسراج جميلِ
لا يعدَم السارون ان نزلوا به ريّاً لِصَادٍ او قِرى لنزيلِ
سَمْحٌ يشاكل حسنه إحسانه لا تعتريه ملالة المسؤولِ
يلقى الارامل واليتامى ان نأت عنهم عشيرتهم بكفّ (١) كفيلِ
ويبيحهم من حبّه وحبائه ما يحمل المثري على التطفيلِ
هذا الفخار ومن يكن ذا وصفه فالمدح فيه كقطرة في النيلِ
وعلى اولي الإلباب طُرّاً ان يروا بذل النفوس له اقلّ قليلِ
فعليه من ذي العرش كلّ تحيّة وعلى صحابته ذوي التفضيلِ
ما امرع (٢) الروضَ الحيا وتضوّعت ريّا نسيم في الغدو عليلِ

وقوله وذكر شهر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، ومجد وعظم: (كامل)

اعلمتَ انّك يا ربيع الاوّل تاج على هام الزمان مكلَّلُ

---

(١) وفي بعض النسخ « بخير »
(٢) وفي بعض النسخ « ابدع »

مستعذَب الالمام مرتقَب اللقا   كـلّ الفضائـل حين تقبل تقبل
ما عدتَ الاّ كنت عيداً ثالثا (١)   بل انت احلى في القلوب واجمل
شَرَفاً بمولد مصطفى لمّا بدا   اخفى الاهلّةَ نورُه المتهلل
وحويتَ مذاصبحتَ ظرفَ زَمانه   ظَرْفاً به في برد حسنك ترفل
وملكتَ انفسنا بلطف شمائل   بنسيمها نفس العليل تُعَلّل
واذا حدا الحادي (٢) بمنزلة الحمى   فالقصد سُكّان الحمى لا المنزل
فَطُل الشهور علا وفاخِرها فان   شمخت باطولها فانت الاطول
واستثنِ منها ليلة القدر التي   بثنائها نزل الكتاب المُنْزَل
واصغ لقول الله فيها انها   من الف شهر في الانابة افضل
واستكمل البشرى فانك لم تزل   لك في القلوب مكانة لا تجهل
لِمَ لاَ وعشرك واثنتاه أريننا   قمرا به شمس الضحى لا تعدل
ومن العجائب بدرُ تِمّ يستوي   لتمام عشر واثنتين ويكمل
ويفوت اقمار السماء لانّها   للنقص من بعد الزيادة تُنقَل
وكمال هذا البدر لا يعزى الى   نقص ولا عن حاله يتحوّل
بل نورهُ يزداد ضِعْفا كلما   طفق المِحاقُ سنى البدور يُبَدّل

(١) فى بعض النسخ « ثانيا »
(٢) فى بعض النسخ « شدا الشادى » والتصحيح عن المدخل لابن الحاج ٢ — ص ٤٤

ويقي عثارَ الغبيّ و ضـ ُـشا ، ويبين من سبل الهدى ما يشكِل
وتُراع افئدة العداة لـه كما يرتاع من شاكي السلاح الاعزلُ
فمتى تحيط بوصف بدر نبوّة وافى وليلُ الكُفْر داجٍ ألْـيَلُ
فجلا عن الآفاق غيهبَها كما يجلو صدا العضْب الحسام الصيقَلُ
وهدى إلى كنف النجاة سراجه فعَشا المُحقّ بـه وضلّ المُبْطِلُ
وتظافرت ايدي الرفاق فصيَّرت شيَـع النفاق وضعفهنّ مُـذَلَّلُ
وشدت بألسُن حالها الاكوان من طرب لـه هـذا النبيّ المُـرْسَلُ
هذا الّـذي هو للمُنـاصب عَلْقَم ولماحِض الودّ الرحيقُ السَلْسَلُ
وعلى الأرامل واليتامى إن خشوا أن تَبدوَ الصفحات سِتْر مُرسَلُ
وإذا انثنى الأقران عن وقع القنا فهو الملاذ لمِن كبَا والمَعقِلُ
وهو الشفيع المستجار بجاهه والـأمُّ عمّن ارضته تذهَلُ
قسماً بمُرسِله الينا رحمة إنّي عليه مُعوِلٌ ومعـوِّلُ
لا ادّعى علما ولا عمَلا ولـكنّي بجـاه محمّد أتوسّلُ
فلربّما صدَّ الكريمَ حياؤهُ ان كان في ندمائه متطفّلُ
صلّى عليه الله ما هبّت صَبا ليلا وما نفحت سُحَيْراً شمْألُ
وعلى صحابته وصفوة آلـه ما لاح برق او ترنّم بُلبُلُ

فأقمنا بالمهدية يوم الوصول اليها وهو يوم الاثنين الثاني عشر من صفر كما تقدم ، وارتحلنا عنها من الغد فنزلنا بمدينة سوسة ومنها يوم الاربعاء الى الفلاحين ثم منها يوم الخميس الى رادس ومنها صبح يوم الجمعة الى الوطن تونس حرسها الله تعالى ، فكان أمد الغيبة عنها من يوم الخروج الى يوم الدخول اليها عامين اثنين وثمانية اشهر وأياما التي هي بحسب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم وخمسة وسبعون يوما

وهنا انتهى الغرض المقصود من هذا التقييد والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا

ورأيت أن اختمه بقصيدة كنت نظمتها بطرابلس لما طال بنا هنالك أمد المقام ، أمتدح بها النبيء محمدا صلى الله عليه وسلم خير الانام ، وأتوسل به الى الله تعالى في تيسير المرام : (كامل)

كم أنت في اللذّات ذو استغراق ونذير شيبك مؤذن بفراق
ولقلما يجدي المتابُ إذا أتى داعي الحِمام وقيل هل من راقي
يا صاحِ دعوة ناصح لك مشفق والنصح يُقبَل من ذوي الإشفاقِ
بادر إلى التقوى بِدارَ مسارع وانهض إلى الطاعات نهض سباقِ
واغنَم من الأيَّام مهلة ساعة قبل التفاف الساق منك بساقِ

حدّثتَ نفسك بالبقاء ولم يكن في هذه الدنيا ليبقى باقي
كلّ بها فانٍ ومنقرض ولا بُقيا لغير الواحد الخلّاقِ
واترك اناساً آثروا لذّاتهم واستمتعوا من دهرهم بخلاقِ
علقت نفوسهمُ بنزر عاجل فاستبدلوه بأنفس الاعلاقِ
عِوَض كلا عِوَض وبيع كلّه غُبن وسعي ظاهر الإخفاقِ
ياأيّها الإنسان إنك كادح كدحا وانت لما كدحت ملاقي
والمرء مجزيّ بما هو فاعل وجزاؤه جار على استحقاقِ
فنعيم ذي الطاعات غير مكيَّف وعذاب ذي العصيان غير مطاقِ
لله اقوام اطاعوا ربّهم ووفوا بما اعطوه من ميثاقِ
عظمت لهم هِمَمٌ وعزّت نفُس فسمت بهم نحو المحلّ الراقي
قوم لو اطّلع الملوك عليهمُ لَسَعَوا لخدمتهم على الاحداقِ
من كلّ بدر أفْقُه محرابه لا يختشي ابداً لحَاق محاقِ
يسمو اذا نام الانام نورده فيعود منه الليلُ ذا إشراقِ
خطبوا النعيم ببذلهم لنفوسهم والخِطْب لا تُعطَى بغير صداقِ
لم تحصل الاخرى لهم إلاّ وقد خرجوا عن الدنيا خروج طلاقِ
ان لم اكن بالفعل ملتحقاً بهم فالحُبّ فيهم مُقْتَض لِلَحاقي

يا ربّ بالهادي الذي ارسلته نوراً افضتَ سناه في الآفاق
هاد اتى والجهل قد عمّ الورى والكفر قد غطّاهم برواق
فَجَلاَ لَهم سُبُل الهدى وافالهم من غِرَّة كانت بِهِم وشقاق
ولقد حباه الله كلّ فضيلة وانالـه العليا على الإطلاق
بنزول طست فيه طُهْر فؤاده وعروج جسم وامتطاء بُراق
وكفى له شَرَفاً بان الله قد اثنى على ما حاز من اخلاق
يَسّرْ لنا فيما به كلّفتنا عوناً لنمتثل امتثال وفاق
وامْنُنْ علينا بالوصول لقبره فهو الشفاء لقلبيَ المشتاق
يا ليت شعري هل اراني ساعيا في شدِّ اكوار وحدو نياق
فلكُمْ تؤخّر عزمتي الاقدار من فِرَق تسير لقبره ورفاق
قَسَماً بعزّته ورفعة قدره إنّي لزورته لبالاشواق
لكنّ سيّىء ما جنيتُ أقرّني عنه وقيّد عزمتي بوثاق
لاَهُمَّ إنّا لاَئذون بجاهه فهو الشفيع لنا وانت الواقي
صلّى عليه الله ما هبّت صَبا وترنّمت وُرْق على اوراق



«تمت الرحلة»

الفهـــــارس

تنبيه

الفهارس الابجدية التالية شاملة لما فى الاصل والتعليقات

فهـرس

اسمـاء الرجـال والقبـائل

ـ أ ـ

آدم ٢٦٧ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٩

آل سالم ٢٢٠

آل غالب ٣٠٩

ابراهيم بن عبد الله ١٢٥

ابراهيم بن قـراتكين (سلاح دار) ١١٢ ـ ١١٤ ـ ١٣٨

ابراهيم بن محمد الصنهاجي ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١

ابراهيم بن مطرّف (ابوزدارة) ١٩٧

ابراهيم بن يوسف بن زيري ٩٦

الابراهيميون ٢١٧

ابن الابّار ٨٤ ـ ١٠٦ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٨ ـ ٣٦٥ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦

ابن ابي حفص ، ابو علي بن ابي موسى (انظر : ابو علي)

ابن ابي حفص . ابو محمد عبد الله بن عبد الواحد (انظر : ابو محمد عبد الله)

ابن ابي حفص ، ابو محمد عبد الواحد (انظر : ابو محمد عبد الواحد)

ابن ابي الحواجب للمهَدوي ٣٧٠
ابن ابي سلام (ابو عبد الله بن ابي بكر بن ابي زا كي البلَوي) ٢٢٨ - ٢٩٨ - ٢٩٩
ابن ابي زيد (انظر : ابو محمد)
ابن ابي عامر (انظر : ابو حفص عبد الله)
ابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤ - ٩٢ - ١٢٤ - ١٣٥
ابن الاغلب ٢٣ - ٢٤ - ٨٠ - ٨٥ - ٢٢٠
ابن باديس ٢١
ابن بديل ٣٢٤
ابن البرَاء التنُوخي (انظر : ابو القاسم بن علي ..)
ابن البرَاء المهدوي (انظر : محمد بن البراء)
ابن بِرْنيق ، ابوبكر (انظر : ابو بكر)
ابن بَرْنيق ، ابويحيى (انظر : ابو يحيى)
ابن بسّام ١٦ - ٢٢
ابن بشكَوال ٥٥ - ٧٩
ابن بشير (انظر : محمد بن بشير)
ابن بلبل (انظر : حسن بن بلبل)
ابن بيّاضة (انظر : مفرج بن بياضة)

ابن اليساني (انظر : الفاضل اليساني)
ابن البَيْطار ٣١٤
ابن تافراجين ١٠٦
ابن تغري بردي ١١
ابن الجلاب ٢٥٦
ابن الحاج (صاحب المدخل) ٣٩١
ابن حبيب (انظر : محمد بن حبيب)
ابن حجّاج ٧٩
ابن حجري الاشبيلي (انظر : ابو الحسن)
ابن الحدّاد (ابو الحسن علي بن محمد) ٣٣٢
ابن الحذّاء (انظر : ابو عمر)
ابن حُسَيْنة (انظر : ابو ابراهيم)
ابن حَشْرون المهدويّ (انظر : عثمان بن ابي القاسم)
ابن الحكيم الزَّنْدي ١٦٤ - ١٦٥
ابن حمّاد (انظر : محمد بن علي بن حماد)
ابن حمْدون (انظر : مطرف بن علي)
ابن حَمدون ، مَيْمون (انظر : ميمون)
ابن حمْديس الصقلّيّ ٩٥

ابن حيّان الأوْسيّ ، ابو عبد الله محمد بن احمد ٢٧٩
ابن حيّون (انظر : محمد بن حيون)
ابن خالد (انظر : احمد بن خالد)
ابن الخباز اللواني ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن علي)
ابن خُرَاسان ٣٤١ ـ ٣٤٦
ابن الخرّاط ٣٤٧
ابن خزرون (انظر : سعيد بن خزرون)
ابن الخطيب ٢٥٧
ابن خلدون (المؤرخ) ٥ ـ ٢٠ ـ ١١١ ـ ١١٣ ـ ٢٦٥ ـ ٣٥٠
ابن خلفون الحسّاني (انظر : ابو عثمان)
ابن رأس الحجلة ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عمر)
ابن رشيد (انظر : محمد بن رشيد)
ابن رشيق ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨١ ـ ٣٦٦
ابن الرومي ٤٠
ابن زنون ، ابو عبد الله ١٥٧
ابن زُهر ٨٤
ابن زساد الفادعي (انظر : محرز)

ابن سعد (صاحب الطبقات) ١٢٥

ابن سعيد (صاحب خزانة الادب) ٥٢

ابن سعيد ، ابو الحسن (صاحب كنز المطالب) . (انظر علي بن موسى)

ابن السمّاط ، ابو علي ٢٦٠

ابن السمّاط البكري المهدوي ، ابو يعقوب (انظر : يوسف بن علي)

ابن السكاك ، ابو بكر (انظر : ابو بكر)

ابن السّيرافي ٦٤ - ٦٥

ابن الشّباط ١٦٢

ابن شِبْرين الجُذامي السبتي ١٦٤ - ١٦٨ - ١٧٠

ابن شدّاد ١٤ - ١٥ - ٣٤١ - ٣٤٦ - ٣٤٧

ابن شَرف ٢٩ - ٣٣ - ٧٩ - ٨٣

ابن صخر ، (انظر : ابو الحسن)

ابن الصّغير الازدي ٨٩

ابن الصفّار السوسي (انظر : علي بن احمد)

ابن الضابط (انظر : ابو عمرو عثمان)

ابن عبّاد (المعتمد) ١٩٧

ابن عباس ٨ - ٩

ابن عبد البَرّ ، ابو عمَر ٢٦

ابن عبد الحكم ١١
ابن عبد السلام الكومي ، (انظر : محمد بن عبد السلام)
ابن عبد الكريم الرجراجي (انظر : محمد بن عبد الكريم)
ابن عبد الكريم الغماري (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)
ابن عبد الكريم العوفي (انظر : ابو يحي)
ابن عبدون السوسي (محمد) ٣٨ ـ ٤١
ابن عبَيد , ابو فارس (انظر : ابو فارس)
ابن عدِيّ ، (انظر : ابو احمد)
ابن عذاري ١٢ ـ ٢٨
ابن العربي ٢٥٦
ابن عرية القيسي ، ابو عمرو (انظر : عثمان)
ابن عصفور ٣٥٥
ابن العطار القرطبي ١٧٨
ابن عفيف ٢٧٢
ابن علوان الصخري (مالك) ٣٣١
ابن عُمَر ٣١
ابن عُمَيرة (انظر : ابو المطرف)
ابن العنبر ٦٢

ابن عيَينة ٨٧

ابن الغطاس السوسي ٣٧

ابن الغليظ الكومي (أبو زكرياء يحي بن محمد) ٣٧٦

ابن فاضل البكري الافريقي (انظر : محمد بن فاضل)

ابن فتح الغماري النفزاوي (انظر : ابو بكر بن فتح)

ابن فرج الكومي . ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن الفرج)

ابن فرج الهواري الطرابلسي . ابو مسلم (انظر : مؤمن بن فرج)

ابن فُرْسان (انظر : عبد البر)

ابن فطيس (محمد) ٢٧٢

ابن قائد الكلاعي (انظر : الكلاعي)

ابن قتيبة ٨٧

ابن القطان (أبو الحسن) ٨ _ ٩

ابن قطن ١٣

ابن كلدين ١٢٥

ابن لبابة (انظر : محمد بن عمر)

ابن اللمْطي (انظر : علي بن اللمطي)

ابن لُقمان ٩٦

ابن ماكولا ١٤٢

ابن المثنى (انظر : ابو الحسن)
ابن مثنّى (انظر : عبد الله بن ابراهيم بن مثنى)
ابن مجْبِر ، ابوبكر ١٣٧ - ١٣٩
ابن مرزوق السالِمي (انظر : غلبون)
ابن مطروح التميمي (ابويحي) ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٥
ابن معاوية اليحْصُبي ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)
ابن معاوية اليحصبي ، ابو القاسم (انظر : المعاوي)
ابن معمر ، ابو موسى ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٤ - ٢٨٠
ابن معمر الهواري الطرابلسي ، ابو علي (انظر : الحسن بن موسى)
ابن معين ٩ - ٣٢
ابن ملجوم (انظر : ابو القاسم)
ابن المناصف ٢٥٧
ابن المنمر ٢٥٠ - ٢٥٧ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٣١٧
ابن ميخائيل القرشي ٣٣ - ٣٤
ابن ميمون ، علي (انظر : علي بن ميمون)
ابن ميمون ، محمد ، (انظر : محمد بن عبد العزيز)
ابن نخيل ١٠٨ - ١٤٧
ابن نزار (انظر : ابو زيد)

ابن هانش الطرابلسي ، ابو محمد ٢٦٣

ابن هشام ٥٩

ابن هود ٣٦٤ .

ابن يعيش ، ابو عبد الله محمد ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٣ - ٣٠٤

ابن يَغْمور الهنتاتي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن يغمور)

ابن يَمْلول ، ابو العباس احمد بن محمد ١٦٣ - ٢٣٩

ابن يُوجاق (انظر : ابو زيد)

ابو ابراهيم احمد بن الاغلب ٢٦

ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن حُسَينة ١٥٦ - ١٧١ - ١٨٩ - ١٩٢
٢٠٤ - ٢٣١ - ٢٣٢

ابو احمد بن عَدِيّ ٨ - ٩

ابو اسحاق (السيد ابو اسحاق) ١٣٦

ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم الجبنياني ٦٧ - ٦٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٣ .

ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد ٥٤

ابو اسحاق الاجدابي (انظر : الاجدابي)

ابو اسحاق الرقيق (انظر الرقيق)

ابو البركات بن ابي محمد بن ابي الدنيا ٢٥٣

ابو بكر الصديق (الصهر) ٢١٩ - ٣٨٥

ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ٦٦
ابو بكر بن بزنيق ٢١٩
ابو بكر بن عبد الرحمان اللبيدي ٨٣
ابو بكر بن عبد العزيز بن السكاك ٣٥٥
ابو بكر بن فتح الغماري التفزاوي ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٧٣ - ١٧٤
ابو بكر بن مُجْبِر (انظر: ابن مجبر)
ابو بكر بن محمد بن احمد بن شِبْرين الجُذامي السَّبْتي (انظر: ابن شبرين)
ابو ثابت عامر بن عبد الله المريني ١٩٧ - ١٩٨
ابو جُبَارة عبد السلام بن موسى ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٧
ابو جعفر المنصور ٢٠٩
ابو الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البَسْطي ٢٥٧
ابو حامد الغزالي ١٤٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦
ابو حازم العكلي ١٣٥
ابو الحجاج ١٥٥
ابو الحجاج يوسف بن زيري ٢٤١ - ٢٤٢
ابو الحسن بن ابى محمد عبد الوهاب ٢٦٢
ابو الحسن بن ابي مروان ٢٧٦

ابو الحسن بن حجري الاشبيلي ٣٥٩
ابو الحسن بن السيد ابي محمد ٣٦١
ابو الحسن بن صخر ٥٤ ـ ١٢٥
ابو الحسن بن المثنى ٥٤
ابو الحسن بن يحى بن تميم بن المعز (انظر : علي بن يحى)
ابو الحسن البارزي ٢٤٩ ـ ٢٥٠
ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم (انظر : حازم بن محمد)
ابو الحسن السّيقاطى ٢١٩
ابو الحسن الشاطبى ٣٤٧
ابو الحسن الفِرْيانى ٧٥
ابو الحسن القابسى ٢٦٦
ابو الحسن علي بن ابراهيم التجانى ٢٥٨ ـ ٢٧٠
ابو الحسن علي بن احمد بن الخصيب (انظر : علي بن احمد)
ابو الحسن علي بن ابى بكر بن بلال ٢٧١
ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهُنائى ، كُرَاع ٢٦٣
ابو الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسى الفَرَضى (انظر : ابن المنمر)
ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد (انظر : علي بن موسى)
ابو الحسن علي بن محمد بن الحداد (انظر : ابن الحداد)

ابو حفص (جد الحفصيين) ٢٠٣

ابو حفص بن مكي ٢٦٢

ابو حفص عبد الله بن محمد بن عامر بن ابى عامر ٢٧٢

ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة ٩٢

ابو حمراء ٢٧٥

ابو حنيفة ٣١٣ - ٣٦٩

ابو حيّان ٢٧٢

ابو الخيبَريّ ٣١١ - ٣١٢

ابو زُرارة (انظر : ابراهيم بن مطرف)

ابو زكرياء ٧ - ١١٩ - ٢٦٣ - ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٦٣
٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧

ابو زكرياء البَرقي ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٣٦٨ - ٣٧١

ابو زكرياء بن ابى الحسن علي التجانى ١٩٠ - ١٩١

ابو زكرياء بن يعقوب ١٧٩ - ٢٠٤

ابو زكرياء يحى بن محمد الغليظ (انظر : ابن الغليظ)

ابو زياد المغربى ١٥

ابو زيّان محمد بن عثمان بن يَغْمُراسِن بن زيان ١٩٨

ابو زيد بن السيدابى حفص ١٠٤ - ٢٤٣ - ٢٨٢ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤
- ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨

ابو زيد بن يوجاق ٣٦٣

ابو زيد عبد الرحمان بن ابى القاسم بن نزار السّهمى ١٣٩ - ١٤٠ - ١٨٩

ابو ساكن عامر بن محمد بن مكّى بن كامل بن جامع ١٠٢

ابو سالم (بن ابى يعقوب المَرينى) ١٩٧

ابو سعيد بن ابى حفص ١٠٥ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣

ابو سَفّانة (انظر : حاتم الطائى)

ابو سليمان الخطابى ٨٠ - ٢٠٨

ابو شامة ١٥

ابو شَنَب ١٢

ابو صبيرة مسعد بن الازرق الضريسّى ١٠٤

ابو الصلت أُمَيَّة بن عبد العزيز ٤٢ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤
٩٨ - ١٢٥ - ٣٣١

ابو طالب محمد بن عبد الله الانصاري ٢١

ابو الطاهر بن ابى اسحاق الجبنيانى ٨١

ابو الطاهر السلفى ١٦١

ابو الطيب المتنبى ٦٣ - ٧٢

ابو العباس الاعجمي ٢٥٧

ابو العباس الشيعي ٢٤٠

ابو العباس اللحياني ١٩٣

ابو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب ٢٦

ابو عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ٢٦٧

ابو عبد الله الخشاب ٢٥٠

ابو عبد الله الخِبَاري ٢٤٨

ابو عبد الله الشيعي ٢٤٠

ابو عبد الرحمان يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠

ابو عبد السلام مفرج بن ياضة (انظر : مفرج بن ياضة)

ابو عُبَيد ١٣٥

ابو عُبَيْدة ٣١١

ابو عثمان بن خلفون الحساني ٢٥٠ ـ ٢٥١

ابو العرب محمد بن احمد بن تميم ١٢ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢

ابو العلاء (الموحدي) ٣٦٣ ـ ٣٦٤

ابو العلاء المعري ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٣

ابو علي بن ابي موسى ابن ابي حفص ٢٧٥

ابو علي القـالي ٦١ ـ ١٨٣

ابو علي النفطي ١٤٣

ابو عـمَر بن الحـذاء ٧٩

ابو عمران بن عيسى بن عمران (انظر موسى بن عيسى)

ابو عمرو عثمان بن ابي بكر بن حمود الصدفي (ابن الضابط) ٧٨ ـ ٨٠

ابو عيسى (سهَيل) ٢١٣

ابو عيسى العَمـوري ١٣٢

ابو غَـزَارة (سـلام) ١٨٠ ـ ١٨١

ابو فـارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عـبَيد ١٠٦ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٦
٢٥٨ ـ ٢٦٢ ـ ٢٨٠ ـ ٣٠٦ ـ ٣٠٧

ابو الفتح زيـان الصقلبي (انظر : زيـان)

ابو الفتوح بن محمـد ٣٥

ابو الفتوح بن يحيٰ بن تميـم ٧٣

ابو الفرج احمد بن علي ٦٦

ابو الفضل بن معاوية اليحصبي ٣٧٦

ابو الفضل محمد بن علي التجاني ٨٨ ـ ٢٢١ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ ٢٩٥

ابو القاسم (القائم العُبَيدي) ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١
٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٧

ابو القاسم بن أبـي عبد الله محمـد الخباز ٣٦٨

ابو القاسم بن بَشْكُوَال (انظر ابن بشكُوال)

ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التـنوخي ٣٦٧

ابو القاسم بن محمـد بن ملجوم ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ

ابو القـاسم السهيـلي ٥٩

ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله الجوهري (انظر : عبد الرحمان)

ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد الحضرمي اللبيدي ٦٧ ـ ٦٩ ـ ٨٣

ابو القاسم نصر بن احمد الخُبْزَأُرْزي (انظر : نصر)

ابو قيس (سعد بن مالك) ٢٨٣

ابو لبابـة الانصـاري ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٤

ابو محمد بن أبي البركات بن ابي الدنيـا الصدفي (انظر : عبـد الحميد ابن أبي البركات)

ابو محمـد بن أبـي زيد ٢٥٠ ـ ٢٦٥

ابو محمد بن شبرين الجذامي السبتي (انظر : ابن شبرين)

ابو محمد بن يعقوب ١٣٦

ابو محمد عبد الله بن ابي محمد عبـد الواحد بن ابـي حفص ٥٢

ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ١١٠ - ١٢٠ - ٢٤٠ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣

ابو محمد (مؤلف هذا الكتاب) - (انظر : عبد الله التجاني)

ابو المجد الصوفي المهدوي ٢٧٨ - ٢٧٩

ابو مروان بن مكي ١٧٨

ابو مطرّف بن عُمَيْرة ٩٠ - ٩١ - ٩٢

ابو المعالي ٢٥٥ - ٢٥٧

ابو موسى عيسى بن ابراهيم السوسي ، القطان ٣٦

ابو نِزار خطّاب البرقي ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١

ابو نُعَيم الحافظ ٧٨ - ٧٩

ابو نوَاس ٣٤

ابو الوليد الباجى (سليمان بن خلف) ٢٧٦

ابو يحيى زكرياء بن اللحيانى (انظر : مخدومنا)

ابو يحي (المَرِيني) ١٩٧

ابو يحي بن ابي بكر بن بِزْنِيق ٢١٨

ابو يحيى بن عبد الكريم العوفى ٣٧٠

ابو يحيى بن مطروح التميمى (انظر : ابن مطروح)

ابو يحيى عتيق بن ابى عمرو (انظر : عتيق)

ابو يزيد مخلد بن كيداد النكارى ، صاحب الحمار ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥
٢٧ ـ ٢٨ ـ ١١٩ ـ ٢٠٨ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥
٣٢٦ ـ ٣٢٧
ابو يعقوب بن عبد المؤمن ٢٤٣ ـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ـ ٣٦١
ابو يعقوب الخشاب ٢٦٠ ـ ٢٦١
ابو يعقوب الطرّي ١٤٣ ـ ١٤٤
ابو يعقوب المرينى ٤ ـ ٥ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ٢٢٠
ابو يوسف الدهمانى ٥٦
الاثبج (قبيلة) ١٨ ـ ٧٠
الاجدابى ، ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل ١٤١ ـ ٢١٦ ـ ٢٦٢ ـ
٢٦٣ ـ ٢٦٤
احمد (اخو المؤلف) ١٩٨
احمد باشا باى ٨
احمد بن ابراهيم الغسانى ٣٧١ ـ ٣٧٤
احمد بن ابراهيم القيسي اللُّلِيَاني ٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٤
احمد بن أفلح ٢٨
احمد بن حنبل ٩
احمد بن خالد ٢٧٢
احمد بن دياب بن ربيعة بن زِغب ١٣٤

احمد بن زرَيق البغدادي ٢٦٥
احمد بن عبد الله الرصافى ٢٩٩ ـ ٣٠٠
احمد بن عبد السلام الأمَوي التاجوري ٨٣ ـ ٢١٧ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٨ ـ ٢٧٠ ـ ٣٠٨
احمد بن على بن سالم ٨٠
احمد بن عيسى الغمارى ٢٥٧
احمد بن محمد بن يَمْلول (انظر : ابن يملول)
احمد بن يحيى ٢٧١
احمد الواعظ ٦٦
الادريسى (الشريف) ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٤٣
الارموى (انظر : تاج الدين)
أَسَد بن الفُرَات ٢٦
اسد الدين شركُوه ١١١
اسرائيل بن روح الساحلى ٦٦
اسكندر آصاف ٣٤
اسماعيل بن حصن ٦٦
اسماعيل الشيعى (المنصور بن القائم) ٢٨ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨
اسماعيل بن رَبَاح ١٢
الاشبيلى (انظر : ابو الحسن بن حجرى)

الاصابعة (قبيلة) ١٣٤

الاصولى (عبد الرحمان بن ابراهيم) ٢٦٩ ـ ٣٧٨

الاعجمى (انظر : ابو العباس)

الاعمى الفهمي ١٣٨

الامير الازدى (انظر : ابن الصغير)

ام سالم بن مرغم ٢١٥

ام محمد بن سحنون ٦٩

ام موسى ٣٧٠

أمية بن ابي الصلت ٣١٤

أنس بن مالك ٦ ـ ٧ ـ ٣١

اولاد سهيل ٢١٢

أيوب بن خيران الزويلي النكاري ٢٤ ـ ٢٥

- ب -

الباجى ، ابو الوليد (انظر : ابو الوليد الباجى)

باديس بن يوسف بن زيرى (باديس بن المنصور) ٩٦ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ٢١٨

البارزى (انظر : ابو الحسن البارزى)

البخارى ١٤٢ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٨

برغواطة (قبيلة) ٩٦

البَرقي ، ابو زكرياء (انظر : أبو زكرياء)

بُشرى الصقلبي ٢٤ - ٢٥

البَكري ، ابو عبيد (صاحب المسالك) ٦ - ٧ - ٨ - ١٠ - ١٣ - ٢٨ - ٥٧ - ٨٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١٥٥ - ٢٤٧ - ٢٥٩ - ٢٧١ - ٣٢٢ - ٣٢٦

البكرى ، ابو يعقوب يوسف بن السماط (انظر : يوسف بن على)

البلَوي ابو عبد الله بن ابي سلام (انظر : ابن أبي سلام)

بنو ابى زاكى ٢٣٠

بنو احمد ١٣٤ - ١٤١

بنو أَسَد ١٦٠ - ١٦١

بنو الاغلب ١٣ - ٨١ - ٢٤٩

بنو أمَية ٢٣٩

بنو تاسا ٢١٦

بنو التجانى ٢٥٦

بنو تميم (انظر : تميم)

بنو تيجان ٢٢٨ - ٣٠٦

بنو جارية بن وِشَاح ٢٠٦

بنو جامع ٥٥ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٦٣

بنو حسَين ٢١٧

بنو خُراسان ٣٤٥

بنو خزرون ٢٤١

بنو خطاب الهواريون ١١٢

بنو خِيار ٨٥ - ٣١٦

بنو دبّاب ٨٥

بنو دبير ١٦٠

بنو دلاّج ١٥

بنو رِحاب ١١٨

بنو رِزق ٢١٧

بنو الرَّند ١١٤

بنو زيرى ١٧ - ٣٢٨

بنو سلام ٢١٧

بنو سمّومن ١٢٣

بنو سِنان بن عامر ٨٦ - ٢١٤

بنو سَهْم ١٤٠

بنو صَلْتان ٢٢

بنو عامر الصنهاجيون ٩٦

بنو عامر بن صَعْصَعَة ١٨
بنو عبد السّيد ٣٤٥
بنو عبد المؤمن ١١٣ - ١١٤
بنو عُبَيد ١٦ - ٢٥٣ - ٢٦٦ - ٣٢٨
بنو عُبَيد الله ١٩
بنو عزو ١٢٣
بنو عشرة ٣٤٤
بنو عَوْف بن سُلَيم ١٥ - ٨٥
بنو عيسى ٣١٠
بنو فارة ٣١٦
بنو فَقْعس ١٦٠ - ١٦١
بنو قُرَيظة ٩٢
بنو لُقمان الكتاميون ٩٦
بنو مالك بن النّجار ١٢٤
بنو مخْريس ٢١٦
بنو مُدلِج ٢٣٩
بنو مِدنين ٢١٧
بنو مِرداس ١٦٣

بنو مزبَلة ٢١٧
بنو مطروح ٢٣٧
بنو مَناد ٧٠ ـ ٩٩
بنو نِفزاوْ ١٤٣
بنو نقّاد ٢٦٤
بنو وشاح بن عامر ٨٦ ـ ١١٨
بنو وَلول ٢١٠
بنو يزيد ١٣٤
البهلول بن راشد ٣٢
البيسانى (انظر : الفاضل البيسانى)

- ت -

تاج الدين الازمَوي ٣٦٨
التاجورى ، ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموى (انظر : احمد ابن عبد السلام)
التاجورى ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحسينى (انظر : محمد بن عبد الله)
تاسا (زوجة وخيع) ٢١٦
التاسيّون (قبيلة) ٢١٦

تاشفين بن غازى ٢٤٥
التجانى ، ابو الحسن (انظر : ابو الحسن على)
التجانى ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)
التراب السوسي ٤٣
التركى ٧٠ ـ ٧١
تقي الدين (الملك المظَفّر) ١٠٣ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١٤١
تمّام بن المبارك ٢٤٠
تميم (قبيلة) ٣٠٧
تميم بن المعز ٢٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٩٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣
تميم بن الحسن (الصنهاجى) ٣٤٢
التنوخي، ابو القاسم بن البَرَاء (انظر : ابو القاسم بن علي)
تورانشاه بن ايّوب ١١٢
تيجان ١٦٥ ـ ٢٢٨

- ث -

ثقة الدولة (يوسف بن عبد الله) ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠
الثريّا بنت عبد الله بن الحارث بن أُمَية الاصغر بن عبد شمس ٦٠
الثعالبى ٤٢ ـ ٥٤ ـ ٩١

- ج -

جابر بن مالك ٢١٧

جارية بن وشاح بن عامر ٢٠٦ ـ ٢١٢

جالوت ١٤٣ ـ ١٦٠

جُبَارة (أخو الميورقي) ٣٥٧

جُبَارة بن كامل بن سرحان بن العنين الفادعي ٣٠ ـ ٤٣ ـ ٤٧ ـ ٥٠

جبريل ٣٨٦

جِبَران العود ٦٠

الجُزجرائي ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢

جرجى بن مخائيل الانطاكى (جرجير) ٢٤١ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٥ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٢

جرجير (صاحب سبيطلة) ٥٨

جَرير ٧٢

الجزري ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد الجزري)

جعفر بن حبيب ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ٢١٨

جعفر بن شَرَف ٥٣

جعفر بن يوسف بن عبد الله ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠

الجلَندى (ملك قرطاجنة) ٨

جـواب ٢١٢
الجـّواري (شاعر) ١٣٧
الجـَواري (قبيلة) ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٧ - ١٨٨ - ٢٠٦ - ٢١٣ - ٢١٧ - ٣٠٧
الجـَواوِبة ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣
الجوهرى ، ابو القاسم (انظر : عبد الرحمان)

- ح -

حاتـم الطائى ٢٠٣ - ٣١١ - ٣١٢
الحـاجب الموفق (انـظر : مجـاهد بن عبـد الله)
حاجِى خليفة ٣٣
الحارث (صاحب بُونَـة) ٣٤٤
حازم بن محمد بن حازم ١٨٤
الحافظ العُبَـيدي ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٤
الحاكم (العبيدى) ١٨٢
حبْر قضـاعة (انـظر : ابن الابار)
حسان بنّ ثابت ١٦١
حسان بن النعمان الغسّانى ٦ - ١٠ - ١١ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢

الحسّانى . ابو عثمان (انظر : سعيد بن خلفون)

حسن بن بُلْبل ٣٦

الحسن بن علي بن يحيى ٧٤ - ٩٩ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٣٤٩

الحسن بن زيد بن الحسين بن على بن ابى طالب ٢٠٩

الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة (انظر : ابو الحكم)

الحسن بن العزيز ٣٤٤

الحسن بن موسى بن معمّر الهواري الطرابلسى ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩

حسن حسنى عبد الوهاب ٦ - ٥٦

الحسين بن على بن أبى طالب ٣٢٤

الحسينى ، ابو عبد الله التاجورى (انظر : محمد بن عبد الله)

حصن (قبيلة) ٦٥

حفص بن حميد الجزرى ١٢

حكيم (قبيلة) ٥٥ - ٦٥

الحكيم بن عمر البهرانى الاعمى ٦٢

الحكيمى ، ابو محمد (انظر : عبد الجليل)

الحكيميون ٢١٩

حمّادي المالقي ٣٥٨

الحَمَارِنة (قبيلة) ١٣٤
حُمْران بن جابر ١٣٤
حمزة بن حمزة ٣٤٥
حمو بن مليل البرغواطى ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٩٧ - ٣٣٠
حَميد بن جارية ١٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨
الحميدي ٥٣ - ٥٤ - ٧٩
حَنَش بن عبد الله الصنعانى ١٢٤ - ١٢٥
حَنَش بن علي الصعانى ١٢٤ - ١٢٥
الحنفى ، ابو عبد الله بن عثمان (انظر : الزناتى)

- خ -

الخارجى (انظر : محمد الخارجى)
خالد بن مَعدان ٣١
الخُبْزَأْزي (انظر : نصر بن احمد)
الخِرْجة (بطن من بنى يزيد) ١٣٤
خَزْرون بن خليفة ٢٦٧
الخشاب (انظر : ابو عبد الله)
الخشاب (انظر : ابو يعقوب)

الخَضِر (عليه السلام) ٨ ـ ٢٤٨
خَطّاب البرقى (انظر : ابو نزار)
الخطابى (انظر : ابو سليمان)
الخطابيون ٢١٧
الخليل (ابراهيم عليه السلام) ٣٠٨
الخليل بن احمد ٨٧
خليل بن اسحاق ٢٤١ ـ ٢٤٦ ـ ٢٥٣ ـ ٣٥٤
الخليلى (انظر : محمد بن عبد الله الحسينى)
الخيارى (انظر : ابو عبد الله)

- د -

داود (عليه السلام) ١٤٣ ـ ١٦٠
داود بن ابى داود ، ابو سليمان ٨٤
دباب بن ربيعة بن زغب ٨٥ ـ ١١٣ ـ ١٣٤ ـ ١٤١ ـ ١٨٠ ـ ٣١٠
الدبابيون (قبيلة) ٨٦ ـ ١٠٤ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٣ ـ ١٤١ ـ ٢١٣
الدبّاغ (صاحب معالم الايمان) ٥٦ ـ ١٢٤
الدّعى ، ابن أبى عِمَارة ١٠٤
دلاّج (قبيلة) ١٦ ـ ٥٥

- ذ -

ذبيـان (قبيلة) ٩١

ذو الـرّمّـة ٣١٣

- ر -

رافع بن مكّى بن كامل ٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ٣٣٣ - ٣٣٤

ربيعـة ١٤١

رُجَار (انظر : لجار)

الرجراجى (انظر : محمد بن عبد الكريم)

رحاب بن محمود بن طَوْق بن بقِيَّة بن وشاح ١١٨

الـرُّشَـاطـى ٢٦ - ٦٦ - ٨٣ - ٨٦ - ١٤١

رُشَيْد بن مدافع بن جامع ٩٥

الرشيد ٢٣٩

الرصافى ابو العباس (انظر : احمد بن عيد الله)

الرقيق (ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم) ٦ - ٧ - ١١ - ٣٢ - ٨٣ - ٢٤١ - ٣٢٠

رو يفع بن ثابت الانصاري ١٢٤ - ١٢٥

ريـاح (قبيلة) ١٨

الرياحيون ١٥ ـ ١١٣
الريغى ٢٧٣

- ز -

الزبير بن أبى بكر الزبيرى ٢٦٤
زعب الاصغر ١١٣ ـ ١٤١
زعب الاكبر ١٤١
الزعبيون (زعب ، قبيلة) ١٤١ ـ ١٤٢
زَغْبة (قبيلة) ١٨ ـ ٢٦٧
زكرياء بن قادم ٢٤٠
زناتة (قبيلة) ١٤٣ ـ ٢١٦ ـ ٢٦٧ ـ ٣٢٧
الزناتى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن ابراهيم)
الزناتيون ١٨٣ ـ ٢٤١
زهير بن قيس البلَوي ٥٧
الزوارى (انظر : عبد الرحيم الزوارى)
زيادة الله بن الاغلب ٢٤٠
زيّان الصقلبي ٢٤٠
زيد بن ثابت ٦ ـ ٧
زيري بن مَناد الصنهاجى ١٦ ـ ١٧ ـ ٣٢٨

- س -

ساكن بن عامر ١٠٢
سالم بن رافع ١٣٤ ـ ٢٢٠
سالم بن مرغم ١٧٩ ـ ١٨٣ ـ ٢٠٦ ـ ٢١٥
سالم الفتى ٣٦١
سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ٢٥٥
سحبان وائل ٣٨٦
سحنون بن سعيد ٥٦ ـ ٦٩ ـ ٢٥١
سعد بن معاذ ٩٢
سُغدى ٣٧٣
السعيد خليفة مراكش (على بن يوسف بن تاشين) ٨٢ ـ ٨٤
سعيد بن خزرون ٢٦٧
سعيد بن خلفون الحسانى ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١
سفيان بن عُيَيْنة ٣٠ ـ ٣٢
سِلَاح دار (انظر : ابراهيم بن قراتكين)
سلام بن فرحان ١٠١
سُلَيم ١١٥ ـ ٢٠٦
سليمان بن خلف (انظر : ابو الوليد الباجى)

سليمان بن رافع بن دباب ١٣٤
سليمان بن محمد المهدوي الصقلّي ٥٣
سَمَنْدونة ٢٥١
سنان بن عامر بن جابر ٢١٣
سهل الوراق ٢٨
سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان ٦٠
سهيل (انظر : ابو عيسى)
سهيل (انظر : اولاد سهيل)
السهيلى (انظر : ابو القاسم السهيلى)
السّيقاطى (انظر : ابو الحسن)
السيُوطى . جلال الدين ١١ - ١٤١

- ش -

الشاطبى (انظر : ابو الحسن)
شرف الدين (انظر : قراقوش)
الشريف الادريسى (انظر : الادريسى)
شَريك العبْسى ١١
الشعّاب (انظر : عبد الله الشعاب)
شُكر الصقلبي ٢٥٤

الشماخ بن ضرار ١٨٣
شمس الدولة (انظر : الملك المعظم)
شهوان بن عيسى بن عامر .. بن دباب ٣١٠ - ٣١١

- ص -

صاحب الحمار (انظر : ابو يزيد مخلد)
الصدفى (انظر : عبد الحميد بن ابى البركات)
الصفراوى ٢٧٣
صفوان بن ادريس ٣٧٧
صلاح الدين يوسف بن أيوب ١٤ - ١٠٣ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
صَنهاج بن لِمْط ٢١٦
صنهاجة ١٦ - ٣٠ - ٦٩ - ٩٥ - ٩٦ - ٣٢٧ - ٣٣٣ - ٣٤٤
الصنهاجيون ٢٤١
صهب بن جابر .. بن دياب ١٣٤
الصهبة ١٣٤
الصهر (انظر : ابو بكر الصديق)

- ض -

ضَرِيس بن الاصفر بن نِفزاو (جالوت) ١٤٣
ضريسة (قبيلة) ٣٢٥

- ط -

طَرِفة ٣١٣
طرود (قبيلة) ٥٥ ـ ٦٥
الطَّرّي (انظر : ابو يعقوب)
طيّ (قبيلة) ٣١١ ـ ٣١٢

- ظ -

الظاهر العُبَيذي ٢١

- ع -

عاد ١٧٣
عاصم ٦٠
عامر (ابو قبيلة وشاح) ٢١٤
عامر بن محمد بن مكى بن كامل بن جامع (انظر : ابو ساكن)
عباد بن كثير ٣١

العباس بن الاحنف ٤١
عبد الله ٣٣
عبد الله (التجانى المؤلف) ١٣ - ٩٢ - ١٤٠ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٧١ - ١٨٩ - ١٩٠ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١ - ٢٨٥ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٣ - ٣٠٦ - ٣٨١
عبد الله بن ابراهيم بن أبى مسلم القابسى ٢٥٧
عبد الله بن ابراهيم بن المثنى ٣٦٦
عبد الله بن ابى الطاهر الجنبيانى ٨١ - ٨٢
عبد الله بن أبى مسلم ٢٤٦
عبد الله بن احمد بن زياد ٦٦
عبد الله بن احمد الازدي العُسَيْلي (ابو محمد) ١٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦
عبد الله بن الاغلب ١١
عبد الله بن دباپ ٢١٤
عبد الله بن دينار ٣١
عبد الله بن الزبير ٢٧ - ٥٨ - ٢١٢
عبد الله بن سعد بن ابي سرْح ١٣ - ٥٨ - ٦٥
عبد الله بن عبد الرحمان بن علي الفِرْياني ٨٣ - ٨٤
عبد الله بن عبد الكريم الغمارى ٢٥٧
عبد الله بن عبد المؤمن ١٠١ - ٣٤٥ - ٣٤٧

عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن هانش الطرابلسى (انظر : ابن هـانـش)

عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ٣٥٣ ـ ٣٥٤

عبد الله بن محمد بن عامر بن أبى عامر (انظر : أبو حفص)

عبد الله بن محمد العطار ٧٣

عبـد الله الشعّـاب ٢٤٧ ـ ٢٤٨

عبـد الله المَـيورقي ٢٤٤

عبد البَـرّ بن فُرسان ١٠٦ ـ ١٠٨ ـ ٢٤٤

عبد الجليل الحكيمى (ابو محمد) ٢١٩

عبد الحق (صاحب الاحكام) ٨ ـ ٩

عبد الحق بن علناس الكومي ٣٠

عبد الحق يحي بن عبد الحميد الحمّـاني (انظر : يحي بن عبد الحميد)

عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسى ٤٢

عبد الحميد بن أبي البَركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي ٢١٨ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٧ ـ ٢٧٢

عبد الرحمان بن ابراهيم الأُصُولي (انظر : الاصولي)

عبد الرحمان بن حبيب ٢٣٩

عبد الرحمان بن زياد بن إنعم الافريقى ٣١ ـ ٣٢

عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٣٧٢

عبد الرحمان بن عتاب ٨٠

عبد الرحمان بن عمر الفريانى ٧٦

عبد الرحمان بن محمد الحضرمى الليدى (انظر : ابو القاسم عبد الرحمان)

عبد الرحمان بن عيسى ٣٦٦

عبد الرحمان النصراني (الصقلي) ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦

عبد الرحيم الزوارى ٢٠٧ - ٢٠٩

عبد الرفيع ٣٥٥

عبد السلام بن عثمان الفيتورى ٢١٩ - ٢٥٩

عبد السلام الكومى ٣٤٥

عبد السَّيِّد بن عبد السيد ٣٤٥

عبد السَّيِّد الزَّرْمَدِيني ٥٦

عبد العزيز بن مروان ٦

عبد العزيز القَمودي ٣٤٥

عبد العزيز بن عُبَيد (انظر : ابو فارس)

عبد العزيز بن عمار ٧٤

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر (انظر : الحافظ العبيدى)

عبد الملك بن مروان ٦ ـ ٧ ـ ١٣ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ١٦١ ـ ١٦٢
عبد المؤمن ٣٠ ـ ٧٦ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ ٣٦١
عبد الواحد (المخلوع) ٣٦٣
عبد الواحد بن ابى حفص (انظر : ابو محمد عبد الواحد)
عبد الواحد بن أبي يَغْمور الهتاتي ١٧١
عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسى (انظر : ابن الفطاس)
عبد الوهاب بن محمد الهنزوتي ٢٥٦
عبد الوهاب القيسى ٢٥٩ ـ ٢٦٢
عبيد الله الشيعى (المهدى) ٥٦ ـ ٢٤٠ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٦
العبيديون ٢٤١ ـ ٣٢٠
عتيق بن أبى عمرو (ابن عربية) ٣٧٩
عتيق بن المنصور ٣٤٥
عثمان بن ابى القاسم بن عبد الرحمان بن حشرون المهدوى ٣٦٦
عثمان بن عتيق بن عثمان القيسى (ابن عربية) ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٧٩
عثمان بن عفّان ١٠ ـ ٥٨
عديّ بن حاتم ٣١١
عديّ (قبيلة) ٧٠

العرجاء ، أم صنهاج ٢١٦
العزيز بالله ٣٨
العُسَيلي ، ابو محمد عبد الله بن احمد الازدي (انظر : عبد الله)
العطار ٧٩
عقبة بن نافع القرشى ١٦١ ـ ١٦٢
على بن ابراهيم التجانى (انظر : ابو الحسن على)
على بن ابى طالب ٩١ ـ ٢٠٨
على بن ابى بكر بن بلال (انظر : ابو الحسن على)
على بن احمد (ابن الصفار السوسى) ٣٤
على بن احمد بن الحصيب ٢٥١
علي بن أحمد بن خُرَاسان ٣٤٦
على بن اسحاق الميورقى ١٤ ـ ١٥ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٦٢
على بن حبيب التنوخى ٦٨ ـ ٧٦
على بن الحسن (الصنهاجى) ٣٤٢
علي بن حسن بن الحسين الهُنَائي ... كـرَاع (انـظر : ابو الحسن علي)
عـلي بن رزق الريـاحي ٢٧١
على بن زياد ٢٧١
على بن سالم (جدابى اسحاق الجبنيانى) ٦٩ ـ ٨٠
على بن عبد الكريم بن أبى غالب ٣٦٦

علی بن الغازی ٣٥٦ ـ ٣٥٨ ـ ٣٥٩

علي بن اللّمطي ٣٥٧

علي بن محمد بن المنمّر (انظر : ابن المنمر)

علي بن المَدِيني ١٢٥

علي بن مُغيث ، ابو الحسن ٢٦٤

علی بن موسی بن سعيد ٢٥٢ ـ ٣٠٨

علی بن ميمون ٣٣٥

علی بن يحيى ٧٤ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٢٥ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤

علی بن يوسف بن تاشفين ٣٣٤ ـ ٣٣٥

عماد الدين الاصفهانی ٤٣ ـ ١٠١ ـ ١٠٦ ـ ٣٦٧

عمار بن علی بن الحسين ٢٢

عمر بن أبی الحسن الفريانی ٧٥ ـ ٧٦

عمر بن أبی ربيعة ٦٠

عمر بن الخطاب (الفاروق) ٩ ـ ٣٨٥

عمر بن عبد السّيّد ٣٤٥

عمر بن عيسى بن الشيخ أبی حفص ٣٦٣ ـ ٦٤

عمر بن المعز بن باديس ٩٧

عمران بن حصَين ٣١

عمران بن موسى بن معمر الهـواري الطرابلسي (انظر : ابن معمر ، ابو موسى)
عمرو ١٤٦ ـ ٢٠٣
عمرو بن العاص ٢٧ ـ ٢١٢ ـ ٢١٥ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٥
عَـمُور بن وشاح ٢١٢
العَمُور (قبيلة) ١١٨ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣
العَـمُوري ، (انـظر : أبو عيسى)
عـوف ٣١٣
العوفي (انظر : أبو يحيى بن عبد الكريم)
عيسى (المولى ، اخو يوسف) ١٠٠
عيسى بن أحمد ١٣
عيسى بن جعفر ٨٧

- غ -

الغازي بن اسحاق الميورقي ٣٥٥
الغبْريني (صاحب عنوان الدراية) ١١٦
الغُـزّ ١١٣ ـ ١٣٧ ـ ١٤٧
الغزالي (انظر : ابو حامد)
الغزولي (صاحب مطالع البدور) ٥٥

الغسانى ، ابو العباس (انظر : احمد بن ابراهيم)
غَلْبون بن مرزوق السالمي ٢٢٠
غِلْيَام بن لُجَار ٧٥
الغمارى ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)
الغمارى ، ابو العباس (انظر : احمد بن عيسى)

- ف -

الفادعى (انظر : جبارة بن كامل)
الفادعي (انظر : مُحْرِز بن زياد)
فارس بن الغَيْث ٣٢٩
الفاروق (انظر : عمر)
الفاضل البيسانى ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣
الفتح بن محمد ٣٥٧
الفَرَزْدَق ٧٢ - ٧٣ - ١٦٠
فِرْعَون ١٤٢
الفِرْيانِي (انظر : عبد الله بن عبد الرحمان)
الفريانيون ٨٣
فضْل بن أبي المنبر ١٢
الفضل بن ابى يزيد صاحب الحمار ٣٢٥
الفضل بن أبى على المرداسى ٣٢٩ - ٣٣٠

الفضل بن يحيى ٣٤
الفُضَيل بن عِيَاض ٢٥١
الفُضَيلي ، ابو عبد الله (انظر محمد بن يحي)
فُلْفُل بن سعيد الزناتي ١٨٣

- ق -

قائد بن العزيز ٣٤٣
القائم ، ابو القاسم الشيعى (انظر : أبو القاسم)
القابسى ، ابو الحسن (انظر : أبو الحسن)
القابسى ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن ابراهيم)
قاضى بن محمد الصنهاجى ٩٦ ـ ٩٧
القاضى عياض ٢٥٦
قدامة ٣٣
قُرَّة بن شَرِيك ١١
قَرَاقُوش الارمني (المظفّري ، او الناصري) ١٥ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١١٥ ـ ١٣٦ ـ ١٤٧ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤
القَرَوي ٢٥٤
القرويون ٢٥٣ ـ ٢٥٥

قـرَيظة ٢٨
قـزَاح ٦٣
القضاعي (انظر: ابن الابار)
القـطّان (انـظر: ابو موسى عيسى)
القَـلاَنِسي (انظر : محمد بن حبيب)
القيـاد ٢١٧
قيس بن ذريح ٧٢

- ك -

الكاهنة (كاهنة لواتة) ٥٧ ـ ٥٨
الكِتاميون ٢٢ ـ ٣٢٥
كُراع (انظر : ابو الحسن علي)
الكلاعى (ابو القاسم بن أبى محمد بن على بن قائد) ٣٨١

- ل -

اللـيدي (انظر : ابو القاسم عبد الرحمان)
لـجـار ١١ ـ ٧٤ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٤٣ ـ ٢٤١
٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠
لـخيان (قبيلة) ١٦١

لسان الدين بن الخطيب ٣٨
اللُّبلِيَاني (انظر: احمد بن ابراهيم القيسي)
لِمْط ٢١٦
اللنَوَاتي ' ابو عبد الله ، ابن الجاز (انظر محمد بن علي)
لُويس شيخُو ٣١٤
لَيْث بن أبي سليم ٣١

- م -

مالك بن أَنَس ٦٦ ـ ٢٠٩
مالك بن علوان الصخرى (انظر : ابن علوان)
المتنبّي (انظر : ابو الطيب)
المتوكل على الله (انظر : محمد بن عبد الكريم)
مُجاهد ٣١
مجاهد بن عبد الله (الحاجب الموفق) ٨٢
مجريس ٢١٦
المجريسّيون ٢١٥ ـ ٢١٦
المحاميد ـ ١٠٤ ـ ١١٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٩٧ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣

مُحْرِز بن خلَف ٢٥١ ـ ٣٢١
محرز بن زياد الفادعى ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣
محمد (الخارجى) ٣٤٥
محمد (رسول الله ـ المصطفى ـ احمد ـ الهادى ـ النبىء صلى الله عليه وسلم) ٣ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٥٠ ـ ٩٤ ـ ١٤٦ ـ ١٥٠ ـ ١٥٣ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٧٤ ـ ٣٦٤ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٧ ـ ٣٩٠ ـ ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٥
محمد بن أبان بن صالح ٨
محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسى ١٥٥
محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتى (الحنفى) ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١
محمد بن أبي بكر البلَوي (انظر : ابن ابـي سلام)
محمد بن أبى تميم المعز بن سليمان ٦٩
محمد بن أبى الحسن التجانى : (انظر : ابو الفضل)
محمد بن أبى عمران بن عيسى بن عمران ٢٦٨
محمد بن أبى القاسم القيسى الازدى ٣٧٠
محمد بن أبى محمد عبد الوهاب القيسى ٢٦٢
محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى (انظر : البخارى)
محمد بن الاغلب (انظر : ابو العباس محمد)

محمد بن البَرّاء المهدوي ١٤

محمد بن بشير ٩٩ - ٣٣٤

محمد بن حبيب (القلانسى) ٣٢٩ - ٣٦٦

محمد بن الحسين بن أبي الفتح (انظر : ابن ميخائيل القرشي)

محمد بن الحسين الارمَوي (انظر تاج الدين)

محمد بن حَيون ١٥٤

محمد بن خطاب بن عبد الله ١١٢

محمد بن رشيد ١٠٠ - ٣٤٠

محمد بن سحنون ٦٩

محمد بن عبد الجبار الرُّعَيني ٥٢

محمد بن عبد السلام الكومى ٣٥٢

محمد بن عبد العزيز بن ميمون ٣٣٩ - ٣٤٧ - ٣٤٨

محمد بن عبد الله بن أبى عامر (انظر : المنصور)

محمد بن عبد الله الحسينى التاجورى ٣٠٨

محمد بن عبد الله الكاتب ٩٩

محمد بن عبد الله الهوارى ٢٢٧ - ٢٣٠ - ٢٩٥ - ٢٩٨

محمد بن عبد الكريم الزّجْراجي ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦

محمد بن العطار القرطبى (انظر : ابن العطار)

محمد بن علي بن ابراهيم بن الخبّاز اللوائي ٣٦٧ - ٣٦٨
محمد بن علي بن حمّاد ١١٦
محمد بن على التجانى (انظر : ابو الفضل)
محمد بن على المصرى ١٣٥
محمد بن عمر بن رأس الحَجَلة ٣٠١
محمد بن عمر بن لُبابة ٢٧٢
محمد بن فاضل البكرى الافريقى ٢٦٣
محمد بن فرج الكومى ٣٤٩
محمد بن فطيس (انظر : ابن فطيس)
محمد بن محمد المَزْدُوري الهنتاتي ٨٦
محمد بن يحيى العدل ٢٦٩
محمد بن يحي الفُضَيلي ٢٧٦ - ٢٧٧
محمد بن يَعِيش (انظر: ابن يعيش)
محمد بن يغمور الهنتاتى ٣٦٠ - ٣٦٣
محمد الجزرى ، ابو عبد الله ٣٠٢
محمود بن طَوْق بن بَقِيّة ٤٠٤
محمود مقديش ٣١
مخلد بن كيداد (انظر : أبو يزيد)

مَخْدُومُنا ، (ابن اللحياني ، السلطان الحفصي) ١٢٩ - ١٤٧ - ١٥٠٠ - ١٥٥ - ١٦٣ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٨ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٧ - ٢٥٥ - ٢٨٠ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧

مُـدافع بن رشيد ١٠٠ - ١٠١

مُـدام (الخادم) ٢٦

مُنْدلِـج ٢٣٩

المـنْدلِـجـي ٢٣٩

المَـرَاغِـمـة ٢٠٦ - ٢١٧

مَـرْبَـع ٧٣

مرغم بن صابر ٢١٧

مُـزنـاق ١٠ - ١١

مروان بن الحكم ٧

المَـرِينى) انظر : ابو يعقوب)

المزْدُوري ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

مُساور بن هِنْد ١٦٠ - ١٦١

المستنصر (العبيدى) ٢١

المستنصر (الحفصى) ٩٠ - ١١١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٧١

مستوية النكارى ٢٢ ـ ٢٣

مسعود بن رُمّان ١١٣

مُسْلم بن حجاج القُشَيْري النّيسابوري ٢٥٥

المسيح (عيسى عليه السلام) ٣٨٩

المشارقة ٢٠٦ ـ ٢٢٠ ـ ٢٦٥ ـ ٣٠٦ ـ ٣١٦ ـ ٣١٧

المشْرِقيّون ٢٦٤

المصاميد ١٤٣

مضر بن تميم الفَزاري ٧٧

مطرّف بن عبد الله ٣١

مطرِّف بن علي بن حَمْدون ٣٤٠

مظَفَّر بن علي ٧١ ـ ٧٢

المعاوى (ابو القاسم بن معاوية اليحصبى) ٣٧٦

معاوية (بن ابى سفيان) ١٢٤ ـ ١٦١

معاوية بن حدَيج ٢٦ ـ ٣٢

معاوية بن عبد السّيد ٣٤٥

مَعَدّ بن اسماعيل (انظر : المعز لدين الله)

معروف الكَرخى ٨٤

المَعَرّي (انظر : ابو العلاء)

مُعلِّم الفِتيان ٣٢١
المعز لدين الله ١٦ ـ ١٧ ـ ٣٢٨
المعز بن باديس ١٤ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٧٠ ـ ٩٦
٩٧ ـ ١٢٥ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠
المعز بن محمد الصنهاجى ٩٦
المغاربة ٢٢٠
المغْرِبيّون ٢٦٤
مفرج بن ىيّاضة ١٣ ـ ٢٤٩
المفرجى (انظر : ابن العطار القرطبى)
المقَدَّمُون ١٨٧
المَقْري (صاحب نفح الطيب) ٩٠
مكى بن كامل الرياحى ٧١ ـ ٩٧
الملثم ٣٣٩
الملثمون ٣٣٤
الملك المعظم ، شمس الدولة ١١٢
الملك الناصر (انظر : صلاح الدين)
المنتصر بن خزرون ٢٦٧
المنصور العبيدى (انظر : اسماعيل الشيعى)

المنصور (يعقوب بن يوسف) الموحدى ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٢ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٦١

المنصور بن ابى عامر (الحاجب) ٢٧٢

منصور بن اسماعيل ٣٤٥

المنصور بن ماواس ٩٦

المنصور بن مليل البرغواطى ٧٠

المنصور بن الناصر .. بن حماد ١١٥

المهدوى (انظر : ابن أبى الحواجب)

المهدوى (انظر : أبو المجد الصوفى)

المهدي (ابن تومرت) ١٢١ - ٢٤٥

المهدى العبيدى (انظر : عبيد الله الشيعى)

المَوارقة ١٣٦ - ١٦٢

الموحدون ٧٦ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٠ - ١٣٦ - ١٤٧ - ٢٣٧ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٣

موسى (عليه السلام) ٨ - ٣٧٠

موسى بن عيسى بن عمران ٢٦٨

الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسى ٢٦٥ - ٢٦٦
مُـؤنس بن يحى الهلالي ٩٦ - ٩٧
ميمون بن حمدون ٣٤٢ - ٣٤٣
الميّـورقـى ٧٦ - ٨٥ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٠ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٨٠ - ٢١٥ - ٢٤٤ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٦٢

- ن -

النابغة الذبيانى ٩١
ناصح (مملوك الناصر) ٣٥٩
الناصر (الخليفة الاموى بقرطبة) ٢٧٢
الناصر (الموحدى) ١١٠ - ١٤٧ - ١٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢
الناصر بن علنّـاس بن حماد ١١٥
نائل بن عامر بن جابر (جد قبيلة النوائل) ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤
نبيـل ٣٦٠
نصر بن احمد الخُبْزَأرزي ٥٤
النَّـضِـير ٢٨
النـفـاتيّـون ١٨٨

نِفزاو ١٤٣
النَّفـطى (انظر : ابو عـلي)
نفُوسَة (قبيلة) ٢٣٩
النقّاد ٢٦٤
النكّاري (انظر : ابو يزيد مخلد)
النكارى (الثائر على المعز بن باديس) ١٢٥
النّـوائـل ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤
نوح (عليه السلام) ١٦١
نور الدين محمود بن زنكى ١١١

- ه -

هراغـة ٣١٦
هَرْثَمَة بن أَعين ٢٣٩
الهرغى (انظر : أبو عبد الرحمان يعقوب)
الهـرَوِيّ ١٣٥
الهـلاليون ٩٥
الهُنَائى (انظر : ابو الحسن عـلي)
الهنتاتى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن محمد المزدورى)

الهنزوتى ، ابو محمد (انظر عبد الوهاب)
هوّارين المثنى بن المسورين يخصب ٢١٦
هوارة ٨٥ ـ ٢١٦ ـ ٢٢٩ ـ ٣٢٧
الهوارى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عبد الله)
الهوارى ، ابو على (انظر : الحسن بن موسى)
الهواريون ٢١٦

- و -

الواثق بن المستنصر ٢٧٥
والد التجانى المؤلف (أبو عبد الله محمد التجانى) ١١٧ ـ ١٢٩ ـ ١٩٤
١٩٨ ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٨١ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٦
وخِيـع ٢١٦
الورانِيز ٣١٦
الوردانيون ٥٦
الـورغِـمّيّون ١٨٧
وشاح بن عامر ١١٨ ـ ٢٠٦ ـ ٢١٤
الوشاحيون ٢١٢ ـ ٢١٤
الوليد بن عبد الملك ٧ ـ ٨ ـ ١١

- ي -

اليَازُورِي ٢١ ـ ٩٦ ـ ٣٢٨

ياقوت (نائب قراقوش) ١٤٧ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥

ياقوت الحَمَوِي ٤٩ ـ ٥٥ ـ ٨٧

يانس الصقلى ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ٢١٨

يحيى بن اسحاق الميروقى ١٤ ـ ١٥ ـ ٥٩ ـ ١٠٤ ـ ٢٦٢ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥
٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨

يحيى بن تميم ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣٣

يحيى بن الحسن (الصنهاجى) ٣٤٢

يحى بن عبد الحميد الحمّانى ٨

يحى بن العزيز صاحب بِجَاية ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤

يحيى بن المعز بن باديس ٣٣٩ ـ ٣٤٠

يعقوب بن أبى حفص بن عبد المؤمن ١٣٦ ـ ١٦٢

يعقوب بن أبى يعقوب الهزغى (انظر : ابو عبد الرحمان يعقوب)

يعقوب بن عطيّة امير المحاميد ١٧٩ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦

اليعيشى (انظر : ابن يعيش)

يوسف المستنصر ٣٦١

يوسف مولى محمد بن رشيد ١٠٠

يوسف بن أبى موسى عمران ٢٧٦
يوسف بن زيرى ١٧
يوسف بن زيرى ، ابو الحجاج (مؤلف الكافى فى الوثائق) (انظر : ابو الحجاج)
يوسف بن عبد الله (انظر : ثقة الدولة)
يوسف بن عبد المؤمن (انظر : ابو يعقوب)
يوسف بن علي بن عبد الملك بن السمّاط (انظر : ابن السماط ، ابو يعقوب)
يوسف بن المنصور (انظر : الناصر الموحدى)
يونس بن السماط (انظر : ابن السماط ، ابو على)
يونس بن الشيخ ابى حفص ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢
يونس بن محمد الوردانى ٥٦

فهرس

اسماء البلدان والمعالم

ـ أ ـ

آبارزلوا ٣٥٠

الـأبرق ٤٣

أبو الخبز ٢٠٥

أبو سهَيل ٨٥

أبو فِهْرَ (رياض) ٣٧٥

أبو نصر (انظر : منزل ابى نصر)

أَجَأ (جبل) ٣١٨

أجاس (قرية) ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ٢٠٦ ـ ٣١٩ .

الـأجْـرع ٣٧٨

الـأَجَم (الجَم) ٥٧ ـ ٦٥ ـ ١٦١

آجّيم ١٢١

الاسكندرية ١٥ ـ ٢٣ ـ ٣٢٠ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٥ ـ ٣٦٧

اشبيلية ٨٤ - ٣٦٣ - ٣٦٤

أصبهان ٧٨

الاصنام (بالقيروان) ١٦٨

الاصنام (بين قبلى والحامة) ١٧٧

اطرابلس (انظر : طرابلس)

افريقية ٨ - ١٠ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٥ - ٧٦ -
٨٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٦ - ١١٩ - ١٢٢
١٢٤ - ١٢٦ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ -
١٨٢ - ٢١٢ - ٢١٦ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٥
٢٦٦ - ٢٧٥ - ٣٢٨ - ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٤ - ٣٥٦
٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٩

اقليبية ١٣

أم الاصابع ٦٦ - ٦٧

الاندلس ٩ - ٤٢ - ٥٣ - ٥٩ - ٦٠ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٢٦١
٣١٤ - ٣٤٣ - ٣٥٩ - ٣٦٠

انطاكية ٩ - ٣٣٣

افريقلية ٢٤ - ٢٥

أوثان ١٨٥

أوجلـة ١١٢

الآيلة ٩

إيوان كسرى ١١٧

- ب -

الباب الأخضر (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥ - ٢٤٦

باب البحر (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٥٢

باب البحر (بصفاقس) ٧٥

باب الجزيرة (بتونس) ٣٥٥

باب الحديد (بالمهدية) ٣٢١

باب زناتة (بطرابلس) ٢٦٤

باب السُّوَيْقة (بتونس) ٣٥٥

باب عبد الله (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

باب قرطاجنّة (بتونس) ٣٥٥

باب المنشر (بتوزر) ١٥٨

باب النساء (بقرطاجنّة) ١٠

باب هَوَّارة (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٦٤ - ٢٦٨

بابل ٨٠

باجة ٢٤ - ٢٥ - ٢٧٥ - ٣٤٥ - ٣٦٢ - ٣٦٣

الباطن (بطرابلس) ٣١٨
بَـالِرْمُو ٣٨
بئر الزكرة ٣١٩
بئر الشهداء ١٦٢
بئر طَشَّانة ٣١٠
بئر المقَلة ٢٠٥
بئر الكاهنة ٥٨
بئر الكُنُود (بئر أبي الكنود) ٢٥٩
بئر ينُوت ٣١٧
بِجَاية ١١٦ ـ ١١٩ ـ ١٦٢ ـ ٢٧٥ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٦
٣٥٦ ـ ٣٦٤
البُحَيرة (برادس) ٧
البحيرة (بتونس) ٣٥٢ ـ ٣٥٥
بحر رادس ٨ ـ ٩
بحر الزقاق ٢٣
البحر المحيط ١٨٥
بذر ٩١
برشانة ٦٧

برقة ٩ - ٥٨ - ١٢٤ - ١٦١ - ١٨٢ - ١٨٥ - ١٩١ - ٢٢٠ - ٣٤٤

بِرْكة الخَدَم ٢٤٥

بَسْطة ٣٦٣ - ٣٦٤

بِشْري ١٤٢ - ١٥٣ - ١٧٣

البَصرة ٥٤ - ٥٥ - ٨٧

البطحاء (بقابس) ١٧٨

بغداد ٨٤ - ٢٥٧ - ٣٤٤ - ٣٦٨

بنو يوسف ١٥٣

بولاق ٣٥٠

بونَة ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤ - ٣٦٤

البيت الحرام ٥٠ - ١٧٠

بِيش ٣٣١

- ت -

تاجْرا ١٢٠ - ٣٥٧ - ٣٥٨

تاجورة ١٥٣ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٦

تاذَر ٢٠٦

تاسرّا ١٧٧

تاغِمْرت ٣١٨

تاكمزت ١٥٤ - ١٥٦ - ١٧٢ - ٢٠٧

تامسنا ٣٤٩

تبُرسُق ٣٧٧

تبسّة ٣٥٤

تبلُبو ١٧٩

تبوك ٩٢

تجّفْت ١٣٣

ترشيش (تونس) ١٥٢ - ٢٠٣

ترنوط ٣٢٦

تفاضلات ٢٠٧

تلمْسان ١٩٨

تليل ٢١١

تُودرِست (انظر : عين ودرس)

تَوْزَر ١٠٣ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٧١ - ١٧٢ - ٢٠٧ - ٢٣٨

تونس ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥
٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٦ ـ ٥٩ ـ ٨٦ ـ ١٠٤ ـ ١١٣ ـ ١٣٦ ـ ١٤٧ ـ ١٦١
١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ١٧٩ ـ ١٩٢ ـ ١٩٤ ـ ٢٠٤ ـ ٢٣٤ ـ ٢٤٣
٢٥٦ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦١ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤
٢٧٥ ـ ٢٧٦ ـ ٢٨٥ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ـ ٣٠٦ ـ ٣٠٨ ـ ٣٢٠ ـ ٣٤١
٣٤٢ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧
٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ ٣٧٧ ـ ٣٨٠ ـ ٣٩٣

- ج -

الجامع الاعظم (بتونس) ٢٧٣
الجامع الاعظم (بطرابلس) ٢٥٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٦
الجامع الاعظم (بالمهدية) ٣٢٣
جامع قابس ٩٤ ـ ١٧٨
الجبل الاحمر ٣٥٥
جبل درن ١٨٥
جبل دمّر ١٤٧ ـ ١٨٥ ـ ١٨٩ ـ ٢٠١ ـ ٣٥٧
جبل الرّحمة ٣٧٧
جبل الرصاص ٢٣
جبل زيرى ٣٤٤

جبل سُهَيل ٥٩

جبل الفتح ٢٦١

جبل كيانة ٣٢٧

جبل المُعَسكر ٣٨

جبل مَمطور ٣٢

جبل نفوسة ١١٣ ـ ١٨٥ ـ ٣٥٦

جبل وسْلات ٣٢

جبنيانة ٨٠ ـ ٨١

جربة (جزيرة) ٤ ـ ٥ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٩
١٣١ ـ ٢١٥ ـ ٢٦١

جربة القديمة (مدينة) ١٢٣ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨

الجرداء (سبخة) ٢٣

الجُرف ١٢١

الجريد (البلاد الجريدية) ٤ ـ ١٠٥ ـ ١١٩ ـ ١٢٨ ـ ١٣٤ ـ ١٤٧ ـ ١٥٣
١٥٧ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٧٢ ـ ٢٤٤ ـ ٣٢٠ ـ ٣٥٤

الجزائر ٥ ـ ٢٠ ـ ٢٤ ـ ٣٢ ـ ٥٦ ـ ٣٢٦ ـ ٣٤٣ ـ ٣٥٠

الجِزع ٣٧٨

جزيرة الأَحاسي ٣٣٥ ـ ٣٣٦

جزيرة باشو ١٥ ـ ٢٤٩
جزيرة جربة (انظر : جربة)
الجزيرة الخضراء ٩
جزيرة شَرِيك ١١ ـ ١٣ ـ ٢٣
جزيرة العرب ٥٩
جزيرة قوسَرة ١٣
جمّال ٥٥ ـ ٥٦
جمّة (المهدية) ٣٦٨ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٧٨
جَنوة ٣٣١
جَيّان ٣٦٤

- ح -

الحامّة (انظر الحمة)
حامّة الجزيرة (انظر حمّام الانف)
الحجاز ٧٩ ـ ٢١٦
حجاى ٣٢٠
الحِجر ٣٩
الحَرَم ٣٦٥

الحرَمان الشريفان ٣٦٧

حَـزْن عزة ٦١

خَـــزْوَى ٣٧٨

حسّان (قرية) ٢٤٩

حصن تليل ٣١٩

حصن الخليل ٣٠٨ - ٣٠٩

حصن سلّمة ٣١٨

الحضْرة (تونس) ٥ - ١١١ - ١٢٦ - ١٢٨ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٥ - ٢٨٠
٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٧ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٧

الحضرة (طرابلس) ٢٥٨

الحضرة (القيروان) ٨٢

الحضرة (مراكش) ٣٤٤ - ٣٦١ - ٣٦٢

حلق الوادى ٣٤٥ - ٣٥٢ - ٣٥٥

حمام الانف (حامة الجزيرة) ١٠

الحمامات ٢٣

حمص (بالشام) ٧٢

حمص (اشبيلية) ٣٦٥

الحمّة (حمة مطماطة) ١٠٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٦٢
١٧٧ - ٣٥٦

حمّة البهاليل (حمة توزر) ١٣٤
حِمَى زويلة ٣٢٤ - ٣٧٧
الحنايا ٥٧ - ٣٤٥
حَيدران ١٨ - ٢٠

- خ -

خربة جميل (بالمهدية) ٣٢٥
الخريبة ٨٧
خنافس ٣١٩
الخَوَرْنَق ١١٧
خَيبَر ١٢٤

- د -

دار الاشراف (بتونس) ٢٧٦
دار الصناعة (برادس) ٧
دار الصناعة (بالمهدية) ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٨
دار لِحْيان ٢٦١
دار المحاسبات (بالمهدية) ٣٢٣
دارِ يـن ١٢٩ - ١٩٤ - ٢٩٩

درن (انظر : جبل درن)
دمر (انظر : جبل دمر)
دمشق ١٤ - ٥٨ - ٨٦ - ١٠٢ - ٣٠٩ - ٣٦٩
دَيْر الزجاج ٢٤٥
دَيْر سمعان ٤٩

- ذ -

ذات البان ٣٧٨
ذو سَلَم ٤٤ - ٤٩

- ر -

رادبس ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٣٦ - ٣٩٣
رأس تاجرا (جبل) ١٢٠
رأس المخبز (مرسى) ٣١٩
رامة ٣٧٨
الرُّجيع ١٦١
رحْرَحان ٣١٣
رقادة ٢٤٠ - ٣٢٣
الرُّقة ٦٦

الرملة (بطرابلس) ٢٣٨
الروضة (بالمدينة) ٣٨٩
الرياض (بطرابلس) ٢٣٧

- ز -

الزارات ١١٩
زاوية اولاد سِنان ٢١٤
زاوية اولاد سُهَيل ٢١٢
زَزمَدين ٥٥ ـ ٥٦
زُرَيق ١٠٠ ـ ١٨٠
زلّة ١١٢
زمزم ٥٠
زنزور ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ٢٠٦ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٣١٩
زوارة ٥٩ ـ ١٢٠ ـ ١٨٧ ـ ٢١٠ ـ ٢١١
زوارة الصغرى (وطن ـ وطن المرابطين) ٢٠٧ ـ ٢١٠ ـ ٣١٩
زوارة الكبرى (كوطين) ٢١٠
زواغة ٢١١ ـ ٢١٢
زويلة (بالمهدية) ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٥ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٩

زويلة بنى الخطاب ١١٢

- س -

السابرية ٢١٢

الساحل ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٢١٤

ساحل البر (بجربة) ١٣١

ساحة عنبر (بقابس) ٨٨

سَبُتَة ١٧ ـ ٢٣ ـ ١٦٤ ـ ٢٢٠ ـ ٣٥٩

السّتارة (سور بطرابلس) ٢٤٠ ـ ٢٤٥

سجلماسة ٢٤٠

السدير (قصر) ١١٧

سطيف ٣٤٤ ـ ٣٤٧

سلا ٣٤٤

سلْقَطة ٥٧ ـ ٥٩

سلْمى (جبل) ٣١٨

سنترية ١١٢

سوانى خلف الله ١٣٢

السوس ١٨٥

سوسة ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧
٣٨ - ٤١ - ٤٣ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - ٣٢٧ - ٣٩٣
سوق الاحد ٣٢٥
السُّوَيق ٩١
سُوفُجِّين (انظر : فحص سوفجين)
سيقاطة (مسجد) ٢١٩

- ش -

الشام ١٤ - ٦٣ - ٧٩ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٦٠ - ٢٥٣ - ٣٣٣
شِنِكْس ٣١٨

- ص -

صبرة (صبراتة بطرابلس) ٢١١
صبرة (بالقيروان) ٣٢٨ - ٣٢٩
صرمان ٢١٢ - ٣١٩
صعيب ٨٥
صعيد مصر ١٦ - ١٨
الصفا ٥٠

صفاقس ١٥ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦
٧٧ ـ ٧٨ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٩٧ ـ ٢٤١ ـ ٣١٦ ـ ٣٢٠
٣٣٠ ـ ٣٥٤

صِفين ٣٤

صقَلية ٢٦ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣٨ ـ ٧٥ ـ ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ١٦٠ ـ ٢١٢ ـ ٢٤١
٣٣٣ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩

صَلْتان ٢٢ ـ ٢٣

صنعاء الشام ١٢٥

صنعاء اليمن ١٢٥

صِيبَار ٣١٠

- ط -

طبُرْبة ٣٤٥

طُرَّة ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٧ ـ ١٥٣ ـ ١٧٣ ـ ١٧٧ ـ ٣٥٦

طَرَابلس ٨٣ ـ ٨٥ ـ ١٠١ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٨ ـ ١١٣ ـ ١١٤
١١٩ ـ ١٢٤ ـ ١٥٣ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ١٨٥ ـ ١٩١ ـ
٢٠٤ ـ ٢٠٦ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ
٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ
٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ

٢٥٥ _ ٢٥٧ _ ٢٥٨ _ ٢٥٩ _ ٢٦١ _ ٢٦٣ _ ٢٦٤ _ ٢٦٥ _ ٢٦٦ _
٢٦٧ _ ٢٦٨ _ ٢٦٩ _ ٢٧٠ _ ٢٧١ _ ٢٧٢ _ ٢٧٣ _ ٢٧٤ _ ٢٧٧ _
٢٨٠ _ ٣٠٦ _ ٣٠٨ _ ٣١٤ _ ٣١٦ _ ٣١٨ _ ٣١٩ _ ٣٥٤ _ ٣٩٣

طرابلس الشام ٢٧١

طليطلة ٧٩

طُنُبُذة (المحمدية) ٨

الطواحين ١٣٣

طيبَة ٣٨٤ _ ٣٨٥ _ ٣٨٩

طِينَة ٨٤

- ظ -

الظاهر (بالجنوب التونسى) ١٧٧

الظاهر (بطرابلس) ٣١٨

- ع -

عبد رب (ارض) ٣٠٧

العُذَيب ٣٧٢

العراق ٧٩ _ ٨٠ _ ٢٥٧

العروسان (بقابس) ٩٥ _ ٩٧ _ ١٠٤ _ ١١٥ _ ٣٢٠

العروسان (بقلعة بنى حماد) ١١٥ ـ ١١٦

عسقلان ٣٢

العقَبة ٩١ ـ ١١٢

العُقْلة ١٨٣

العقيق (انظر : وادى العقيق)

عَمْرَة (واقعة عمرة) ١٣٦ ـ ١٦٢

عين الامير (بقابس) ٨٩

عين تامِدنْت ٣١٢

عين تاوِزْغا ١٥٣

عين سَلَام (بقابس) ١١٥

عين سلام (بقلعة بنى حماد) ٨٩ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٧

عين طُرَّة ١٤٢ ـ ١٥٣

عين فارة ٣١٥

عين وِدرس (تودرست) ٣١٦

العيون (بطرابلس) ٢٤٦

عيون رحّال ١٤١

- غ -

غافق ٣٠٩

غانيمة ٢٦٥ ـ ٣١٧

الغـرب ٢٢٠

غرنـاطة ١٦٤

غُمْـرَاسن ١٧٩ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٧ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٦

- ف -

فـاس ١٩٨

فحـص سُوفُـجّين ٢٥٩

فـرَانــ ١١٨

فَـزّانــ ١١٢

الـفسـطاط ٥٤

فِسّـي ٢٠٥

الفَـلّاحـين ٢٣ ـ٣٩٣

فلسطين ١٦٠

- ق -

قابس ٥٨ ـ ٦٨ ـ ٧١ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٣ ـ ٩٤
٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤
١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٨ ـ ١١٠ ـ ١١٥ ـ ١١٧ ـ ١١٩ ـ ١٣٢ ـ ١٣٤
١٣٥ ـ ١٣٧ ـ ١٦٠ ـ ١٦٣ ـ ١٧٢ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠
١٨١ ـ ١٩٨ ـ ٢٤٤ ـ ٣١٦ ـ ٣٢٠ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤
٣٤٠ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٧

القاهرة ٣١٤ ـ ٣٦٧

قبِلِّي ١٧٧

قرطَاجنّة ٨ ـ ١٠ ـ ٢٣ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٣٢٠ ـ ٣٥٢

قرطبة ٨٠

قرقنّة ٦٧ ـ ١٢٢

قرقوزة ٢١٤

القرن ٣٣

قرية حسّان (انظر : حسان)

القُسْطَنْطِينية ٧٩

قسَنْطِينة ١١٩ ـ ٣٤٤ ـ ٣٥٤

القشْتيل ١٢٦ ـ ١٢٨

القصبة (بتونس) ١٣ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٦٣
القصبة (بطرابلس) ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٨٠
قصبة جربة ١٢٧
قصبة الحامة ١٣٦
قصبة قابس ٩٤ - ٩٥
القصار ٢٠٥
القصر (بالمهدية) ٣٤١ - ٣٥١ - ٣٥٢
قصر أبى القاسم (بالمهدية) ٣٢٣
قصر بنى خيار (انظر : قصور بنى خيار)
قصر الديماس ٣٣٦
قصر زياد ٦٧
قصر صالح ٢٠٦
قصر طارق ٣٨ - ٣٩
قصر عبيد الله المهدى (بالمهدية) - القصر العبيدى ٣٢٣ - ٣٣٢ - ٣٧٧
قصر العروسين (انظر : العروسان)
قصر عيسى بن جعفر ٨٧
قصر فارة ٣١٦
القصر القديم (بزنزور) ٢١٥
قصر قراضة ٣٥٤ - ٣٥٩

قصر كتّانة ١١٩

قصر ملُيتة ٥٩

قصور بنى خيار ٨٥ - ٣١٦

قصور بنى عشرة ٣٤٤

قصور حسان (ببرقة) ٥٨

قصور المباركة ٨٥ - ٣٢٠

قصور الورانيز (انظر : الورانيز)

قصور الوردانيين (انظر : الوردانيين)

قطيس ٢٤٤

قفصة ١١٤ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ٣٥٣ - ٣٥٦ - ٣٥٧

القُل ٣٥٤

القلعة (قلعة بني حمّاد) ١١٥ - ١١٦

قلعة حَمْدون ١٨٥

قلعة نِفيق ١٨٥

قماطة (شِغْراء) ٣١٧

قَمّونية (المنستير) ٣١

القيروان ١٨ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٨ - ٧٩ - ٩٩ - ١٠٠ - ١١٨
١٤٧ - ٢٥٣ - ٢٦٦ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٥٤ - ٣٥٦
٣٧٦

- ك -

الكانم ١١١
كتانة ١١٩ - ١٣٤
كليكل ١٥٣
كنبريج ٣١٣
كوطين (انظر : زوارة الكبرى)
الكوفة ٣٠٩

- ل -

لا لَة (قصور) ٣٥٣
لَبيدة (لبيدى) ٨٣
لُبك ٧٦
لُلبيَانة ٣٧١
لماية ٢١٤
اللوى ١٩٨
ليبزيك ٣٣ - ٣١١
ليدن ٣٦٨

- م -

مـارث ١٨١
مالَـقَـة ٥٩ - ٨٣
المبـاركة (انظر : قصور المبـاركة)
متيجـة ٣٤٣
المجاز (بطرابلس) ٢٥١
مجاز الجرف ١٢١
مجاز سبُتة ٢٢٠
مـجـزّم ١٤١
المحرس ٨٥ - ٣١٦ - ٣٢٠
محرس علي (المحرس الجديد) ٦٩
مُحسِن (بطرابلس) ٢٤٤
المحمدية ٨ - ٩
المدرسة المنتصرية (بطرابلس) ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣
المدفون (قصر) ٢٤
المدينة ٩١ - ٢٠٩
المدينة البيضاء (طرابلس) ٢٣٧ - ٢٦٨

مرّاكش ٨٣ ـ ٨٤ ـ ١٠٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٦٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣٤٤ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٣

المِـرْبَد ٥٤ ـ ٥٥

مرسى البرج ٣٥٣

المَـرْصد ٢٣ ـ ٢٥

مُـزْناق ١٠

مسجد ابن فرج (بطرابلس) ٢٦٥

مسجد البارزى (بطرابلس) ٢٤٩

مسجد الجُدود ـ او الجَـدّة (بـطرابلس) ٢٤٩

مسجد خطاب (بطرابلس) ٢٤٨

مسجد سيقاطة (انظر : سيقاطة)

مسجد الشّعاب (بطرابلس) ٢٤٧ ـ ٢٥١

مسجد العشَرة (بطرابلس) ٢٣٧

مسجد غانم ٥٦

مسجد المجاز (بطرابلس) ٢٥١

مَسْراتـة ٣١٧

مسلاتة ٨٥ ـ ١٣٤ ـ ٢٦٥ ـ ٣١٨

المشرق ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٧٨ ـ ٩٤ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٧٩
١٨٥ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٧٢
٢٧٣ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣٣٣ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧٩

مِصْر ٦ ـ ١١ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ٢١ ـ ٧٩ ـ ٩٤ ـ ٩٦ ـ ١١١ ـ ١٢٤
١٢٧ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ٢١٦ ـ ٢١٨ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤١ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٤
٣٢٨ ـ ٣٣٣ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤٢ ـ ٣٦٧

المصلّى (بـبشري) ١٥٤

المصلى (بتوزر) ١٦٣

المصلى (بطرابلس) ٢٤٦

المصلى (بالمهدية) ٣٢١ ـ ٣٢٦ ـ ٣٧٧

المصيصة ٣٢

المُعلّقة ٣٤١

المغرِب ٤ ـ ٨ ـ ١٣ ـ ٣٢ ـ ٥٩ ـ ١٠٤ ـ ١١٢ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٥
١٣٦ ـ ١٦٠ ـ ١٨٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢١٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩
٣٣٤ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٢

المغرب الاوسط ٣٢٨ ـ ٣٤٣

المغرب الاقصى ٣٤٣

المَقام (بمكة) ١٧٠

مكة ١٤٢ ـ ٢٤٩ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٥ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨٩

ملعب سوسة ٤١
مليانـة ٣٤٣
مَـسْطور (جـبل) ٣٢
المنـار (بقابس) ٩٤ ـ ١١٥
المنـار (بقلعة بنى حماد) ١١٥ ـ ١١٦
المنـارة ٢٣
منزل أبى نصر ٣٦٠
منزل باشّو ١٣ ـ ١٤
المنستـير ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٨
المنصورية (انظر : صبرة)
المهدية ١٥ ـ ١٨ ـ ٢٥ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٤٢ ـ ٧٠ ـ ٧٢ ـ ٧٤ ـ ٧٦
٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٣٦ ـ ١٨١ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٥
٢٧٧ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨
٣٢٩ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٩
٣٤٠ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠
٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠
٣٦٣ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٥
٣٧٧ ـ ٣٨١ ـ ٣٩٣
المهديتان ٣٣١ ـ ٣٤١ ـ ٣٧٧

الموصل ٣٦٩

موقف الغنم (بطرابلس) ٢٤٥

مَيُورقة ٢٤٤ - ٣٥٤

- ن -

نَبْش الذئب ٣١٩

نجد ٤٩ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٨

نخيل فِرْعون ١٤٢

نِفْزَاوة ١٢٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٧١ - ٣٠٨ - ٣٥٦

نفْطة ١٢٠

نفُوسة (انظر جبل نفوسة)

نقّطة ٨٤

النيل ١٨ - ١٩

- و -

وادي إضَم ٤٩

وادى جراوة ١١٥

وادى الجوى ١١٦

وادى الرمل (بتونس) ٢٣
وادى الرمل (بطرابلس) ٣١٠ - ٣١٢ - ٣١٨
وادي الزَّرْكين ٣٢٠
وادي زَرُود ١١٨
وادى عباس ٧٥
وادى العقيق ٣٨١ -٣٨٤ - ٣٨٥
وادى الفجاء ١٢٠
وادي القُرى ٤٩
وادى القصر ٨٧
وادي مجسّر ١٢٠ - ١٣٣
وادي مَلْيان ٩
ودّان ١١٠ - ١١١
وردس (انظر : عين وردس)
وِذْرِف ٨٦
الوردانِيّين (قصور) ٥٦
الورانيز (قصور) ٣١٦
وِزْدِر (قصر) ٢٠٩
وطن -وطن المرابطين (انظر : زوارة الصغرى)

ولـوَل ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٣١٩

- ي -

ياسك ١٥٣
الياقوتة (بالمنستير) ٣٢
يثـرب ٣٦٥
يغمراسن (انظر : غمراسن)
اليمن ١١١ ـ ١١٢ ـ ١٢٥

فهرس

اسماء الكتب

- أ -

آثار السّحابة في أشمار الصّحابة : لابن عربية ٣٧٥

الاحكام : لعبد الحق ٨ ـ ٩

اخبار ابى اسحاق الجبنيانى ٦٧ ـ ٦٩

الادوية : لابن البيطار ٣١٤

الارشاد : لابى المعالى ٢٥٧

اسد الغابة ٩٢ ـ ١٢٤

الاشارات : لعبد السلام الفيتورى ٢١٩ ـ ٢٥٩

اعمال الاعلام ٣٨

الاغانى : للاصبهانى ٦٠ ـ ٨٧ ـ ٣١٣

اقتباس الانوار : للرشاطى ٦٦ ـ ١٤٢

الإكمال : لابن ماكولا ١٤٢

الإكمال على صحيح مسلم : للقاضي عياض ٢٥٦

أمثال أبي عُبَيد (انظر كتاب الامثال)

أمثلة الغريب : لابي الحسن الهُنائي ٢٦٣
الامالى : لابى على القالى ٦١
الانجيـل ٣٨٩
انساب قريش : للزبير بن أبى بكر ٢٦٤
الانموذج : لابن رشيق ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ - ٧٦ - ٧٨ - ٨١ - ٣٦٦
الانـواء (انظر : كتاب الانـواء)

- ب -

البخلاء : للجاحظ ١٦١
البرهان : لابى المعالى ٢٥٧
بُغية الوعاة : للسيوطي ١٤١ - ٢٦٣
البيان المُغرب : ١٢ - ٢٨

- ت -

تاريخ ابن خلدون ٥ - ٢٠ - ٢٤ - ١١١ - ٢٦٥ - ٣٥٠
تاريخ ابن شداد : ١٤ - ٣٤٦
تاريخ ابن شرف ٣٣ - ٥٣ - ٨٣
تاريخ ابن نَخِيل : ١٠٨ - ١٤٧
تاريخ أبي الصَّلت : ١٢٥

تاريخ ابي الطاهر السّلفي : ١٦١
تاريخ ازرقيق ٦ - ٧ - ٣٢ - ١٢٥ - ٢٤١ - ٣٢٠
تاريخ الزَّركشي ٢٥٢
تاريخ الفاضل (انظر : مُسَاوَمَة ابن البيسانى)
تاريخ مُعَلّم الفِتْيان ٣٢١
تبكيت الناقد : لعبد الرحمان بن ابراهيم الاصولى ٣٧٨
تثقيف اللسان : لابى حفص بن مكى ٢٦٢
تُحْفة القادم : لابن الابّار ٨٤ - ١٠٦
التفريع : لابن الجلّاب ٢٥٦
التَّكمِلة : لإبن الابار ٢٧٢
التنوير (شرح سقط الزند) ٦٠ - ٦١ - ٦٣
التهذيب ٢٥٦ - ٢٩٦
التوراة ٣٨٩

- ث -

ثمار القلوب : للثعالبى ٩١

- ج -

جذوة المقتبس : للحميدى ٥٣

جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس : للصدفي ٢٧٣
جوامع الكَلِم النبوية : لابن عربية ٣٧٥

- ح -

الحاصل : لتاج الدين الأزمَوي ٣٦٨
الحديقة في شعراء الاندلس : لابي الصَّلت ٤٢
حسن المحاضرة ١١
الحُصار في علم الحساب ٢٥٧
الحُلّة السِّيَراء : لابن الابار ٣٦٥
الحُلَل السُّنْدُسية ٤١ - ٧٨ - ١٦٥
الحيوان : للجاحظ ١٦١

- خ -

خريدة القصر ٤٣ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٦ - ٣٦٧
خِزانة الادب : لابن سعيد ٥٢

- د -

الدُّرّ النظيم (للمؤلف) ٣٦٦
ديوان ابى نواس ٣٤

ديوان أميَّــة بن أبي الصَّلْت ٣١٤
ديوان حـاتـم (الطائي) ٣١١ - ٣١٢
ديوان حسان بن ثابت ١٦١
ديوان ذى الرمة ٣١٣
ديوان عمر بن عيسى بن ابي حفص ٣٦٤

- ذ -

الذخـيرة : لابن بسّـام ١٦

- ر -

رسالة أبى على النفطى ١٤٤
رسالـة أبـي يعقوب الطُّرّيَ ١٤٣
رسالة الحُول : لـلاجدابي ٢٦٣
الروض الأنُـف : للسُّهـيلي ٥٩
الروضة الموشية فى شعراء المهدية ٣٦٦

- ز -

الزهرة فى مسند العشرة : لابن عربية ٣٧٥

- س -

سنن القوم فى آداب الليلة واليوم : لابن عربية ٣٧٥
السيرة النبوية : لابن هشام ٥٩

- ش -

الشرح والتفصيل لمسائل المدونة : للبيدى ٨٣
شرح العكبرى على المتنبى ٦٣ ـ ٧٢
الشعر والشعراء : لابن قُتَيبة ٨٧
شعراء النصرانية : للاب شيخو ٣١٤
الشّقراطسية ١٦٢ ـ ٣٧٦

- ص -

صحيح البخارى ٢٥٨
صحيح مسلم ٢٥٥
الصّلة : لابن بشكوال ٥٥ ـ ٧٩
صلة ابن شرف لتاريخ الرقيق (انظر : تاريخ ابن شرف)
صلة السمط : لابن الشباط أبى عبد الله محمد بن على المصرى ١٣٥

- ط -

الطبقات : لابى العرب ١٢ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٢٧١
طبقات ابن سعد ١٢٥

- ع -

العقيدة الدينية : للصدفى ٢٧٣
عنوان الدراية : للغبرينى ١١٦ ـ ٢٥٢

- غ -

غريب الحديث : للخطابى ٨٠
غريب الهروى ١٣٥

- ف -

فتوح مصر ١١٠ ـ ٦٦
الفصيح ٢٦٣

- ق -

القرآن (الذكر الحكيم) ٨ ـ ٩ ـ ٢٦ ـ ٨١ ـ ١٣٨ ـ ١٦٠ ـ ٢٧٣ ـ ٣٦٣ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩

قصائد المِدَح ومصائد المِنَح (ديوان) : لابن عربية ٣٧٥

- ك -

الكافى فى الفرائض : لابن المنمر ٢٥٧ ـ ٢٦٥
الكافى فى الوثائق : لابى الحجاج يوسف بن زيرى ٢٤٢
الكامل : للجرجانى ٨
الكامل : لابن الاثير ١١ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ٢٤
كتاب الامثال : لابى عُبَيد ١٣٥
كتاب الأَنْواء ٦٠
كتاب فى الرد على ابى حفص بن مكى فى تثقيف اللسان : للاجدابى ٢٦٢ .
كتاب الروضتين ١٥
كتاب فى ما آخره ياء مشددة : للاجدابى ٢٦٢
كتاب فى العروض : للاجدابى ٢٦٢
الكشاف : للزمخشرى ١٣٥
كشف الظنون ٣٣ ـ ٣٦٨
كفاية المتحفّظ : للاجدابي ١٤١ ـ ٢٦٢
كنوز المطالب : لابن سعيد ٣٠٨

- ل -

لسان العرب ١٨٣ ـ ٣١٣

- م -

المحصول : لابن العربى ٢٥٦ ـ ٣٦٨
المختار : لابن حشرون ٣٦٧
مختصر فى الانواء : للاجدابى ٢٦٣
مختصر لكتاب أنساب قريش : للاجدابى ٢٦٣ ـ ٢٦٤
المدخل : لابن الحاج ٣٩١
المدونة ٨٣
مذكر الفؤاد في الحض على الجهاد ٢٧٣
المذهبة : لابن المناصف ٢٥٧
المسالك : لابي عبيد البكري ٦ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ٢٨ ـ ١٥٥ ـ ٢٧١
٣٢١ ـ ٣٢٦
المستصفى : للغزالى ٢٥٦ ـ ٢٥٧
المستوفى فى رفع أحاديث المستصفى : لابن عربية ٣٧٥
مطالع البدور ٥٥
معالم ابى سليمان الخطابى ٢٠٨

المعالم الفقهية : لابن الخطيب ٢٥٧
المعالم الدينية : لابن الخطيب ٢٥٧
معالم الايمان : للدباغ ٥٦ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥
مُعجم البلدان : لياقوت ٤٩ ـ ٥٥ ـ ٨٧
المنتخبات التونسية : لحسن عبد الوهاب ٦
منتهى السول فى امتداح الرسول ٩٢
المُيَاوَمَة : لابن البيساني ١٤ ـ ١٥ ـ ١٤٧ ـ ٢٤٣
ميزان الاعتدال ٣١ ـ ١٢٥

- ن -

الناسم : لابى الفضل التجانى ٢٢٣ ـ ٢٢٤
النبذ المحتاجة في اخبار صنهاجة ١١٦
النجوم الزاهرة ١١
نزهة المشتاق : للادريسي ١١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٤٣
نُزهة النظّار ٣١
نفح الطِّيب : للمقّري ٩٠
نفحات النسرين في مخاطبة ابن شِبْرين : للمؤلف ١٦٤
نقائض جرير والفرزدق ٧٢

النهـاية : لابن الاثـير ١٣٥ ـ ٢٤٦

- و -

الوتـريـات : لابي الحسن بن بـلال ٢٧١ ـ ٢٧٢
الوفاء، ببيان فوائد الشفاء (شرح الشفاء : للمؤلف) ٣٨١
الوهم والايهام ٨

- ي -

يتيمة الدهر : للثعالبى ٤٢ ـ ٥٤ .

فهرس

موضوعات الكتاب

صحيفة	الموضوع
٣م	مقدمة استاذ الجيل العلامة ح ـ ح ـ عبد الوهاب
٤	الخروج من تونس
٥	الحديث عن رادس
١٠	الحديث عن حامة الجزيرة (حمام الانف)
١٠	الحديث عن مرناق
١١	الحديث عن جزيرة شريك
١٣	الحديث عن منزل باشو
١٦	الحديث عن الزحفة الهلالية
٢٢	الحديث عن قرية صلتان
٢٤	الحديث عن اهريقلية (هرقلة)
٢٥	الحديث عن سوسة
٣٠	الحديث عن المنستير
٣٣	الحديث عن شعراء سوسة
٥٦	الحديث عن الوردانيين وصالحها ابى محمد يونس الوردانى
٥٧	الحديث عن قصر الجم
٦٥	الحديث عن زيتون الساحل
٦٧	الحديث عن جزيرة قرقنة
٦٨	الحديث عن صفاقس
٧٠	الحديث عن ولاة صفاقس
٧٦	الحديث عن شعراء صفاقس وعلمائها
٨٠	الحديث عن جبنيانة وصالحها ابى اسحاق الجبنيانى
٨٣	الحديث عن قرية لبيدة وشيخها ابى القاسم اللبيدى
٨٥	الحديث عن المحرس

الموضوع | صحيفة

الحديث عن قابس ٨٦
الحديث عن الصحابى ابى لبابة ٩١
الحديث عن ولاة قابس ٩٦
الحديث عن جزيرة جربه ، سكانها ومذاهبها ١٢١
الحديث عن حصن القشتيل ١٢٨
الحديث عن حامة قابس ١٣٤
الحديث عن طرة (قاعدة نفزاوة) ١٤٢
الحديث عن بشرى ١٥٣
الحديث عن سبخة تاكمرت ١٥٤
الحديث عن توزر (قاعدة الجريد) ١٥٧
الحديث عن غمراسن ١٨٥
الحديث عن زوارة الصغرى ٢٠٧
الحديث عن زوارة الكبرى ٢١٠
الحديث عن زواغة ٢١١
الحديث عن زنزور ٢١٤
الحديث عن طرابلس ٢٣٧
الحديث عن ولاة طرابلس ٢٣٩
الحديث عن فضلائها وعلمائها ٢٥٤
الحديث عن تاجورة ٣٠٧
فى طريق الرجوع ٣١٧
الحديث عن المهدية ٣٢٠
الحديث عن ملوك المهدية وولاتها ٣٢٤
الحديث عن شعراء المهدية وعلمائها ٣٦٦
فهرس اسماء الرجال والقبائل ٣٩٩
فهرس اسماء البلدان والمعالم ٤٥٩
فهرس اسماء الكتب ٤٨٩
فهرس الموضوعات ٥٠١
جدول التصويبات ٥٠٣

انتهى طبع هذا الكتاب في ديسمبر 1980
شركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر
مطبعة جريدة "لابراس"
4 شارع الحبيب بورقيبة - تونس
عدد الناشر ٨٠ — ١٩ — ٣٠٠